جـامعة الـنيلين
كلية الدراسات العليا
كـلية الآداب
قسم التاريخ

الجيش الغزنوي ودوره في الدولة الإسلامية

(366 - 598 هـ / 976 - 1201 م)

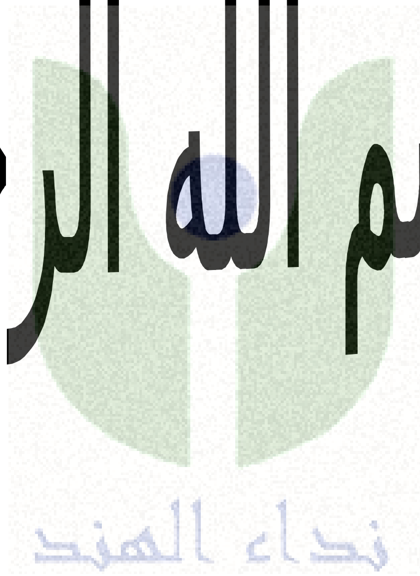
مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب أحمد سليم شحاده الشرمان

إشراف الدكتور الريح حمد النيل الليث

1432هـ / 2011 م

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات

قال تعالى : " سَوَآءُ مِنكُم مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ وَسَارِبُ بِالنَّهَار " سورة الرعد : آية 10 .

قال تعالى : " قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" سورة التوبة : آية 29 .

قال الله تعالى : " قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَكَ عَلَى كُلّ شَيءٍ قَدِيرُ " سورة آل عمران : آية 26

المقدمة

حرص الغزنويون على بناء مؤسسة عسكرية قوية , ذات نظم مميزة لكافة قطاعاتها الحربية , وحسب ما كان متاحاً لهم في تلك الفترة التاريخية . وعند دراسة المعارك والحروب الكبيرة منها والصغيرة التي خاضها الجيش الغزنوي , سواءً كانت هذه المعارك بعيدة عن عاصمة ملكهم غزنة أو قريبة منها , والتي جرت في أوقات وأزمنة مختلفة , ضمن تاريخ الغزنويين العسكري , يمكننا التعرف على كافة النظم العسكرية التي عمل بها الجيش الغزنوي , بكافة قطاعاته المنتشرة في مختلف أقاليم ونواحي الدولة .

خصصت هذه الدراسة للبحث في مؤسسة الجيش الغزنوي ودوره في الدولة الإسلامية , وتناولت كافة قطاعاته وتشكيلاته المختلفة من حيث عناصره , وأصنافه والرتب العسكرية لقادته وضباطه وأفراده , والإدارة العسكرية , ومصادر نفقاته المالية , وأسلحة الجيش الحربية الثقيلة منها والخفيفة , ونظم التعبئة التي طبقت في ميادين التدريب والقتال , والتحصينات الدفاعية التي استخدمتها القطاعات العسكرية حيث بينت تطور قوة هذه المؤسسة منذ سنة 351هـ/961م وهي بداية ظهور الدولة على يد ألبتكين (351 - 355 هـ / 961 - 964 م) , الذي قام بغزو زابلستان وأسس بها أمارة مستقلة عاصمتها غزنة . ولما توصل غلامه الأمير سبكتكين إلى الحكم , عمل على تقوية وتوسيع الإمارة , وما جاورها من أقاليم , وبسط نفوذه على خراسان , وغزا أطراف الهند , وجعل نظام الحكم فيها وراثياً , لهذا اعتبر سبكتكين المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية .

وازدادت هذه المؤسسة عدداً وقوة في عهد ابنه السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود (387-421هـ / 997-1030م) , وهو أول من حمل لقب سلطان في العالم , وحكم الإمارة الغزنوية آنذاك , واستطاع بهذا الجيش أن يغزو بلاد الهند والسند , وبلاد الغور وخراسان , وسيطر على أقاليم عدة , فتمكن من بناء دولة مترامية الأطراف بواسطة قوة مؤسسته العسكرية .

انتقل الحكم بعد وفاة محمود إلى ابنه الأكبر مسعود , وفي عهده هزم الغزنويون في أمام السلاجقة في معركة داندنقان , وبدأت الهزائم تلحق بهم على مختلف الجبهات , وانتقل الحكم بعده إلى عدد من آل سبكتكين مع استمرار الضعف بمؤسسات الدولة , مما أدى إلى إيقاع مزيد من الهزائم بهم حتى تقوقعوا على أنفسهم في الهند , وانهارت آخر معقلهم سنة 598 هـ / 1201م .

وجاءت هذه الدراسة للتعرُّف على مختلف الجوانب ذات العلاقة بالمؤسسة العسكرية الغزنوية , وما كان لهذه المؤسسة من دور في تدعيم أركان الدولة الإسلامية في المشرق الإسلامي , والتوسع بالفتوحات في بلاد الهند والسند .

بينت هذه الدراسة تطور قوة مؤسسة الجيش الغزنوي منذ بداية ظهورها على يد ألبتكين وغلامه سبكتكين سنة 351هـ/961م . وازديادها عدداً وقوة في عهد ابنه السلطان محمود (387-421هـ / 997-1030م) , وأبرزت الدراسة بوادر الضعف والحروب التي خاضوها , والهزائم التي لحقت بهم حتى تم القضاء عليهم في الهند .

جاءت هذه الدراسة في مقدمة , وعرض لأهم المصادر والمراجع , وتمهيد وستة فصول , وقسم كل فصل إلى مباحث , كما شملت الدراسة خاتمة وقائمة مصادر ومراجع وملاحق .

جاء التمهيد : للحديث بشكل مختصر عن أصل الغزنويين , وتشكيل نواة دولتهم في غزنة , واتساع حدودها , وبينت مراحل قوة الجيش في مختلف فترات حكم السلاطين الغزنويين , والعناية التي أولوها لمؤسسة الجيش , حتى أصبحت أقوى قوة عسكرية في المشرق الإسلامي , يحسب الجميع حسابها .

وخصصتُ الفصل الأول : للتعرف على العناصر التي كونت المؤسسة العسكرية الغزنوية , وقسم إلى ثلاثة مباحث , جاء في المبحث الأول : توضيح للعناصر التركية حيث اعتمد الغزنويين على العناصر التركية التي قدمت مع ألبتكين إلى غزنة , ثم استقدام سلاطين آل سبكتكين للمزيد من هذه العناصر من بلاد ما وراء النهر وتركستان , تمثلت في الأتراك والتركمان والخلج والقرغيز والغزنويون والخوارزميون .

أما المبحث الثاني : جاء ليوضح سياسة الغزنويين باتباعهم سياسة التعددية البشرية من مختلف أصناف الناس , ولم يعتمدوا على جنس بشري واحد , فأدخلوا عناصر متباينة ومعروفة الأصول , مثل الفارسية كالديلم والخراسانيين والبلخيين بالإضافة للعناصر الهندية والعربية والكردية وغيرهم من الأجناس البشرية الذين كانوا يعيشون رعايا ضمن أقاليم الدولة , وبينَّ المبحث الثالث : العناصر ذات الأصول المختلفة كالغلمان من وثاقين باشي , وغلمان السراي , بالإضافة للقوات غير النظامية مثل المتطوعة (غازيان) والمرتزقة .

أما الفصل الثاني : فقد بحث في قطاعات الجيش بشكل عام , وقسم إلى ثلاثة مباحث , بينَّ المبحث الأول : القطاعات الضاربة كالفرسان والرجَّالة والرماة والفيَّالة . ووضح المبحث الثاني : تشكيلات الإسناد , كالمنجنيقين والفعلة والعيون والشحنة والسفن والزرَّاقون . وبيَّن المبحث الثالث : دور الخدمات الإدارية كالموسيقى , والتموين , ووسائط النقل , والخدمات الطبية , والأدلاء , وعدد الجيش الغزنوي .

وجاء الفصل الثالث : ليبين أهم أسلحة الجيش الغزنوي , حيث قسم إلى مبحثين , تناول المبحث الأول : الأسلحة الفردية الخفيفة مثل السيف والرمح والقوس والنشاب والخنجر والحربة والدبوس والطبر . أما المبحث الثاني : فقد تحدث عن الأسلحة الجماعية الثقيلة كالمنجنيق والدبابة والعرادة والسلالم , والأسلحة النارية مثل النفط والزواريق والنار , واللباس الحربي كالدرع والجوشن والترس والخوذة والمغفر والشارات , ومصادر الأسلحة التي حصل عليها الجيش من خلال الصناعة والشراء والحروب , كما وضح كيفية تخزين الأسلحة .

ووضحتُ في الفصل الرابع : الرتب العسكرية الذي قسم في مبحثين , جاء في المبحث الأول : قادة القوات الضاربة كالأسفهسالار ونائبه السباهدار والعارض والكتخدا والمقدم والنقيب وسوار سالار والسرهنك . وذكر المبحث الثاني : قادة تشكيلات الإسناد مثل أمير الحرس , وأخور سالار , وقادة غلمان السراي مثل السروثاقان , والوثاق باشي , وآخور سالار , والشحنة ومقدم المربض , وضابط

الارتباط وسالار المطوعة , والعرفاء , ووضح قادة التشكيلات الإدارية , كصاحب البريد وسلاحدار , والخازندار والجامة دار , والجوكندار وقاضي العسكر وغيرهم .

وبحثتُ في الفصل الخامس : النظم الحربية التي تشكلت منها مختلف قطاعات وتشكيلات الجيش الغزنوي , وقسم إلى مبحثين , بيَّن المبحث الأول : النظم التعبوية في الهجوم الذي يبدأ بالاستطلاع , ثم الحشد والزحف , والتخلص من الأثقال ثم المشاغلة , والاستدراج والحصار والالتفاف , والتطويق وتناوب القتال , وتدمير منشآت العدو , واحتلال مواقعه ومطاردته , والتعبئة في الدفاع كاليقظة والمراقبة والحيطة والحذر والحراسة وإعادة الانتشار .

وأبرز المبحث الثاني : النظم الحربية , كالنظم القتالية مثل نظام الصفوف ونظام التخميس ونظام الكر والفر , ونظم التشكيلات المقاتلة , كالطلائع والجرايد والفصائل والكراديس والسرايا والكتائب والفرق , كما وضح نظم التحصينات الدفاعية , كالقلاع والحصون والخنادق والأسوار والكمائن .

واستعرضتُ في الفصل السادس : الإدارة العسكرية والمصادر المالية , وقسم إلى مبحثين , ذكر المبحث الأول : الإدارة العسكرية , مثل التدريب والرواتب كالنقد والعطاء والهبات ومال البيعة وأموال الغنائم , والمحاكمات والترقية والإجازات واللواء والعلم الراية , وجاء المبحث الثاني : ليوضح الخزينة المالية ومراقبتها من خلال ديوان الاستيفاء , كما بيَّن مصادرها المالية , كالخراج والضمان , والجزية والغنائم والمكوس وغيرها . ثم جاءت الخاتمة تبين أهم نتائج الدراسة التي توصل إليها الباحث .

ولتحقيق الغرض المطلوب من الدراسة اعتمد الباحث على أساسيات تمثلت في الموضوعات التالية :

مشكلة البحث :

جاءت الدراسة لتعالج الكثير من المشاكل كان من أهمها ما يلي :

- دور الجيش الغزنوي في المشرق الإسلامي ؟
- السياسة التي اتبعها الغزنويون في مواجهة القوى المتربصة لها على حدودها الخارجية , من خلال قوة الجيش ؟
- الكيفية التي تعامل بها الجيش الغزنوي مع الحركات الانفصالية الداخلية ؟
- ما حققه سلاطين غزنة من انتصارات حتى نال اعتراف الخليفة العباسي بدورهم في حماية الدولة الإسلامية من ناحية الشرق , معتمدين بذلك على قوة الجيش ؟
- توضيح الدور الذي لعبه الجيش في تنصيب أو عزل سلاطين غزنة ؟
- إبراز الأسس التي اعتمد عليها الجيش الغزنوي حتى أصبح أكبر قوة في المشرق الإسلامي ؟
- توضيح أهم التحديات التي واجهها الجيش الغزنوي على مختلف جبهات القتال ؟

أهمية البحث :

- هذه الدراسة أول دراسة اتخذت الطابع العسكري لتاريخ الدولة الغزنوية .
- توضح الدراسة دور الجيش الغزنوي في توسيع رقعة الدولة الإسلامية في الشرق من خلال الفتوحات التي حققها في بلاد الهند والسند .
- بينت القدرات القتالية للجيش الغزنوي , وتفوقه في المعارك الداخلية والخارجية التي خاضها في مختلف النواحي والأقاليم .
- للدراسة أهمية بالغة للمجتمع العربي والإسلامي على حد سواء , ويرجو الباحث أن تكون إسهاما جديداً ومفيداً للمكتبة العربية والإسلامية .
- الدراسة جديرة باهتمام الباحثين والأكاديميين والسياسيين وكبار القادة العسكريين , لاكتساب مزيد من المعرفة , من خلال التعرف على النظم والإستراتيجية العسكرية التي اعتمدها سلاطين آل سبكتكين في قطاعات وتشكيلات مؤسستهم العسكرية , وما طرأ عليها من تطور , أكتسبه الغزنويون من خلال خوضهم معارك مع الدول المجاورة .

أهداف البحث :

- تهدف الدراسة إلى صياغة دراسة عسكرية تاريخية تحليلية ووصفية للسياسة العسكرية الغزنوية على الصعيدين الداخلي والخارجي .
- تحاول الدراسة تسليط الأضواء على العلاقات الغزنوية العباسية من خلال قوة الجيش , واعتراف الخليفة العباسي في بغداد بشرعية سلطان الدولة الغزنوية , كدولة حامية للبوابة الشرقية للعالم الإسلامي .
- تسعى الدراسة إلى التوصل لنتائج المعارك التي خاضها الجيش الغزنوي , وما ترتب عليها من توسيع لرقعة العالم الإسلامي , ونشر للدين الإسلامي على المذهب السني في الشرق , وخاصة في بلاد الهند والسند .
- تحاول الدراسة توضيح دور خلفاء آل سبكتكين في فرض سياستهم الطموحة الداخلية والخارجية معتمدين على قوة الجيش .
- تحاول الدراسة إبراز النظم العسكرية التي طبقت في مختلف قطاعات الجيش القتالية منها والإدارية .
- توضيح الإستراتيجية العسكرية التي اعتمدها الغزنويون في مختلف المراحل التعبوية , وبحالتي الهجوم والدفاع .

أسباب اختيار الموضوع :

أما عن الأسباب التي دفعت الباحث لدراسة موضوع الجيش الغزنوي ودوره في الدولة الإسلامية فيكمن في التالي :

- عدم وجود دراسة متخصصة بهذا الموضوع , فقد تركزت دراسة الباحثين المحدثين على الجوانب السياسية لتاريخ الدولة الغزنوية .

▪ تلك الجهود الكبيرة التي بذلت من قبل سلاطين آل سبكتكين , وتضحياتهم المتواصلة في تحقيق طموحاتهم السياسية , لبناء دولة حديثة مترامية الأطراف معتمدين بتفوقهم القتالي والحربي على القدرة القتالية لمؤسسة الجيش .

▪ الرغبة بالإطلاع على النظم العسكرية الغزنوية بهيكلها العام , وفنونها الحربية والإدارية , وأساليبها القتالية , خاصة وأن للتنظيم والإدارة , أهمية كبيرة في تفوق الجيوش , وتحسين مدى قوته , وأدائه في إدامة الدول واستمرارها .

فكان ما ذكر من أسباب حافزاً ومشجعاً للباحث , للمساهمة في دراسة حقبة زمنية من التاريخ العسكري للجيوش الإسلامية , وما لها من دور في الدولة الإسلامية , خاصة وأنني لم أجد باحثاً كتب في التاريخ العسكري الغزنوي , مما لفت انتباهي أهمية هذا الموضوع والكتابة فيه , سيما وأن الذين كتبوا عن الغزنويين , لم يتناولوا الحديث عن المؤسسة العسكرية الغزنوية بشكل رئيسي وشامل ومفصل .

منهج البحث :

استخدم الباحث المنهج التاريخي والتحليلي الوصفي في دراسة مشكلة البحث مع تقديم تقرير خصائص لمشكلة معينة , ودراسة الظروف المحيطة , ولفت النظر إلى أبعادها المختلفة , ثم يقوم الباحث بالتحليل والنقد .

فرضيات البحث :

▪ ثمة عوامل سامانية ساهمت في بروز قوة ألبتكين , واجبرته على التوجه إلى غزنة ووضع البذرة الأولى لإقامة إمارة في غزنة .

▪ كان للطموح الشخصي للأمير ألبتكين وخلفائه من آل سبكتكين من بعده تداعيات إيجابية على تطور مؤسسة الجيش ودورها القتالي في مشرق الدولة الإسلامية .

▪ استغل السلطان محمود بن سبكتكين قوة آل سامان المتداعية , وأنهى وجودها بقوة الجيش , مما شجعه على العمل على تقوية مؤسسته العسكرية وغزو بلاد الهند والسند بهذه القوة .

▪ استغل الغزنويون تفرق ملوك وأمراء بلاد الهند والسند , وضموا أجزاء كبيرة منها لدولة غزنة .

▪ استخدم الغزنويون قوة الجيش لمنع توسع خانات بلاد ما وراء النهر على حساب أملاك الغزنويين في إقليم خراسان .

▪ تمكن سلاطين غزنة من لفت أنظار الخليفة العباسي اتجاههم , وحمله على الاعتراف بشرعيتهم كقوة عسكرية لحماية البوابة الشرقية للدولة الإسلامية .

حدود البحث :

▪ الإطار الزمني للبحث , ويمتد منذ خروج ألبتكين قائد الجيوش السامانية من نيسابور متوجهاً إلى غزنة سنة 351 هـ / 962 م , وحتى سقوط آخر معاقل آل سبكتكين في الهند سنة 598 هـ / 1201م .

▪ الإطار النظري للبحث :
يعتبر الإطار النظري لهذه الدراسة محدد بمراحل بناء المؤسسة العسكرية الغزنوية , ومروراً بمراحل قوة وضعف هذه المؤسسة , وما شهدته تلك الحقبة التاريخية من حروب طاحنة على صعيدين , الأول : الداخلي الذي تمثل في القضاء على الحركات الانفصالية في مختلف الأقاليم في بلاد ما وراء النهر , وخراسان وعراق العجم وخوارزم وغيره , والثاني : فتمثل في الحروب مع القوى الخارجية , مثل خانات بلاد ما وراء النهر , والسلاجقة في بلاد ما وراء النهر وخراسان , وملوك وأمراء بلاد الهند والسند .

صعوبات البحث :

▪ بذل الباحث جهد كبير في القراءة والمطالعة , والبحث العلمي واستقصاء المعلومات , ولهذا لزم الاطلاع على الكثير من المصادر والمؤلفات التاريخية والأدبية التي تخص فترة الدراسة , ومؤلفات الفترة التي سبقتها وتلتها , فوجدت المادة متناثرة فتعددت المصادر ما بين كتب المؤلفات التي اتبع في تأليفها نظام الحوليات والتواريخ العامة وكتب الأدب والتراجم , وأدب الرحلات والحروب , بالإضافة للمصادر الجغرافية والمعاجم اللغوية .
▪ عدم توفر مزيد من المراجع والمصادر لعدم وجود إنتاج للباحثين المحدثين تخص فترة الدراسة .
▪ لاحظ الباحث أن كثيراً من مراجع ومصادر موضوع الدراسة يحوى على معلومات متشابهة ومكررة بصورة تلفت الانتباه .
▪ عدم تمكن الباحث على الحصول على المزيد من المراجع الفارسية التي اختصت بدراسة فترة الدراسة .

الدراسة والدراسات السابقة :

جاءت الدراسة بعنوان الجيش الغزنوي ودوره في الدولة الإسلامية , وتعود أسباب الدراسة لما ذكها الباحث في أسباب اختيار الموضوع , أما الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع فهي قليلة جداً , فكانت بعضها ذات علاقة وتداخل في بعض جزئيات موضوعاتها مع موضوع دراستنا هذه , وتكمن قيمة هذه الدراسات عموماً بالنسبة لموضوع دراستنا في أن كل منهما يتداخل على الأقل في جزئية منه مع موضوعنا , لكن لا يوجد دراسة مستقلة تناولت صميم هذا الموضوع قطعياً .
تعتبر الدراسات السابقة مصدراً هاماً من مصادر البحث العلمي , حيث أنها تمثل جهود الباحثين في دراسة موضوع البحث , وترشد الباحث الى نقاط القوى أو الضعف , من خلال ما قام به الآخرون , حيث يسهم ذلك بصورة جادة في تصويب مسار البحث العلمي , ويحميه من الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها غيره من المؤلفين والباحثين .
إذ أن العلوم تنمو بالتتابع والتراكم المستمرين , فيبني المتأخرون على ما تبين للسابقين , كما تساعد الدراسات السابقة الباحث على اتباع منهج سليم للبحث الذي

يختاره , والدراسات السابقة تعطي تصوراً عاماً للباحث , يستفيد من خلالها الاعتماد على بعض النقاط والآراء .

فيما يلي عرض لأهم الدراسات في أهدافها ومناهجها , وأهم النتائج التي توصلت إليها كل دراسة مع إبداء الرأي وتوضيح ما يمكن أن يكون وجه الاستفادة من الدراسة .

❖ الرسائل الجامعية :

• ندى موسى عباس , 1991م :

موضوع الدراسة : جيش العراق في أواخر العصر العباسي (512 - 656هـ / 1118 - 1158م) .

اهتمت الدراسة في الجانب العسكري للخلافة العباسية في أواخر حكمها في بغداد , وقسمت الباحثة الدراسة إلى فصول عدة , بينت فيها النظم العسكرية لجيش العراق في تلك المرحلة , والعناصر التي تشكل منها , والأسلحة التي استخدمها في البر والنهر , ورتب القادة والجند , وأعطت فكرة عن أنواع الأسلحة التي استخدمت في العراق في تلك المرحلة , وذكرت العوامل السياسية التي أدت بالجيش إلى الضعف , وعدم تمكنه من صد الهجوم المغولي على البلاد الإسلامية .

خلصت الدراسة إلى نتائج من أهمها : انعكاس الصراعات السياسية التي شهدتها بغداد في ظل الخلافة العباسية على قوة الجيش , فكان للتنافس ما بين العناصر الفارسية والتركية أثر كبير في تخلف جيش العراق , حيث فقد مصادره المالية , ولم يعد الخليفة قادر على تحديث الجيش , أو زيادة عدده , وبينت الدراسة دور الجيش في حماية شخص الخليفة , وقصوره وأملاكه التي تقلصت بالتدريج ووضحت دوره في قمع بعض حركات التمرد في بغداد , وتحدثت عن دور البحرية العسكرية , وأنواع السفن والقوارب في نهري دجلة والفرات .

• السيد نزار عبد القادر , 1995م :

موضوع الدراسة : الجيش العربي وتأثيراته السياسية , اتبع الباحث المنهج التاريخي , والوصفي التحليلي , أبرز خلالها دور العنصر العربي في الجيش قبل دخول عناصر بشرية من غير العرب للجيش الإسلامي , ووضحت الدراسة تأثير الجيش العربي في صنع القرار السياسي من حيث عزل الخليفة وتعيين آخر مكانه , كما بينت دور الجيش العربي في التأثير على صانع القرار السياسي .

نتج عن الدراسة , إبراز دور العنصر العربي في الجيش العربي , وضحت الدور القتالي للعنصر العربي , وتحدثت عن مدى اعتماد الخليفة على العنصر العربي في قطاعات الجيش .

• تهاني محمد ردايدة , 2000م :

الدراسة عبارة عن رسالة ماجستير في كلية الآداب / جامعة اليرموك , الأردن موضوعها جيش الخلافة العباسية من 447 - 656 هـ / 1055 - 1258 م .

الدراسة مقسمة إلى مقدمة وفصل تمهيد وستة فصول , اتبعت الباحثة في الدراسة المنهج التاريخي التحليلي , وجاءت الدراسة لإبراز حقبة من تاريخ الجيوش الإسلامية , لم تدرس من قبل من الناحية العسكرية , بينت فيها , نظم جيش الخلافة العباسية , والرتب العسكرية , وقطاعات الجيش , والأنظمة العسكرية مثل نظام الصفوف , ونظام الكر والفر , ونظام القتال بالمجموعات , والعناصر الذي تشكل منه الجيش .

وبينت دور جيش الخلافة العباسية في الفترة المشار إليها بأعلاه في تنفيذ أوامر الخليفة , والمحافظة على الخليفة كرمز للأمة الإسلامية في عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد , ووضحت الهزيمة لجيش الخلافة العباسية أمام الهجمة المغولية سنة 656 هـ / 1158م , واعتمدت الباحثة في دراستها على المنهج التاريخي والوصفي التحليلي في مختلف فصول الدراسة .

نتج عن الدراسة , توضيح أمور كثيرة من أهمها , النظم العسكرية العباسية في المرحلة المشار إليها , ومدى الضعف الذي لحق بجيش الخلافة العباسية , نتيجة ما لحق به من ضعف مع قلة المصادر المالية .

- **الكتب والمراجع :**

- **خالد جاسم الجنابي , 1986م :**

تنظيمات الجيش العربي في العصر الأموي , هدفت الدراسة إلى توضيح النظم العسكرية التي طبقها الأمويون في الجيش , وإبراز أهم المعارك التي خاضتها الجيوش الغزنوية في مشرق ومغرب الدولة الأموية , والتعرف على النظم الإدارية ودورها في خدمة المجتمع المدني والعسكري , توضيح دور قوة الجيوش الأموية في التفوق القتالي , وحسم المعارك بالنصر , استخدم الباحث المنهج التاريخي والوصفي التحليلي أسلوباً في دراسته .

خلص الباحث إلى نتائج عن الدراسة من أهمها ضرورة توفير خدمات إدارية لرفع المعنويات عند الجند في مختلف حالات الحرب والسلام , وتحقيق النصر يلزمه الإيمان بأن الجهاد فريضة على كل مسلم ومسلمة , وبينت الدراسة دور الولاة والقادة العسكريين كلاً حسب رتبته , اتخذ القتال على أشكال , منها القتال بنظام الصفوف , ومنها بنظام المجموعات بواسطة السرايا والكتائب .

- **عبدالكريم عبد حتاملة , 1995م :**

البنية الإدارية للدولة الغزنوية (351 - 582 هـ / 961 - 1186 م) , ركز المؤلف في كتابه على توضيح بنية الأجهزة الإدارية التي طبقت في الدولة الغزنوية وأبرز سياسة الغزنويون في اختيار الأشخاص وتعيينهم في الوظائف العليا في مختلف المؤسسات الإدارية , وحاول إظهار أهم الخدمات الإدارية التي قدمتها الدولة الغزنوية للمواطنين , ووضح دور سلطان غزنة في النظام الإداري , كما وضع المؤلف اللبنة الأولى للإفادة في دراسة بعض مؤسسات الدولة الغزنوية الإدارية والمدنية , وكان بعضها ذات علاقة لدراسة الجانب العسكري .

استخدم المؤلف المنهج الوصفي التحليلي , وأبرز دور الدواوين في مختلف مؤسسات الدولة , منها ديوان البريد والعطاء والجيش وغيرها من الدواوين التي طبقت في العصر الغزنوي , ووضح دور هذه الدواوين , وما قدمت من خدمات جليلة للنظام السياسي , ويدرس الكتاب مصادر دخل الدولة المالية الذي تمثل في الجزية والخراج والضمان والفداء والغنائم , واعتبر السلطان الغزنوي رأس الجهاز الإداري في الدولة في تعيين وعزل رؤساء وموظفي الدواوين , ومنه تصدر التعليمات والتوجيهات الإدارية , الكتاب جدير بأن يكون قاعدة أساسية لأي دراسة تتعلق بالدولة الغزنوية بشكل خاص , ودول المشرق الإسلامي بشكل عام .

- **محسن محمد حسين , 1996م :**

جاءت الدراسة عن موضوع جيش صلاح الدين الأيوبي , وهذه الدراسة تعتبر دراسة شاملة , أبرزت المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عانى منها نظام صلاح الدين في توحيد الجبهة الإسلامية , وهدف الباحث إلى توضيح دور صلاح الدين الأيوبي في الجانب العسكري , وإبراز التكتيك العسكري الذي استخدمه صلاح الدين في قتال الإفرنج خاصة في معركة عين جالوت , والذي يعتبر مثالي فريد من نوعه في ذلك العصر , ووضح إعداد العدة للمعركة قبل خوضها , من أهمها توحيد وإثارة حماس الأمة , وتدريب الجند , ووضع الخطط , وتوفير ما يلزم من نفقات مالية .

لجأ الباحث إلى استخدام المنهج التاريخي والوصفي التحليلي , وان كان استخدمه للمنهج الوصفي التحليلي أكثر من المنهج التاريخي , نتج عن الدراسة توضيح دور قطاعات الجيش الأيوبي في تحقيق التفوق القتالي في أغلب المعارك التي خاضها , كما تحدث عن أسباب نجاح صلاح الدين الأيوبي في القتال الذي اتخذ من مبدأ الجهاد في سبيل الله أساس لتوحيد جبهته الداخلية , ووضحت الدراسة النظم العسكرية التي طبقت في تاريخ الدولة الأيوبية , كما بينت دهاء صلاح الدين في الفنون القتالية , فكان للتكتيك العسكري المثالي الذي اتبعه صلاح الدين في المعارك الدور الأول في حسم المعارك لصالح الأيوبيين .

- **أحمد محمد الجوارنه (1997 م) :**

تناول الباحث في بحثه موضوع قطاعات الجيش ووسائله الحربية في عهد الدولة الغزنوية (388 - 432 هـ / 998 - 1040 م) وهو عبارة عن بحث منشور في مجلة أبحاث جامعة اليرموك ، مج 13، العدد (أ) ،1997م .

وضح الباحث تشيكلات الجيش الغزنوي , وعدد كل تشكيل , وأعطى صوره عن دور القطاعات من خلال قيامها في معركة دندانقان التي جرت بين الغزنويون والسلاجقة على أرض خراسان في مكان سميت المعركة باسمه سنة 431هـ / 1040م , ركزت الدراسة على فترة قوة الجيش الغزنوي خاصة في عهد السلطان محمود بن سبكتكين , وخلصت الدراسة إلى إبراز دور قطاعات الجيش في استمرارية الدولة الغزنوية .

- **عبد الكريم عبده حتاملة , 1997 م :**

العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية , يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي تناولت الكتابة عن الدولة الغزنوية , وركز المؤلف على السياسة الخارجية التي اتبعها سلاطين غزنة في علاقتهم مع جيرانهم , من أهمها تلك العلاقات التي قامت ما بينهم وبين خانات بلاد ما وراء النهر وملوك وأمراء بلاد الهند والسند , وكانت أغلبها علاقات قائمة على الصراع العسكري من خلال ما قام به سلاطين غزنة من غزوات لتلك الأصقاع .

تأتي أهمية هذا الكتاب في إطار سياسات سلاطين آل سبكتكين في تعاملهم مع القوى الصديقة والمعادية , كما عرف بالسفارات التي قدمت على بلاط السلطان الغزنوي , والسفارات التي أرسلت من غزنة إلى الخارج , منها سفارات أرسلت إلى بغداد وملوك كل من بلاد ما وراء النهر , وبلاد الهند والسند , اعتمد المؤلف على المنهج الوصفي التحليلي للتعرف على العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية .

ووصل المؤلف إلى نتائج من أهمها , وضح مراحل السلم والحرب ما بين النظام الغزنوي والقوى المتربصة لها على مختلف جبهات القتال , وضح بنود بعض معاهدات التي وقعت ما بين السلطان الغزنوي وتلك القوى , وكان أغلبها يفرضها سلطان غزنة فرضاً , بحكم القوة العسكرية التي تمتع بها الغزنويون , وأعطى الكتاب فكرة عن ما كان يدور في الخارج من تحالفات عسكرية معادية ضد الغزنويون , وأعطى فكرة عن فترة قوة وعظمت الدولة الغزنوية , وفرض هيبتها على الآخرين خاصة في عهد السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين .

- **سعد حذيفة الغامدي , 2001م :**

موضوع الكتاب : الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند , وهو دراسة عامة للدول التي نشأت في مشرق الدولة الإسلامية , وهدف المؤلف إلى إبراز دور الدويلات الإسلامية التي قامت في المشرق الإسلامي , والمقصود بالمشرق الإسلامي هنا الدول الإسلامية التي قامت شرق عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد , كما أراد المؤلف توضيح الخطوط العريضة للفتوحات الإسلامية , والتعرف على الطرق التي سارت فيها الجيوش الإسلامية إلى بلاد الهند والسند , ووضح اللبنة الأولى لانتشار الإسلام في تلك الأقاليم , والغاية من تسيير الجيوش الإسلامية إلى مختلف الأقاليم في المشرق , والتعرف على نظم الحكم في تلك الدول , كما أعطى الكتاب فكرة عن العلاقات الإسلامية الهندية .

استخدم المؤلف المنهج التاريخي , والمنهج الوصفي التحليلي والاستكشافي وتوصل إلى ما حققتها حركة الفتوحات الإسلامية في الشرق من مكاسب مادية ورغبة المسلمين في الاندفاع لنيل شرف الجهاد في سبيل الله , ورغبة البعض في الحصول على مكاسب مادية تمثلت في جمع الغنائم والنهب والسلب , مستخدمين قوة السلاح , لتحقيق أهدافهم , ووضحت الدراسة الدور السياسي للدويلات الإسلامية التي قامت في الشرق , وأبرزت الانتصارات التي حققها المسلمين في أغلب المعارك التي خاضوها .

وهناك دراسات أخرى في مجال الدراسات العسكرية الإسلامية , يمكن الاستفادة منها والرجوع إليها ومن هذه الدراسات , كتاب خالد جاسم الجنابي ,

تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثانـي ، 1989م . وكتاب إسماعيل نايف عن الجيش المصري في عهد المماليك , ودراسة حميد مجيد عن الجيش المرابطي , وهي رسالة ماجستر في مكتبة جامعة بغداد , وغيرها من الدراسات المختلفة عن الجيوش العربية الإسلامية , ولعصور عدة إلا أنه لم يكن للجيش الغزنوي أي دراسة مستقلة متكاملة غير هذه الدراسة , فكان حافزاً ومشجعاً لي , للمساهمة في دراسة حقبة زمنية من التاريخ العسكري للجيوش الإسلامية , وما لها من دور في الدولة الإسلامية , خاصة وأنني لم أجد باحثاً كتب في التاريخ العسكري الغزنوي , مما لفت انتباهي لأهمية الموضوع , والكتابة فيه , سيما وأن الذين كتبوا عن الغزنويين لم يتناولوا الحديث عن المؤسسة العسكرية الغزنوية , بشكل رئيسي وشامل ومفصل فجاءت هذه الدراسة لتغطي الموضوع نوعاً ما .

تحليل أهم المصادر والمراجع :

أفادت الدراسة من العديد من المصادر الأولية العربية , والفارسية والمترجمة منها المخطوط ومنها المطبوع , وفيما يلي استعراض لأهم المصادر والمراجع التي غذت الدراسة بالمعلومات .

المخطوطات :

- الإلمام بالأعلام : لمحمد بن قاسم بن محمد المالكي النويري السكندري , نسخة برلين , صور شمسية محفوظة بمكتبة جامعة الإسكندرية , تحت رقم 667 , 737 738 على التوالي , (نسخة الهند) لوحة 260 أ , نقلاً عن النخيلي : السفن الإسلامية , أفاد الدراسة بمعلومات قيمة عن القوارب والسفن التي استخدمها الغزنويون في تشكيل أسطولهم الحربي .
- الدرر المكنون في المآثر الماضية من القرون : لمؤلف مجهول , مخطوط رقم 738 , مكتبة المجمع العلمي العراقي , بغداد , مصور عن النسخة الأصلية بالمكتبة الوطنية , باريس , أفاد الدراسة بمعلومات مختلفة في الموضوعات وخاصة عناصر الجيش .
- التذكرة الحمدونية : ابن حمدون , محمد بن الحسن (ت 562 هـ / 1166م) : نسخة مكتبة الدراسات العليا , جامعة بغداد , رقم 1282 , عن الأصل المحفوظ بمكتبة أحمد الثالث باستنبول تحت رقم 2948 .
- إنسان العيون في مشاهير سادس القرون : لابن أبي عذيبة , مخطوط رقم 1083 المجمع العلمي العراقي , مصور عن نسخة مكتبة الدراسات الإسلامية , جامعة بغداد , أفاد الدراسة ببعض المعلومات عن الأشخاص وأعمالهم .
- صاحب المخزون وجامع الفنون: لابن الأسود المقداد(غير معروف سنة الوفاة) أمد الدراسة ببعض المعلومات عن طرق التدريب العسكري لمختلف قطاعات مؤسسة الجيش الغزنوي , بالإضافة لإشارات عن بعض أنواع الأسلحة .

- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في أخبار الخلفاء والملوك : إسماعيل بن العباس الغساني (ت 803هـ / 1400م) , مخطوط رقم 586 , مكتبة المجمع العلمي العراقي , بغداد , أمد الدراسة بمعلومات عن بعض الأعمال العسكرية .
- غربال الزمان في وفيات الأعيان : لعمـــاد الدين يحيى بــن أبــي بكـر العامــري (ت 893 هـ / 1487م) : نسخة مصورة في المجمع العلمي العراقي برقم 1142 عن النسخة المحفوظة بالمتحف البريطاني .

المصادر المطبوعة :

- الكامل في التاريخ : لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ/1233م) , يعد من المصادر الهامة التي خدمت الدراسة , وجاء حسب النسق الحولي , وفترة الدولة الغزنوية (351 -582هـ / 961-1186م) وهي الفترة المطلوبة لإعداد هذه الدراسة , ويعتبر كتاب الكامل من المصادر التاريخية الهامة , للحصول على معلومات وافية عن الغزنويين وغيرهم من الأمم , حيث زودنا بجميع الأحداث التاريخية الهامة للسلاطين الغزنويين وعلاقاتهم الخارجية وخاصة الغزوات العسكرية .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : لمؤلفه أبو الفرج عبد الرحمن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي (ت 597 هـ /1201م) , وقد صنف أكثر من ثلاثمائة مصنف في مختلف أنواع العلوم والفنون , اتبع ابن الجوزي فـي منهجه النـظام الحـولي فـــي نـقل الأخــبار والأحداث , وأفاد البحث ببعض الحقائق والمعلومات في كل فصول الدراسة .

كذلك أفدت من بعض المؤلفات الجغرافية والبلدان من أهمها :

- صورة الأرض : لأبو القاسم محمد ابن حوقل (ت 367هـ/ 977م) حيث أفاد الدراسة بمعلومات جغرافية عن المشرق الإسلامي , فقد رجعت إلية في وصف الأقاليم , والنواحي والمدن التي سيطرت عليها الدولة الغزنوية , والأقطار المجاورة لها .
- معجم البلدان : لمؤلفه ياقوت بن عبدا لله الحموي (ت 626هـ/1229م) , وترجع أهميته لأن مؤلفه ياقوت , كان من أبرز العلماء في الجغرافيا واللغة والأدب , تنقل في البلدان طالبا العلم والتجارة . وكتابه يقدم صور واضحة للنواحي الجغرافية المختلفة , ويتطرق أحيانا لبعض الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية. ويعتبر هذا الكتاب , مصدر مهم لمعرفة الأماكن الجغرافية , كالمدن والقصبات والقرى والمسافات بينهم , وطبيعة الأرض التي زارها المؤلف في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .

المصادر الفارسية :

- أخبار الدولة السلجوقية : أبو الفوارس ناصر بن علي الحسيني (ت 575هـ / 1180م) , وهو من المصادر التي زودت البحث بمعلومات جيده , وتعود

أهميته لاحتوائه على معلومات عن قيام دولة آل سلجوق (423-430هـ/1034-1038م) بالإضافة للسنوات الخمسة والثلاثين الأخيرة (555-590هـ/1160-1194م) ويزودنا الكتاب بمعلومات مفصلة عن العلاقات الغزنوية السلجوقية , وينقل لنا أخبار مقتل السلطان مسعود الأول بن يمين الدولة محمود والعلاقات السياسية والعسكرية بين طغرل بك السلجوقي , والسلطان الغزنوي مودود بن محمود , ويذكر قيام معركة بينهما قرب بلح , انتصر فيها طغرل بك, وزودنا بأخبار أخرى ذكرت في بعض فصول البحث .

- تاريخ البيهقي : لمؤلفه أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي (ت 470هـ / 1077م) قال المؤلف : " إن هذا الكتاب كان في ثلاثين مجلدا , وضاع معظمه , وما بقي منه ستة مجلدات " . ويعد هذا الكتاب أهم كتاب ألف في الفارسية في القرن الخامس الهجري من جهة الأسلوب , ويحتوي علي معلومات قيمة , فهو يصور الأحوال السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية لتاريخ العصر الغزنوي , ويعتبر سجلاً للوقائع والأحداث اليومية , بالإضافة لما سمعه المؤلف من ثقات عصره

وتأتي أهميته من كون البيهقي , كان معاصرا للإحداث خاصة قبيل دخول السلاجقة خراسان وبعد دخولهم . وجاءت فائدة الكتاب لتشمل كافة موضوعات الدراسة بشكل عام , لأن البيهقي لم يكتفي بسرد الوقائع التاريخية سرداً , بل كان يبدي فيه رأيه , ورأي الوزير الغزنوي ورئيس ديوان الرسائل في غزنة , كل ذلك بحكم وظيفة أبو الفضل بديوان غزنة حيث أتيحت له الفرصة أن يضمن كتابه وثائق رسمية كانت بحوزته , بوصفه الكاتب المسؤول عن نسخها وحفظها .

- تاريخ كزيدة : لحمد الله بن أبي بكر بن احمد بن نصر المستوفي القز ويني (ت 750هـ / 1349م . حيث أفاد الدراسة في بعض المعلومات .
- تاريخ اليميني : لأبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبي (ت 428هـ/ 1036م) : زودنا بمعلومات وافيه عن مختلف موضوعيات الدراسة. والعتبى صاحب مكانه مرموقة ومميزه عند السلطان محمود الغزنوي , لهذا عيَّنه كاتبا مع أبي الفتح ألبستي وله مؤلفات كثيرة , منها كتاب اليميني , نسبة إلي لقب السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين , ويعتبر أحد المؤلفات الهامة في تاريخ الدولة الغزنوية , ترجم فيه للأمير سبكتكين , والكيفية التي تأسست بها الدولة الغزنوية , وأهم الأحداث التي حدثت في عصره , وعصر ابنه السلطان محمود , ويعد الكتاب مصدرا مهما لأي باحث يريد البحث في تاريخ الغزنويين , مهما كان عنوان البحث .
- جامع التواريخ : رشيد الدين فضل الله الهمذاني (ت 718هـ / 1318م) , كان وزيرا ومورخا وأديبا , شمل كتابه تاريخ الأنبياء وملوك , وما يتعلق بالنواحي السياسية في عصر السلاجقة , وتاريخ الخلفاء الفاطميين وتاريخ الإسماعيلية , وأفاد البحث من خلال دراسة المعارك التي وقعت بين الغزنويين السلاجقة , وخاصة التكتيك والانسحاب المدبر من قبل السلطان مسعود بن يمين الدولة محمود الغزنوي .

- حبيب السير في أخبار أفراد البشر : لمؤلفه غياث الدين بن همام الـدين خواندمير (ت 942هـ / 1535م) , وكتابه الآخر الموسوم بدستور الوزراء , وقد أفاد موضوعات البحث بمعلومات جيدة , خاصة فيما يتعلق بدور الوزير الغزنوي في النواحي السياسية والعسكرية والإدارية .
- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية : لمؤلفه محمد بن علي بن سيلمان (ت 601 هـ / 1204م) , والمؤلف ينتسب لأسرة تميزت بالعلم في بلده راوند الواقعة قرب مدينة كاشان من ولاية أصفهان . والكتاب من المصادر التي خدمت البحث , ويجب على كل باحث في تاريخ هذه الفترة الرجوع إليه , والاستعانة به في أية دراسة تتعلق بتاريخ الغزنويين والسلاجقة , وتعود أهميته لمعاصرة المؤلف أواخر السلاطين الغزنويين , وشاهد عيان على بعض الأحداث .
- سلطنة غزنويان : لخليل الله خليلي . وقد أمد الدراسة بإشارات أفادت الدراسة بشكل عام في بعض الفصول .
- سياست نامه "سير الملوك" : لنظام الملك أبو علي قوام الدين حسين بن علي التوقاني الطوسي (ت 484 هـ / 1091م) . تحدث نظام الملك في كتابه عن النظم الملكية , وسير الملوك , والعظماء الذين سبقوا العصر السلجوقي , وتحدث عن تاريخ نظم الدولة الغزنوية التي نالت إعجابه , وأوصى السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب ارسلان بتطبيقها في مختلف مؤسسات الدولة السلجوقية , وقد أفاد البحث في أغلب موضوعات فصوله .

المراجع الحديثة :

- سعد حذيفة الغامدي : الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند وتاريخ الدول الإسلامية في المشرق حتى الغزو المغولي (92 - 629هـ / 711 - 1231م) وإن كانت تبحث في تاريخ الدول الإسلامية في المشرق بشكل عام , لكنه خصص قسماً منها للتاريخ السياسي للدولة الغزنوية . وقد أمد الدراسة في الكثير من موضوعاتها خاصة وأن الكتاب بحث بشكل شامل في تاريخ الدولة الغزنوية منذ نشأتها حتى انهيارها , كما بحث في دويلات المشرق الإسلامي , كالسامانيين والسلاجقة والغوريون , وغيرهم .
- أحمد سليم شحاده الشرمان : الجيش السلجوقي (رسالة ماجستير غير منشورة قسم التاريخ , كلية الآداب , جامعة اليرموك , 2002م) , تسعى الدراسة الى تحليل جذور قيام جيش دولة آل سلجوق منذ خروجهم من أواسط آسيا (تركستان) حتى سيطرتهم على بلاد الشام , وجاء ذلك بعد أن سيطروا على بلاد ما وراء النهر وخراسان وبغداد, ومعرفة ما قام عليه نظامهم العسكري . وتناولت الدراسة البحث في تاريخ الجيش السلجوقي , من حيث النظم والعناصر البشرية والتسليح العسكري والمعارك التي خاضها السلاجقة , والنتائج التي أسفرت عنها , وأوضاع منتسبيه وغير ذلك من موضوعات .

يعتبر الباحث أن منطقة بلاد ما وراء النهر وخراسان منقطة جذب لأطماع قوى خارجية , فكانت مسرح للمعارك بين القوى المتصارعة عليها , لما يتوفر بها من خيرات كالماء والكلاء , فتنافس عليها الكثير من القوى حتى جاء السلاجقة وأخضعوها لنفوذهم , ثم توسعوا باتجاه الغرب .

وخلص الباحث إلى أن خروج السلاجقة واندفاعهم باتجاه بلاد ما وراء النهر يعود لأهمية المنطقة من الناحية الاستراتيجية , على اعتبار أنها منطقة انطلاق نحو الغرب , لذا ركز السلاجقة اهتمامهم على السيطرة عليها , وعملوا على تطوير قوتهم العسكرية , حتى ورثوا عرش الغزنويون في نيسابور , ثم دخول بغداد وإخضاع بلاد الشام لنفوذهم . وقد أفادت الدراسة البحث في كثير من المعلومات خاصة وأن السلاجقة دخلوا حروب عدة مع الغزنويون .

كما اعتمدت على بعض المقالات العربية من أهمها :

- البيروني وأعماله : لحسن البرني , مجلة كلية الأدب , جامعة القاهرة , المجلد الرابع , 1948م , أفادت الدراسة في بعض الموضوعات .
- قطاعات الجيش ووسائله الحربية في عهد الدولة الغزنوية : للدكتور احمد الجوارنة : (388 - 432 هـ / 998 - 1040 م) , سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة اليرموك , المجلد الثالث عشر , العدد الثاني (أ) , 1997 م . وأفادت الدراسة ببعض الآراء في المعارك الهامة التي خاضها الجيش الغزنوي .

استفاد الباحث من الدراسات السابقة الذكر ومن غيرها , إثراء البحث بمعلومات , اعتمد عليها الباحث في النهج التاريخي والتحليل والوصف , إلا أنها لم تعطي كافة الجوانب التي سعى الباحث لتوفيرها لتغطية الدراسة , مما ترك الباب مفتوح لتقديم مزيد من الدراسات بشأن هذا الموضوع .

الصعوبات التي واجهت الباحث :

أما عن الأسباب التي دفعتني لدراسة موضوع الجيش الغزنوي , فيكمن السبب الأول : بعدم وجود دراسة متخصصة بهذا الموضوع , فقد تركزت دراسة الباحثين المحدثين على الجوانب السياسية لتاريخ الدولة الغزنوية مثل دراسة الدكتور سعد حذيفة الغامدي : الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند , وإن كانت تبحث في تاريخ الدول الإسلامية في المشرق بشكل عام , لكنه خصص قسماً منها للتاريخ السياسي للدولة الغزنوية . ودراسة الدكتور عبد الكريم عبده حتاملة : البنية الإدارية للدولة الغزنوية (351 - 582هـ / 961 - 1186م) , ولحتاملة دراسة أخرى بعنوان العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية .

بالإضافة إلى دراسة السيد نزار عبد القادر عن الجيش العربي وتأثيراته السياسية , وهي دراسة عامة . والدكتور خالد الجنابي عن الجيش الأموي , ودراسته الأخرى عن الجيش العباسي . والدكتور محسن محمد حسين عن جيش صلاح الدين الأيوبي , والسيد إسماعيل نايف عن الجيش المصري في عهد المماليك . والسيد

حميد مجيد عن الجيش المرابطي . وتهاني ردايدة عن جيش الخلافة العباسية من 447- 656هـ / 1055 - 1258م . ودراسة أحمد سليم شحاده الشرمان التي تناولت البحث في تاريخ الجيش السلجوقي , وغيرها من الدراسات المختلفة عن الجيوش العربية الإسلامية , ولعصور عدة , إلا أنه لم يكن للجيش الغزنوي أي دراسة مستقلة متكاملة .

فكان ما ذكر من أسباب , حافزاً ومشجعاً لي , للمساهمة في دراسة حقبة زمنية من التاريخ العسكري للجيوش الإسلامية , وما لها من دور في الدولة الإسلامية , خاصة وأنني لم أجد باحثاً كتب في التاريخ العسكري الغزنوي . مما لفت انتباهي أهمية هذا الموضوع والكتابة فيه , سيما وأن الذين كتبوا عن الغزنويين , لم يتناولوا الحديث عن المؤسسة العسكرية الغزنوية بشكل رئيسي وشامل ومفصل .

أما السبب الثاني : فهي تلك الجهود الكبيرة التي بذلت من قبل سلاطين آل سبكتكين , وتضحياتهم المتواصلة في تحقيق طموحاتهم السياسية , لبناء دولة حديثة مترامية الأطراف , معتمدين بتفوقهم القتالي والحربي على قوة مؤسسة الجيش .

وجاء السبب الثالث : ممثلاً في الرغبة بالإطلاع على النظم العسكرية الغزنوية بهيكلها العام , وفنونها الحربية والإدارية , وأساليبها القتالية , خاصة وأن للتنظيم والإدارة , أهمية كبيرة في تفوق الجيوش , وتحسين مدى قوته , وأدائه في إدامة الدول واستمرارها .



التمهيد

قبل البدء في إعطاء تمهيد عن موضوع الدراسة , لا بد لنا أن نعترف بأن من أهم نتائج الفتوحات الإسلامية باتجاه الشرق قيام دويلات إسلامية في مشرق العالم الإسلامي الأولى والتي قادها قتيبة بن مسلم الباهلي , ومحمد بن القاسم الثقفي فظهرت الدولة الطاهرية سنة 205هـ / 820م في خراسان على يد مؤسسها طاهر بن الحسين , أحد القادة الثقات للخليفة العباسي المأمون , ثم أضاف إليه أعمال المشرق كلها , واتخذ من نيسابور عاصمة له , وبقيت موالية للخلافة العباسية حتى سقطت سنة 259هـ / 872 م , نتيجة تعرضها لثورات من قبل العلويين وقيام الصفاريين في وجهها .

وكانت الدولة الصفارية قد قامت في جنوب إيران سنة 254 هـ / 868 م وتنسب الى يعقوب بن الليث الصفار , الذي استغل فترة ضعف الخلافة العباسية واضطراب الاحوال السياسية واستفحال ثورة الزنج , فهاجم أقاليم إيران الجنوبية وفارس وخراسان , وأسقط الدولة الطاهرية , فاعترف به الخليفة العباسي أميراً مستقلاً , ولما توفى يعقوب , تولى مكانه أخاه عَمْراً , فمال إلى طاعة الخليفة , وبقي بالحكم حتى قضت الخلافة على الزنج , اتجهت بعدها للمسألة الصفارية , وتمكنت من القضاء على عمرو بن الليث سنة 283هـ / 896م , وانتهت بقية أعدائها سنة 289هـ / 901م .

وفي سنة 261هـ / 874م تمكن سامان الذي يعود أصله إلى بهرام جوبين أحد نبلاء بلاد فارس من قيام دولة فارسية , ولما توفى سامان دخل ابنه أسد في خدمة الخلافة العباسية , وولى المأمون أبناء أسد بلاد ما وراء النهر , وقدرهم ورفع شأنهم , فاعطى نوح بن أسد سمرقند سنة 204هـ / 819م , وأحمد فرغانة , ويحيى الشاس وأشروسنة , والياس هراة ,وولى طاهر بن الحسين بلاد خراسان , ووالوا الطاهرين في صراعهم ضد الصفاريين , ولما ضعفت الدولة الطاهرية , وتغلب الصفاريون على خراسان , تأكد للخلافة العباسية إخلاصهم , فجعلت بلاد ما وراء النهر إقليماً منفصلاً , واعترفت بأحقية السامانيين فيه , لم يستمر السامانيون في الحكم فترة طويلة , بسبب نعرض البيت الحاكم للمشاكل الداخلية , وسيطرة الأتراك عليهم , وانتهى بهم الأمر إلى سقوط دولتهم سنة 389هـ / 874هـ / 999م على يد السلطان محمود الغزنوي , وأيلك حان حاكم بلاد ما وراء النهر (1).

وكانت قد قامت الدولة البويهية سنة 320هـ / 932م , في الجانب الغربي من إيران وفي العراق , ومن أشهر رجال بني بوية علي والحسن وأحمد أبناء بويه , ولم يتفق المؤرخون على نسب بويه , البعض نسبهم إلى بهرام جور , والبعض نسبهم

---

(1) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت 630هـ/1232م) :الكامل قي التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط 4 ، 1403م ؛ الموسوعة العربية العالمية , مؤسسة أعمال الموسوعة , 1419هـ / 1999م , ج 15 , ص 98 .

إلى آلهة المجوس , وقيل في نسبهم غير ذلك , لكن الأمر المرجح أنهم من أسرة ديلمية قيل بأنها فقيرة , ومهما قيل عن بني بوية , فهذه الأسرة جاءت من بلاد الديلم وارتفع شأنهم على يد الأخ الأكبر منهم علي بن بويه , واستمروا يتوارثون الحكم حتى ظهر نجم السلاجقة في المشرق الإسلامي , في الوقت الذي أخذ البويهيون طريقهم في الضعف والانحطاط , فلم يجد السلاجقة صعوبة في دخول بغداد بقيادة طغرل بك سنة 447هـ / 1055م .

وكان الأمير ألبتكين* قد انشق عن الدولة السامانية سنة 351هـ / 962م وتوجه إلى غزنة , وأقام بها إمارة مستقلة عن آل سامان , ولما تولى الحكم الأمير سبكتكين* سنة 366هـ / 976م , دان بالولاء للسامانيين , فمنحوه إقليم خراسان, ما اتجه بفتوحاته نحو الشرق في بلاد الهند والسند .

استقل سبكتكين عن السامانيين في غزنة , واتجه إلى المناطق الجبلية الواقعة في بلاد الأفغان (أفغانستان حالياً) , واستولى على مواقع عدة فيها , وتصدى له أحد ملوك الهند المعروف باسم جيبال سنة 369هـ / 979م , فهزمه سبكتكين وأجبره على الصلح , ثم دخل معه في حرب سنة 392هـ / 1001م .

تعدُّ المؤسسة العسكرية الغزنوية من أهم مؤسسات الدولة , وهي المؤسسة الوحيدة التي اعتمد عليها سلاطين غزنة منذ مؤسسها الأول الأمير سبكتكين* في تحقيق أهدافهم وأحلامهم , وبها تمكن الغزنويون من إقامة دولتهم في المشرق الإسلامي (آسيا الوسطى وأفغانستان والهند) على حساب ضعف الدولة السامانية العسكري , وتدهور أوضاعها الاقتصادية , واختلال أمنها الداخلي , وطمع القوى المتربصة لها على حدودها الخارجية .

كما شكلت المؤسسة العسكرية الغزنوية الجذور الأولى التي غذت بقية مؤسسات الدولة الأخرى , وهى عماد الدولة وأساسها في قيامها وبقائها في الوجود قرون عدة , وذلك منذ قيامها سنة 366هـ / 976م حتى انهيارها نهائياً سنة 598هـ / 1201م .

فقد أولى سلاطين غزنة هذه المؤسسة جل عنايتهم , وبها حققوا طموحاتهم السياسية والعسكرية , حتى أصبحت دولة ذات مؤسسات اقتصادية وسياسية قوية وبرزت كقوى فاعلة في الشرق الإسلامي , لها ما يميزها عن غيرها بكافة النواحي

---

* ألبتكين : تركي الأصل , أحد عبيد أحمد بن سامان , صادق العهد , وفياً وشجاعاً وشهماً . وكان محبوباً للناس ومحباً لجيشه , تدرج في المناصب العسكرية في الدولة السامانية حتى أصبح قائدا لجيوش , ثم انفصل وغزا زابلستان , وأقام بها إمارة مستقلة , واتخذا غزنة عاصمة لها . نظام الملك , أبو علي حسن بن علي الطوسي (ت 485هـ / 1092م) : سياست نامه , ترجمة يوسف بكار , دار الثقافة , الدوحة , قطر , ط 2 1407هـ / 1987م ص 145 , 150 - 152 ؛ خليلي : سلطنة غزنويان , كابل , 1333هـ , ص 3 .

* سبكتكين : يدعى أبو منصور , انعم عليه الخليفة العباسي القادر بالله بلقب ناصر الدين , غلام تركي اشتراه ألبتكين , فكان طالع سعده أن اشتري لألبتكين الذي زوجه ابنته , ويعتبر الأمير سبكتكين المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية , ولي الأمارة سنة 367هـ /977م , وبقي أميراً عليها حتى توفى في شعبان سنة 387هـ / 997م , دفن في غزنة على الطريق المؤدي إلى الصحراء , بموقع يعرف بأفغان شال . خواندمير , غياث الدين بن همام الدين الحسيني (ت 942هـ / 1535م) : تاريخ حبيب السير في أخبار البشر , طهران 1333هـ , ج 2 , 371 الزركلي , خير الدين : سير أعلام النبلاء , قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين , وزارة المعارف , المملكة العربية السعودية , ط 3 , ج 8 , ص 47 - 48 .

العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وبهذا الجيش ذي المقدرة العسكرية العالية , تمكن الغزنويون من رفع راية الإسلام كلما تهيأت لهم السبل , فوق قلاع أقاليم وبلدان لم يتمكن أي قائد إسلامي سابق من الوصول إليها , فعملوا على نشر الإسلام والتعريف بمبادئه السمحة , من خلال بناء المساجد , وإرسال البعثات العلمية , لتعليم أبناء أهالي البلاد المفتوحة لغة القرآن والدين الإسلامي . وعملوا على جمع خراج تلك البلدان , ليكون من أهم مصادر دخل خزانة الدولة .

كما تمكن الغزنويون باستخدام قوة الجيش من قمع المتمردين الثائرين على نظام الدولة , والتخلص من دويلات إسلامية وغير إسلامية , قامت في بعض أطراف الدولة أو بالقرب من حدودها , وردوا الغزاة الطامعين في ولايات الدولة على أعقابهم , خاصة في عصر قوة الدولة .

اهتم الغزنويون بإنشاء قوة عسكرية , لمعرفتهم بأهمية الجيش القتالية في خدمة وصيانة قواعد ملكهم , وحماية مؤسسات الدولة الأخرى , والأسرة الغزنوية الحاكمة وحماية حدود دولتهم , وتمكنوا بقوة الجيش من فرض سيادتهم وزعامتهم على المشرق الإسلامي , لعقود عدة من الزمن .

والمعروف أن المشرق الإسلامي ,المتمثل في بلاد الجبل , وأرض فارس وكرمان وخراسان , وبلاد ما وراء النهر , وخوارزم وغزنة وكابل , وما جاورها من بلدان , مرَّ منذ بدايات القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي بحالة من التمزق السياسي والمذهبي , نتج عنه ظهور دول وأمارات تنازعت فيما بينها طويلاً بهدف البقاء , ومهد لهذا النزاع ما كان يكنه أهل فارس من رغبة وميل إلى الاستقلال عن الخلافة العباسية في بغداد , فبرزت الدولة الطاهرية في خراسان لبعدها عن مركز الخلافة العباسية , ثم جاء بعدها كل من الدولة الصفارية , والسامانية والبويهية في حكم بلدان العالم الإسلامي الشرقية , وهي عراق العجم , وبلاد فارس والري , وأصفهان وبلاد الجبل (1) .

فكان ظهور الغزنويين في المشرق الإسلامي , بارقة أمل للخليفة العباسي القادر بالله* لإعادة سلطته ونفوذه في العالم الإسلامي , بعد أن الحق به الشيعة البويهيون الذل والهوان , ونافسه الفاطميون في مصر الخلافة .

---

(1) الحسيني , أبو الفوارس ناصر بن علي (ت 575هـ / 1180م) : أخبار الدولة السلجوقية , تصحيح محمد إقبال , دار الآفاق الجديدة , بيروت , 1404هـ / 1984م , ص 17؛ الراوندي , محمد بن علي بن سليمان (ت 601هـ / 1204م) : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية , ترجمة إبراهيم الشواربي وآخرون , دار القلم , القاهرة , 1960م , ص 169 .

* القادر بالله : أبو العباس أحمد بن الأمير إسحاق ابن المقتدر بالله بن جعفر بن المعتضد العباسي , تولى الخلافة يوم السبت التاسع عشر من شعبان سنة 381هـ / 991م , بعد أن تم القبض على الخليفة الطائع , توفى ليلة الإثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة 422هـ / 1030م عن ست وثمانين سنة , وعشرة أشهر , وإحدى عشر يوماً . ابن كثير , عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت 774هـ / 1372م) : البداية والنهاية مطبعة السعادة , مصر , ط 1 , 1351هـ / 1932م , ج 12 , ص 31 - 32 .

ولما أصبح الأتراك أصحاب السيادة والحكم بالبلاد , وحلوا محل العناصر الفارسية في السيطرة على هذه المناطق الشاسعة , تمكن الغزنويون من إقامة دولتهم على أنقاض الدولة السامانية المتداعية .

بدأ ظهور الغزنويين على يد أحد عبيد الأمير الساماني أحمد بن إسماعيل الساماني يدعى ألبتكين الذي تسلسل بالمناصب حتى أصبح قائداً للجيوش السامانية سنة 351هـ / 962م .

وكان ألبتكين من الموالي الأتراك الذين علت منزلتهم عند السامانيين , بعد أن عينه الأمير عبد الملك بن نوح حاجباً في بلاطه , وفي سنة 344هـ / 955م أصبح عاملاً لمدينة هراة , وبموت مولاه أقصي عن منصبه , فتوجه إلى غزنة واستطاع أن يناوئ الأمير منصور الأول (1) وقام ألبتكين بغزو بلاد الهند , وفتح مدن عدة فيها , واستولى على الكثير من قلاعها بالقوة , لكنه توفى دون أن يتمكن من توسيع إمارته .

وخلفه في الحكم ابنه أبو إسحاق* فكان له مملوكان , هما بلكاتكين* وسبكتكين وآل حكم غزنة إلى بلكاتكين من بعده , وخلفه في الحكم بيري تكين* , وبوفاة بيري وقع اختيار أمراء الجيش وغلمانه على الأمير سبكتكين , ليتولى حكم الإمارة الغزنوية , فتكللت كل تدابيره , وحملاته العسكرية بالسداد والنجاح (2) .

توفى الأمير سبكتكين سنة 387هـ / 997م بعد أن حكم عشرين سنة , وضع فيها أساس أمارة مترامية الأطراف , بفضل ما أحرزه من فتوحات شرق وغرب غزنة بقوة الجيش , وبما اشتهر به من صلابة وقوة إرادة (3) .

---

(1) نظام الملك : مصدر سابق , ص 157 - 158 , 272 ؛ ابن كثير : مصدر سابق , ج 11 , ص 286 ؛
Tjusjani : Tabakat Nasiri , New delhi , 1970 . vol . 1 , p . 230 .

* أبو إسحاق : إبراهيم بن ألبتكين تولى حكم غزنة سنة 352هـ / 963م , وتوفى سنة 355هـ / 966م , دون أن يترك وريثاً . ابن خلكان , شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت 681هـ / 1282م) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان , تحقيق إحسان عباس , دار الثقافة , بيروت , 1948م , ج 4 , ص 264 .

* بلكاتكين : كان عبد لأبو إسحاق بن إبراهيم بن ألبتكين , ومن أكبر أمرائه , تولى حكم غزنة بعد سيده أبو إسحاق مباشرة من 355 - 364هـ / 966 - 975م , وضرب النقود باسمه سنة 359هـ / 969م . إقبال , عباس : الوزارة في عهد السلاجقة , ترجمة أحمد كمال الدين حلمي , مطبعة جامعة الكويت , 1984م , ص 99 الغامدي , سعد حذيفة : الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند , ط 1 , دار إشبيليا , الرياض , 1417هـ/1996م ص 141 .

* بيري تكين : عرف باسمه الأول بيري , وهو أحد أهالي مدينة غزنة , تولى حكمها سنة 364هـ / 975م , وبقي فيه حتى توفى سنة 387هـ / 997م . ابن خلكان : مصدر سابق , ج 4 , ص 264 ؛
Browne , Edward . G : A Literary History of Persia (From the Earliest Times untid Firdawsi london , 1909 , vol . 1 , p . 871 – 872 .

(1) إقبال : مصدر سابق , ص 99 ؛
Jaffar . S .m : Medieval India under muslim Kings , Peshawar , Pakistan , p . 5 – 6 .

(2) العتبى , أبو نصر محمد عبد الجبار محمد (ت 427هـ/1035م) : تاريخ اليميني على هامش الفتح الوهبي للشيخ أحمد المنيني , الجامعة الأردنية ,1974م , ج 2 , ص 255 - 256 ؛ الحسني , الشريف عبد الحي بن فخر الدين (ت 1341هـ / 1922م) : نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر , دار ابن حزم , بيروت , لبنان , ط 1 , 1420 هـ / 1999 م , ج 1 , ص 70 ؛ العمري , شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله (ت 749هـ / 1348م) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار , تحقيق حمزة احمد عباس , المجمع الثقافي , أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة , 1426هـ / 2005م , ص 169 .

وخلفه بالحكم ابنه محمود حيث ازدادت المؤسسة العسكرية في عهده عـدداً وقـوةً وتسليحـاً , وعمـل بواسطة هذه القوة على توسيع رقعة الدولة أكثر حتى بلغت أقصى اتساعها , فبسط نفوذه على البلاد المجاورة لغزنة . فضم بلاد البنجاب وأخضع بلاد الغور , وبلاد ما وراء النهر لحكمه . وأصبح الغزنويون في عهد السلطان محمود بن سبكتكين منذ أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلادي في أوج قوتهم (1) .

كان هَمُّ محمود أن يرث ملك السامانيين , فقد حز في نفسه انتزاع الأمير منصور مدينة نيسابور , وإمرة جيش خراسان منه , وتوليتهما لبكتوزون . وانتظر محمود الفرصة المناسبة لتحقيق طموحاته , فوجد ضالته في تآمر بكتوزون وفائق على أميرهم منصور بن نوح والقبض عليه , وتولية أخيه الأصغر عبد الملك بدلاً منه . فدخل محمود بجيش مدجج بالسلاح حرباً مع هؤلاء الأمراء في مرو في شهر جمادى الأول 389هـ / 998م , فتراجع عبد الملك بن نوح إلى بلاد ما وراء النهر , وبذلك زالت دولة السامانيين من خراسان على يد السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين , وبلاد ما وراء النهر على يد بغراخان (2)* .

وبعد أن ملك محمود قزوين ونواحيها وقلاعها , ومدينة ساوه وآبه , وقام بصلب عدداً من أصحاب الباطنية ونفى المعتزلة إلى خراسان , وأحرق كتب الفلسفة والمعتزلة والنجوم , وأخذ عدا ذلك مائة حمل من الكتب (3) .

كما قضى محمود على حركات التمرد والعصيان التي قامت ضده في ولايات سجستان وخوارزم وأصفهان والري وطبرستان وجرجان . كما عمل على مناهضة

---

(1) البيهقي أبو الفضل محمد بن حسين (ت 470هـ / 1077م) : تاريخ البيهقي , ترجمة يحي الخشاب وصادق نشأت , دار النهضة العربية بيروت , 1982م , ص 1 , 6 , 11 , 42 , 736 - 742 ؛ 706 - 709 , 714 ؛
. Jusjani : Tbakat Nasiri , vol . 1, p . 236

(2) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت 630هـ/1232م) : الكامل قي التاريخ دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط 4 ، 1403م . , ج 7 , ص 164, 168-169 , 196 - 197 ؛ ابن أبي عذيبة : إنسان العيون في مشاهير سادس القرون , مخطوط رقم 1083 , المجمع العلمي العراقي , مصور عن نسخة مكتبة الدراسات الإسلامية , جامعة بغداد , ص 49 .

* بغراخان : اسم أطلق على عدة أمراء من الأسرة الايلخانية , وبغرا في اللغة الجفتائية تعني الجمل ذو السنامين , وخان الملك , وهو أخو أرسلان خان بن قدرخان , , عرف في عهد والده ببغراتكين , فلما توفى والده , وتولى الحكم مكانه ابنه أرسلان خان , فمنحه ولاية طراز واسبيجان ونواحيها . المقريـزي , أحمـد بـن علي (ت 845هـ / 1442م) : السلوك لمعرفة دول الملوك , تصحيح محمد زيادة , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة , ط 2 , 1376هـ / 1957م , ج 1 , ق 1 , ص 31 ؛ زامباور , أدوارد فون : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي , أخرجه زكي محمد حسن بك وآخرون , مطبعة جامعة فؤاد الأول 1951م , ج 2 ص 312 ؛
. Barthold : Four studies on the history of central Asia , vol . 1 , p . 22

(3) عروضي سمرقندي , أحمد بن علي النظامي (ت 552هـ / 1157م) : جهار مقالة (المقالات الأربعة) في الكتابة والشعر والنجوم والطب , ترجمة عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب , ط 1 , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر , القاهرة , 1949م , ص 146 ؛ ابن أبي أصيبعة , موفق الدين أبي العبـاس أحمـد بـن القاسـم (ت 668هـ / 1269م) : عيون الأنباء في طبقات الأطباء , شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا , دار مكتبة الحياة , بيروت , 1965م , ص 459 .

الحركات ذات الاتجاهات غير السنية (1) .
بعد ذلك توجه محمود غازياً , وفتح ولايات عدة مثل نيمروز , وتوغل كثيراً في الهند . لذلك يعتبر عصره عصر قوة الدولة الغزنوية , وكان قد دخل بلاد السند والهند في ثمانية عشر غزوة عسكرية , خلال سبعة وعشرين عاماً , في الفترة الواقعة ما بين 391 - 417هـ / 1000 - 1026م , وأخرها كانت غزوة لوادي نهر السند السفلي في ربيع سنة 418هـ / 1027م (2) .
قضى محمود بقية حياته في صراع عسكري ضد أقاليم بلاد فارس الغربية ممثلة ببني بويه , والسلاجقة القادمين الجدد للإقامة في أقاليم دولته , فكان يسير لمحاربتهم بين الحين والأخر , ليقضي على خطرهم المتزايد على بلاده , بعد فشل نوابه في وقف الخطر السلجوقي . وعمل خلال هذه الحملات في مختلف النواحي والأقاليم على نشر الدين الإسلامي , والثقافة الإسلامية , وجمع غنائم وأموال لا تحصى لكثرتها , أنفق أغلبها على تنمية قدرات الجيش وتسليحه (3) .
وبالحروب التي خاضها محمود بقوة الجيش الغزنوي , ضم الهند وبلاد البنجاب والغور , وبلاد ما وراء النهر إلى دولته , ووجه الضربة تلو الأخرى لبني بوية حتى تمكن من الاستيلاء على أصفهان .
ولما مرض أوصى بالحكم من بعده لابنه الأصغر محمد الذي كان وآلياً على بلخ , ولهذا يكون السلطان محمد ورث ملك من نهر جيحون وكشمير (4) والسفوح الغربية لجبال الهملايا وسهول نهري الكانج وجمنا شرقاً وحتى إقليم بلاد الجبل وكرمان وسجستان غرباً , ومن شمال بحر قزوين , وبلاد الديلم وطبرستان شمالاً حتى مياه البحر العربي جنوباً . وبعد وفاته بأربعين يوماً حضر الأمير محمد إلى غزنة , وخلع على قادة الجيش وعساكره , ووزع عليهم الأموال , فأطاعوه .
أما الأمير مسعود , وهو الابن الأكبر لمحمود , فبلغته وفاة والده وهو والى على أصفهان , سار بعدها إلى خراسان , وطلب من أخيه إقراره على البلاد التي فتحها , وهي بعض بلاد طبرستان والجبل وأصبهان , فوقع الخلاف بين الأخوين بعد رفض محمد ما طلبه مسعود , نتج عنه معارك بينهما هزت الدولة في بلاد ما وراء النهر وخراسان , وصرفتها بالتدريج عن فتوحاتها في بلاد السند والهند . مما

---

(1) ابن خلدون , عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ / 1406م) : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر , دار الكتاب اللبناني , بيروت , لبنان , 1981م . م 4 ق 4 , ج 8 , ص 804 .
(2) نظام الملك : سياست نامه , ص 157 ؛ ابن النظام الحسيني , محمد (ت 743هـ / 1342م) : العراضة في الحكاية السلجوقية , , ترجمة عبد المنعم محمد حسنين , مطبعة جامعة بغداد , 1979م . ص 22 ؛
Encyclopaedia of Islam ، prepard by anumber of Leading orientalists , Leiden , 1965 . vol . 11 , p . 133
(3) الكرديزي ، أبو سعيد عبدالحي بن الضحاك بن محمود (ت أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) : زين الأخبار ، تعريب محمد بن تاويت ، مطبعة محمد الخامس الجامعية ، فاس 1972م . , ج 1 ص 104 ؛ بوخنر : السامانية ، دائرة المعارف الإسلامية ،انتشارات جهات ، ج 11 , ص 79 - 81 ؛
. Encyclopaedia of Islam , vol . 11 , p . 133 . 155
(4) ابن الأثير : الكامل , ج 7 , ص 85 - 87 , 164 , 196 , 205 , 226 , 228 , 259 , 301 ؛
. Browne : A Literary History of Persia , vol . 1 , p . 376

دفع ببعض جند وأمراء محمد بالتخلي عنه سنة 421هـ 1030م والانضمام لمسعود لأسباب منها : كبر سنه , وشجاعته وقوة باسه (1) .

وفي سنة 422هـ / 1030م وصل الفقيه أبو بكر محمد السليماني الطوسي* لمقابلة السلطان مسعود بن محمود في مدينة بلخ , حاملاً رسالة من الخليفة العباسي القائم بأمر الله* تتضمن وفاة والده القادر بالله وتوليته مكانه . وبعد الانتهاء من إقامة المراسم التي اعتاد الغزنويون إقامتها للرسل والضيوف , تم إبرام العهد مع الخليفة الجديد , ودونوا كل ما ينبغي وضعه في نسخة وقع عليها مسعود , تتضمن أن يطلب الرسول من القائم بالله بعد بلوغه بغداد , عهداً جديداً يفوض فيه مسعود أمور خراسان , وخوارزم ونيمروز , وزابلستان وبلاد الهند والسند , وبلاد الصغانيين وختل وقباديان , وترمذ وقصدار ومكران , والجبال وولاية أصفهان بكاملها حتى عقبة حُلوان , بالإضافة إلى جرجان وطبرستان وغيرها وأن يعود السليماني نفسه بهذا العهد (2) .

ورغم ازدهار كل مناحي الحياة في بداية عهد السلطان مسعود الأول , المتمثلة بالحركة العمرانية والعلمية والثقافية , وحبه للعلماء والأدباء والشعراء , وقد شهد بلاطه ازدحاماً للعلماء , وضم أبرز شعراء وأدباء ذلك العصر , وعلى رأسهم البيروني , وأمر ببناء الكثير من القصور والمساجد (3) .

إلا أن بوادر الضعف بدأت تظهر في مختلف مؤسسات الدولة , ويمكن القول : بأن مسعود حافظ على حدود دولته الواسعة , حيث ضمت أصفهان والري وهمذان وما يجاورها من البلاد , كنواحي وأقاليم طبرستان وجرجان وخراسان وخوارزم وكرمان وسجستان والسند الرخج* , وغزنة وبلاد الغور والبنجاب من بلاد الهند . وقد أصبح الجزء الأيسر من نهر جيحون جزءاً من إقليم خراسان تابع للدولة الغزنوية . وبعد الخسارة التي مني بها الجيش الغزنوي في معركة دندانقان سنة 431هـ / 1039م اقتصر نفوذ الغزنويين على الهند (4) .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي , ص 11 - 12 ؛ خواندمير : حبيب السير , ج 2 , ص 26 .

* أبو بكر محمد السليماني الطوسي : رسول الخليفة العباسي القادر بالله للسلطان مسعود بن يمين الدولة محمود سنة 421هـ / 1030م , وفي نفس السنة عاد إلى بغداد ومعه هدية ومطالب السلطان للخليفة , كما بعثه الخليفة القائم بالله رسول لمسعود سنة 422هـ / 1030م . البيهقي : مصدر سابق , ص 314 , 320 , 323 .

* القائم بأمر الله : أبو جعفر عبدالله بن الإمام القادر بالله أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر , ولد يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة 391هـ / 1000م , أمه أم ولد تسمى ببدر الدجى , ويقال لها قطر الندى , أرمنية الأصل . ابن دحية الكلبي , أبو الخطاب عمر بن أبي علي المعروف بذي النسبين (ت 633هـ / 1235م) : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس , مطبعة المعارف , بغداد , 1946م , ص 136 ؛ الغساني , إسماعيل بن العباس (ت 803هـ / 1400م) : العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في أخبار الخلفاء والملوك , مخطوط رقم 586 , مكتبة المجمع العلمي العراقي , بغداد , ورقة 23 .

(2) البيهقي : تاريخ البيهقي , ص 320 ؛ حلمي , أحمد كمال الدين : السلاجقة في التاريخ والحضارة , دار البحوث العلمية , الكويت , ط 1 , 1395هـ / 1975م , ص 99 - 100 .

(3) عروضي سمرقندي : جهار مقالة , ص 146 ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء , ص 459 .

* الرُّخج : كورة ومدينة من نواحي كابل , وهي قندهار المشهورة حالياً . الحموي ، أبو عبدا لله ياقوت بن عبدا لله الرومي البغدادي (ت 622هـ/1225م) : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1995م , ج 3 , ص 38 .

(4) المقريزي : السلوك , ج 1 , ق 1 , ص 32 - 33 ؛ فامبري ، أرمانيوس : تاريخ بخارى من أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة أحمد محمود الساداتي ، مراجعة يحيى الخشاب ، مطابع شركة الإعلانات ، مصر 1960م ., ص 22 .

وبموت السلطان مسعود انتهى عصر قوة الدولة الغزنوية , رغم استمرارها إلى سنة 592هـ / 1196م , ولم يصل لعرش غزنة من بعده سلطان قوي , فقد ضعف نفوذهم , ولم يكن لهم دور سياسي أو عسكري مؤثر على المسرح السياسي الدولي والإقليمي , خاصة في خراسان وعراق العجم (1) .

وبينما كان الأمير مودود يرابط في بلخ , وصله خبر مقتل أبيه السلطان مسعود على يد الأمير أحمد بن السلطان المخلوع محمد , فتوجه إلى غزنة , ودخل في حرب مع عمه محمد وأولاده , انتهت بانتصار مودود , وبمقتل عمه وأولاده باستثناء عبد الرحيم الذي كان قد غضب لمقتل عمه مسعود , وقام مودود بقتل كل من له صلة بمؤامرة قتل والده . ثم بنى في المكان الذي انتصر فيه على عمه السلطان محمد قرية ورباطاً , سماها فتح أباد , تخليداً لذكر أبيه (2) .

كذلك طمع مجدود بن السلطان مسعود بعرش غزنة عندما توفى والده , وكان يتولى آنذاك قيادة جيوش الهند , فتحرك لمهاجمة غزنة , لعزل أخيه , فسارع مودود للقائه عند شاطئ نهر السند , لكنهما لم يتحاربا , لأن مجدود وجد ميتاً في خيمته الخاصة , فعاد مودود إلى غزنة (3) .

وقد حاول مودود إعادة السيطرة على خراسان , وانتزاعها من الجيش السلجوقي , فكتب إلى ملوك الأطراف , ودعاهم لمساعدته , وإمداده وجهز لهم الأموال لتغطية نفقات القتال , وفوض إليهم أعمال خراسان ونواحيها . لكن الأجل المحتوم وافاه ولم يحقق أهدافه (4) .

وبعد موت مودود تولى بعده ابنه الأصغر مسعود الثاني , لكنه لم يبق بالحكم سوى خمسة أيام , حيث خلعه الأمراء , وتقلد الحكم عمه أبو الحسن مشاركة مع محمد بن مودود , فاختل نظام الحكم , نتيجة تعدد الحكام , فاضطر الأمراء إلى خلعهما وسجنهما بعد شهرين من الحكم (5) .

وفي خضم هذه الأحداث انتهز عبد الرشيد فرصة الاضطراب التي سادت نواحي الدولة الغزنوية بعد وفاة مودود , ودعا الجند لطاعته , فأجابوه , ودخل غزنة وعيَّن عبد الرزاق* وزيراً , مكافأة له على وقوفه لجانبه , وبذله جهود كبيرة في

---

(1) الهروي , نعمة الله بن خواجة حبيب الله : تاريخ خان جهاني ومخزن أفغاني , تصحيح تنقيح سيد إمام الدين مطبعة زيكويرس , دهاكا , باكستان , 1329هـ , ج 1 , ص 118 ؛ صفا , ذبيح الله : تاريخ أدبيات در أيران (من أواسط القرن الخامس إلى القرن السابع الهجري) , ط 3 , مكتبة ابن سينا , تهران , 1339هـ , ج 2 ص 52 .

(2) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية , ص 14 ؛ الهمذاني، رشيد الدين فضل الله ألعمري(ت 718هـ/1318م) : جامع التواريخ ، اهتمام أحمد آتش ، نشر دنيا الكتاب ، طهران ، ط 1 ،1362م , ج 2 , ص 216 .

(3) ابن الأثير : الكامل , ج 8 , ص 52 .

(4) الحسيني : مصدر سابق , ص 27 ؛ 28 ؛ ابن خلدون : العبر , ج 4 , ق 4 , ج 8 , ص 826 .

(5) خواندمير , غياث الدين محمد بن همام الدين (ت 942هـ / 1535م) : دستور الوزراء , طهران , 1317هـ . ش , ص 145 ؛ حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة , ص 101 .

* عبد الرزاق : بن أحمد بن حسن الميمندي , أصله من بلدة ميمند , تميز بالعقل والتدبير , شارك في معركة دندانقان سنة 431هـ / 1039م , ثم اعتقله مسعود في قلعة ننديه , وبقي فيها حتى تولى الحكم ابنه مودود سنة 432هـ / 1040م , فأمر بفك أسره واستوزره , قاد الجيوش وحارب السلاجقة في مواقع عدة بخراسان , منها موقعة سنة 441هـ / 1049م . ولعب دور كبير في تنصيب عبد الرشيد بن محمود لعرش غزنة , فكافاه عبد الرشيد في الوزارة حتى أخر حياته . خواندمير : مصدر سابق , ص 240 .

توليته الحكم , وكان عبد الرزاق قبل ذلك وزيراً لمودود .

واستقر عبد الرشيد في الحكم حتى قتل سنة 443هـ / 1051م مع أخوته سليمان وشجاع وتسعة من أولاد السلطان مسعود الأول على يد كبير حجابه طغرل نزان (1) .

وتطلع داود* لاحتلال غزنة , فجهز جيشاً كبيراً بقيادة ابنه ألب أرسلان* لكن جيش الغزنويين بقيادة طغرل تمكن من الصمود , والحق بالجيش السلجوقي هزيمة عند بست , واجبرهم على الفرار, وطاردهم إلى سجستان , كما الحق هزيمة ببيغو عند قلعة الطاق , عاد بعدها طغرل إلى غزنة , ودخلها بالقوة .

لكن أفعاله هذه لم تلق تأييداً من قبل القادة العسكريين وعلى رأسهم خرخيز الذي كان يتولى قيادة الجيوش الغزنوية في الهند , فقام بالاتصال بكبار القادة السياسيين والعسكريين في غزنة , وبزوجة طغرل ابنة السلطان مسعود , وأعاب عليهم سكوتهم عن الأخذ بثأر عبد الرشيد , فأثار حماسهم , فدخلوا على طغرل وقتلوه سنة 444هـ / 1052م , وولوا فرخزاد بن السلطان مسعود الأول بن محمود بن سبكتكين , فاعتمد فرخزاد على خرخيز في إدارة شؤون الهند (2) .

وتمتع خرخيز بالقوة , وأصبح الحاكم الفعلي والمسيطر على مقاليد الأمور دون السلطان , ولم تراود السلاجقة في فترة توليته الوزارة , فكرة الهجوم على بست وغزنة مرة أخرى .

حاول السلاجقة الهجوم مرة أخرى على غزنة , وعند وصولهم إلى حدود بست , تصدى لهم خرخيز ومعه نوشتكين* , ولم يتمكن السلاجقة من تحقيق أهدافهم وهزموهم وطاردوهم حتى بلخ .

---

(1) الحسيني : مصدر سابق , ص 14 - 15 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق , ج 8 , ص 61 ؛
. Jusjani : Tbakat Nasiri , vol . 1, p .99 - 100

* داود : هو جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق , أخو السلطان طغرل بك , وجغري مصدر جقمق باللغة التركية , أي أن يلمع , ومعناه اللامع أو المتأنق . حكم البلاد الممتدة من نيسابور إلى جيحون وبلاد ما وراء النهر , وتمكن من ضم بخارى , وبلخ وخوارزم إليه خلال مدة قصيرة , اتخذ من مرو مقر لحكمه . توفى سنة 452هـ / 1060م , وترك الحكم لابنه ألب أرسلان محمد . الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية , ص 29 الراوندي : راحة الصدور , ص 143 .

* ألب ارسلان : عضد الدولة أبو شجاع برهان أمير المؤمنين محمد بن داود جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق (455 - 465 هـ / 1063 - 1072م) , عرف بألب أرسلان , وألب تعني بطل شجاع , وأرسلان تعني الأسد أي الأسد البطل . تولى حكم السلاجقة بعد وفاة طغرل بك سنة 455هـ / 1063م , ورث ملكاً عظيماً يمتد من بلاد توران والشام وما بين أران ومكران , قائد معركة ملاذكرد الشهيرة سنة 463هـ / 1070م , توفي في سمرقند سنة 465هـ / 1072م , بعد أن طعن بسكين من قبل يوسف الخوارزمي , مستحفظ إحدى قلاع إقليم خوارزم . الحسيني : مصدر سابق , ص 29 - 30 , 53 ؛ نيشابورى , خواجة إمام ظهير الدين (ت 582هـ / 1186م) : سلجوقنامه , مطبعة خاور , طهران , 1332 شمسي , ص 23 ؛ الراوندي : مصدر سابق , ص 143 .

(2) الحسيني : مصدر سابق , ص 14 - 15 , 28 - 29 ؛ خواندمير : دستور الوزراء , ص 145 .
: Tabakat Nasiri , vol . 1 , p . 99 – 100 . Jusjani

* نوشتكين : يعرف بنوشتكين الخادم , أصبح من أقرب المقربين للسلطان محمود بن سبكتكين وعمته الأميرة الحرة الختلية , عمل عيناً للأمير مسعود بن محمود على والده , . وأصبح احد اشهر غلمانه , قاد جيش بكامل العدة والعتاد , ورابط في مرو , وهزمه السلاجقة سنة 426هـ / 1024م , توفى سنة 428هـ / 1036م . البيهقي : تاريخ البيهقي , ص 127 , 129 , 468 , 471 , 559 ؛ الحسيني : مصدر سابق , ص 15 .

وجهز فرخزاد جيشاً جراراً سنة 444هـ / 1052م , وأرسله إلى إقليم خراسان , وتقابل مع السلاجقة بقيادة ألب أرسلان , نتج عنها هزيمة عساكر غزنة ووقوع عدد كبير من أركانيته بأيدي السلاجقة , مما كان له الأثر الكبير على تدهور المؤسسة العسكرية الغزنوية . ثم وقعت اتفاقية صلح بين الجانبين , نصت على أن يحكم كل منهم الأقاليم الواقعة تحت سيطرته , وأن يوقف الطرفين الحرب ضد بعضهما البعض (1) .

توفى فرخزاد بعد إصابته بمرض القولنج سنة 451هـ / 1059م , وتولى الحكم من بعده أخوه إبراهيم (451 - 492هـ / 1059 - 1088م) وطالت فترة حكمه , وعقد صلحاً مع داود جغري بك بن ميكائيل السلجوقي في محاولة منه لإبعاد طمع السلاجقة عن غزنة , واتجه بفتوحاته نحو الهند , وسيطر على الكثير من قلاعها , وخاصة تلك التي امتنعت على أبيه وجده من قبل , وسعى إلى إصلاح الفساد الداخلي , وإحياء عظمة الغزنويين وأمجادهم , لكن الفتن الداخلية كثيراً ما كانت تستنزف قوة جيشه , وأموال خزانته (2) .

ثم تولى الحكم بعد إبراهيم ابنه مسعود الثالث , وفي بداية حكمه شهدت العلاقـات الغزنوية السلجوقية تحسّنـاً بحكم أن مسعود الثالث زوج أخت سنجر* .

لكن السلاجقة عادوا لإحياء طمعهم في السيطرة على دولته , فهاجموا هراة وبلخ واستولوا عليها , وسيطروا على كلٍّ من بست والقسم الغربي من خراسان (3) .

لكن علاء الدولة مسعود ظل سلطاناً قوياً في الهند , فكان موفقاً بفتوحاته . وعندما وافته المنية سنة 511هـ / 1117م , تولى الحكم بعده ابنه شيرزاد بناءً على وصية أبيه . لكنه لم يبق بالحكم طويلاً , إذ قتل من قبل أخيه أرسلان شاه* سنة 509 هـ / 1115م , وفي عهد الأخير ساءت الأحوال , واضمحلت قوة الدولة وضاعت

---

(1) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية , ص 15 , 28 - 29 ؛ مجهول : الدرر المكنون في المآثر الماضية من القرون , نسخة المجمع العلمي العراقي رقم 738 , مصورة عن النسخة الأصلية الموجودة بالمكتبة الوطنية باريس , ص 128 .

(2) العمري : مسالك الأبصار , ص 286 ؛ ابن الأثير : الكامل , ج 8 , ص 87 - 88 , 127 , 147 .

* سنجر : معز الدنيا والدين ملك الإسلام والمسلمين عماد آل سلجوق أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب ارسلان بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق (511 - 552هـ / 1117 - 1157م) , اسمه الإسلامي أحمد , ولد في مدينة سنجار سنة 477هـ / 1084م , وتوفى سنة 552هـ / 1157م . سمي باسم المدينة التي ولد فيها , ولقب نفسه بلقب أبوه أي معز الدنيا والدين . وسنجر كلمة تركية معناها قاذف الحربة , وهو الأخ الشقيق للسلطان محمد بن ملكشاه بن ألب ارسلان , أمه تاج الدين خاتون سفري . نيشابوري : سلجوقنامه , ص 47 ؛ الراوندي : راحة الصدور , ص 143 .

(3) نيشابوري : سلجوقنامه , ص 47 ؛ البنداري ، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني (ت 643هـ / 1245م) : تاريخ دولة آل سلجوق ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط 2، 1978 , ص 251 - 253 .

* أرسلان شاه : ارسلان تعني الأسد , وشاه ملك , فيكون المعنى الملك أرسلان , وهو أخو شيرزاد , وهما أبناء علاء الدولة مسعود الثالث بن إبراهيم بن مسعود الأول , جلس على العرش في العام التالي لتوليته سنة 508 هـ / 1114م . تعرضت غزنة أثناء فترة حكمه لهجوم من قبل سنجر بن ملكشاه مرتين , هزم في الأولى وتوجه للهند ثم عاد وجلس على عرش غزنة لمدة شهر , فجاء الهجوم الثاني فوقع في أسر أخيه بهرام شاه فخنقه في جمادي الآخرة سنة 512هـ / 1118م , ودفنه بتربة أبيه بغزنة , وكان عمره سبعاً وعشرين سنة . ابن الأثير : مصدر سابق , ج 8 , ص 270 - 271 ؛ الحسني : نزهة الخواطر , ج 1 , ص 76 , 78 .

هيبتها , وتجرأ الأعداء السلاجقة على شن العدوان عليها (1) .

وكان العدوان السلجوقي قد تم على غزنة , بعد أن وصل بهرام شاه سنة 508هـ / 1114م إلى السلطان سنجر , وكان متولياً آنذاك على خراسان , مستنجداً به ضد أخيه أرسلان شاه , فجهز على أثر ذلك سنجر جيشاً بقيادة أنر , وأرسله إلى غزنة , ومعه بهرام شاه , وانضم إليهم أبو الفضل نصر بن خلف حاكم سجستان عند بست . ثم قاد سنجر جيشاً أخر , ولحق بأنر , ودخل غزنة بعد حرب عنيفة مع أرسلان شاه , وأجلس بهرام شاه على كرسي عرش غزنة . وخطب لسنجر بالملك ولبهرام شاه بالسلطان على عادة أجداده , ولم يخطب لسلجوقي قبل هذا الوقت , وأقام سنجر في غزنة أربعين يوماً , حتى استقر بهرام شاه , عاد بعدها إلى خراسان (2) .

واستغل أرسلان شاه تلك الفترة وعمل على تنظيم جيشه , وهاجم بهرام شاه وهزمه بعد أن اجتمعت أصحابه عليه في الهند , فاضطر سنجر إلى إرسال جيش إلى غزنة مرة أخرى , لمساعدة بهرام شاه , وطارد أرسلان شاه وأسره , ومن ثم خنقه سنة 512هـ / 1118م (3) .

ولم يفِ بهرام شاه بالعهد مع خاله سنجر , فأرسل له جيشاً لغزو غزنة , فلما اشرف عليها, تركها بهرام , وهرب إلى لاهور* , ودخلها سنجر رغم دفاع أهلها عنها , فنهبها وخربها ثم عمرها , وعَيَّن عليها والياً من قبله . ثم عاد بهرام شاه وتعهد بالالتزام بما كان قد تعهد به لسنجر , وجلس على كرسي الحكم في غزنة (4) .

وقد ساء حكام الغور استدعاء بهرام شاه للسلاجقة , واعتبروه المسبب في دخولهم غزنة , فجهز السلطان سيف الدين سورى بن الحسين ملك الغور حملة عسكرية كبيرة , وتوجه بها إلى غزنة سنة 543هـ / 1148م , لينتقم من بهرام شاه وبالفعل تمكن من هزيمته , واجبره على الفرار إلى الهند , لكن بهرام شاه جمع قواته وعاد إلى غزنة , وتمكن من هزيمة ملك الغور وأسره , ثم شنقه وعلق جثته في السوق (5) .

فأراد أول ملوك جبال الغور علاء الدين الحسين بن الحسين تنفيذ رغبة الغوريين , بالانتقام من بهرام شاه , ودخل معه في معركتين , كانت الأولى سنة

---

(1) القزويني , يحيى عبد اللطيف الحسيني (ت 690هـ / 1291م) لب التواريخ , نشر سيد جلال طهراني طهران , ص 90 ؛ Jusjani : Tbakat Nasiri , vol . 1 , p . 239 .

(2) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية , ص 91 ؛ ابن الأثير : الكامل , ج 8 , ص 270 - 271 .

(3) مستوفي قزويني ، حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر (730هـ/1329م) : تاريخ كزيده ، اهتمام عبد المحسن بلوائي ، تهران ، 1339هـ , ج 1 , ص 404 - 405 ؛ الحسني : نزهة الخواطر , ج 1 , ص 76 .

* لاهور : مدينة عظيمة ومشهورة , وتعد من أقدم المدن الهندية , وهي عاصمة إقليم البنجاب , عرفت بأسماء متقاربة , مثل لهاوور , ولوهور , ولهاور , تقع على نهر روان , فتحتها السلطان محمود بن سبكتكين سنة 399هـ / 1008م , وضمها إلى مملكته الهندية في شرق السند . البيروني : تحقيق ما للهند , ص 167 ؛ الحموي : معجم البلدان , ج 6 , ص 26 الفاروخي , اسماعيل وآخرون : أطلس الحضارة الإسلامية , ترجمة عبد الواحد لؤلؤة , مكتبة العبيكان , الرياض , المملكة العربية السعودية , ط 1 , 1419هـ / 1998م , ص 326 .

(4) الحسيني : مصدر سابق , ص 92 .

(5) خواندمير : حبيب السير , ج 2 , ص 399 , 602 ؛ الهروي : تاريخ خان جهاني , ج 1 , ص 118 ؛ Jusjani : Tbakat Nasiri , vol . 1. 239 .

547هـ / 1152م , خسر فيها بهرام شاه , وتمكن من الفرار إلى مدينة كرمان* .
ودخل علاء الدين غزنة , وأحسن السيرة في أهلها , ونصب أخاه سيف الدين حاكماً عليها , وأجلسه على كرسي العرش , وخطب لنفسه ولأخيه سيف الدين بعده , ثم عاد إلى الغور (1) .

وما أن عاد علاء الدين إلى بلاده , حتى ثار أهل غزنة على سيف الدين واستدعوا بهرام شاه , فدخلها بغير قتال , وأهان سيف الدين وصلبه , فلما سمع علاء الدين ما حدث لأخيه قال : شعراً معناه إن لم اقلع غزنة في مرة وأحده , فلست الحسين بن الحسين . وفي هذه الأثناء توفي بهرام شاه سنة 547هـ / 1152م وخلفه في الحكم ابنه خسرو شاه , وكان الغزنويون في تلك الفترة لا يسيطروا إلا على غزنة وبعض أجزاء من بلاد الهند .

دخل علاء الدولة غزنة للمرة الثانية سنة 550هـ /1155م , فلما علم خسرو شاه بالأمر , هرب إلى لاهور , فانتقام علاء الدولة من أهل غزنة عنيفاً , فاستباحها ونهبها لمدة ثلاثة أيام , وأخذ الذين أسروا أخاه , فالقاهم من رؤوس الجبال , وأخذ النساء اللواتي قيل عنهن أنهن كن يغنين بهجاء أخيه والغورية , فأدخلهن حماماً ومنعهن من الخروج حتى متن فيه , ونبش قبور سلاطين الغزنويين السابقين , ما عدا قبر السلطان يمين الدولة محمود وابنه مسعود وحفيده إبراهيم , وأحرق مكتبة غزنة بالكامل , أو لعله حمل ما بها إلى مكتبة فيروز كوه* , وخرب القصور العامرة الفخمة , وعدد من الولايات من ضمنها ولاية بست (2) .

وتمكن الغز* في تلك الفترة من الاستيلاء على خراسان , وأسر السلطان سنجر السلجوقي , فأصبح من السهل عليهم اقتحام أبواب غزنة , فاستغلوا وفاة

---

* كرمان : ليست الولاية المعروفة بكرمان , المقصود بها مدينة تقع بين غزنة والهند , وهي من أعمال غزنة بينهما أربعة أيام , وسكانها قوم يقال لهم أبغان . الحموي : مصدر سابق , ج 4 , ص 455 .

(1) ابن الأثير : الكامل , ج 9 , ص 33 .

* فيروز كوه : معناه بالفارسية الجبل الأزرق , وبلغة أهل خراسان الزّرْقة . مدينة بين هراة وغزنة , تقارب أعمال غزنة , أصبحت دار مملكة من يتملك تلك النواحي . اتخذها حكام الغور قاعدة لهم , وعملوا على تحصينها بها قلعة عظيمة وحصينة في جبال غور شستان (أفغانستان) , أسسها قطب الدين محمد ملك الجبال , وأتم بنائها بهاء الدين سام سنة 544هـ / 1149م , وقيل بأنها بنيت في عهد علاء الدين الحسين بن الحسين الغوري لما أراد أن ينتقم من أهل غزنة سنة 550هـ / 1155م , خربها التتار سنة 612هـ / 1215م . الحموي : معجم البلدان , ج 1 , ص 526 , ج 4 , 284 ؛ أمين : " أفغانستان " , دائرة المعارف الإسلامية , ج 8 , ص 357 ؛
Anony mous : Hudud AL – Alam , London , 1970 , p . 105 . 116 .

(2) خواندمير : حبيب السير , ج 2 , ص 602 - 603 ؛ خليلي : سلطنة غزنويان , ص 265 ؛ زاده , رضا شفيق : تاريخ أدبيات أيران , طهران , ج 2 , ص 51 .

* الغز : طائفة من التركمان , عاشوا في بلاد ما وراء النهر , ودانوا بالإسلام , فلما ملك القراخطائيون تلك الديار , أخرجوهم منها , فقصدوا خراسان في جموع كبيرة , واستقروا في المراعي الواقعة قرب ختلان من أعمال بلخ . وكان اسم التركمان يطلق على الغز , وأثناء سلطنة سنجر , كان للغز أمراء , منهم دينار وبختيار وطوطى وجعفر ومحمود , وكانوا مسالمين لا يعتدون على أحد , ويدينون لسنجر بالطاعة والولاء , ويدفعون له خراجاً كبيراً , يتمثل في أربعة وعشرون ألف رأس غنم , لمطبخ السلطان سنوياً , وصبر الغز على محصلي الخراج وظلمهم في بادئ الأمر , فلما طفح الكيل , قتلوا أحدهم لأنه طمع في رشوة من أغنامهم , وتطاول على أمرائهم , وامتنعوا عن دفع ما هو مقدر عليهم . مستوفي قزويني : تاريخ كزيدة , ص 135 - 136 ؛ المقريزي : السلوك , ج 1 - ق 1 , ص 31 - 32 ؛
Lane Poole , Stanley : Medieval India under The Mohammedan Rule . New York 1963 , p . 48 .

علاء الدين الحسين . وبقيت بأيديهم خمس عشرة سنة , يعذبون أهلها ويظلمونهم كعادتهم في أي بلد يملكونه . فلما قوي أمر غياث الدنيا والدين* جهز جيش كثيف أرسله مع أخيه شهاب الدين* إلى غزنة , فقاتل الغز وانتصر عليهم , واستردها منهم وأجلسه أخوه غياث الدين محمد بن سام على عرشها (1) .

أما خسرو شاه فقد مات في الهند , وتولى حكم لاهور ابنه خسرو ملك , وبذلك غابت قوة الغزنويين , كما هاجم محمد بن سام , لاهور سنة 582هـ / 1186م بجيش بلغ عدد فرسانه عشرين ألفاً , واستطاع أسر خسرو ملك , ووضعه في السجن ثم قتلوه سنة 598هـ / 1201م (2) وهكذا انتهت الدولة الغزنوية .

ويعتبر عدد من المؤرخين المحدثين أن سنة 582هـ / 1186م هي السنة الحقيقية لنهاية الدولة الغزنوية (3) , لتداعى سلطانها في الهند , وانقسامها إلى أسرات إسلامية مستقلة . وهذه المحن المتلاحقة على آل سبكتكين , أوصلت قوّتهم وعظمتهم بالتدريج إلى الهاوية , لتنتهي الأسرة الغزنوية من الوجود , ويلقى بآخر ملوكها خسرو شاه في غياهب سجون غورشستان (بلاد الغور) , ولم يبقى لهم صديق يذكرهم إلا التاريخ . فتبارك الذي لا يزول , ولا تغيره الدهور , فهذه أحوال الدنيا الدنية , ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي القدير .

---

* غياث الدنيا والدين : هو أبو الفتح محمد بن سام بن عز الدين الحسين بن الحسن المسعودي (558 - 599 هـ / 1162 - 1203م) , تلقب بألقاب السلاطين , فكان لقبه شمس الدين , كما تلقب بغياث الدين والدنيا , معين الإسلام , قسيم أمير المؤمنين , ولقب بسيد العالم , معز الدنيا والدين , سلطان السلاطين . اتخذ فيروز كوه حاضرة لحكمه . فضم بيشاور ولاهور , أخر المعاقل الغزنوية , وقضى على سلطانهم بها سنة 582هـ / 1186م طالت أيامه حتى مات بالنقرس في هراة . الزركلي : الأعلام , ج 7 , ص 4 - 5 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا , ج 1 ص 171 - 173 ؛

Jusjani : Tbakat Nasiri , vol . 1 , p . 338 .

* شهاب الدين : أبو المظفر محمد بن سام , أخو غياث الدين والدنيا , وابن أخ علاء الدين الحسين بن الحسين الغوري , رجلاً صالحاً , لقب بعز الدين , وردت كتابة اسمه على طرق عدة منها بريثقي راجا , ورائي بيثرا وبيثو راي , وراي بيثورا , ويسميه الجوزجاني راي كوله , وكوله تعني الغلام , أو الابن غير الشرعي من أرملة . ابن الأثير : الكامل , ج 9 , ص 34 - 35 ؛ نظامي ، حسن : (ألف في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين) تاج المآثر ، ترجمة ايلليوت ودوسون ، لاهور ، 1979م , ج 1 , ص 171 ؛

Jusjani : Tbakat Nasiri , vol . 1 , p . 398 , 485 .

(1) نخجواني , هندوشاه صاحبي : تجارب السلف , مؤلف خلال سنتي 713 - 714 هـ , ق , تقديم أمير سيد حسن روضاتي , ص 203 .

Jusjani : Tbakat Nasiri , vol . 1 , p . 389 - 399 .

(2) ابن الأثير : مصدر سابق , ج 9 , ص 34 - 35 ؛ لوبون , غوستاف : حضارة الهند , ترجمة عادل زعتير ط 1 , دار إحياء الكتب العربية , القاهرة , 1948م , ص 220 .

(3) حتي , فيليب : تاريخ العرب المطول , دار الكشاف , بيروت 19954م , ج 2 , ص 559 ؛ حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة , ص 105 .

الفصل الأول
عناصر الجيش

المبحث الأول ـ العناصر التركية

1 - الأتراك
2 - التركمان
3 - الأتراك الخلجية
4 - الأفغان
5 - القرغيز
6 - الغزنويون
7 - الغوريون
8 - الخوارزميون

المبحث الثاني ـ عناصر ذات أصول متباينة

أولاً ـ العناصر الفارسية
1 - الديلم
2 - الخرسانيون
3 - البلخييون
ثانياً ـ الهنود
ثالثاً ـ العرب والأكراد
رابعاً ـ السجستانيون

المبحث الثالث ـ عناصر ذات أصول مختلفة

أولاً ـ الغلمان
1 - الوثاقون (الحرس الخاص)
2 - غلمان السراي (غلمان القصر)
ثانياً ـ القوات غير النظامية
1 - المتطوعة (غازيان)
2 - المرتزقة

الفصل الأول
عناصر الجيش

الجيش بعناصره من مختلف الأصول والمنابت ، وبمختلف رتب منتسبي قطاعاته وتشكيلاته ، كان عماد إقامة واستمرارية كيان الدولة السياسي في مختلف العصور التاريخية القديمة منها والوسطي والحديثة ، وسيبقى إلي ما شاء الله .
وتعتبر العناصر المشكلة لأي جيش كان الآلية الحيوية الرئيسة في الحفاظ على مقدرات الأمة وسلامتها ، وحماية حدودها الخارجية من المعتدين الطامعين بخيرات البلاد ، بالإضافة لتوسيع رقعة الدولة على حساب الدول المجاورة لها ، وتوفيرها الأمن الداخلي من خلال قمع المناوئين للنظام داخل أقاليمها .

كان الجيش في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد الخلفاء الراشدين (11 - 41هـ / 632 - 661م) والأمويين (41 - 132هـ / 661م - 749م) يتألف من العنصر العربي . أما العباسيون (132 - 656هـ / 749 - 1258م) فقد قامت دولتهم على أكتاف الفرس ، ومن ثم أصبح للعناصر الفارسية أثراً ملحوظاً في الجيش العباسي ، ولما ولي المعتصم بالله* (218 - 227هـ / 833 - 841) الخلافة اعتمد على الأتراك في الجيش ، وآثرهم على العرب والفرس ، فكانت الطامة الكبرى على الخلافة الإسلامية , لكن الغزنويين اتبعوا سياسة مغايرة , لسياسة الخلفاء الأوائل وعمدوا على التعددية البشرية في مؤسستهم العسكرية .

وسنتعرف فيما بعد على العناصر التي تشكلت منها مختلف قطاعات المؤسسة العسكرية الغزنوية ، منذ عهد ألبتكين ثم الأمير سبكتكين وخلفائه من بعده ، والتي امتدت من 351 هـ / 961 م ، حتى انهيارها نهائيا سنة 582هـ / 1186م .

اتسمت الدولة الغزنوية بالطابع العسكري ، سيما وأن النواة الأولى لتأسيسها تلك القوات العسكرية التي انفصل بها ألبتكين عن نظام الدولة السامانية ، وقادها من خراسان متوجها لبلاد الهند مجاهدا وطالبا رضى الله عز وجل ، وكان ألبتكين قد اتخذ غزنة عاصمة له ومقراً لقياده جنده (1) .

التحق بألبتكين ثمانمائة ألف فارس من شتى نواحي البلاد في تلك المرحلة وانضم إليه المقاتلون بأعداد كبيرة من مختلف الأطراف خاصة بعد أن شاعت أخبار ألبتكين في أقاليم خراسان ونيمروز وبلاد ما وراء النهر وغيرها ، باقتحامه أبواب

---

* المعتصم بالله : أبو إسحاق محمد بن هارون بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ، ولد سنة مائة وثمانين ، وأمه أم ولد اسمها مارده ، بويع بالخلافة يوم وفاة أخيه المأمون وبعهد منه في الرابع عشر من شهر رجب سنة 218هـ / 833 م ، فاتح عمورية من بلاد الروم الشرقية ، باني مدينة سامراء سنة 222هـ / 837 م ، ملك ثمان سنين وثمانية أشهر ، توفى بسامراء سنة 227هـ / 841 م . الكوفي ، أبو محمد احمد بن أعثم (ت نحو 314هـ / 926م) : الفتوح ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الدكن ، الهند ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ج 8 ، ص 344 الكتبي ، محمد بن شاكر (ت 764هـ / 1362م) : فوات الوفيات ، تحقيق د . إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، ج 4 ، ص 48 - 49 ؛ الزركلي : الأعلام ، ج 7 ، ص 351 .

(1) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 47 ؛ مجهول الدرر : المكنون ، ورقة 126 .

الهند وغزوها ، والظفر بغنائم كثيرة من الذهب والأنعام والعبيد والتحف النادرة
الطريفة (1) ، لذلك تباينت الأجناس البشرية في المؤسسة العسكرية الغزنوية من فئات عرقية مختلفة .

ومنذ اعتلاء السلطان يمين الدولة محمود عرش غزنة سنة 387هـ / 997م اتبع سياسة والده الأمير سبكتكين , وعمل على تأسيس جيشه من عدة أجناس من الترك والخرسانيين والعرب والهنود والغوريين والديالمة ،ودخل بهذا الجيش معارك عدة مع السامانيين في خراسان ، ثم عمل على قطع الخطبة لهم ، وخطب للخليفة العباسي القادر بالله ، وثبَّت أقدامه في البلاد واستطاع صهر هذه الأخلاط البشرية ذات الأصول المتباينة , والأعراق المختلفة في بوتقة , واحدة حتى ظهروا فيها وكأنهم ينتمون إلى عرق واحد ، فكان ذلك نتيجة السياسة العسكرية التي وضعها ألبتكين ، وسار عليها غلامه سبكتكين ، وأرسى محمود قواعدها المتينة ، ليس بنظامه العسكري فحسب ، بل رسخها في الحروب المتواصلة ، والحملات العسكرية التي ما تكاد أن تنقطع حتى تبدأ من جديد والتي جعل ميدانها فسيحاً على أراضي البلاد التي سيطر عليها ، وسبق وأن بينت حدودها في تمهيد هذه الدراسة .

وكان محمود أثناء السفر , يضع ثلة من كل جنس للحراسة في مكان خاص بحيث لم يكن أي فريق منهم يجرؤ على ترك مكانه , خوفا من الفرق الأخرى ، بل كانوا يحرسون إلى جانب بعضهم حتى الصباح دون أن تغمض لهم أجفان (2) . ومع تزايد اتساع رقعة الدولة الغزنوية ، أصبحت تضم شعوب وقبائل متعددة الأجناس ، مما أدى إلى دخول بعض سكانها في الجيش الغزنوي .

وأشار نظام الملك (3) إلى معنويات الجند القتالية ، واستبسالهم في المعارك بحالة اختلاف أجناس عناصره " بأنه يقاتل كل جنس منهم ببسالة ومضاء حفاظا على سمعته ، وخوف العار والهزيمة ، وكي لا يقول أحد بأن الجنود من الجنس الفلاني وهنوا في القتال وتقاعسوا . وكان كل فريق يبلي في القتال بلاء حسنا ، ويبذل غاية جهده إظهاراً لقدرته وتفوقه على الأخرين ، ولأن قاعدة اختيار المقاتلين كانت تتم على ذلك النحو ، فقد كانوا جميعا جادين مستبسلين وطلاب سمعة وشهرة ، ولا جرم أن جند الجيش الغزنوي ، إذا ما هرعوا إلى السلاح لم يكونوا يتراجعون قبل أن يهزموا عدوهم وينتصرون عليه .

وهذا يتفق مع قول الهرثمي (4) : " كان أهل المعرفة بالحرب يحبون أن يعرف الرئيس من استطاع معرفته من أصحابه وجنده ، رجلاً رجلاً بخاصته من الشجاعة

---

(1) كلود كوهين : تاريخ العرب والشعوب الإسلامية من ظهور الإسلام حتى بداية الامبرطورية العثمانية ، ترجمة بدر الدين القاسم ، ط 1 ، دار الحقيقة ، بيروت ، 1972م ، ص 292 .
(2) نظام الملك : سياست نامه ، ص 140 - 141 ، 151 - 152 ، 155 .
(3) المصدر نفسه ، ص 140 - 141 .

(4) مختصر سياسة الحروب ، تحقيق عبدالرؤوف عون ، مطبعة مصر ، مصر ، 1964م ، ص 55 ؛ الجوارنه أحمد : قطاعات الجيش ووسائله الحربية في عهد الدولة الغزنوية (388 - 432 هـ / 998 - 1040 م) ، أبحاث اليرموك ، مج 13، العدد (أ) ،1997م ، ص 53 .

والجبن مع سائر أحواله ، ليضع كل رجل منهم موضعه " . فالتنوع سبب رئيس للتفوق بالقوة ، وتحقيق الانتصارات الكبيرة على الأعداء في جبهات القتال .

وإذا ما أدى تنافس الأجناس المختلفة في المعركة إلى الانتصار مرة أو أكثر " فإن مائه منه بعد ذلك تغلب ألف من جيش العدو ، وأن أي جيش أخر لن يقوى على التصدي له ومقاومته . كما أن جيوش البلدان المجاورة والمحاذية تهاب هذا الملك وتخافه وتضع له عصا الطاعة والولاء " (1) .

ونصح نظام الملك (2) السلاطين " أن تكون كل قبيلة مع أختها , وكل جنس مع جنسه , وأن يترأسهم نفر منهم ، حسما للتداعي والنزاع ولرفد الجيش بالقوة " .

ويتفق هذا مع قول ابن منكلي (3) : " أن تكون كل قبيلة مع أختها وكل جنس مع جنسه ، لئلا يحصل التنازع ، وكذلك فليكن مقدم كل طائفة منها ، ومن فعل غير ذلك في التعابي من زعماء الجيوش فقد اتعب نفسه وأضعف ، فينبغي له أن يعرف ثقاته من عسكره فيما لا فائدة فيه " .

وبهذا الخصوص قال الهرثمي (4) : " إن صاحب الحرب قد يحتاج فيما يعاني منها إلى أكثر أصناف الناس ، وهو إلى بعضهم أحوج منه إلى بعض ، وخاصته بخواصهم وحالاتهم ، ليستعين بكل رجل منهم فيما يصلح له ، ويضعه بالموضع الذي يستحقه " .

أصبح تعدد الأجناس في جيوش الدول الإسلامية اللاحقة للغزنويين الأساس في نظمها العسكرية خاصة بعد أن طلب ملكشاة* من مشاهير دولته وحكامها ومسنيها أن يؤلفوا كتابا في هذه الأمور ، وفي سنن السلف الصالح الحميدة ، والدول اللاحقة في المجالات السياسية والعسكرية التي كانت متبعة ، ليهتدي بها ويقتدي ، ثم اختار كتاب وزيره نظام الملك* ليضعه دستوراً له يعمل من خلاله على تطوير نظم مؤسسات الدولة السلجوقية المدنية منها والعسكرية .

---

(1) نظام الملك : سياست نامه ، ص 39 , 140 .

(2) المصدر نفسه ، ص 140 .

(3) جلال الدين محمد بن نظام الدين (ت 784هـ / 1382م) : الأدلة الرسمية في التعابي الحربية ، تحقيق محمود شيت خطاب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد . 1988م ، ص 177 .

(4) مختصر سياسة الحروب ، ص 54 .

* ملكشاه : جلال الدولة أبو الفتح بن السلطان ألب أرسلان محمد بن جغري بك السلجوقي التركي ، ولد سنة 445هـ/1953م ، تولى عرش الدولة السلجوقية بعد وفاة والده سنة 465هـ/1072م ، توفى سنة 485هـ/ 1092م . الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية ، ص 55 ؛ الراوندي : راحة الصدور ، ص 143 - 144 ، 197 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 19 ، ص 54- 58 .

* نظام الملك : الوزير السلجوقي الكبير ، قوام الدين أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي ، ولد بطوس سنة 408هـ/1017م ، وتوفى سنة 485هـ/1094م على أثر طعنه بسكين من قبل أحد الباطنية قرب نهاوند ، ودفن في أصفهان ، ويطلق الأصفهانيون على ضريحه تربة نظام ، كان أبوه من دهاقين بيهق ، اهتم بالعلم ، اشتغل بقراءة القرآن إحدى عشر سنة ، كما شغل بالعلم والقراءات ، والتفقه على مذهب الشافعي ، وسماع الحديث واللغة والنحو . وخدم بغزنة ، وكان صاحب للسلطان محمود بن سبكتكين ، وتنقلت به الأحوال إلى أن

وزر للسلطان ألب أرسلان السلجوقي ، ثم لابنه ملكشاة قرابة الثلاثون سنة . بنى المدارس النظامية ببغداد ونيسابور وغيرها . له كثير من البنيين ، وزر منهم خمسة . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 2 ، ص 128- 131 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج 19 ،ص 94 - 96 ؛ خواندمير : دستور الوزراء ، ص 245 - 267 .

المبحث الأول
العناصر التركية

1 - الأتراك .

وصفوا بأنهم حُمُر وعراض الوجوه , صغار الأعين ، فُطْس الأنوف ، أوسع بلادهم بلاد التغزغز* ، وحدهم الصين والتبت , والخرلخ والكيمال , والغز والجفر والبجناك , والبذكش واذكس وخفشاق وخرخيز ، وأول حدهم من جهة المسلمين فاراب (1) .

والأتراك أقوام نشأت بين سكان التبت والصين في الشرق ، والجنس الآسيوي القديم في الشمال ، والشعوب الفنلاندية الأوغرية في الغرب . وهي منطقة سهول سيبيريا الشمالية الواسعة ، والبوادي الواقعة بين بحر الخزر (قزوين) وجبال اكتاي التي تعرف بالجبال الذهبية ، وهي سلسلة جبال طويلة في أواسط آسيا ، يسميها الترك التون طاغ (2) .

ولم يكن للأتراك مدنية وحضارة قديمة , بل كانوا أشبه بالبدو ، حيث أكسبتهم البداوة قوة بدن وخشونة الطبع ، لذلك لم ينتفع بهم المسلمون كما انتفعوا بالفرس من قبل (3) .

زاد نفوذ الأتراك في الدولة الغزنوية لأكثر من سبب ، الأول : لأن الأسرة الحاكمة في غزنة من الأصول التركية . والثاني : مذهبهم السني الذي يوافق مذهب آل سبكتكين المناهض للمذهب الشيعي ، ومذهب المعتزلة الذين يميلون إلى الفلسفة والجدل ، والسبب الثالث : بأسهم الشديد على رعاياهم ، وهذا ما يتوافق مع مصلحة سلاطين غزنة . لهذا كان أغلب جند الجيش الغزنوي من العناصر البشرية ذات الأصول التركية .

أعتمد الغزنويون على العنصر التركي في مؤسستهم العسكرية , فشكلوا النواة الأولى لهذه المؤسسة ، ونعني بهم تلك المجموعات التي انفصلت عن الدولة السامانية سنة 350هـ/961م بقيادة ألبتكين ، وتكاثر العنصر التركي في الجيش الغزنوي بعد أن

---

* التغزغز : يعرفوا باسم التغزاغز أو الغز ، وهو اسم مركب من كلمتين تركيتين ، توغر وتعني تسعة ، واغز تعني القبائل ، أي القبائل التسعة ، وهم قوم من القبائل التركية التي استوطنت المنطقة الواقعة بين منطقة كاشغر وطوخان ، وكان أغلب ملتك الأتراك قديماً من هذه القبيلة المتعددة الفروع ، بطوناً وفخوذاً ، قصبة دولتهم مدينة تسمى المدينة الصينية (جينانجكت) ، تقع الأن إلى الشرق من مدينة طرفان بحوالي 45 كيلو متر ، وكانت تسكن معهم قبائل اليغما والقارلوت وكلهم غزيون . ابن الفقية ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) : كتاب البلدان ، مطبعة بريل ليدن ، 1302هـ / 1884م ، ص 328 - 329 ؛ الغامدي : الفتوحات الإسلامية ، ص 447 ؛

Anony mous : Hudud AL – Alam , p . 94 – 95 , 263 – 277 .

(1) الحموي : معجم البلدان ، ج 2 ، ص 23 .

(2) بارتولد : " الترك " ، دائرة المعارف الإسلامية ، انتشارات جهان ، ج 5 ، ص 34 ؛ زكي ، عبد الرحمن : السيف في العالم الإسلامي ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1967م ، ص 67 ؛
E . j . Brill : Atls of islam , p . 57 .
(3) إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامي ، ص 233 ؛ سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص 169 .

حقق ألبتكين انتصارات في بلاد الهند . وأشار نظام الملك (1) بأن ألبتكين كان يملك ألفين ومئتين من الموالي الأتراك. وظل الأتراك يشكلون الأغلبية العظمى في الجيش الغزنوي لما عرف عنهم من قوة وشجاعة وتحمل المشاق .

وعندما تولى يمين الدولة محمود عرش غزنة اعتمد على العنصر التركي اعتمادا كبيراً . ففي سنة 397هـ/1006م جمع محمود عناصر عدة من مختلف أقاليم الدولة كان من بينها عناصر تركية العناصر ذكرت بأنها كثيرة ودخل بها معركة مع أيلك خان* على مسافة أربعة فراسخ* من بلخ (2) .

وبقي وجود العنصر التركي في مختلف مؤسسة الجيش طيلة عهد السلطان محمود ، ولما تولى العرش أبنه محمد نجده يعرض على أخيه مسعود عشرين ألفاً من خيل الركوب ، مع ألفي غلام تركي ، وخمسمائة فيل مختارة خفيفة الحركة . وشارك الأتراك في حملة الجيش الغزنوي على كرمان سنة 422هـ / 1030م ، وأشارت المصادر بأنهم كانوا ألف مقاتل (3) .

واستمر العنصر التركي ، كأبرز عناصر الجيش في عهد السلطان مسعود الأول ابن محمود . فقد كان ألف تركي من ضمن الجيش الذي استعرضه السلطان مسعود سنة 425هـ/ 1033م . وفي سنة 426هـ / 1034م أرسل السلطان مسعود الأول قائد الاصطبلات بيري من معسكر جرجان للإقامة في دهستان ومعه ألفان من العرب الجرجانيين وثلاثة آلاف فارس ، نصفهم من الأتراك والنصف الأخر من الهنود (4) .

وبرزت أشخاص تركية في المؤسسة العسكرية الغزنوية تولت مناصب رفيعة المستوى . فقد تولى أريارق الحاجب قيادة جيوش الهند في عهد السلطان محمود بن سبكتكين . كما تولى الحاجب الغازي منصب القائد العام للجيوش الغزنوية (5) . كذلك تولى تاش فراش قائد فرسان جيش أرسله السلطان محمود مع ابنه مسعود سنة 420هـ/ 1029م للمرابطة في مدينة الري . ولما تولى مسعود الحكم رقى تاش فراش لمنصب قيادة جيوش خراسان والعراق ، فأصبح صاحب أموال وأملاك مختلفة (6) .

---

(1) سياست نامه ، ص 15 .
* أيلك خان : أيلك لقب خاص بآل افراسياب ، حكام الإمارات التركية الشرقية في بلاد ما وراء النهر ، والمعني هنا شمس الدولة أبو نصر أحمد بن علي ، تولى الحكم في بلاد ما وراء النهر من سنة 383هـ / 993م ، وعلى يديه انقرضت الدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر سنة 389هـ / 998م ، وبقي حاكماً حتى توفى سنة 403هـ / 1013م . ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 197 ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص 192 ؛ فامبري : تاريخ بخارى ص 72 .
* الفرسخ : وحدة قياس مسافة ، ويساوي خمس يوم ، وهو ما يعادل حوالي ستة كيلو متر . ابن منظور : لسان العرب ، ج 11 ، ص 280 ، (مادة رحل) .
(2) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 79 ، 84 ؛ العمري : مصدر سابق ، ص 192 ؛ المقريزي : السلوك ، ج 1 ق 1 ، ص 31 .
(3) ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 812 - 813 .
(4) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 456 - 457 ، 482 .

(5) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 150 ، 291 .
(6) ابن خلدون : مصدر سابق ، م 4، ق 4 ، ج 8 ، ص 1021.

2 - التركمان .

جنس بشري آسيوي عاش منذ عهود طويلة حياة بدائية في آسيا الوسطى ، أو فيما يعرف وراء بحر قزوين . ويتميز التركمان عن غيرهم من الجند المرتزقة بالجرأة في القتال ، والاعتزاز بالنفس ، والكبرياء ، والاستقلال في الفكر ، وهم جند مأجـورون , يحاربـون مع من يدفع لهم الأجور . وهم كالبدو الرحل يميلون إلى النهب والسلب , ويصعب السيطرة عليهم لطبيعتهم الفوضوية ، لهذا اضطر السلطان محمود لمحاربتهم في جبل بلخان كوة (1) .

أما استعانة سلاطين غزنة بالتركمان ، فيعود لأسباب عدة منها ، اشتهارهم بالقوة والبسالة خاصة في أمور الحراسة ، وكـونهم قبائل تركية الأصل تتجمع حول رئيسها ، وتنفذ كل ما يمليه الرئيس عليهم ، لهذا أدخلهم سلاطين غزنة فـي مـؤسستهم العسكرية ، واستمرت الفرقة التركمانية ترافق الجيش ، وتحارب بإخلاص , بكل قوتها أثناء غزواته لبلاد الهند وعراق العجم (2) .

وفي سنة 397هـ / 1006م استنصر أيلك خان حاكم بلاد ما وراء النهر، بقريبه قدرخان* وذكر له ما لحق به من هـزائم علـى يـد السلطـان محمـود سنة 396هـ /1005م في خراسان ، قال ابن الأثير (3) : " واستعان به واستنصره ، واستنفر الترك من أقاصي بلادها ، وسار نحو خراسان " لقتال يمين الدولة والسيطرة على خراسان . وفي اليوم الثاني من المعركة ، تمكن جيش السلطان ومعه عناصر تركمانية من إلحاق هزيمة ساحقة بالقوات المتحالفة ضده .

وأثناء مجريات العمليات العسكرية في بلاد الهند سنة 399هـ / 1008م ، قام التركمان بدور بطولي في ميدان المعركة إلى جانب عناصر القطاعات الأخرى (4) .

وبرز دور العناصر التركمانية بشجاعة مميزة , أثناء حملة السلطان محمود على قلعـة معبـد سومنـات سنة 416هـ / 1025م (5) . كما صـد رمـاة الجيش الغزنـوي ذات

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 34 ، 68 ، 146 ؛ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج 3 ، ص 858 ؛ الشرمان أحمد سليم شحاده : الجيش السلجوقي ، رسالة ماجستير , جامعة اليرموك , الأردن , 2002م , ص 27 - 28 .
(2) ابن الأثير : الكامل ، ج 7، ص 229 .
* قدرخان : يوسف بن بغراخان هارون بن سليمان ، ملك الختن ، ويقال لهم الختل ، تولى الحكم مكان والده بعد أن توفى سنة 404هـ / 1013م ، توفى سنة 423هـ / 1031م . وشهدت العلاقات الغزنوية الختلية في عهده تحسن كبيراً ، بسبب المصاهرة ، وتوثيق العهود والعقود والمواثيق . وكان قد زوج ابنته شاه خاتون لمسعود بن محمود بن سبكتكين ، ثم تركها فتزوجت ألب أرسلان محمد بن ميكائيل السلجوقي . كذلك تزوج مودود بن مسعود إبنة بغراتكين بن قدرخان . العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 83 ؛ البيهقي : مصدر سابق ، ص 211 ، 214 ، 237 310 ، 450 ، 451 ، 571 - 572 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 231 ، 266 ، 297 ، ج 8 ، ص 3 العمري : مسالك الأبصار ، ص 213 ، 224 .
(3) مصدر سابق ، ج 7 ، ص 231 .
(4) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 78 ؛ خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 378 .

(5) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 428 .

الأصول التركمانية بالسهام قوات الجات* الهاربة من معركة نهر وادي السند السفلي سنة 418هـ / 1027م (1) .

وإبان ولاية السلطان مسعود الأول على مدينة الري أستخدم التركمان بقيادة مقدمهم يغمر ، ورافقوه إلى خراسان ، وعندما توفى والده يمين الدولة وآل الحكم لابنه مسعود ، وقرر الأخير التوجه لغزنة , للجلوس على عرشها سنة 422هـ / 1031م وطلب الغز منه إبقائهم في جبل بلخان ، فسمح لهم بشرط أن يبقوا مطيعين لأوامره وأوامر ولاته ، وأن يحافظوا على أمن البلاد مع عدم الاعتداء على الرعية (2) .

ولما قرر السلطان مسعود الأول إيفاد جيش مكون من أربعة آلاف فارس وثلاثة آلاف راجل سنة 422هـ/ 1030م , أضاف إليهم كافة تركمان نيسابور من قبائل القزل والبوقة والكوكتاش ، بقيادة أمرائهم يغمر وبوقا وكوكتاش وقزل ، وكانوا هؤلاء التركمان قد انضموا للغزنويين مستأمنين ، ووضعهم مسعود تحت قيادة الحاجب خمارتاش* .

ورغم أن التركمان قدموا بعض الخدمات للدولة الغزنوية , إلا أنهم انقلبوا إلى سيرتهم الأولى التي تعودوا عليها , برفضهم الأوامر , ولم يفوا بتعهداتهم ، فعاثوا في الأرض فسادا ، مستغليين غياب السلطان مسعود الأول عن خراسان (3) .

واشتد نفور التركمان عندما سمعوا بوصول ابن يغمر التركماني* من بلخان كوة* على رأس جيش ليأخذ بثأر أبيه الذي قتله تاش فراش في أول سنة 424هـ/ 1032م ، أثناء العمليات العسكرية الغزنوية في سواحل بحر قزوين ، مما جعل السلطان مسعود يلقي القبض على تركمان هراة ، والبالغ عددهم ثلاثة آلاف رجل .

---

* الجات : من القبائل التي أطلق عليها لقب الزط ، وهي قبائل متوحشة أصلهم من الكوكرية ، تركت كوطنها الأصلي ، بسبب سؤ معاملة البراهمة لهم ، وعاشت في أدغال الهند والسند ، فاحترفت قطع الأخشاب ، ولم يكن يسمح لهم إلا بالعمل في المهن الحقيرة . امتازوا بالشجاعة . وكان البراهمة يعتبرونهم من المنبوذين ، ويحرمون عليهم امتطاء الدواب ، ولبس الملابس الغالية . استفاد منهم المسلمون لمعرفتهم بمسالك السند وأحوال أهلها .غزاهم السلطان محمود بن سبكتكين في شهر محرم سنة 418هـ / آذار 1027م ، ودخل معهم في معركة عرفت باسم معركة السفن على مياه نهر السند السفلي . الكرديزي : زين الأخبار ، ج 1 ، ص 99 - 100 ؛ جمال الدين ، عبدالله محمد : التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان إلى اخر فترة الحكم العربي (15 - 416 هـ / 636 - 1025م) دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، ص 37 ؛ شلبي ، احمد جاب الله : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية القاهرة ، 1983م ، ج 8 ، ص 265 .

(1) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 428 - 429 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 12 ، ص 22 .

(2) الكرديزي : مصدر سابق ، ص 100 ؛ الغامدي : الفتوحات الإسلامية ، ص 265 .

* خمارتاش : تركماني الأصل ، توصل لمرتبة الحجابة ، عيَّنه السلطان مسعود الأول قائد للتركمان من اتباع يغمر وبوقة وكوكتاش وقزل وتركمان نيسابور سنة 422هـ / 1030م . قاد فرسان التركمان في معركة الجيش الغزنوي ضد كوهرآكين شهره نوش في نواحي قزوين سنة 424هـ / 1032م . البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 68 ، 292 ، 383 .

(3) نيشابورى : سلجوقنامه ، ص 16 .
* ابن يغمر التركماني : لم تذكر المصادر إسمه ، تولى مكان والده ، كأحد مقدمي تركمان بلخان كوه ، بعد أن قتل تاش فراش والده . البيهقي : مصدر سابق ، ص 395 ، 421 ، 432 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 807 .
* بلخان كوة : سلسلة جبال بين أيران وتركستان ، تقع إلى الشمال الشرقي من خراسان ، وإلى الشرق من قزوين في جمهورية تركمانستان حالياً . الحموي : معجم البلدان ، ج 1 ، ص 479.

ومعهم نساؤهم وأطفالهم وأمتعتهم . مما دفع ببني جلدتهم من تركمان الري , وبلخان كوة وغيرها إلى الثورة انتصارا لإخوانهم ، وتزامن ذلك مع تكامل وصول السلاجقة لبلاد ما وراء النهر وخراسان ، فوجد التركمان هذه القوة الناشئة خير معين لهم فعاهدوهم , ودخلوا معهم في كافة مؤسسات الدولة السلجوقية المدينة منها والعسكرية ليصبحوا في مصير واحد ، خاصة وأنهم من ذوي القربى وتجمعهم رابطة الدم .
لهذه الأسباب قلص السلطان مسعود الأول منذ سنة 424هـ/1032م عدد التركمان من مؤسسته العسكرية خاصة بعد أن قبض التركمان على تاش فراش وقتلوه ، كما ضاعت نواحي الري والجبال بسبب خياناتهم ، وعدم جديتهم في العمل العسكري (1) .

ورغم ذلك كله استمر تواجد التركمان في بعض جيوش الأقاليم التابعة للدولة الغزنوية . ففي سنة 424هـ/1032م شارك التركمان بقيادة خمارتاش ومعه مجموعة من أمهر قادة التركمان بإنهاء تمرد كوهرآكين شهره نوش* .
ولما أعلن قائد جيوش الهند أحمد ينالتكين الانفصال ببلاد الهند ، عيَّن السلطان مسعود سنة 425هـ/1033م تِلِك بن جَحْام* لمنصب قيادة جيوش الهند ، وجهز له جيشا توجه به لإنهاء حركة ابن ينالتكين ، فدارت بينهما معركة أسفرت عن مقتل أحمد وأسر ابنه ، بعدها انضمت عناصر تركمانية لتِلِك وتعهدوا بالولاء والطاعة للنظام الغزنوي (2) .
وبالمقابل لم ينتهي حقد التركمان للغزنويين , وبقي محفوظ في نفوسهم , فلما انهارت الدولة الغزنوية في الهند ، أجهزت القبائل التركمانية على البقية الباقية من الغزنويين ، وانهوا وجودهم من الهند (3) .

3 ـ الأتراك الخلجية .

هم صنف من الأتراك , عاشوا منذ قديم الزمان في أرض كابل التي بين الهند ونواحي سجستان في ظهر الغور، وسموا بذلك نسبة إلى خلج موضع إقامتهم .

---

(1) نظام الملك : سياست نامه ، ص 143 ؛ حسين : نظام الحكم في العصر السلجوقي ، ص 221 ؛
Buyuk lugat : Ansiklopedisi , stanbule , meydan yayinevi , vol . 11 , p . 146 .
* كوهرآكين شهره نوش : سيطر على أملاك والده في نواحي قزوين ، وأعلن الانفصال عن نظام غزنة سنة 424هـ / 1038م ، فدخل الغزنويون مجبرين معه حرب في نفس السنة ، وانتصروا عليه . البيهقي : تاريخ البيهقي ص 383 .
* تِلِك (تيلاك ، بيلاق) بن جحام الهندي : هندي الأصل من كشمير ابن حلاق ، حسن اللقاء ، جميل الطلعة فصيح اللسان ، حسن الخط في الكتابة الهندية والفارسية . أمضى أغلب حياته في بلده كشمير , وعرف عنه قليلا من المكر والخداع والسحر ، عمل عند قاضي شيراز أبو الحسن فعلت منزلته ، حتى عيِّن مترجم للهنود في ديوان رسائل غزنة . وعمل مترجم في مكتب الوزير أحمد حسن الميمندي ، وقدم خدمات جليلة للسلطان محمود

بن سبكتكين ، ثم لابنه مسعود من بعده . البيهقي : مصدر سابق ، ص 431 ؛ الحسني : نزهة الخواطر ، ج 1 ص 66 .
(2) الهمذاني : جامع التواريخ ، مج 2 ، ص 359 ؛ الندوي : الهند في العهد الإسلامي ، ص 162 .
(3) الحسني : نزهة الخواطر ، ج 1 ، 66 ؛ إسماعيل ، محمود : الإقطاع في العالم الإسلامي من منتصف القرن الخامس إلي أوائل القرن العاشر الهجري ، حوليات كلية الآداب ، جامعة بغداد 1410 - 1411 هـ / 1989 - 1990م ، ص 39 ؛
. Lane poole : Medieval India under Mohammedan rule , p . 46

بدأت العناصر الخلجية بالانضمام للجيش الغزنوي ، منذ أن بدأ ألبتكين بالسيطرة على المناطق المجاورة لغزنة سنة 350هـ / 961م ، ومن ضمنها مناطق القبائل الخلجية. وكان قد قام بالزحف لمد نفوذه على هذه المناطق ، فسيطر على المناطق الرعوية للقبائل الخلجية والتي تمتد من غزنة حتى قرب نهر جيحون (1) .

وفي عهد الأمير سبكتكين ظهرت العناصر الخلجية في مؤسسة الجيش ، فقد تمت تعبئة الجيش في معسكرات هراة سنة 385هـ / 995م حشد فيه سبكتكين رجالاً من كافة الأجناس منهم الهنود والخلج ، لمحاربة أبو علي سيمجور* .

كما انضمت عناصر خلجية بأعداد كبيرة لجيش السلطان محمود بعد عودته من غزو كواكير* سنة 396هـ/1005م , بناءً على تداعيات الموقف العسكري في خراسان , حيث هاجم أيلك خان حاكم بلاد ما وراء النهر بلخ ، مستغل فرصة غياب السلطان ببلاد الهند ، وقد تمكنت الفرقة الخلجية من إخراج جيش الخان , ودحره باتجاه ترمذ (2) .

وكان الخلج من بين العناصر التي جمعها السلطان محمود بن سبكتكين سنة 397هـ / 1006م ، لمواجهة التحالف العسكري الذي شكله أيلك خان وقدرخان بن بغراخان على أثر الهزيمة التي مني بها أيلك خان أمام جيش السلطان سنة 396هـ / 1005م في خراسان (3) .

وشاركت عناصر خلجية إلى جانب عناصر الجيش الأخرى في حملة السلطان محمود على مدينة يهند وقلعتي بهيم نغر الواقعة في بلاد الهند سنة 399هـ / 1008م ، وبرز دورهم أكثر أثناء عملية مطاردة قام بها الجيش الغزنوي لفلول القوات الهندية المنهزمة ، بعدما تحقق النصر للغزنويين (4) .

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 78 ؛ توتل ، فردينان : المنجد في الأدب والعلوم ، بيروت ، 1956م ، ص 179 ؛
Lane Poole , Stanley : The Muhammadan Dynasties , Paris , 1925 , p . 286 .
* أبو علي سيمجور : ابن أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور ، أخر حكام الدولة السيمجورية في مرو استوزره الأمير نوح بن منصور بن نوح سنة 373هـ / 983م ، قاد جيش الساماني في إقليم خراسان . حاربه الأمير سبكتكين وابنه محمود مرات عدة ، وبقي كذلك حتى قبض عليه سبكتكين سنة 385هـ / 995م , وبقي في سجنه حتى مات سنة 387هـ / 997م . الروذراوري ، أبي شجاع محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله الملقب بظهير الدين (ت 488هـ / 1095م) : ذيل تجارب الأمم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1424هـ / 2003م ، ص 21 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 107 ، 116 ، 118 ، 164 ، 169 ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص 187 .
* كواكير : مدينة كبيرة في بلاد الهند ، لها قلعة حصينة ، فتحها السلطان محمود بن سبكتكين سنة 396هـ / 1005م ، وأحرق أصنامها البالغة ستمائة صنم . البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 161 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ق 4 ، ج 8 ، 785 .

(2) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 78 ،84 ، 86 .
(3) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 231 .
(4) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 150 ، 341 ؛ خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 378 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 46 - 47 .

4 ـ الأفغان .

هم قوم يسكنون جبال يسودها المحل , قريبة من باميان , تميزوا بالسرعة والخفة ، والأفعال الخارقة ، والطعن بالحراب ، والمبارزة في الميدان . وصفهم المورخ العتبي بقوله : " ورماهم بالصيلم من رجالة الديلم ، وبالشياطين من الأفغانية المطاعين ، رجالا كالآجال ـ جمع أجل وهو غاية الوقت في الموت ـ مطوّحة ، أو الليوث أخرجها الجوع وأعياها إلى أشبالها الرجوع ، ينفذون في الأسداد نفوذ المثاقب قي العيدان ، أو المبارم في الحيطان ، ويفرعون البواذخ (يصعدون الشوامخ) من الجبال كالوعول "* ، وقيل عنهم بأنهم من الشعوب المقاتلة التي تشبه الأتراك بفروسيتها (1) .

لذلك أدخل الغزنوي إلى مؤسستهم العسكرية ، عناصر أفغانية مشهود لهم بالحروب بعد أن تحرك ألبتكين باتجاه عشائرهم ، وهـزم أفغـان جبـال ممر خيبر اتجه بعدها إلى وادي بيشاور وضمها لنفوذه . وجاء ذلك بعد اجتياحه لأراضي مملكة كابل ، واحتلاله للأجزاء الموالية لأراضي إمارته مما يلي غزنة . حيث كانت قد تبنت عناصرها التركية عقيدة الهنود البوذية ، وانضوت تحت حضارة الهند والسند منذ قرون مضت . وزاد انضام العناصر الأفغانية بالدخول للجيش الغزنوي منذ أن تمكن الأمير سبكتكين من الانتصار على جيبال ملك الهند سنة 386هـ / 996م (2) .

كما أدخل السلطان محمود إلي مؤسسة الجيش عناصر أفغانية خلال تجنيده عناصر من مختلف الأجناس . وشارك الأفغان في العديد من المعارك التي خاضها الجيش الغزنوي في مختلف الأقاليم ، وقاموا بدور فاعل وبطولي أثناء غزوة السلطان محمود بن سبكتكين السادسة لبلاد الهند التي جرت في شتاء سنة 399هـ / 1008م وبعد أن تحقق النصر للجيش ، قام الأفغان بعملية مطاردة لفلول القوات الهندية المتحالفة مع آنندبال* لمدة يومين بليليهما (3) .

ودخلت جيوش أيلك خان وقريبه قدرخان بن بغراخان نهر جيحون سنة 402هـ/1011م ، بهدف السيطرة على خراسان وإخراج الغزنويين منها ، واتخذ أيلك من بلخ مقرا لقيادته ، ومعسكر تنطلق منه جيوشه لتنفيذ عمليات عسكرية ضد مواقع الجيوش الغزنوية . مما أثار حفيظة السلطان يمين الدولة محمود ، فتمكن بمهارة عناصر قطاعات الجيش ومنها الأفغانية من تحقيق انتصار على الخانيين بعد معركة دامت يومين (4) .

كما برعت العناصر الأفغانية بالفنون القتالية المميزة فـي غزوة السلطان محمود

---

* الوعول : مفردها وعل ، وهو تيس الجبل . العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 150 .
(1) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 78 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 259 ؛ سعيد : " أفغانستان " ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج 2 ، ص 361 .
(2) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 87 ، 301 ؛ سعيد : " أفغانستان " , ج 2 ص 359 - 368 .
* آنندبال: بن راجا حيبال خامس ملوك مملكة شمال الهند والسند البراهميون الهندوشاهيون ، انتصر عليه السلطان محمود بن سبكتكين في مواقع عدة ، وأخيرا طارده سنة 396هـ / 1006م حتى مدينة سودرا . العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 78 ؛ ناظم : زمن السلطان ، ص 89 .
(3) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 78 ؛ خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 378 .
(4) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 84 .

التي استهدفت ناردين* سنة 404هـ / 1013م (1) .

5 - القرغيز .

جنس تركي ظهر في الجيش الغزنوي منذ وصول ألبتكين إلى غزنة ، وكانوا ضمن مقاتلين عدة انهالت عليه ليسترزقوا لقمة العيش لهم ، ولمن يعولون بواسطة سيوفهم (2) .

6 - الغزنويون .

من الطبيعي أن يعتمد سلاطين غزنة على سكان عاصمة بلادهم في مختلف الأعمال العسكرية والمدنية . ففي عصر السلطان محمود دخل المقاتلون من سكان مدينة غزنة في مؤسسة الجيش ، وميزهم عن غيرهم ، بأن منحهم الكثير من العطايا والهبات ، وزودهم بمختلف أنواع الأسلحة ووسائط النقل ، وشاركوا في الحملات العسكرية في بلاد الهند وخراسان (3) .

وتشير المصادر إلى ظهور الغزنويين سنة 397هـ/1006م , مقاتلين في إحدى المعارك التي خاضها الجيش الغزنوي قرب بلخ ضد أيلك خان وقدر خان ، نتج عنها هزيمة الخانيين وأتباعهم (4) .

وشارك الغزنويون في أغلب المعارك التي خاضها الجيش في عهد السلطان مسعود الأول ، وذكر البيهقي (5) وهو شاهد عيان على مجريات الأحداث في عهد السلطان مسعود الأول , أنه يوجد ألفين مقاتل من الرجالة الغزنويين ، وأشاد بدورهم الفاعل في معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م ، واستبسالهم بالقتال بغية تحقيق النصر لصالح جيش نظام غزنة .

وخلال استعراض السلطان مسعود لقطاعات الجيش في ميدان مرج شابهار قرب غزنة سنة 432هـ/1040م ، ظهر العنصر الغزنوي ضمن وحدة الرجالة المشكلة من ثلاثة آلاف مقاتل (6) .

---

* ناردين : هي ناريان بور ، تسمى ناندان أو نيندون ، تقع على حافتي ملتقى سلسلة الجبال الملحية بين نقطتي الطول 43 و 32 درجة شمالاً ، والعرض 17 و 73 شرقاً ، وقد ناقش ايلليوت ودوسون تحديد موقعها ، ولم يتوصل إلى نتيجة نهائية ، وذكر احتمال وقوعها بين إندربال وكوندوز على نفس خطوط كابل . فتحها السلطان محمود بن سبكتكين سنة 400هـ / 1009م .
Habib Mohammed : Sultan Mahmud of Ghaznin , New Delhi , 1967 , p . 30 - 31 .
(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 231 - 232 ؛ سعيد : " أفغانستان " ، ج 2 ، ص 361 .

(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 78 ؛ خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 378 ؛ ناظم : زمن السلطان
ص 89 - 90 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 456 ؛ درويش : السلطان محمود ، ص 95 ؛ سعيد : " أفغانستان " , ج 2 ، ص 361 .
(4) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 84 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 231 .
(5) مصدر سابق ، ص 306 ، 630 - 631 .
(6) المصدر نفسه ، ص 308 .

7 - الغوريون .

أقوام أفغانية تمتاز بالقسوة والبطولة ، ينسبوا إلى الضحاك الذي حارب أفريدون فلما هزم لجأ أولاده إلى جبال الغور الوعرة بين هراة وغزنة ، وهناك أنشأوا قلاعا تحميهم من أفريدون ، وتداول الغوريون الحكم بينهم حتى وصل محمد بن سورى الذي منع الخراج عن الغزنويين ، فجرد السلطان محمود حملة عسكرية إلي بلاد الغور سنة 421هـ / 1030م ، نتج عنها هزيمة الغوريين وقتل محمد بن سورى ، بعدها عمل محمود على نشر الإسلام بين سكان الغور ، ووضع مجموعة من العلماء لتعليم هؤلاء علوم الدين الإسلامي (1) .

واستعان محمود ببعض شجعان الغور أثناء حربه في حصن تور ببلاد الغور سنة 421هـ / 1030م ، وظهر إخلاصهم أكثر في عهد ابنه مسعود ، وانصفهم حقهم وشملهم بعنايته ، شأنهم في ذلك شأن العناصر الأخرى ، وبالرغم من إغفال المصادر لذكرهم في الجيش الغزنوي إلا أنهم ظهروا جنود رجالة (مشاة) في معركة بيدا سرخس سنة 430هـ / 1038م ، مشاركين بالقتال ضد السلاجقة ، وبلغ عددهم ألفان من الرجالة ما بين غوري وغزنوي وسجستاني (2) .

8 - الخوارزميون .

صنف بشري من الجنس التركي ، وهم سكان إقليم خوارزم ، يحده من الغرب بلاد الترك الغربية ، ومن الجنوب خراسان ، ومن الشرق بلاد ما وراء النهر ، ومن الشمال بلاد الترك (3) .

بدأ دخول الخوارزميون في الجيش الغزنوي منذ سنة 407هـ / 1016م ، حينما استولى يمين الدولة محمود على إقليمهم خوارزم ، وأخذ منهم الكثير من الأسرى ، قال ابن الأثير : (4) : " فسيرهم إلى غزنة فوجاً بعد فوج ، فلما اجتمعوا بها أفرج عنهم وأجرى لهم الأرزاق ، وسيرهم على أطراف بلاده من أرض الهند ، يحمونها من الأعداء ، ويحفظونها من أهل الفساد " .

ومن العناصر التركية التي شاركت في الحملات العسكرية الغزنوية ، الكرجيون والشبنكاريون ، والطخارستانيون ، والختلانيون (5) .

---

(1) عروضي السمرقندي : جهار مقالة ، ص 36 ؛ الحموي : معجم البلدان ، ج 4 ، ص 218 ؛ خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 601 - 602 ؛ سعيد : " أفغانستان " ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج 2 ، ص 362 ؛ صفا : تاريخ أدبيات ايران ، ج 2 ، ص 50 ؛

Jusjani : Tabakat Nasiri , vol . 1 , p . 320 - 321 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 17 .
(3) الاصطخري : مسالك الممالك ، ص 299 ؛ الحموي : معجم البلدان ، ج 2 ، ص 396 .
(4) الكامل ، ج 7 ، ص 282 .
(5) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 165 ؛ نظام الملك : سياست نامه ، ص 151 .

المبحث الثاني
عناصر ذات أصول متباينة

أولاً - العناصر الفارسية .

لم تشر المصادر إلى وجود عناصر فارسية بهذا الاسم في مؤسسة الجيش الغزنوي ، باستثناء إشارة للبيهقي (1) بأن أبو الفرج الفارسي , تولي كتخدا لأحد الجيوش الغزنوية الذي تم تجهيزه ، وإرساله لولاية كرمان سنة 422هـ/1030م .

ولأسباب كثيرة جعلت الغزنويين لا يميلون للإكثار من العناصر الفارسية في الجيش ، من أهمها سببين , الأول : مناهضة الغزنويين للمذهب الشيعي الذي يتمذهب به أهل بلاد فارس ، فالغزنويون لا يطمئنون لإدخال مثل هذه العناصر لأهم مؤسسة حيوية يقوم على عاتقها حماية دولة مترامية الأطراف ، أما السبب الثاني : فهو ميل الفرس للعلوم والآداب أكثر من الجانب العسكري ، لهذا ازدهرت الحالة الثقافية والاقتصادية زمن الغزنويين بفضل جهود الفرس ، ولكن المصادر ذكرت عناصر ذات أصول فارسية ، دخلت للجيش الغزنوي ، وبأسماء مختلفة منها :

1 - الديلم .

قيل : في أصلهم ، إن باسل بن ضبة أد بن طانجة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان خرج إلى بلاد الديلم ، فتزوج امرأة من العجم فولدت له ديلم بن باسل ، فهو أبو الديلم كلهم ، وهم أفخاذ وعشائر ، ومنهم ولدت بني بوية (2) .

وهم عناصر بشرية فارسية لهم خصائصهم العرقية الخاصة بهم ، دانوا بالوثنية حتى جاء الفتح الإسلامي ، والديلم اسم يطلق على الأقاليم التي كانت تسكنها هذه الأقوام وتقع بلادهم في الجنوب الغربي من بحر قزوين ، لأنها أكبر البلاد الواقعة عليه ويجاورها أذربيجان* من الغرب ، وطبرستان وجيلان* من الجنوب . فتحت في خلافة عمر بن الخطاب ، وخضع أهلها للحكم الإسلامي مع بقائهم على وثنيتهم إلى أن دخل بلادهم الحسن بن علي الزيدي الملقب بالأطرش* سنة 297هـ / 1006م ، فأقام بينهم

---

(1) تاريخ البيهقي ، ص 63 ، 456 .
(2) المقريزي : السلوك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 23 .

* أذربيجان : سميت باذرباذ بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام ، وقيل : غير ذلك ، وأذر تعني اسم النار باللغة الفهلوية ، وبايكان معناه الحافظ والخازن ، فكان معناه بيت النار ، أو خازن النار . حدها من برذعة شرقاً ، إلى أرزنجان غرباً ، ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجبل والطرم ، وهو إقليم وأسع , من أهم مدنه ، تبريز وهي قصبتها ، وأكبر مدنها ، وسلماس وأرمية وأردبيل ، ومرند وغيرها . الحموي : معجم البلـدان
ج 1 ، ص 128 .
* جيلان : إسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان ، وليس في جيلان مدن كبيرة ، إنما هي قرى في مروج بين جبال . الحموي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 201 ؛ القزويني : آثار البلاد ، ص 353 - 354 .
* الحسن بن علي بن الحسين بن زيد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : أقام حوالي أربع سنوات يدعو الديلم إلى الإسلام ، فاسلم منهم خلق كثير ، وتلقب بالناصر للحق ، فاجتمعوا عليه , وبنى في بلادهم مساجد ، وقاتل بهم أبو العباس محمد بن إبراهيم حاكم طبرستان ، واستولى عليها في جمادي الآخرة سنة 301هـ / 913م ثم عاد إلى بغداد . مات في شعبان سنة 304هـ / 916م عن عمر يناهز تسع وسبعون سنة ، وبقيت طبرستان في أيدي العلوية اثنتي عشر سنة ، ثم انتقلت إلى أمراء الديلم . المقريزي : مصدر سابق ، ج 1 ، ق 1 ، ص 24 .

ثلاث عشرة سنة يدعوهم للإسلام ، فأسلم على يديه كثير من الأهالي (1) . وكانوا يستخدمون جنودا مرتزقة في الحروب .

وقد أشاد بعض المؤرخين بشجاعتهم وبسالتهم في الحروب ، وأثبتوا جدارتهم كجنود مشاة ، وأحسنوا استخدام سلاحهم المميز الرماح ذات الرأسين ، ومن صفاتهم الاشتراك بالقتال كمشاة وخيالة (2) .

أحسن الديلم حروب المضايق ، وغناء الكُمْأة* البطارق* ويرى بعض المؤرخين أن فقر بلادهم ، أجبرهم على البحث عن عمل ، فوجدوا ضالتهم في المؤسسات العسكرية ، فتحملوا المصاعب رغم تحرك القطاعات العسكرية في مناطق بعيدة عن ديارهم ، واعتمد الغزنويون على الديلم لمكانتهم المميزة في أمور الحراسة كحماية القصور ، وكبار أمراء الدولة (3) .

وتشير المصادر إلى بروز العناصر الديلمية في صفوف قطاعات الجيش الغزنوي في حملة السلطان يمين الدولة محمود على ويهند وبهيم نغر من بلاد الهند سنة 399هـ / 1008م (4) .

شارك الديلم جيش السلطان محمود في غزوته لناردين سنة 404هـ/ 1013م وأطْلَقَ عليهم أصحاب ضرب السيوف , كما أعتمد الغزنويون عليهم في حماية كبار الأعيان والأمراء وأركانية الجيش (5) .

وكانت الفرقة الديلمية ثاني أكبر فرقة عسكرية بعد الخراسانيين في حملة الجيش الغزنوي على كرمان سنة 422هـ/1032م ، لكن الجيش الغزنوي لم يحقق أهدافه في كرمان لوصول تعزيزات عسكرية كثيفة من أبي كاليجار* ، مما اجبر الخراسانيين على الانسحاب وتبعهم الديلم (6) .

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 78 ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج 3، ق 2 ، ص 863 ؛ المقريزي : السلوك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 23 - 24 .
(2) نظام الملك : سياست نامه ، ص 131 ؛

Bosworth . C . E : The ghaznavids , Thaznavids Their empire in Afghanistan and eastern Iran 994 – 1194 , p . 111 .
Lambton : The interal structure , p . 228 .

* الكُمْأةٌ : مفردها كَمْءٌ ، وهي الجموع من الرجال الشجعان . العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 66 ، 188 ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج 12 ، ص 152 (مادة كمأ) .
* البطارق : جمع بطريق , وهو لقب لكل قائد من قواد الروم تحت إمرته عشرة آلاف مقاتل من الجند . العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 180 .
(3) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 180 ؛ نظام الملك : مصدر سابق ، ص 140 ؛
. Bosworth : The Chaznavids , p . 111
(4) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 78 ؛ خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 378 .
(5) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 150 ،180؛ درويش : السلطان محمود ، ص 95 .
* أبو كاليجار : أنو شروان بن منوجهر بن قابوس بن وشكمير الزياري الديلمي , يعرف بأبو كاليجار ، تولى حكم الدولة الزيارية في جرجان وطبرستان بعد وفاة والده سنة 420هـ / 1030م ، وكان تابعاً للدولة الغزنوية ، وبقي فيها إلى أن سيطر عليها طغرل بك السلجوقي سنة 433هـ / 1041م ، وتعهد أنو شروان بالخضوع لطغرل بك ، وأداء جزية سنوية له ، وبعد مضي سنة عاد طغرل بك وضم المنطقة إلى حوزته ، وعيَّن عليها والياً من قبله أخاه دارا بن قابوس . ابن الجوزي : المنتظم ، ج 15 ، ص 286 ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص 222 ؛ زامباور: معجم الأنساب ، ج 2 ، ص 320 .
(6) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 465 - 467 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 813 .

وكلف تاش فراش سنة 423هـ / 1031م القائد علي بن عمران الديلمي ، قيادة إحدى الجيوش , وطرد علاء الدولة أبو جعفر بن كاكوية من الري . فتمكن ابن عمران من تحقيق أهدافه ، وانتصر على علاء الدولة بعد أن أسر وقتل الكثير من جنده واستولى على غنائم كبيرة (1) .

ورغم ما قدم الديلم من خدمات للغزنويين ، بقي عنصر غير مرغوب فيه واعتبروه عنصر دخيل عليهم ، لهذا أمر السلطان مسعود الأول ، قائد الجيوش الغزنوية في الهند أحمد ينالتكين سنة 423هـ/1031م ، بإبعاد العناصر الديلمية من غزنة مع أعيانهم , أمثال أبي نصر طيفور وغيره للهند ، ليظلوا بعيدين عن العاصمة وشمل الأمر السلطاني أيضاً ، جميع الأشخاص المتعصبين للديلم من الأتراك وغيرهم كأبو نصر البامياني ، كما تم إبعاد متمردي غلمان السراي ممن ظهرت خيانتهم للنظام الغزنوي ، فشكل أحمد ينالتكين فوجاً من هؤلاء المبعدين واخذهم معه للهند (2) .

ورغم كل الإجراءات التي اتبعها الغزنويون للحد من وجود الديلم في قطاعات الجيش ، إلا أن عناصر منهم بقيت تظهر في المؤسسة العسكرية الغزنوية (3) .

وبعد انتهاء السيطرة الغزنوية على خراسان ، فقدت العناصر الديلمية أملها بعودة الدولة الغزنوية لسابق عهدها من القوة ، فوجد الديلم من مصلحتهم الخضوع للنظام السياسي الجديد ، وبدأوا بالانضمام للجيش السلجوقي كغيرهم من العناصر الفارسية الأخرى . وتشير المصادر إلى ظهور العناصر الديلمية بالجيش السلجوقي بعد دخول طغرل بك بغداد سنة 447هـ/1055م ، ثم ظهروا فيما بعد بجيش الخلافة العباسية (4) .

2 - الخرسانيون .

سموا بهذا الاسم نسبة ألي جدهم الأول خراسان بن عالم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان قد سكن بلاد واسعة سميت باسمه خراسان , وتشمل نيسابور وهراة ومرو وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس ، وما يتبعها من المناطق الواقعة شرق نهر جيحون (5) .

يفتخر الخرسانيون بكبر أجسامهم , وطول سواعدهم ، وكثرة نسلهم وعددهم ويعتزون بشجاعتهم وبلائهم في الحروب ، وانتصارهم وقدرتهم على إنهاء الدول ويعتبر الخرسانيون أنفسهم من الفرس ، وقد درج السلطان محمود الغزنوي أن يـؤسس

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 2 .

(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 115 ؛ البيهقي : تاريخ البيهقي ص 296 - 298 ، 568 .

(3) المصدر نفسه ، ص 664 - 665 ، 684 - 687 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 8 ، ص 17 .

(4) مجهول : الدرر المكنون ، ص 140 ؛

Bosworth : The Ghaznavids , P . 111 .

Lambton : The interal structure , p . 228 .

(5) الجاحظ :رسائل الجاحظ ، ص 46 ؛ الحموي : معجم البلدان ، ج 2، ص 350 - 351 ؛ الشرمان : الجيش السلجوقي ، ص 36 .

جيشه من عدة أجناس كان الخرسانيون من بينهم (1) .

شكل النيسابوريون , وهم خرسانيون أغلبية احد الجيوش الغزنوية التي أرسلها السلطان مسعود الأول , بقيادة أحمد نوشتكين لمحاربة الطوسيين سنة 425هـ/ 1035م بسبب أعمال الإغارة التي ارتكبها أهل طوس ضد نيسابور (2) .

كما ظهرت عناصر خراسانية ضمن جيش غزنوي ، أرسله السلطان مسعود الأول سنة 426هـ/ 1034م ، لمحاربة باكاليجار وآلي جرجان لعدم دفع خراج ولايته عن سنتين سابقتين ، واجباره على الالتزام بدفع الخراج المستحق على بلاده لخزينة الدولة بصورة دائمة (3) .

وفي سنة 427 هـ / 1035م قتل عدد كبير من الخراسانيين الموجودين ضمن الجيش الغزنوي الذي قاده تاش فراش لقتال السلاجقة (4) .

ومنذ أن بدأت خريطة المشرق الإسلامي تتغير بسبب ظهور قوة السلاجقة في المشرق الإسلامي ، بدا الخراسانيون بالتوجه نحوهم ، خاصة بعد أن سيطر السلاجقة على إقليمهم خراسان , وأصبحوا يقاتلون إلى جانبهم في المعارك التي خاضها الجيش السلجوقي . وتشير المصادر إلى أن الخراسانيين انضموا للسلاجقة في معركة دندانقان سنة 431هـ/1039م (5) . ومنذ ذلك التاريخ لم تعد تزودنا المصادر بأية إشارات تثبت تواجد الخرسانيين في الجيش الغزنوي .

3 - البلخيون .

ينسبون إلى المدينة العظيمة بلخ التي تعتبر من أمهات مدن خراسان ، وبرز منهم انوشتكين البلخي الذي منحه السلطان مسعود الأول ثقته المطلقة , وقربه إليه وجعله من خيرة أمرائه ، وكان من ابرز الأمراء الذيـن رافقـوا السلطان إلى الهند سنة 432هـ/1040م ، للاستعانة بالهنود وتجنيد أكبر عدد منهم في جيشه ، لكن انوشتكين طمع في الطريق بخزائن السلطان التي اصطحبها معه , لأنفاقها في تشكيل

الجيش الجديد من الهنود ، فقام بجمع البلخيين والهنود من حوله ، وتعاونوا على عزل مسعود وأخذ الخزائن ، وتنصيب أخاه محمد مكانه (6) .

ثانياً ـ الهنود .

عرف الهنود بالشجاعة ، وسرعة الحركة في ميادين القتال ، ورغم تشابههم بالأتراك في عدم ارتباطهم بروابط الوطن ، وتأثرهم بالمسميات المحلية التي أثرت في

---

(1) نظام الملك : سياست نامه ، ص 140، درويش السلطان محمود ، ص 96 ؛ Bosworth : The Chaznavids , p . 114 .

(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 454 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 6 .

(3) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 112 .

(4) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 8 ـ 9 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 339 .

(5) الراوندي : راحة السرور ، ص 163 ؛ الشرمان : الجيش السلجوقي ، ص 37 .

(6) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 14 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 822 .

ولائهم وإخلاصهم (1) .

ادخل الغزنويين عناصر هندية لمؤسستهم العسكرية منذ أن غزا ألبتكين بلادهم سنة 351هـ / 962م (2) . ونهج الأمير سبكتكين منذ أن تولى زمام حكم غزنة ، سياسة سيده ألبتكين , فأدخل العناصر الهندية لمؤسسة الجيش ، ثم اتَّبع خلفائه من بعده هذه السياسة .

وازدادت أعداد الهنود عن سابق عهدها في الجيش الغزنوي ، بعد أن دخل السلطان محمود بن سبكتكين لبلاد الهند ، غازيا وفاتحا وناشراً للدين الإسلامي في ثمانية عشر غزوة (3) ، فتهيأت له فرصة الإطلاع على ثقافة الهند خاصة في مجال الاستراتيجية الحربية ، والتكتيك القتالي والفنون الحربي ، مما أضاف أساليب قتالية جديدة للتكتيكات العسكرية الحربية الغزنوية ، بالإضافة لإدخال نظم عسكرية جديدة لمؤسسة الجيش ممثلة باستحداث قطاع الفيالة , واستخدام الفيلة وتدريباتها .

لهذه الأسباب وغيرها , رأى الغزنويون ضرورة إدخال عناصر هندية جديدة لمؤسسة العسكرية ، رغم معرفتهم بأن الهنود أقل مهارة باستخدام الفنون القتالية عن الأتراك والأفغان ، لكن اتخاذ الغزنويون الفتوحات العسكرية نهجا ثابتا , وعملا مستمرا ، دفعهم لتجنيد العناصر المختلفة لإكثار عدد الجيش ، وعدم الإعتماد على جنس واحد .

ونظرا لإخلاصهم وولائهم , اعتمد عليهم سلاطين غزنة في حراسة القادة السياسيين الذين يتم إلقاء القبض عليهم ، وأبعدت العناصر التركية عن هذه المهمة لتخوف السلاطين من تعاطف الأتراك مع أمثال هؤلاء السياسيين ، بخاصة إذا كانوا من أبناء جنسهم . فلما أراد السلطان مسعود الأول إلقاء القبض على عمه الأمير يوسف سنة 422هـ / 1030م ، أوكل المهمة لثلاثة مقدمين هنود مع خمسمائة

فارس هندي بكامل سلاحهم ، ومعهم ثلاثة نقباء مع ثلاثمائة من الرجالة المختارين من العناصر الهندية (4) .

وفي حملة الجيش الغزنوي على كرمان سنة 422هـ / 1030م ، التي استهدفت القضاء على مجموعات من المفسدين والأوباش* شارك الهنود بألفين من الجند فأدوا واجبهم المسند إليهم ، وقاموا بدور فعال في المعارك الأولى خلال الحملة وفرضوا السيطرة على كرمان ، ألا أن تخاذلهم في المراحل الأخيرة ، وهروبهم الى

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 121 ؛
. Bosworth : The Chaznavids , p . 108 . 114

(2) خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 378 .

(3) نظام الملك : سياست نامه ، ص 140 - 141 ؛ سعيد : " أفغانستان " ، ج 2 ، ص 361 .

(4) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 275 .
. Bosworth : The Chaznavids , p . 110

* الأوباش : هم المفسدون في الأرض ، ولا يعرفون العدالة . البيهقي : مصدر سابق ، ص 263 ، 456 ، 457 .

سجستان ، أدى إلى انهيار الروح المعنوية لدى بقية قطاعات الجيش ، مما جعل أحمد يأمر جيشه بالانسحاب ، فضاعت كرمان من أيدي الغزنويين (1) .

وانضمت عناصر هندية أخرى للجيش الغزنوي أثناء تواجده في الهند . فمثلاً انضمت طائفة الجتان* لجيش تِلِك الهندي سنة 426هـ/1036م ، وعملوا على تنفيذ أوامر تِلِك ، بأن قاموا بعملية لسد المنافذ أمام أحمد ينالتكين كي لا يتمكن من الهروب واتخذوا الحيطة والحذر (2) .

ولما عاد تِلِك الهندي إلي بادغيس* سنة 426هـ/1036م ، ظافرا منتصرا منهيا تمرد أحمد ينالتكين ، لتقديم مراسم العرض العسكري لقطاعات جيش تِلِك المنصور وتقديم فروض الولاء والطاعة للسلطان مسعود , حسب ما كان متبع من رسوم عسكرية للجيوش المنتصرة ، وكان الجند بكامل لباسهم الحربي ، يقودهم كثير من المقدمين ، والجدير بالذكر أن عناصر هندية كثيرة ، كانت قد انضمت لجيش تِلِك إبان تواجده ببلاد الهند ، منهم تِمِك الهندي ، ورجل آخر يدعي تِلِك أيضا . وتقدم السلطان لاستعراض الجيش معجبا بتِلِك وجيشه ومقدميه . وفي معركة بيدا سرخس سنة 430هـ/1038م ، كانت أعداد كبيرة من الهنود ضمن التشكيلات العسكرية من قطاعي الرجالة والفيلة (3) .

كذلك شارك الهنود في معركة دندانقان سنة 430 هـ / 1038م بأعداد كثيرة رجالة وفرسان ركبوا خيول موسومة بوسم السلطان ، يقودهم قادة مشهورون , وكان السلطان مسعود وزعهم على قوات القلب والميمنة والميسرة والساقة , إلا أنهم لم يبذلوا جهدا كبيرا ، فأخذت عليهم مأخذ التخاذل والتقاعس عن القيام بواجبهم (4) .

لكن تخاذل الهنود في معركة دندانقان لم ينزع من نفوسهم طابع الإخلاص للسلطان ، يتضح ذلك من موقف عبد الله قراتكين بعد معركة دندانفان ، لما حاول

زرع الأمل في نفس السلطان مسعود بإمكانية هزيمة السلاجقة ، وإعادة ما فقده بالاعتماد

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 457 - 459 ؛ الندوي ، عبد الحي بن فخر الدين (ت 1341هـ / 1922م) : الهند في العهد الإسلامي ، تحقيق عبد العلي الحسيني ، وأبي الحسن الحسيني ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، ص 161 ؛ الفقي : تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا ، ص 103 .
* الجتان : يقال عنهم أحيانا جتان أو جطان ، وهم قبائل الزط والميد من الهنود . أغلبهم مسلمون . الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 100 ؛ البيهقي : مصدر سابق ، ص 461 .
(2) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 8 - 9 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ص 814 - 815 ؛ الندوي : مصدر سابق ، ص 162 .
* بادغيس : اسم ناحية تشمل عدة قرى من أعمال هراة ومرو الروذ ، قصبتها بون وبامئين . قيل : إنها كانت دار ملك الهياطلة . وقيل : أصلها بالفارسية باذخير ، ومعناه قيام الريح أو هبوب الريح ، لكثرة الرياح بها . ابن الفقية : البلدان ، ص 321 ؛ الحموي : معجم البلدان ، ج 1 ، ص 318 ؛ الحميري : الروض المعطار ، ص 74 .
(3) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 10 - 11 ؛ الندوي : مصدر سابق ، ص 162 .
(4) إبراهيم ، ظهير الدين أبو حامد محمد (ت 599هـ /1202م) : ذيل سلجوقنامة ، ص 16 ؛ الراوندي : راحة الصدور ، ص 162 - 163 ؛
Osborn , k . Hitti : Islam under the Khalifs of Baghdad , London , 1877 , p . 318 – 319 .

على العناصر الهندية ، عندما قال للسلطان مسعود الأول : " إذا أمر السلطان فإنه - أي عبد الله قراتكين - يذهب إلي الهند ويحضر عشرة آلاف من مغاوير الفرسان يستطيعون الاستيلاء على العالم ، ويأتي بفرسان أخرين مجهزين ثم يسير بهذا الجيش لقتال عدو - يقصد السلاجقة - عرفت حيله الحربية كي يعيد الأمر إلي نصابه " .

ورغم تخاذل وخيانة الهنود بقي السلطان مسعود الأول يعتمد عليهم في حله وترحاله . فقد وتأهب لقصد بلاد الهند سنة 432هـ /1040م ، لتجنيد أعداد كافية لتشكيل الجيش الجديد من الهنود ، لإعادة أمجاد دولته المنهارة لسابق عهدها من القوة والعظمة والهيبة ، ولم يعلم أنه قاصد حياة الآخرة - ولا يعلم الأعمار ألا الله عز وجل - وأخذ معه كافة خزائن غزنة بأنواعها المختلفة ، وحرائره وعماته وأخواته ووالدته وبناته .

مما أثار حفيظة كبار أركانية الجيش وأمراء الدولة ، وحاولوا ثنيه عن قصده لكنه لم يأبه لهم ، فخاطبوا وزيره أبو نصر أحمد بن عبد الصمد بهذا المعنى في محاولة يائسة ، لإقناعه بالعدول عن قصده .

فجاء رد الوزير " أنة لا يجوز الاعتماد على الهنود ، وليس من الحكمة نقل الحرم ، وكل هذه الخزائن والأموال إلى بلادهم , لأننا لم نكن يوما محسنين إليهم وفضلا عن ذلك , فما هذه الثقة في الغلمان , بأن يكشف لهم ما للسلطان من الخزائن في الصحراء ؟ هذا وإن السلطان لا يزال مستبدا برأيه ... ويأسف الجميع لهذه السياسة " (1) .

يتبين أن نصائح ابن قراتكين ذهبت أدراج الرياح ، ولم يستطع أحد ثني مسعود عن تنفيذ رأيه بالتوجه لبلاد الهند ، فوقع ضحية تآمر غلمانه ذات الأصول التركية والهندية بزعامة انوشتكين البلخي ، والقوا القبض عليه في الصحراء عند ممر ماريكلة بعد أن نفخ الشر في نفوسهم ، ونهبوا كل ما تحويه الخزائن ، وزجوا به في غياهب سجن قلعة ماريكلة* ثم اغتيل من قبل أولاد أخيه محمد (2) وكان آخر العهد به .

ويمكن القول بأن تخاذل الهنود وتقاعسهم في القتال ، لم يكن ناتجاً عن جبن أو خوف ، بل كان ناتجاً عن أسباب عدة ، الأول : عدم إحسان الغزنويين إليهم ، والثاني : عدم إعطائهم كامل حقوقهم ، والثالث : عدم مساواتهم بالعناصر الأخرى ، كل هذا اعترف به الوزير أحمد عبد الصمد (3) .

بالإضافة لما سبق , يتضح أن تخاذل الهنود في دندانقان ناتج عما كان يدور في أنفسهم من أن الجيش الغزنوي سيهزم في المعركة ، وبالتالي قد تحدث لهم مقتلة عظيمة أخرى على يد السلاجقة على غرار المقتلة التي حدثت لهم في بيدا سرخس

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 706 ، 728 .

* قلعة ماريكلة : تقع على بعد خمس وثلاثون ميلاً وراء نهر السند . تحصن بها السلطان مسعود الأول بن يمين الدولة محمود خوفاً من أخيه محمد وأولاده سنة 432هـ / 1040م . الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 123 ؛ الحسني : نزهة الخواطر ، ج 1 ، ص 73 .

(2) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 14 ؛ العامري ، عماد الدين يحيى بن أبي بكر (ت 893 هـ / 1487م) : غربال الزمان في وفيات الأعيان ، نسخة مخطوط ، مصور في المجمع العلمي العراقي برقم 1142 ، عن النسخة المحفوظة بالمتحف البريطاني ، ورقة 100 ، 101 .

(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 38 ، 728 .

خاصة وأن جراحهم لم تلتئم منها بعد . ورغم كثرة أعدادهم ، لم يكن لهم دور في حسم المعارك لصالح الغزنويين ، وبتقاعسهم وخذلانهم شكلوا عبئا كبيرا على نتائج معارك الجيش الغزنوي ، بالرغم من دورهم الايجابي في القضاء على حركة أحمد ينالتكين الانفصالية ببلاد الهند ، وفي فرض السيطرة على كرمان بادئ الأمر .

وبرز من الهنود قادة لعبوا دورا سياسياً كبيراً في البلاط الغزنوي , منهم خرخيز الهندي ، متولي أعمال الهند للسلطان عبد الرشيد (1) . وفيما يلي أهم الطرق التي حصل الغزنويون من خلالها على العناصر الهندية :

1- الفتوحات : حصل سلاطين غزنة على الكثير من العناصر الهندية خلال غزواتهم لبلاد الهند ، وسبق وان أشرت إلي بعضها في معرض الحديث عن العناصر الهندية .

2- معاهدات الصلح : تميزت معاهدات الصلح التي كانت توقع بين سلاطين غزنة وأمراء وملوك بلاد الهند والسند , بتضمين المعاهدة بنداً يتم بموجبه تسليم الأمير أو الملك الهندي عدداً من كبار رجاله بحد أقصى ألفي رجل ، يكونون على الدوام عند

السلطان ، ليضمن ولاء ذلك الملك أو الأمير الموقع على اتفاقية الصلح , وتنفيذ ما اتفق عليه من بنود ، ويكون هؤلاء الهنود عاملين ضمن قطاعات جيوش غزنة (2) .

ومن الأمثلة على هذه الاتفاقيات , ما حصل عليه السلطان محمود ، بعد فتحه لناردين سنة 400 هـ / 1009م ، حيث صالح ملكها على مال يؤديه ، وخمسين فيلا وألفين من الفرسان الهنود يكونون في خدمته (3) .

3- الشراء : حصل الغزنويون على عدد من الهنود عن طريق الشراء . فمثلاً أمر السلطان مسعود الأول بشراء ثلاثة غلمان من الهنود ليقوموا على خدمة وقضاء حوائج أشفتكين الغازي ، بعد أن اعتقل أثناء تواجده في بلخ سنة 422هـ/1030م (4) .

ثالثاً - الأعراب والأكراد .

أوضحت المصادر التاريخية التي أشارت إلى الحروب الغزنوية عن تواجد عناصر من الأعراب والأكراد ضمن قطاعات الجيش الغزنوي ، وأشادت المصادر بجهودهم الحربية والقتالية ودفاعهم عن حمى دولة آل سبكتكين التي خاضت غمار حروب واسعة في مشرق العالم الإسلامي . وحاول بعض الكتاب والمؤرخين ، أمثال البيهقي ونظام الملك الطوسي ، إبراز الدور البطولي الذي قام به الأعراب والأكراد في الجيش الغزنوي ، وبالتالي يمكننا القول إن الدولة الغزنوية لم يقم على بنائها الغلمان والأتـراك

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 61 - 62 .
(2) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 360 - 363 .
(3) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 247 .
(4) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 258 .

فحسب ، بل قامت على أكتاف قوميـات أخـرى ذات أصول عربية وإسلامية (1) .

وكان الأعراب من أشجع وأفضل فرسان الجيش الغزنوي ، إذ أولاهم سلاطين غزنة أهمية كبيرة لما تمتعوا به من شجاعة وبسالة في ميدان القتال ، وكان يضعهم في مقدمة الجيش أثناء التعبئة للهجوم أو الدفاع ، وأثبت العرب جدارتهم كفرسان مهرة في القتال خلال معارك الغزنويون في خراسان , وبلاد ما وراء النهر والهند وغيرها(2) .

وخير دليل على ذلك أن سلاطين غزنة ، وضعوا الأعراب في مقدمة الجيش أثناء العمليات التعبوية ، لثقتهم العالية بشجاعتهم وصمودهم أمام العدو ، وقدرتهم بالرد على ضربة العدو الأولى . وتشير المصادر إلى أن السلطان محمود وضع العناصر الكردية والعربية تعمل جنبا إلي جنب ، وتحت قيادة واحدة في الغالب إذ كان قائدهم الأعلى في عهد محمود القائد العربي محمد بن إبراهيم الطائي (3)* .

وفيما يتعلق بوضع هذين العنصرين , تحت قيادة واحدة من أصل الأعراب فربما تعود لتشابههم في العادات والتقاليد ، وتحليهم بالصفات المتشابهة ، لأنهم يعيشون في منطقة واحدة ، ولاتصافهم بكثير من الصفات الخَلقية والخُلقية . ويظهر أن سلاطين غزنة ، وضعوا ثقتهم بالأعراب أكثر من الأكراد , بدليل إسناد بعض قيادتهم لعناصر من الأعراب .

وكان محمد بن إبراهيم الطائي يتخذ مواقعه مع قوات القلب أثناء العمليات التعبوية ، وذلك في أغلب المعارك التي خاضها الجيش الغزنوي ، وشارك القائد الأعرابي الأمير نصر بن سبكتكين في أخذ المواقع الرئيسة في معركة ضد الخانيين في بلاد ما وراء النهر سنة 389 هـ / 998م (4) .

وقاد زعيم الأعراب أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي , الأكراد والأعراب سنة 396هـ / 1005م ، ودخل غمار معركة قنطرة جرخان قرب بلخ ، انتهت بانتصار الجيش الغزنوي على تحالف الخانيين* وأخرجوهم من إقليم خراسان وكان الأعراب والأكراد بقيادة أبو عبد الله محمد الطائي ، ضمن جيش السلطان محمود بن

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 84 ، 151 ، 210 ، 323 - 325 ؛ مجهول : إنسان العيون ، ص 53 .
(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 82 ؛ درويش : السلطان محمود ، ص 93 .
(3) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 81 ، 84 ، 151 ، 201 ، 210 ؛ البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 535 ؛ . Bosworth : The Chaznavids , p . 111–112

* محمد بن إبراهيم الطائي : يكنى بأبو عبدالله ، يرد اسمه عند البيهقي على أنه محمد الإعرابي . زعيم كتيبة من بدو خراسان . قاد الكرد والأعراب في الكثير من المعارك التي خاضها الجيش الغزنوي في عهد السلطان محمود بن سبكتكين . العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 81 ، 84 ؛ البيهقي : مصدر سابق ، ص 375 ،376 ، 744 ؛ بارتولد : تركستان ، حواشي ص 418 .

(5) العتبي :، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 84 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 784 ؛ . Bosworth : The Chaznavids , p . 111–112

* الخانيين : خان كلمة تركية الأصل من ألقاب الخطأ ، ومنها خاقان وهو خان خان أي رئيس الرؤساء ، ملك الملوك . والخانيون ملوك أتراك بلاد ما وراء النهر ، عرفوا بعد الإسلام بالقراخانيين أو الأيلك خانات وهم عدة شعب ، شعبة رئيسية , وأخرى شرقية ، وشعبة غربية ، وشعبة خانات بخارى وسمرقند ، وشعبة طراز . الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص 73 ؛ نظام الملك : سياست نامه ، ص 135 ؛ الراوندي : راحة السرور ، ص 146 - 147 ؛ الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص 274 .

سبكتكين أثناء غزوته لناردين سنة 404هـ/1013م ، وقد أصيب أبو عبد الله بعدة إصابات خلال مقاومته للهنود بعد أن طوقوه في ميدان المعركة (1) .

وبرز محمد الإعرابي ومعه شجعان الأعراب , قائد طليعة جيش غزنوي توجه لقتال ألبتكين البخاري , وأمراء جيش إقليم خوارزم سنة 407هـ / 1016م ، لتآمرهم على قتل أميرهم خوارزم شاه أبو العباس* صهر السلطان محمود (2) .

وظهر في عهد السلطان محمود القائد الأعرابي عبد الرحمن الطائي* ووصفه العتبي (3) بأنه : " أحد مشايخ بابه ، وأفاضل كتابه في رجاله ، قد تعودوا النصر من خدموا رايته ، فلم يعرفوا وجه الانقلاب " .

وكان في جيش السلطان محمود عدد من أمراء العرب ، لم تذكر المصادر أسماءَهم أو عددهم . خرج هؤلاء الأمراء من غزنة مع عدد من أمراء الأتراك رافضين فكرة تنصيب الأمير محمد مكان أبيه (4) .

وزادت ثقة سلاطين غزنة بالأعراب ، لاشتهار بالفروسية والأمانة ، لهذا اعتمد عليهم في أعمال مهمة منها تامين الرسائل السرية والعاجلة من وإلى مختلف قيادات الجيش المركزية والفرعية .

كما برز من الأعراب في العهد المسعودي الأمير الأعرابي أبو الحسن عبد الجليل فقد بلغت به ثقة السلطان أن أرسله مع أبو الحسن المستوفي , لجرد ممتلكات وأموال أرياروق قائد جيوش الهند ، بعد أن تم اعتقاله سنة 422هـ / 1030م ، ثم أوفدهما إلى الهند ليأتيا له بما يمتلك أرياروق من الأموال (5) .

وفتح المجال أكثر أمام الأعراب ، وانظموا للجيش الغزنوي منذ استلام مسعود الأول الحكم ففي سنة 426 هـ / 1034م ، وأثناء مسير مسعود الأول إلي دهستان توقف في جرجان لأخذ قسط من الراحة ، فتقدم إليه مقدمي أعراب جرجان ، قيل : أنهم أربعة ألاف فارس ، وهم قوة جرجان آنذاك ، وطلبوا منه الانضمام لجيشه فأحسن استقبالهم ، ووافق على طلبهم ، وانتهز باكاليجار هذه الفرصة وتخلص منهم لأنهم

----

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 84 ؛ الكرديزي : زين الأخبار ، ج 1 ، ص 81 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ص 270 - 271 .

* أبو العباس : هو مأمون بن مأمون ، حكم إقليم خوارزم منذ سنة 390هـ / 999م . ربطته بالسلطان محمود بن سبكتكين علاقة ود ومحبة وإخاء ، فخطب من يمين الدولة عمته أخت الأمير سبكتكين السيدة كالجى ، فزوجه إياها وطلب منه محمود أن يخطب له على منابر بلاده فأجابه ، منحه القادر بالله لقب عين الدولة وزين الملة ، توفى سنة 400هـ / 1016م . العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 252 - 254 - 258 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، 186 282 .

(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 734 ، 742 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 784 ، 795 .

* عبد الرحمن الطائي : أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم الطائي زعيم كتيبة بدو خراسان شارك في أغلب معارك جيش السلطان محمود بن سبكتكين . العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 201 ، 210 - 211 .

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 256 .

(4) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 347 .

(5) البيهقي : مصدر سابق ، ص 6، 7 ، 49 - 50 ، 249 - 250 .

كانوا يتحكمون في شؤونه . ثم أمر مسعود ألفا فارس من الأعراب ، وثلاثة ألاف من فرسانه بالتوجه لقتال الجرجانيين في ناتل ، وعيَّن لقيادتهم بيري قائد الإصطبلات (1) .

كما عَيَّن السلطان مسعود سنة 426هـ / 1034م عبد الجليل كتخدا لجيش أرسله للمرابطة في جرجان ، وتحصيل الأموال المستحقة على أبو كاليجار والى جرجان وبلغ عبد الجليل مكانة مرموقة , حتى أصبح السلطان يستشيره عند الملمات والمواقف الصعبة (2) .

وكان أمراء الأعراب مع الأمراء والأعيان الذين حضروا اجتماع دعا إليه السلطان مسعود سنة 426هـ/1034م ، بحث السلطان مع المجتمعين الأمور المتعلقة بتزايد الخطر السلجوقي , وتنامي قوتهم ، وفي محضر الاجتماع قال السلطان : "

ليس هذا أمرا هيناً ، لقد جاء عشرة ألاف فارس تركي مع كثير من القادة ، وأقاموا وسط بلادنا ، ويقولون : لم يبقَ لنا مكان نأوي إليه ، والحق أنهم استضعفوا بلدنا ، لن نمهلهم ليجدوا في بلادنا مستقرا يترعرعون فيه ، أنظروا ماذا كان من هؤلاء التراكمة من البلاء والإزعاج ، بعد أن جاء بهم أبي ، وأتاح لهم عبور النهر ، وأقامهم في خراسان كانوا رعاة إبل وهم الآن كما يقول الوزير : طالبوا إمارة ، فيجب أن لا ندعهم يتنفسون في بلادنا ، والصواب أن نسير بأنفسنا لطردهم من جرجان مع غلمان السراي ، وجند مختارين عن طريق سمنكان الواقع بين إسفرايين واستوا وأن نزحف إلي نسا ، زحفاً قوياً حتى نستأصل شافتهم " (3) .

نستنتج من محضر الاجتماع ما حصل عليه الأعراب من مكانة وثقة عالية عند سلاطين غزنة ، ودورهم الكبير في الأعمال التعبوية والقتالية حتى أصبح لا يستغنى عنهم في تشكيلات المؤسسة العسكرية ، لما تمتعت به هذه العناصر من إخلاص وشجاعة في القتال .

وأبدى قائد فرقة الأعراب والأكراد في معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م أبو الحسن علي عبدالجليل رايأ صائباً ، نصح فيه السلطان مسعود الأول بعد أن تحقق النصر للجيش الغزنوي في اليوم الأول للمعركة قائلاً : " حبذا لو ذهب السلطان في أثرهم فرسخين في هذه الفرصة السانحة ، محتملاً في ذلك مشقة أخرى حتى نستأصل شافتهم , وهنالك ينزل السلطان " لكن كلامه لم يلقَ آذاناً صاغية من الجميع ، وما أن انتهى من كلامه حتى صاح في وجهه قائد الجيش علي عبد الله وكانت العلاقات بينهم سيئة قائلاً : " أتتكلم حتى في الحرب ، لماذا لا تلزم حدك "(4) هكذا ذهبت نصيحة أبي الحسن أدراج الرياح . وبالفعل عاد السلاجقة بعد أن عملوا

---

(1) ابن الأثير : الكامل ج 8 ، ص 9 ؛ الجوارنه : قطاعات الجيش ، ص 40.
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 500 ، 507 ؛ العكيدي : السلطان مسعود ، ص 123 .
(3) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 5 - 8 ؛ الراوندي : راحة السرور ، ص 157 - 158 .
(4) البيهقي : مصدر سابق ، ص 1 ، 5 ، 12 ، 55 ، 240 ، 362 ، 631 - 633 ، 684 - 685 ، 712 ؛ نخجواني : تجارب السلف ، ص 198 .

على إعادة تنظيم قواتهم ، وقاموا بهجوم معاكس على الغزنويين عند صلاة العصر وهزموهم ، نتج عن الانتصار ارتفاع المعنويات القتالية عند السلاجقة ، وأتيحت لهم الفرصة لجمع فلول جيشهم المنهزم ، وإعادة تنظيمه ، وبعدها دخلوا معركة دندانقان الفاصلة سنة 431هـ / 1039م محققين انتصارا باهرا على الغزنويين . وبهذا النصر ختم السلاجقة تاريخ صراعهم الدامي مع الغزنويين ، فغابت فترة العظمة والقوة لأل سبكتكين , بضياعهم لخراسان وعراق العجم .

ولام مسعود نفسه على عدم أخذه برأي أبو الحسن علي عبدالجليل , بموضوع السلاجقة في معركة بيداء سرخس ، فأدرك صواب رأيه لكن بعد فوات الأوان .
بعدها أصبح أبو الحسن صاحب مكانة خاصة عند مسعود فأخذ في رأيه ، عندما قال

له أبو الحسن قبل معركة دندانقان سنة 431هـ/1039م : " نحن العرب لدينا أبل وخيول كثيرة ، والسلطان في حاجة إلي المزيد منها للجيش الذي يعده ، وكل ما لدينا هو من نعمه ومن دولته ، فيجب إعداد سجل ، وأن يفرض على كل منا شيء منها " (1) فنفذ السلطان رأيه ، ومنحه في شهر ربيع الثاني 431هـ/ ديسمبر 1039م خلعة فاخرة وطيلسان ودراعة ، مثل خلعة السلطان محمود لحسنك* حينما ولاه نيسابور (2) .

يمكن القول بأن أمراء الأعراب نالوا ثقة سلطان غزنة بالتدريج , حتى أصبحوا ذا مكانة عالية في بلاط غزنة ، وأصبحوا يحضروا الاجتماعات الرسمية العامة للقيادة الغزنوية إلى جانب الوزير وأركانية الجيش وكبار أعيان الدولة .
واستمر دور الأعراب العسكري في جيوش الدول الإسلامية فيما بعد ، وبرزوا في الجيش السلجوقي وأدوا دورا مميزا في معركة ملاذ كرد* الشهيرة سنة 463 هـ / 1070م .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 654 .
* حسنك : أبو علي حسن بن محمد المعروف بحسنك ميكال ، أحد ولاة السلطان محمود بن سبكتكين على نيسابور ولي الوزارة بعد عزل الميمندي ، وكان أمياً ، لكنه عرف بحزمه وصرامته ، وبقي يشغل الوزارة حتى وفاة محمود رغم تعرضه لبعض المحن لموقفه المضاد من محمود ، فتم عزله والقبض عليه ، ومصادرة أمواله ، ثم فك أسره . ولما تولى الحكم ابنه مسعود أمر باعتقاله مرة أخرى ، ومصادرة أمواله . بسبب إسراعه بطلب الأمير محمد بن محمود ، ومساعدته في تولي الحكم خلفاً لأبيه ، غير أن محمد لم يستمر في الحكم ، إذ تمكن مسعود من انتزاع الحكم لنفسه . فنفذ أمر الإعتقال ، بأن القي القبض عليه في غزنة من قبل ثلاثة من خاصة فرسان أبو سهل الزوزني ، وحمل إلى مسعود في هراة سنة 421هـ / 1030م ، فنفذ فيه حكم الإعدام شنقاً ، وبقيت جثته معلقة بالمشنقة ما يقرب من سبع سنوات . الكرديزي : زين الأخبار ، ص 109 ؛ خواندمير : دستور الوزراء ، ص 234 - 239.
(2) المصدر نفسه ، ص 238 .
* معركة ملاذ كرد : وقعت بين السلاجقة بقيادة السلطان ألب أرسلان بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، وبين الروم بقيادة الإمبراطور رومانوس دايوجين سنة 463هـ / 1070م ، حقق فيها المسلمون انتصاراً باهراً على الأعداء . وملاذ كرد بلدة مشهورة في بلاد أرمينية بين خلاط وبلاد الروم . وملاذ كرد بلدة مشهورة في بلاد أرمينية بين خلاط وبلاد الروم . الراوندي : راحة الصدور ، ص 189 ؛ الحموي : معجم البلدان ، ج 5 ، ص 202 ؛ مجهول : الدرر المكنون في المآثر الماضية من القرون ، مخطوط رقم 738 ، مكتبة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، مصور عن النسخة الأصلية بالمكتبة الوطنية ، باريس ، ق 1 ، ورقة 70 ب.

رابعاً - السجستانيون .

سكان إقليم سجستيان وإليه ينسبون ، ويتميزون بحبهم للقتال وبمشيهم بالأسواق والسيوف بأيديهم ، ضم الجيش الغزنوي عناصر سجستانية في معظم معاركه وحملاته العسكرية . وتشير المصادر إلى مشاركة جيش ولاية سجستان للأميران سبكتكين وابنه محمود سنة 385 هـ / 995 م في حربهما أبو علي سيمجور بعد سيطرة الأخير على نيسابور (1) .

ولتفضيل العنصر السجستاني في قطاع الرجالة أمر السلطان مسعود الأول سنة 422هـ/1030م ، بالكتابة لعامل سجستان بإرسال ألفين من الرجالة السجستانيين بجاهزيتهم القتالية مع تزويدهم بكل ما يلزم للمشاركة بالحملة على كرمان والمرابطة فيها . وعيَّن لقيادتهم أبو الفرج الفارسي ، وأمره بدفع نفقاتهم من خراج كرمان ، كما شارك السجستانيون في قطاع الرجالة إلي جانب العناصر الأخرى في معركة بيدا سرخس سنة 430هـ/1038م . فتمكن الجيش الغزنوي من إلحاق هزيمة ساحقة بالسلاجقة (2) .

ومن العناصر الأخرى التي دخلت في المؤسسة العسكرية الغزنوية ، الجوزجانيون والهرويون والسرخسيون والكمنجيون حيث جندهم القائد علي عبدالله في كمنج* وقاتلوا معه أبناء علي تكين في بلخ سنة 426هـ / 1034م , بعد أن قام الأخير بحشد جيوش بلاد ما وراء النهر ، بغية شن هجوم على نواحي كل من صغانيان وترمذ (3) .

---

(1) الاصطخري : مسالك الممالك ، ص 240 - 241 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 126 ، 221 - 222 ، 308 ، 456 - 457 ، 630 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ص 169 ، 354 .
* كمنج : ذكرت باسم كمنجث ، قرية من قرى صغانيان . الحموي : معجم البلدان ، ج 4 ، ص 480 .
(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 308 ، 529 ، 612 .

المبحث الثالث
عناصر ذات أصول مختلفة

أولاً - الغلمان .

شكل المماليك نواة الجيش الغزنوي ، وكان الأمراء والسلاطين قد جلبوهم صغاراً من مناطق بعيدة خارج ديار الإسلام ، مما قطع رابطتهم ببلادهم ، وربوهم

ودربوهم على الأعمال الإدارية , وفنون القتال , والطاعة العمياء . فكان أغلبهم من الرقيق الأبيض من الأتراك والديلم والأكراد ، والرقيق الأسود من شرق أفريقيا (1) .

ومما شجع السلاطين الغزنويين على الإكثار من المماليك ، والاعتماد عليهم في المؤسسة العسكرية , ما عرف عنهم من مهارة فائقة في ركوب الخيل , ودقتهم باستخدام الأسلحة المختلفة فمثلوا القوة الرئيسة الضاربة في قطاعات الجيش (2) .

أحرز الغزنويون انتصارات عديدة ، نتيجة الكفاءة القتالية التي تمتع بها هؤلاء الغلمان المماليك من مميزات قتالية ، فتعاونوا وتعاضدوا في ميدان المعركة ، وطبقوا تكتيكاً حربياً مميزاً , إذ ينفصل قسم منهم لإسناد القطاعات الأخرى عند الضرورة فعرفوا بحسن استخدامهم لأسلوب المباغتة* .

ووصل كثير من المماليك إلى درجة الإمارة ، منهم ألبتكين واضع البذرة الأولى لتأسيس الإمارة الغزنوية (351 - 582 هـ / 962 - 1186م) بعد أن تمكن من الاستيلاء على غزنة ، ووخليفته الأمير سبكتكين من بعده الذي عمل على بناء وتثبيت دعائم الإمارة ، وتحولت فيما بعد إلى دولة ذات نظم سياسية وعسكرية (3)

واعتمد الغزنويون على مصادر عدة للحصول على الغلمان أهمها : -

أولاً - الشراء : حصل ألبتكين على الأمير سبكتكين عن طريق الشراء ، وكان ضمن ألف وسبعمائة عبد وغلام تركي يمتلكهم ألبتكين , منذ توليه منصب قيادة قيادة الجيش الساماني في خراسان (4) .

ولم يقتصر شراء الغلمان المماليك على السلاطين الغزنويين ، بل تعدى ذلك إلى كبار أمراء الدولة المدنيين منهم والعسكريين . فقد بعث نائب السلطان مسعود الأول

---

(1) خواندمير : دستور الوزراء ، ص 234 ؛ أمين ، أحمد : ظهر الإسلام ، القاهرة ، 1938م ، ص 62 ؛ الدوري عبد العزيز عبدالكريم : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، بغداد ، 1948م ، ص 64 .

(2) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 92 ؛ أمين , حسين : نظام الحكم في العصر السلجوقي ، مجلة سومر مج 20 ، العدد 1 - 2 ، 1964م ، ص 222 ؛

Bosworth : The Chaznavids , p . 103 .

* المباغتة : بغَتَه ، بغتاً وبَغْتَةً : فَجَأة وبَهَتَه . باغَتَه مباغَتَةً ، وبغاتاً : فاجأه . أنيس ، إبراهيم وآخرون : المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا ، ج 1 ، ص 64 .

(3) النرشخي : تاريخ بخارى ، ص 143 ؛ نظام الملك : سياست نامه ، ص 150 - 151 ؛ حمدي ، حافظ : الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، ط 1 ، مصر ، 1950م ، ص 31 .

(4) نظام الملك : مصدر سابق ، ص 154 .

وقائد جيوشه في الهند أحمد ينالتكين سنة 424هـ / 1032م سرا إلى تركستان ليشتري غلمانا له من الترك (1) .

ولم يكتفِ عميد خراسان أبو سهل الحمدوي بعشرين غلاما ، بل اشترى خمسين أو ستين ، ليرتفع عدد غلمانه إلي ثمانيين ، كانوا من خواصه المخلصين ،

رافقوه أثناء تحركاته في كافة الأمكنة ، وذلك عندما عُيِّن كتخدا لجيش الري والعراق سنة 424هـ/1032م (2) .

ثانياً ـ الحروب : كانت الحروب التي خاضتها الجيوش الغزنوية في مختلف الأقاليم المجاورة لدولتهم ، كما كانت الغنائم من أهم الوسائل التي اتبعوها الغزنويون للحصول على الغلمان فحصلوا من خلالها على أعداد كبيرة من الغلمان . فمثلا قَدَمَ أهل سمرقند للسلطان محمود بن سبكتكين ألف غلام حتى يكف عنهم ، وذلك أثناء حملته العسكرية على بلاد ما وراء النهر وسمرقند سنة 421هـ/1029م (3) .

وفي سنة 423هـ/1031م استولى أبو سعيد التونتاش خوارزم شاه على بلاد ما وراء النهر ، بعد إن هزم جيش علي تكين* وأسر خلالها من قلعة بخارى سبعين غلاماً واستولى على كثير من الغنائم والدواب ، فأمر التونتاش بإرسال الغلمان الأسرى لحضرة السلطان مسعود (4) .

ثالثا ـ الهدايا : سادت عادة هدايا الغلمان مختلف دول العصور الوسطي ، فوصل للبلاط الغزنوي الكثير من الهدايا مثل الأسلحة والمعدات ، ووسائط النقل المختلفة ، والأموال والمجوهرات والغلمان وغيرها .

ومن هذه الهدايا ما اعتادت عليه السيدة خاتون أرسلان* إرساله من بلاد تركستان في كل عام ، غلاما نادرا وجارية بكر ممتازة هديه للسلطان محمود بن سبكتكين ، فكان يقابل هديتها بهدايا من الثياب المقصية ، والأقمشة المزركشة ، وعقود

---

(1) الحسني : نزهة الخواطر ، ج 1 ، 65 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 418 ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ج 15، ص 212.
(3) المصدر نفسه ، ج 15 ، ص 212 ؛ درويش ،عبد الستار مطلك مطر : السلطان محمود الغزنوي رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1409هـ / 1989م ، د . ن ، ص 90 .
* علي تكين : بن قراخان يوسف بن بقراخان هرون ، تكين لفظ فارسي معناه شجاع ، حاكم بخارى وسمرقند أخو أيلك خان الذي انتهت بموته دولة آل سامان في تركستان ، وهو أحد كفار الترك الذين كانوا يطرقون بلاد الإسلام بنواحي بلاساغون وكاشغر ، وكانوا يصيفون بنواحي بلغار ، ويشتون بنواحي بلاساغون ، أسلم قسم كبير منهم سنة 435هـ/1043م ، وتوفى سنة 426هـ/1034م . البيهقي : مصدر سابق ، ص 93 ، 474 ، 496 ، 571 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 337 ؛ ج 8 ، 38 - 39 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 837 - 838 .
(4) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 84 - 85 .
* خاتون أرسلان : هي زوجة شرف الدولة أبو شجاع أرسلان خان الثاني بن يوسف قدرخان القراخاني ملك تركستان , تولى الحكم بعد وفاة والده سنة 423هـ / 1032م ، وتوفى سنة 425هـ / 1034م . وكلمة خاتون بمعنى السيدة , استعملت لقباً لعاهلات المغول ، وسيدات الطبقة العالية ، وتعني باللغة التركية المرأة المتزوجة أو السيدة انتقل اللقب للبلاد الإسلامية عن طريق السلاجقة ، واستعملت في العصر المملوكي ، لقباً للملكات وبناتهن وأمهاتهن وأخواتهن . إيوار : ((خاتون)) ، دائرة المعارف الإسلامية ، انتشارات جيهان ، ج 8 ، ص 179 ؛ زامباور : معجم الأنساب ، ج 2 ، ص 312 ؛
Barthold : Four studies on the history of central Asia , vol . 1 , p . 22 .

اللؤلؤ والديباج* الرومي ، وعرف من هؤلاء الغلمان طغرل العضدي* .

وبعث أبو الفضل سوري بن المعتز * بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك سنة 424هـ/1032م ، هدايا لسلطان غزنة من ضمنها غلمان وجواري ، كذلك كان السلاطين الغزنويين يقدمون الغلمان المميزين هدايا ، فمثلاً أضاف السلطان مسعود الأول خمسة من غلمان الأتراك الممتازين إلى الهدية التي أرسلها للخليفة العباسي القائم بالله ، وحملها السليماني رسول الخليفة الذي سبق وأن جاء بسفارة للسلطان مسعود بن محمود في نهاية سنة 422هـ / 1031م ، وغادر بلخ عائداً إلى بغداد في نهاية شهر محرم سنة 423هـ / 1031م (1) .

ولم يكن وجود الغلمان مقتصرا في قطاعات المؤسسة العسكرية فقط ، بل منهم ما كان إدارياً في خدمة السلاطين وبلاط قصورهم . فأمارتهم أمارتان ، مدنية تخص غلمان القصر كموظفين إداريين ، وإمارة عسكرية لقيادة الغلمان المقاتلين . والغلمان المقاتلون قسمان أيضا ، غلمان الحرس الخاص بسلطان غزنة ، ويطلق عليهم اسم الوثاقين ، وغلمان لحماية القصور ، أطلق عليهم غلمان غلمان السراي , وشكلوا هؤلاء الغلمان قطاعاً هاماً من القطاعات القتالية في الجيش الغزنوي .

1 - الوثاقون (الحرس الخاص) .

الوثاق : بمعنى الحجرة ، وهي تحريف لكلمة أتاق ، وتطلق الكلمة على عنابر الغلمان المتصل بالقصر ، ويسمون بالوثاقين أي خاصة الخدم ، ويطلق على قائدهم اسم وثاق باشي (2) .

أما عن عدد الغلمان الوثاقين ، فكانت تختلف عند السلاطين أو الأمراء بعضهم عن البعض ، فقد كان من بين تشكيلات الجيش الذي اصطف للتعبئة العسكرية وأشرف عليها السلطان يمين الدولة محمود سنة 402هـ/1011م ، ألفي غلام تركي يرتدون

----

* الديباج : ثوب رقيق حسن الصنعة ، عرف في العراق باسم القنويز . الصابي ، أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابىء (ت 448هـ / 1056م) : رسوم دار الخلافة ، ط 2 ، تحقيق ميخائيل عواد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ص 90.

* طغرل العضدي : غلام تركي من ضمن الهدايا التي كانت تبعث بهم السيدة خاتون أرسلان خان للسلطان محمود بن سبكتكين ، فأعجب به وقربه إليه ، وجعله من المكلفين بشرابه بعد الغلام اياز ، ثم أمر يمين الدولة خادمه الخاص صافي ، والمعهود إليه مسؤولية غلمانه ، أن يهدي طغرل لأخيه الأمير يوسف بن سبكتكين لشغفه به ، فعينه يوسف حاجباً له , ولما توفى يوسف سنة 423هـ/1031م , تفرق غلمانه , وكانت منزلة طغرل قد علت عند السلطان مسعود الأول ، لقيامه بواجبة على أكمل وجه ، كعينا ومشرفا على سيده الأمير يوسف بن سبكتكين سرا وكان يبين لمسعود كل ما يجري من يوسف ، فكافئه بأن رفعه إلى مرتبة الحاجبة . البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 69 274 - 277 .

* سوري بن المعتز : عميد مدينة نيسابور ورئيس ديوانها , باني القبة المقدسة لقبر الإمام المرتضى الرضا في مدينة طوس , اشتهر بالظلم , وأطلقت يده في خراسان ، فأستأصل شافت أعيانها ورؤسائها ، واستحوذ على أموال لا تحصى ، وامتد ظلمه إلى الضعفاء . وكان يقاسم السلطان الأموال التي يغتصبها ، فيعطيه خمسة من كل عشرة دراهم . الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 5 ، 7 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 32 .

(1) البيهقي : مصدر سابق ، ص 323 ، 436 .

(2) المصدر نفسه ، ص 56 ، 419 ، 804 - 805 .

الديباج الملون ، بالإضافة لخمسمائة من غلمان الخاصة ، أحاطوا بشخص السلطان لحمايته والدفاع عنه أثناء المعركة (1) . وبلغ عدد غلمان خاصة السلطان مسعود الأول سنة 424هـ/1032م أربعة آلاف غلام .

وفي سنة 430 هـ / 1038م وصل السلطان مسعود الأول إلى أرض بيداء سرخس* وسط خمسمائة من غلمانه الخاصة المدرعون مع كافة أسلحتهم لمواجهة السلاجقة (2) .

وممن ترأس غلمان الوثاق تكين الديلمي الذي عرف بالفروسية وقوة الشكيمة والشجاعة ، قاد خمسمائة من غلمان السلطان الخاصة ، وخمسمائة من خيرة قطاع الفرسان سنة 431هـ/ 1039م ، ونفذ خطة حصار على السلاجقة في نيسابور واستمرت هذه الوحدة تقوم بكل ما يسند إليها من واجبات , بقيادة تكين خلال العمليات العسكرية بدندانقان (3) .

أما لباس غلمان الخاصة يتضح من خلال لباس خمسمائة من غلمان خاصة السلطان محمود ، للمناطق الذهبية المرصعة بالجواهر ، وفوق أكتافهم أعمدة من الذهب ، ومعهم أربعون فيلاً ، كانوا يقفون بالقرب من محمود لحمايته أثناء تعبئة الجيش الغزنوي سنة 402هـ / 1011م (4) .

كذلك وضح البيهقي (5) لباس غلمان الخاصة سنة 429هـ / 1037م ، بأنه أثناء انتقال السلطان مسعود إلى قصره الجديد في غزنة ، وقف غلمان الخاصة حول سياج القصر الجديد ، وعلى رؤوسهم العمامات* ذوات الغصنين ، وكانت خصورهم مشدودة بأحزمة ذهبية ، وفي أيديهم المعالق (الرماح) , والأعمدة الذهبية .

2 - غلمان السراي (غلمان القصر) .

يعد قطاع غلمان السراي من قطاعات الجيش الضاربة والتي لا تقل أهميته عن سلاح الفرسان والمشاة ، شكل هؤلاء فرقة متمرسة على جميع الفنون القتالية ، فاهتم سلاطين غزنة بهم ودربوهم تدرابيا خاصا ، يزيد أضعاف التدريبات التي تتلقاها باقي الصنوف الأخرى . فأجادوا ركوب الخيل والفيلة والجمال , واعتمد عليهم سلاطين غزنة في تنفيذ المهمات الصعبة ، وأصبحوا يحاربون رجاله وفرسان وفيالة وجمالة (6) .

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 129- 130 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 271 - 272 .
* سرخس :مدينة قديمة من نواحي خراسان ، تقع بين نيسابور ومرو ، بينها وبين نيسابور ست مراحل . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 371 - 372 . القزويني : آثار البلاد ، ص 390 .
(2) الهمذاني : جامع التواريخ ، ج 2 ، ص 378 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 654 - 663 ؛ الراوندي : راحة الصدور ، ص 40 ؛ إقبال : الوزارة ، ص 32 .
(4) العتبي : تاريخ اليميني , ج 2 ، ص 130 .
(5) مصدر سابق ، ص 588 .

* العمامات : جمع , مفردها عمامة ، والعمامة من لباس الرأس ، وربما كُني بها عن البيضة أو المغفر . ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ / 1310م) : لسان العرب , المطبعة الأميرية ، القاهرة 1989م ج 12 ، ص 424 - 425 (مادة عمم) .
(6) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 113 665 .
Bosworth : The Chaznavids , p . 103 .

ونظرا لكثرتهم في بلاط وجيش السلطان مسعود الأول ، ظهرت الحاجة لتعين قائد يتولى مهمة الأشراف عليهم ، ومعرفة مشاكلهم والنظر فيها ، فعيَّن مسعود لهذا المنصب سنة 425هـ / 1032م قائد عرف بسالار غلمان السراي أو أمير الغلمان كان يتلقى الأوامر مباشرة من السلطان , ويبلغها لقطاع الغلمان (1) .

وفي غزوة السلطان محمود بن سبكتكين للهند وبلاد الأفغانية* سنة 409هـ / 1018م ، أمر السلطان غلمان السراي مشاغلة جيش جيبال* , فمكنته تلك المشاغلة من تنفيذ خطته الحربية ، وتحرك بباقي القطاعات ، بعملية التفاف حول ميدان عمليات جيبال واحكم السيطرة عليه ، مما دفع بجيبال وجيشه للتقهقر والهزيمة (2) .

وفي معركة دبوسى* التي دارت بين الجيش الغزنوي بقيادة الوزير أحمد عبد الصمد* , وجيش إقليم خوارزمي من جهة ، وعلي تكين من جهة أخرى سنة 423هـ / 1031م ، شارك قطاع كبير من غلمان السراي في العمليات القتالية إلى جانب تشكيلات الجيش الأخرى ، أسفرت المعركة عن انهيار قوة علي تكين ، وقتل عدد كبير من جنده ، ومقتل التونتاش خوارزم شاة على أثر إصابته بسهم ، مما جعل الجيش

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 463 ، 478 ؛ عمر ، فاروق ، ومرتضى النقيب : تاريخ إيران ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، 1989م ، ص 60 ؛
Bosworth : The Chaznavids , p . 103 .

* الأفغانية : عدة فروع وعشائر تنسب إلى غُرْغشت وبتن وسربن أبناء قيس عبد الرشيد ، وهم كفار يسكنون الجبال ، ويفسدون في الأرض ، ويقطعون الطريق بين غزنة والهند . قصدها السلطان محمود بن سبكتكين سنة 409هـ / 1018م وسلك مضايقها وفتح معاقلها ، وخرب العامر فيها ، وغنم أموالهم ، وأكثر القتل والأسر فيهم ولم ينجح الأفغان في تأسيس دولة مستقلة في بلادهم حتى القرن الثامن عشر الميلادي ، وظلوا كبقية سكان هذه البلاد خاضعين اسماً للحكام الأقوياء . الحموي : معجم البلدان ، ج 1 ، ص 30 ؛ سعيد : " أفغانستان " , دائرة المعارف الإسلامية ، ج 2 ، ص 359 - 368 .

* بيروجيبال : هو راجا جيبال بن هوتبال ، ينتمي إلى أسرة شاهات الهند والسند البراهمية الحاكمة والتي كونت لنفسها مملكة في وادي كابل وقندهار الأفغاني في حوالي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، واتخذوا من مدينة يوند عاصمة لهم ، ثم نقلوها إلى لاهور . ولما بدأ ألبتكين بغزو بلاده ، كانت حدود مملكة جيبال تمتد من كالينجار (كَالِنْجَار) ، فرب نهر السند باتجاه الشرق ، حتى ضواحي مدينة الله أباد ، ومن الجنوب حتى مرتفعات فندهيا . وهي كافة إقليم البنجاب وسهوله المنبسطة . أحرق نفسه في أوائل سنة 393هـ / 1003م ، ليغسل ما لحق به من عار الهزيمة , وذل الأسر على أيدي جيش السلطان محمود . الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 74 ؛ الغامدي : " الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند "، حولية كلية الآداب ، جامعة الكويت؛ العدد 52 ، ص 66 ؛
Jusjani : Tabakat Nasiri , vol . 1 , p . 74 .

(2) العتبى : تاريخ اليميني : ج 2 ، ص 306 ؛ سعيد : " أفغانستان " ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج 2 ، ص 361 - 362 .

* دبوسى : بلدة صغيرة من أعمال الصغد من بلاد ما وراء النهر ، تقع بين بخارى وسمرقند ، وهي للشرق من الطواويس وبينهما مرحلة ، والطواويس شرق كرمينية وبينهما مرحلة أيضا ، فالمسافة من دبوسي إلى كرمينية مرحلتين . تأخذ مياهها من نهر الصغد ، ولا قرى فيها ولا أعمال لها . الحموي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 437 ؛ ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص 511 - 515.

* أحمد عبد الصمد : هو الأستاذ الرئيس الكاتب بن الكاتب أبو نصر أحمد بن علي بن عبدالصمد الشيرازي وزير هرون بن التونتاش خوارزم شاه , انتدبه السلطان مسعود بن يمين الدولة محمود ، وولاه الوزارة بعد وفاة وزيره أحمد حسن الميمندي سنة 424هـ / 1032م ، ووزر مكانه لهرون خوارزم شاه ابنه عبدالجبار . البيهقي : مصدر سابق ، ص 350 ، 389 ، 503 - 504 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 5 ، ج 10 ، ص 162 .

الخوارزمي يوافقون على عقد صلح مع علي تكين ، وبناء عليه تمكن الوزير الغزنوي من سحب قطاعات جيشه , وغلمان السراي من أرض المعركة (1) .

وأشاد البيهقي (2) ببطولة الغلمان أثناء حصار جيش السلطان مسعود الأول لقلعة هانسى*سنة 429هـ / 1037م بقوله : " وجرت الحرب كل يوم ، وكانت حربا لم يرى أشد هولاً منها ، فإن جند القلعة دافعوا عنها دفاعا مجيدا ، ولم يقصروا ، وأبلى الجيش المنصور ، وخاصة فرقة غلمان السراي بلاءً حسناً " .

وكان لقائد قطاع الغلمان نائب يساعده في مختلف الأمور المتعلقة به ، ويتولى مكانه القيادة بحالة غيابه . فقد تولى ارتكين نائب لبكتغدى قيادة قطاع الغلمان عندما تعرض الأخير لإصابات مختلفة في أعضاء جسمه في معركة دندانقان سنة 431هـ / 1039م (3) . وغالبا ما تقع مسؤولية قيادة هذه العناصر على كبار الحجاب .

وممن برز من الغلمان وتولى القيادة العامة للجيوش الغزنوية نوشتكين نوبتي والحاجب أرياروق ، وبرز من الغلمان أيضاً , قادة تولوا رئاسة ديوان العرض ، منهم أبو سهل الزوزني وأبو الفتح الرازي . كذلك توصل بعض الغلمان لمنصب كبير الحجاب أمثال بكتغدى وسوباشي * وبكتكين وغيرهم ، كما تولى هؤلاء مناصب عسكرية مهمة ، وكلفوا بقيادة الجيوش ، كما حصل في معركتي نسا وسرخس (4) .

وبعد وفاة السلطان مسعود الأول , قام الغلمان بدور كبير في أضعاف الدولة والمسير بها نحو الهاوية . فقد انقلب طغرل نزان أحد الغلمان الأتراك على السلطان عبد الرشيد بن محمود ، ولم يستطع عبد الرشيد مواجهته ، وفر محتميا بإحدى القلاع الحصينة ، مما سهل الطريق أمام طغرل دخول غزنة ، والجلوس على سرير الملك والتزوج بالحرة الجليلة بنت السلطان مسعود الأول كرها ، وبلغت به الوحشية أن حاصر عبد الرشيد ، وانزله من قلعته , وقتله مع أخوته سليمان وشجاع ، كما قتل تسعة من أولاد مسعود الأول بيده في ليلة واحدة ، ثم اخرج فرخ زاد بن السلطان مسعود بن محمود من حبسه ، وأجلسه على سرير عرش غزنة سنة 443هـ/ 1051م (5) .

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت غزنة وأعمالها تحت تصرف طغرل نزان كعامل للسلاجقة . واستمر الوضع على ما هو عليه ، حتى تمكن نوشتكين نوبتي ، أحد غلمان مسعود الأول من قتله سنة 443هـ / 1051م .

---

(1) خواندمير : دستور الوزراء ، ص 239 - 240 .

(2) تاريخ البيهقي ، ص 580 .

* قلعة هانسى : تقع في بلدة هانسي ، التابعة لولاية دلهي في بلاد الهند ، يسميها الهنود القلعة العذراء ، لان أحد لم يستطع فتحها في أي زمان , وبقيت حتى تمكن السلطان مسعود بن يمين الدولة محمود من فتحها . الندوي : معجم الأمكنة ، ج 2 ، ص 54 .

(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 622 - 623 ، 684- 685 ؛ الجوارنه : قطاعات الجيش ، ص 33 .
* سوباشي : كلمة تركية معناها قائد الجيش , وردت هنا إسم شخص , فقد عيِّن قائد لعدة جيوش غزنوية فرعية ، وخاض الكثير من الحروب ضد السلاجقة في خراسان . الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 2 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 22 ؛ فامبري : تاريخ بخارى ، ص 127 .
(4) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، 113 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 33 .
(5) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 8 ، ص 61 ؛ حسن : تاريخ الإسلام ، ج 3 ، ص 101 ؛
Jusjani : Tabakat Nasiri , vol . 1 , p . 99 – 100 .

كما ثار الغلمان سنة 450 هـ /1058م مستغلين ضعف الدولة ، واتفقوا على قتل السلطان فرخ زاد بن السلطان مسعود الأول أثناء وجوده بالحمام ، وكان يعلم بما يحاك له من مؤامرات ، فكان يحتاط ، ويحمل سيفه معه حتى داخل الحمام أثناء الاعتداء عليه ، فدافع عن نفسه ، حتى أدركته مجموعة من غلمانه الخاصة وخلصته من المعتدين (1) .

أما لباس غلمان السراي فكان العمائم ذات الأربع ريشات ، وأحزمة ثمينة مرصعة بالجواهر ، وحمائل سيوفهم مرصعة بالجواهر أيضاً ، ويحملون بأيديهم السهام والسيوف والخناجر والأقواس أثناء عرض المراسم العسكرية . أما غلمان القصور (الخدم) يلبسون على رؤوسهم عمائم ذات غصنين ، ويتمنطقون* بأحزمة فضية ثمينة ، ويحملون في المناسبات معاليق* ، وعمد من فضة ، والجميع يلبس أقبية من الديباج (2) .

ثانياً ـ القوات غير النظامية .

1 ـ المتطوعة أو الغزاة (غازيان) .

هم جماعة يجمعون لقتال الكفار ، ويكونون جيشاً عليه قائد خاص سمي سالار غازيان أو سالار غازي (قائد المتطوعة / الغزاة) ، والغزنويون هم أول من أسس هذا النظام ، لغايات غزو وفتح بلاد الهند ، ويعتبر نظام المتطوعة خارج عن نظام ديوان الجند ، وهم جماعات يلبون دعوة الخليفة أو السلطان ، ويلتحقون بالجيش لمقاتلة الأعداء ، وفتح البلدان عند تعبئة الجيوش لقتال أعداء الإسلام , والذود عن بيضة الدولة بحالة الدفاع (3) .

. وتعتبر المتطوعة قوة إضافية تعمل على تعزيز قدرات الجيش القتالية ، حيث كان المتطوعة قوة مدربة يعتمد عليهم في ميدان القتال عند ملاقاة العدو ، فأبدوا مساعدة لقطاعات الجيش ، ومشاغلة لبعض وحدات العدو ، ولهم إسهامات في عمليات فتح الهند ، إذ رافقوا سلاطين غزنة في أغلب فتوحاتهم . ولم يقتصر قدومهم من قرية أو مدينة أو إقليم ، بل كانوا يتوافدون من مختلف المدن والأقاليم ، والبلدان المجاورة وهم يحشدون وقت الحرب ، ويسرحون بانتهائها (4) .

---

(1) ابن الأثير : الكامل , ج 8 ، ص 87 .
* يتمنطقون : نسبة إلى المناطق ، وواحدتها منطقة ، وهو ما يشد به الوسط . الصابئ : رسوم دار الخلافة ، ص 12 ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج 10 ، ص 428 ؛ البستاني : محيط المحيط ، ص 900 .
* معاليق : جمع , مفردها معلاق وهو ما يعلف به ، وكل ما علق به شيء فهو معلاق . ابن منظور : مصدر سابق ، ج 10 ، ص 261 - 262 .

(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 308 ، 316 ، 588 .
(3) ثابت ، نعمان : العسكرية في عهد العباسين ، مراجعة اللواء الركن حامد أحمد الورد ، مديرية المطابع العسكرية ، بغداد ، 1978م ، ص 169؛ مخلص ، عدي يوسف : التنظيمات الحربية في الفترة الأخيرة من الدولة العباسية ، المجلة التاريخية ، العدد الثالث ، 1974م ، ص 218 .
(4) نظام الملك : سياست نامه ، ص 151- 152 ؛ عون ، عبد الرؤوف : الفن الحربي في صدر الإسلام ، دار المعارف ، مصر ،1961م ، ص 99 .

وشكلت قوة المتطوعة قطاعاً مهماً من قطاعات الجيش الغزنوي ، أما قائدهم فيتم تعيينه من قبل سلطان غزنة مباشرة (1) .

وتزودنا المصادر بوجود أعداد كبيرة من المتطوعة عبر تاريخ نظم المؤسسة العسكرية الغزنوية . وتشير إلى أن أول من أسس هذا النظام الأمير ألبتكين ، فكان إذا عقد العزم على المضي للغزو والجهاد ، يعلن ذلك وينتظر حتى تتجمع المتطوعة من مختلف المناطق . يتضح هذا من قراره المعلن سنة 351هـ / 962 م ، والقاضي بالذهاب للهند للغزو والجهاد ، فخرج من نيسابور , وانتظر في معسكرات بلخ لمدة شهرين ، لتمكين المتطوعة في بلاد ما وراء النهر وختلان وطخارستان وأطراف بلخ وغيرها من تجهيز أنفسهم ، بعدها توجه غازيا لبلاد الهند ، وحوله ثمانمائة ألف مقاتل (2) . وفي عهد الأمير سبكتكين برزت قوات المطوّعة كوحدة انضوى تحت قيادتها أعداد كبيرة من المتطوّعة (3) .

وتوجه جيش السلطان محمود سنة 391هـ / 1000م لغزو مناطق لمغان* في بلاد الهند , وبرفقته قوات متطوّعة ، ولما شاهد جيش الهند بقيادة جيبال ، اختار محمود خمسة عشر ألـف مـن الجند النظامية والمتطوعة ، ودار قتال شديد بين الجانبين ، وعند منتصف النهار , هزمت جيوش الهند بعد أن خسرت أعدادا كبيرة من القتلى ، وأسرت منهم أعدادا أخرى من بينهم ملكهم جيبال (4) .

وانضمت متطوّعة من المسلمين بأعداد كبيرة لجيش السلطان محمود سنة 395هـ / 1004م ، بعد أن صدر أمراً سلطانياً لأمراء الأطراف ، لجمع الجند والانضمام لقيادة جيوش غزنة ، وجاء حشد هذه القوات بعد وصول معلومات ، تفيد بأن وآلي الملتان أبو الفتوح* ينتحل مذاهب الباطنية ، ويدعو الناس إليه . فشكل محمود الجيش أغلبه من الفرسان ، وتوجه إلى الملتان ، وحقق انتصارات باهرة على الأعداء (5) .

وسار السلطان محمود ومعه الجيش والمتطوّعة سنة 405هـ / 1014م ، للقضاء على حاكم مدينة تانيشر بعد وصول معلومات تفيد بتماديه فـي الكفر والطغيان ، وعناد

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 278 .
(2) نظام الملك : سياست نامه ، ص 151- 152 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 86 - 87 .
(3) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 16 .
* لمغان : تسمى لامغان ، وقيل لها لامغان ، لأنها كورة تشمل على عدة قرى ، وهي ثغر الهند مما يلي العاصمة غزنة . الحموي : معجم البلدان ، ج 5 ، ص 8 ؛ البغدادي : مراصد الإطلاع ، ج 3 ، ص 1208 .
(4) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 74 ؛
Jusjani : Tabakat Nasiri , vol . 1 , p . 81 .

(5) أبو الفتوح : يعرف بداود القرمطي ، وهو الفتح داود بن نصر بن حميد بن لوى ، أحد بقايا غزاة توطنوا في الملتان , تولى حكم ولاية الشيعة في الملتان بعد جده حميد سنة 387هـ / 997م ، دعى الناس إلى الإلحاد ، فأجابه قوم وامتنعت أقوام , ولما بدأ يسئ إلى اتفاقية الصلح التي كان قد ابرمها الأمير سبكتكين مع حميد سنة 381هـ / 991م ، توجه السلطان محمود بن سبكتكين إليه سنة 401هـ / 1010م ، واجتاح أراضيهم قرامطة الملتان , وقبض على داود ، وأخذه إلى غزنة ثم أرسله إلى قلعة غوراك ، وبقي فيها حتى مات , وأصبحت الملتان جزءاً من الدولة الغزنوية . الكرديزي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 79 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 227 - 228 .

(6) البيروني : مصدر سابق ، ص 88 - 89 ؛ العمري : مسالك الممالك ، ص 195 - 196 .

المسلمين ، فقام المطوعة في هذه المعركة ، بدور بطولي ، وقدموا مساعدات لقطاعات الجيش ، تمثلت بمشاغلة الأعداء الهنود . كما تزودنا المصادر بأنه بلغ عدد المتطوعة حوالي عشرين ألفاً من الوافدين من بلاد ما وراء النهر وخراسان وغيرها في غزوة السلطان محمود الثانية عشر إلى بلاد الهند التـي استهدفت فتح مهـرة وقنـوج سنة 408هـ /1017م (1) .

وشاركت قوات المتطوعة بأعداد كبيرة في حملة السلطان محمود على سومنات سنة 416هـ/1025م ، قدر عددهم ما بين عشرة آلاف إلى عشرين ألف شخص . وقد أبلت قوات المتطوعة بلاءً حسنا خلال معارك تلك الحملة , وأكثر ما برز دورهم في حصار القلاع والحصون ، بالإضافة لقيامهم بقتال الهنود إلى جانب قطاعات الجيش النظامية (2) .

وقامت قوات المتطوعة المرافقة لجيش الهند الذي قاده أحمد ينالتكين من تحصيل خراج مُكران كاملاً سنة 424هـ / 1032م . ومما يشير إلى دور قوة الغزاة ما اقترحه أبو نصر مشكان رئيس ديوان غزنة على السلطان مسعود الأول سنة 428هـ / 1036م بإسناد مهمة فتح قلعة هانسي ، لقائد الغزاة وجيش لاهور , وحاجب يتم تعينه من قبل البلاط ، ليتسنى للسلطان التفرغ التام للتوجه إلى خراسان , لمقاومة السلاجقة الذين علا شأنهم بالبلاد ، وعاثوا بالأرض فساداً (3) .

وفي معركة دندانقان سنة 431هـ/1039م شاركت المطوعة بقيادة عبد الله قراتكين , فلما حلت الهزيمة بالجيش الغزنوي ، انضم عبدالله للأمير مـودود بن مسعود ، والأمير عبد الرشيد بن سبكتكين ، ولعدد كبير من قادة الجيش ، وتوجه الجميع إلى غزنة ، وأشار عبدالله قراتكين على السلطان , بأنه على استعداد للذهاب للهند ، لإحضار مرتزقة من الهنود من بينهم عشرة آلاف من مغاوير الفرسان ، لقتال السلاجقة وإعادة الأمور إلى نصابها (4) .

وكان رأي قائد الغزاة أحد الأسباب التي دفعت بالسلطان مسعود بالإصرار على التوجه شخصياً لبلاد الهند ، لتجنيد أعداد كبيرة من الهنود في الجيش ، ليكون أكثر اعتماداً عليهم في حروب مستقبلية مع السلاجقة كان يفكر فيها . وقد أولى سلاطين غزنة المطوعة عناية خاصة ، وخصصوا لهم معسكراً خاصاً في غزنة , يتجمعون فيه عند الحاجة ، وكانت المطوعة تطلب من قائدهم آمون آثر* عندما تستدعي الحاجة لقوات إضافية تساعد الجيش النظامي ، واستمر قائد المطوعة آمون بتقديم الخدمات التطوعية بهمة فائقة حتى سنة 449هـ/1052م (5) .

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 263 ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ج 15 ، ص 133 .
(2) الحنبلي ، أبي يعلي محمد بن الحسين الفراء (ت 458هـ / 1065م) : الأحكام السلطانية ، مطبعة مصطفى البابي وأولاده ، مصر ، ط 2 ، 1386هـ / 1966م ، ص 15 ؛ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ص 430 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 310 ، 426 ، 576 - 578 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 4 .
(4) المصدر نفسه ، ج 8 ، ص 24 - 25 .
* آمون آثر : من خدم الأمير يوسف بن سبكتكين ، اعتزل العمل بعد وفاة سيدة الأمير. وبعد أن أرسل إليه سلاطين غزنة طلبات عدة ، وافق على العودة لقيادة متطوّعة غزنة ، ثم قدم استقالته أكثر من مرة ، فكان طلبه يقابل بالرفض من قبل سلطان غزنة ، فعمل على توسيط الشفعاء له ، ملتمسا إعفاءه من الخدمة ، ليتفرغ للاشتغال في المحراب والصلاة وقراءة القرآن والعبادة . البيهقي : مصدر سابق ، ص 278 .
(5) المصدر نفسه ، ص 278 .

2 ـ المرتزقة .

هم عناصر اتخذوا الاشتراك بالجيش والقتال في المعارك حرفة لجني أرزاق حياتهم ، ولتوفير العيش الكريم لهم ولمن يعولون ، وبعبارة أدق هم الجند المثبتون في الديوان والذين تدفع لهم الرواتب من خزينة الدولة ، فقد حرص السلاطين الغزنويون على توفير مثل هؤلاء المقاتلين في الجيش ، للحاجة إليهم ، والقيام بمساعدة الجيش في الشؤون الإدارية والعسكرية مع عدم التزام الدولة بنفقاتهم بصورة دائمة كالجند النظاميين ، فكان لهم دور في تشيد وبناء صرح مؤسسة الجيش الغزنوي (1) .

وأدركاً من سلاطين غزنة لأهمية هؤلاء المرتزقة , رفدوا مؤسستهم العسكرية بعناصر عسكرية غير نظامية ، فعملوا على توفير مثل هؤلاء لما يقوموا به من أعمال إدارية ، ومساعدة جيوشهم في القتال . وتشير المصادر إلى أن السلطان محمود عمل بهذا النظام , وأن المرتزقة رافقته في غزوته الثانية عشر سنة 409هـ / 1018م ، لفتح مهرة وقنوج ، ووصف ابن خلدون (2) حشد السلطان محمود لهؤلاء المقاتلين بقوله : " فاستنفر الناس من جميع الجهات من المرتزقة والمتطوعة " .

وكان المرتزقة يظهروا في قطاعات الجيش الغزنوي بصورة مستمرة ، فقد ظهروا مع الجيش الذي قاده السلطان مسعود بن محمود سنة 426هـ / 1034م وتوجه به من نيسابور إلى دهستان , لإقامة فصل الشتاء هناك ، لتوفر المراعي بعكس نيسابور التي اجتاحتها موجة من المحل والجفاف ، نتيجة عدم هطول الأمطار ، وكان هؤلاء المرتزقة قد أخذوا مستحقاتهم المالية قبل تحركهم مع الجيش من نيسابور (3) . وحرص السلاطين على تدريبهم وتربيتهم أخلاقيا ، وضبط تصرفاتهم ومعاقبة المذنبين منهم ، حسب النظم المعمول بها , والأوامر والتعليمات العسكرية الصادرة لهم ، والتي نصت على عدم التعرض للأهالي بسوء ، فعاقب السلاطين كل من لا يلتزم بهذه التعليمات (4) .

أما بالنسبة لاستحقاقات المرتزقة المالية ، فكانت تدفع لهم مسبقا , لتمكينهم من الإنفاق على أنفسهم , وتأمين من يعولوا قبل ذهابهم للميدان ، وحتى لا يقوموا بممارسة أعمال السرقة أو النهب أو اللجوء لأية طريقة غير مشروعة للحصول على أية مبالغ مالية (5) .

---

(1) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص 60 ؛ نظام الملك : سياست نامه ، ص 140 .

(2) العبر : م 4 ، ف 4 ، ج 8 ، ص 796 .
(3) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 263 ، 282 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 15 ، ص 13 .
(4) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 478 - 479 ؛ نظام الملك : مصدر سابق ، ص 32 .
(5) ابن الجوزي : مصدر سابق ، ج 15 ، ص 13 ؛

Bosworth : The Chaznavids , p . 108 .



الفصل الثاني
قطاعات الجيش

المبحث الأول : القطاعات الضاربة

1 ـ الفرسان (الخيالة)
2 ـ الرجالة (المشاة)
3 ـ الرماة (النشابون)
4 ـ الفيَّالة
5 ـ الجمَّالة

المبحث الثاني : تشكيلات الإسناد

1 ـ المنجنيقية
2 ـ الفعلة
3 ـ العيون والجواسيس
4 ـ الشحنة
5 ـ السفن (الأسطول)
أ ـ السفن النهرية
ب ـ السفن البحرية
6 ـ الزرَّاقون

المبحث الثالث : وحدات الخدمات الإدارية

1 ـ التموين والنقل
2 ـ الموسيقى
3 ـ الطب (الأطباء)
أ ـ الطب البشري
ب ـ الطب البيطري
ج ـ التمريض
د ـ النقالة
هـ ـ البيمارستان (المستشفيات)
4 ـ الأدلاء (المرشدون)
5 ـ عدد الجيش

الفصل الثاني
قطاعات الجيش

شكل الغزنويون مؤسستهم العسكرية من قطاعات ووحدات عسكرية عدة , مختلفة التسليح والمهام ، ليس لضمان إيجاد توازن قوى بين الدولة الغزنوية والإمارات والدول المجاورة فحسب ، بل لتمكينهم من التفوق العسكري في الشرق (آسيا الوسطى وأفغانستان والهند) . لذلك حرص سلاطين غزنة على بناء جيش قوي ، يشمل مختلف النظم العسكرية لكافة أصناف قطاعات الجيش في ذلك العصر .

ومن خلال دراسة تاريخ الدولة الغزنوية بشكل عام ، وتاريخها العسكري بشكل خاص ، وبالذات الحروب التي خاضها الجيش الغزنوي ، داخل أقاليم الدولة بهدف إخضاع الولاة والمتمردين والغزاة ، أو من خلال حروبه خارج البلاد ، وأهمها تلك المعارك التي خاضها الغزنويون إبان غزواتهم لبلاد الهند . وبدراسة مجريات تلك الحروب ، توصلت الدراسة إلي معرفة صنوف القطاعات التي تشكل منها الجيش الغزنوي الجرار (1) .

وقطاعات الجيش هي تلك الصنوف التي يقع على عاتقها عبء المعركة , بمختلف عملياتها القتالية ، ومختلف مراحل مجرياتها الدفاعية منها والهجومية منذ البدء بتجهيز الجند ، والمسير للتعبئة والتنظيم ، ثم القيام بأعمال المراقبة والحصار ، ويتبعها تنفيذ الأوامر والتعليمات الصادرة بالالتحام مع العدو ، وما يليها من عمليات تطهير للمواقع المحتلة ، ومطاردة فلول الجيش المنهزم ... الخ من عمليات عسكرية , ولكل مرحلة من المراحل الملقاة على كاهل القطاعات تأثيرها الخاص والمباشر بالأعداء ، وفيما يلي توضيح لأهم قطاعات الجيش .

---

(1) الجرار : ما بلغ تعداده إثناء عشر ألفاً . الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 28.

المبحث الأول
القطاعات الضاربة

1 - الفرسان (الخيالة) .

ارتبط صنف الفرسان بالخيل ، قال ابن القيم الجوزي (1) : " والفروسية أربعة أنواع أحدهما : ركوب الخيل والكر والفر ، والثاني : الرمي بالقوس ، والثالث : المطاعنة بالرماح والرابع : المداورة بالسيوف ، فمن استكملها أستكمل الفروسية " .

ويتفق العارفون بسياسة الحروب على تأكيد مبدأ القيام بعمليات الكر والفر ، وأسندوا المهمة لقطاع الفرسان ، لما يتمتع به من مهارة عالية . ووصف الجاحظ (2) الفارس بأنه يطوي الجيش كطي السجل .

وأطلق الغزنويون على الفارس القدير المتوشح بزي الحرب إسم ديو سوار ، وعينوا لقيادة الفرسان أحد كبار القادة العسكريين كان أغلبهم من الحجاب ، وأطلقوا على من يتولى هذا المنصب اسم سوار سالار أي قائد الفرسان ، كما أطلقوا إسم أخور سالار على من يتولى مسؤولية اصطبلات الخيول (3) .

والدارس للتاريخ العسكري الغزنوي يلاحظ أن الجيوش الغزنوية تألفت في أغلبها من الفرسان ، فكان الفرسان من أقوى القطاعات العسكرية الضاربة مهارة وقدرة على الصمود , وتحقيق النصر في كافة الحروب الغزنوية ، والسبب الرئيس : هو اعتماد الغزنويين في الأغلب الأعم على العناصر ذات الأصول التركية ، وخاصة العناصر التي جلبها سلاطين غزنة من بلاد ما وراء النهر وأواسط آسيا .

أكسبت هذه العناصر سلاح الفرسان أهمية خاصة , وميزته عن غيره من قطاعات الجيش الأخرى . لما اشتهر به الأتراك من فروسية , وحب الغزو والقتال . ووصفهم الجاحظ (4) بأنهم : " لم تشغلهم الصناعات والتجارات والطب , والفلاحة والهندسة ، ولا غرس ولا بنيان ولا شق أنهار ، وطلب الغنائم وتدويخ البلدان ، وكان همهم إلي ذلك مصروف " . وكان الفارس عارفا بالخيل ، وذا مهارة عالية بركوبها وبعمليات المراوغة والمطاردة (5) وغير ذلك من الأمور القتالية .

ولضمان سلامة الفارس ، فرض عليه التخلص من الأثقال ، ليتمكن من القيام بعمليات الحمل على الأعداء من خلال حركته السريعة في ميدان القتال , لتطبيق اسلوب الكر والفر ، وقد نصح الهرثمي (6) الفرسان ، بعدم حمل الوسائد والفرش الأرمينية ، والمصليات والبسط الطرازية ، والأباريق والطاسات وما أشبه ذلك في غزوهم ، ويؤمرون ألا يتخذوا من المتاع إلا ما خف محمله ومؤنته , وعظمت نكايته .

---

(1) أيوب ، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ / 1350م) : الفروسية ، دار الشؤون الثقافية ، ط 1 ، بغداد ، 1987م ، ص 120 - 121 ؛ الجنابي : تنظيمات الجيش في العصر الأموي ، ص 114 - 115 .
(2) رسائل الجاحظ ، ج 1 ، ص 53 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 515 ، 681 ، 799 ، 802 ؛ الجوارنه : قطاعات الجيش ، ص 29 .
(4) رسائل الجاحظ ، ص 510 .
(5) الأنصاري ، عمر بن إبراهيم الألوسي (ت 815هـ/1412م) : تفريج الكروب في تدبير الأمور ، تحقيق جورج سكانلوب ، دار المعارف ، القاهرة ، 1961م ، ص 42 .
(6) مختصر سياست الحروب ، ص 65 .

جاء اعتناء الغزنويون بالفرسان ، لتمتعهم بسرعة الحركة ، وتحمل الصدمة الأولى عند الالتحام بقطاعات العدو ، وتقدمهم أمام الجيوش أثناء الحركة ، والقيام بالهجوم عند بدء المعركة على مجنبتي جيش العدو ، لإرباك صفوفه ومطاردة فلوله , وقيامهم بأعمال المبارزة والهجوم ، وأنيط بهم الكثير من الواجبات المختلفة لتحقيق مثل هذه الأهداف (1) .

لهذه المميزات أعتني سلاطين غزنة بالفرسان ، وأولوهم عناية خاصة باعتباره العامود الفقري لبقية القطاعات ، فالفرسان إحدى أهم القطاعات الحربية الضاربة في المعركة ، فاعتمد عليه الغزنويون ، وفضلوه على غيره ، وأصبح أكبر القوات المقاتلة إذا قورنت بالوحدات الأخرى .

وكان الفارس عارفا بأصناف الخيل , وآلاتها وما يلزمها ، وإصلاح ما يحتاج منه للإصلاح ، ويضع المسمار في النعل اذا سقط ، ويكون ذا مهارة عالية بركوب الخيل والمراوغة والمطاردة . واعتنى الفارس الغزنوي , بفرسه وجهزه وسمنه , ودربه على فنون الحركات التي يحتاجها الفارس في القتال ، ولضمان سلامة الخيل , عمل الفرسان على تغطية أجسام خيولهم بالتجافيف* ، وزودها بمقاود تسمى الأوهاق* ليسهل قيادتها من قبل الفارس ، ووضعوا على ظهورها السروج (2) .

وخصص لكل فارس حصانين للمحافظة على سلامته ، أحدهما للركوب والمبارزة والقتال , والآخر لحمل الأثقال ، لذلك كانت حصة الفارس حصتان من الغنائم والأموال والرواتب (3) .

وأحيانا كان يخصص أكثر من فرسين أو ثلاثة للفارس الواحد ، وأكد البيهقي (4) أن الأمير مودود بن مسعود الأول جعل مع كل فارس حصانين أو ثلاثة ، في حربه مع السلاجقة في مناطق دهستان ونسا وفراوة سنة 426هـ / 1034م .

يتضح أن الغاية من توفير أكثر من فرس للفارس الواحد ، هو نظام اتبعه الغزنويين حتى لا ترهق خيول الفرسان ، ولتكون مستريحة وعلى أهبة الاستعداد للحرب ، فكان الأول : للركوب والقتال والثاني : لحمل أثقال الفارس المختلفة ، ويكون بمثابة احتياط فيما إذا نفق الفرس الأول أو لحق به شيء من التعب أو المرض ، أما الفرس الثالث : فيكون احتياط لكلا الفرسين ، بالتالي يمكن ضمان سلامة الفارس .

---

(1) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 41- 42 ؛ الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 10 - 11 .

* التجافيف : جمع تجفاف ، وهي دروع فولاذية أو جلدية , تلبس للخيل والفيلة لتقيها نكاية الأسلحة ، وتكون مزينة بألوان مختلفة ، عليها جيوب توضع فيه الحراب والرماح . العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 130 ، 307 ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج 9 ، ص 30 (مادة جفف) ؛ البستاني : محيط المحيط ، ص 114 .

* الأوهاق : جمع وهق ، وهو الحبل يرمى في أنشوطة ، فتؤخذ به الدابة والإنسان . الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ص 58 ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج 10 ، ص 464 (مادة وهق) ؛ البستاني : مصدر سابق ، ص 988 .

(2) الأنصاري : تفريج الكروب ، ص 42 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 214 .

(4) Bosworth : The chaznavids , p . 113 - 114 .

(6) تاريخ البيهقي ، ص 495 .

والدراسات الحديثة تهتم بقدرة الجيش الغزنوي بقدر ما تملكه الدولة من قطاعات الخيول والفرسان ، فقد أكد المؤرخ الإنجليزي الفنستون (Ellphinstone) (1) أن الخيول العربية بلغت خمسة ألاف حصان عربي في سلاح الفرسان في عهد السلطان محمود الغزنوي .

وبلغ تعداد سلاح الفرسان في جيش السلطان محمود بن سبكتكين سبعاً وثمانيين ألف فارس (2) ويشير بعض المؤرخين المحدثين إلى أنه حدث تناقص في أعداد سلاح الفرســان في السنوات الأخيرة من حياة محمود حتى بلغ أربعة وخمسين ألف فارس من خيرة الفرسان (3) ولم يقف هذا القطاع عند عدد معين ، بل تضاعف في مناسبات عديدة حسب مقتضبات الظروف السياسية والعسكرية التي تعرضت لها نواحي وأقاليم البلاد .

ولم يكن اهتمام آل سبكتكين بالفرسان من إبداع فكرهم ، بل تعلموه من نظام سيدهم الأول ألبتكين الذي امتلك إبان توليه قيادة الجيش الساماني خمسمائة قرية في خراسان وبلاد ما وراء النهر ، ولم تكن مدينة إلا وله فيها قصر وبستان , ومحطات قوافل وحمامات ومليون رأس غنم , ومائه ألف حصان وبغل وجمل . والتحق به ثمانمائة ألف فارس غاز من شتى نواحي وأقاليم البلاد أثناء خروجه من خراسان لتنفذ رغبته بغزو الهند (4) .

ونتيجة الاهتمام البالغ بالفرسان تمكن من تأدية واجبه على أكمل وجه ، ولعب دورا بارزا في المعارك التي خاضها الجيش الغزنوي ، وفيما يلي بعض الأمثلة على دور هذا القطاع .

ولما أعلن أبو علي سيمجور قائد الجيش الساماني في خراسان العصيان على الأمير نوح بن منصور الساماني* سنة 384هـ / 994م ، وصف الكرديزي (5) الأرض بأنها أصبحت غير مرئية من كثرة الفرسان والقوات التي حشدها الأميران نوح وسبكتكين للقضاء على تمرد أبو علي .

كما حقق السلطان محمود سنة 389هـ / 998م نصراً باهراً على القوات الهندية المتحالفة بقيادة جيبال ، معتمداً على قوة الفرسان التي شكلت جناحي وقلب الجيش من

---

(1)

Ali . M : Ahistory of Indo - Pakistan , Dacca , 1970 , p , 349 .

(2) ابن الجوزي : المنتظم ، ج 15 ، ص 293 ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، ج 3، ص 23 ؛ ألعامري : غربال الزمان ، ورقة 98 ب ؛ حتاملة : العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية ، ص 79 .

(3)

Habib : Sultan Mahmud , p . 21 .

Ellphinstone : A history of India , London , 1889 , p . 350 .

(4) نظام الملك : سياست نامه ، ص 151 - 152 ؛

Habib : Sultan Mahmud , p . 20 - 22

(5) نوح بن منصور: هو أبو القاسم نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل (352 - 387 هـ / 962 - 997 م) ملك خراسان وغزنة وما وراء النهر . تولى الحكم بعد وفاة والده ، وكان عمره ثلاث عشر سنة , وبقي حاكماً إحدى وعشرون سنة وتسعة اشهر ، توفى في رجب سنة 387هـ / 997م ، واختل بموته ملك آل سامان . العمري : مسالك الأبصار ، ص 187 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 11 ، ص 285 ، 324 .
(6) زين الأخبار ، ص 60 ؛ العمري : مصدر سابق ، ص 187 .

عشرة آلاف فارس وراجل ، لكل تشكيل من التشكيلات الثلاث (1) .

واعتمد السلطان محمود على قطاع الفرسان المشكل من خمسة عشر ألف فارس في غزوته لمناطق بيشاور ، وعند وصوله لمدينة ويهند ، الواقعة ضمن ممتلكات راجا جيبال تمكن الفرسان بمساعدة المشاة والمتطوعة من تحقيق نصراً باهراً ، واجبار جيبال على الخضوع لتنفيذ بنود اتفاق صلح كان قد تم إبرامه بينهما منذ سنة 391هـ / 1000م ، ولم ينفذ جيبال ما اتفق عليه وأصدر أوامره لقادة القلاع والحصون التي شملها اتفاق الصلح بعدم تسليمها للجيش الغزنوي (2) .

واعتمد السلطان محمود في زحفه من عاصمته غزنة سنة 409هـ / 1018م ، على جيش قوامه مائة ألف فارس ، وبهذه القوات حاصر قلعة ماثورا (Mathura) بشجاعة فائقة وهمة عالية ، ومن ثم سيطرة على بقية ضواحي المدينة المقدسة عند اتباع الديانة الهندوسية , وحطم معظم أصنام ومعابد الهندوس في تلك المدينة (3) .

نلاحظ أن جيش السلطان محمود كان أغلبه من سلاح الفرسان في موقعة سومنات سنة 416هـ/1025م ، وتذكر المصادر أن عدد الفرسان الذين شاركوا في هذه المعركة بلغ حوالي ثلاثين ألف فارس (4) .

كما كان للفرسان الدور الأكبر في حسم المعارك لصالح الغزنويين ، وبداية نفوذ إسلامي , بأبعاده العسكرية والسياسية والثقافية على الهند ، ويعود ذلك إلي دقة ونظام سلاح الفرسان ، وهما العاملان الرئيسيان اللذان تسببا في مواصلة الغزنويين لحملاتهم وغزواتهم العسكرية في أواسط آسيا والهند ، ويعود هذا لاهتمام سلاطين غزنة بسلاح الفرسان الفاعل في ميدان القتال الذي انعكس ايجابياً على التوسع والانتشار السريعين للدولة الغزنوية والإسلام ، وارسوا بها دعائم حكمهم ، رغم تباعد المسافات بين الأقطار والأقاليم التي فتحوها (5) .

وجه السلطان مسعود الأول سنة 426هـ/ 1034م جيشاً مكوناً من ثمانية آلاف فارس ممتاز من مختلف الأجناس , وألف وخمسمائة غلام ، ومعدات فتح الحصون وغيرها من المعدات ووسائط النقل ، لمحاربة باكاليجار وآلي جرجان ، والتقى الجيشان في ناتل ، أبدى فرسان الجيش دوراً مميزا في القتال .كما دفع الغزنويون بخمسين ألف فارس وراجل إلي جانب القطاعات الأخرى إلى ميدان معركة بيداء سرخس , ولم تحسم المعركة إلا في اليوم

---

(1) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 65 - 66 ؛ ناظم : زمن السلطان ، ص 38 - 43 ؛ العسلي : فن الحرب ، ج 3 ، ص 357 .
(2) الكرديزي : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 73 - 74 ؛

Habib : Sultan Mahmud , p . 21 .
Jusjani : Tabakat Nasiri , vol . 1 , p 81 .

Morel . M . W , Munshi : The Struggle for Empire , Bombay , 1966 , p . 6 .
(3) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 76 ؛
Meyer . M . W : South Asia , A Short History of the Sub Continent , Newjersy , 1967 , p. 81.
(4) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 320 - 321 ؛ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ص 430 .
(5) الراوندي : راحة السرور ، ص 157 ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص 187 .

بعد تزايد عدد الفرسان بالقتال ، فابلوا فيها البلاء الحسن ، وكان لهم دور في حسم المعركة لصالح الجيش الغزنوي (1) .

وأصر السلطان على ملاحقة السلاجقة حتى التقى بهم في دندانقان في حدود مرو سنة 431هـ/1039م , هزمت فيها جموع الجيوش الغزنوية نتيجة تقاعس سلاح الفرسان في المعركة مما شكل خطورة بالغة الأهمية على مستقبل أقاليم الدولة الغزنوية الغربية ، ووقوعها تحت السيطرة السلجوقية الذين زادوا حماساً وشجاعةً . وقد وصف البيهقي (2) موقفهم بقوله : " أما الفرسان ، فكانوا كالمتفرجين لا يحركون ساكنا ، والعدو يزداد قوة ساعة بعد أخرى ، بقدر ما يزداد رجالنا فتورا " .

ودافع أركانية الجيش , ومقدمي الفرسان عن فشل الجيش في تحقيق أي نصر في اليوم الأول للقتال ، وعللوا الأسباب بقولهم للسلطان : " إن الفرسان قد بداء عليهم الوهن من شدة ما قاسوا من الآلام ، وهم يائسون جائعون ، وليس على القادة والمقدمين أكثر من بذل أرواحهم في سبيل السلطان " ولكن الفرسان لم يقدموا ما وعد به قادتهم السلطان بالأمس . ولم يقتصر واجب الفرسان على القتال ، بل شمل قيامهم بنقل البريد العسكري من وإلى مختلف القيادات ، وأسندوا للفرسان مهمة تحصيل أموال الخراج المفروض على مدن وولايات الدولة .

واعتمد سلاطين غزنة على الفرسان في عمليات المطاردة والملاحقة . فقد اعتمد السلطان مسعود على الفرسان في ملاحقة الفارين من مدينة آمل ، تمكنوا من إعادتهم بقوة السلاح , لدفع الضرائب التي فرضها عليهم السلطان سنة 426هـ / 1034م (3) . ولم يقتصر وجود الفرسان على جيش الدولة ، بل كان لكبار الأعيان والأمراء وأركانية الجيش عدد من الفرسان الخاصة بهم . فمثلاً بلغ عدد فرسان الحاجب أشفتكين الغازي في عهد السلطان محمود بن سبكتكين ألف فارس ، مجهزين بكامل العدة والأسلحة ، وللتعرف على خيول وجمال وبغال السلطان , وتميزها عن غيرها من الخيول أتخذ نظام غزنة بعض الإجراءات للتعرف عليها ، فوسَمُوها بالوَسْم السلطاني . فكان الوسم واضحاً على خيول قطاع فرسان جيش السلطان مسعود في معركة دندانقان سنة 431هـ / 1039م (4) .

2 ـ الرجالة (المشاة) .

يتشكل عادة سلاح الرجالة من الجند الذين يقاتلون الأعداء راجلين على الأقدام ، دون استخدامهم لأية واسطة ركوب في ميدان القتال ، ويتحلى الرجالة بالصبر على المحن والثبات وتحمل الصعاب الكبيرة (5) .

---

(1) الراوندي : راحة الصدور ، ص 163 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 15 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ؛ ص 671 - 675 ، 681 ، 685 - 689 ؛ أنظر : الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 11 ؛ 44 ؛ الراوندي : راحة السرور ، ص 162 - 163، 166 - 167 .
(3) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 8 ، ص 9 .
(4) الجاحظ : رسائل الجاحظ ، ص 500 ؛ السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771هـ / 1369م) : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمد الطناحي ، مطبعة عيسى البابي وشركاه ط 1 ، 1385هـ / 1966م ، ج 7 ، ص 31 .
(5) الأنصاري : تفريج الكروب ، ص 43 .

وعن مواضع الرجالة في المعركة قال الطرسوسي : " صيِّر الرجالة أمام حيال الخيل ، وأمامها صفوفاً وأصنافاً على ما يرى عرفاً ، الرجالة مع رجالتهم في صفوف متوسطين لهم " ، وهذا ما أكدته بعض المصادر بأن العادة المتبعة في ترتيب المشاة خلال العمليات التعبوية في الصفوف الأمامية المواجهة للأعداء (1) .

أما أسلحة الرجالة فكانت السيوف والرماح , ولباسهم الدروع والخوذ الواقية من ضربات الأعداء ، ويقع عليهم واجب مساندة الفرسان , والاصطدام المباشر مع قوات العدو والإمساك بالمناطق الحيوية من أرض المعركة ، وإيقاع أكبر الخسائر في الأعداء ، وتحقيق أروع الانتصارات ، والتصدي لقطاعات فرسانه لإبطال فاعليتهم القتالية ، لأنهـم اعرف بدفع خيلهم وهزيمتها ، ولهم قدرة كبيرة على اقتحام الأهداف وتطهيرها (2) .

ويعتبر قطاع المشاة أحد أهم أجنحة الجيش ، حيث يشكل القسم الأكبر بعد قطاع الفرسان ، وقام بدور بارزا في كافة المعارك التي خاضها الجيش الغزنوي . وكانت النظم العسكرية الغزنوية تفترض أن سلاح المشاة هو التنظيم العسكري القتالي الذي يعتمد عليه في المعارك ، ويعتبر الرديف الأول للجيش .

فلما أعلن أبو علي سيمجور العصيان في خراسان سنة 384هـ / 994م , كان الرجالة من أكثر الأعداد التي حشدها الأمير نوح بن منصور الساماني , والأمير سبكتكين للقضاء على التمرد .كما عبء السلطان محمود بن سبكتكين جناحي وقلب جيشه سنة 389هـ / 998م ، من عشرة آلاف راجل وفارس , لكل تشكيل من تشكيلات الأجنحة والقلب فقدم الرجالة بطولة رائعة أثناء القتال ، حتى حقق جيش السلطان نصر باهر على القوات الهندية المتحالفة بقيادة جيبال (3) .

عمل قطاع المشاة إلى جانب الفرسان على تحقيق النصر في حملة السلطان محمود الثانية على بيشاور سنة 392هـ / 1001م . كما شكل قطاع الرجالة القسم الأكبر من الجيش الذي أرسله السلطان مسعود سنة 423هـ / 1031م , للانضمام لجيش التونتاش خوارزم شاة لمحاربة علي تكين حاكم بلاد ما وراء النهر ، ووصفت قوات الرجالة بالجحافل (4) .

وأبدى الرجالة شجاعة فائقة سنة 426هـ / 1034م , فهزموا الجرجانيين بعد أن اسروا قائد جيشهم شهراكيم* رغم صعوبة جغرافية أرض المعركـة التـي فرضـت عليهـم

---

(1) مرضي بن علي بن مرضي (ت 589هـ /1193 م) : تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب ، تحقيق كلود كوهين ، بيروت ، 1948م ، ص 110 .
(2) الراوندي : راحة السرور ، ص 163 ؛ الجنابي : تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني ، ص 36 .
(3) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 16 ؛ نظام الملك : سياست نامه ، ص 140 ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص 187 .
(4) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 84 ، 362 ، 489 - 490 ؛
Jusjani : Tabakat Nasiri , vol . 1 , p . 81 .
Habib : Sultan Mahmud , 1967 , p . 21 .
* شهراكيم : هو ابن سوريك أمير استرباد ، وتسمى أستناباد ، أو أستوناوند ، وهي قلعة بينها وبين الري عشرة فراسخ من ناحية طبرستان . تولى قيادة فرسان أبي كاليجار وآلي جرجان في معركة ناتل سنة 426هـ / 1034م ، تعرض لضربة عامود اسقطته عن فرسه ، فوقع أسير بيد الغزنويين ، فلما رآه الجرجانيون ، ولوا مدبرين من ساحة المعركة . الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 112 ؛ البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 4881 ، 486 ، 488 ، 490 - 491 . الحموي : معجم البلدان ، ج 1 ، ص 174 - 175 .

من قبل الجرجانيين . وكان قطاع الرجالة في معركة سرخس سنة 430هـ / 1038م ضمن الجيش المكون من خمسين ألف فارس وراجل . وإذا أخذنا بالنظرية القائلة بأن الفرسان كانوا يشكلوا ثلاثة أضعاف الرجالة في النظام العسكري الغزنوي ، يكون عدد جند المشاة ثلاثة عشر ألف تقريبا ، منهم ألفان على النجائب شكلوا مقدمة الجيش ، وقاموا بتنفيذ خطة تكتيكية بأن قطعوا الطريق في طوس لمنع السلاجقة من الخروج من خراسان (1) .

وفي معركة دندانقان التي جرت أحداثها يوم الأربعاء الثامن عشر من صفر سنة 431هـ / 1039م كان الرجالة القطاع الثاني بكامل العدة والعتاد ، وفيه فيلة القتال ورجالة كثيرون من بينهم عناصر هندية يقودهم قادة مشهورون ، وقد وزعوا على القلب والميمنة والميسرة والساقة ، لكنهم لم يقوموا بواجبهم على أكمل وجه ، قال البيهقي (2) : " كان الغزنويون يحاربون مضطرين ، مما زاد من جرأة السلاجقة " .

ولعل قلة المشاة في الجيش الغزنوي يعود لاعتماد الغزنويين على العناصر التركية الذين شكلوا بغالبيتهم قطاعات سلاح الفرسان ، وبهذا يكون الغزنويون اعتمدوا على سلاح الفرسان أكثر من غيره من أصناف القطاعات الحربية الأخرى . وللرجالة واجبات كثيرة من أهمها : حراسة المعسكرات في الليل والنهار ، وحفر الخنادق حول المعسكرات لحمايتها من رماية أسلحة العدو الذي يعتبر من واجبات الرجالة الرئيسة , وكان لهم الدور المميز في تطوير المؤسسة العسكرية ، وإيقاع أكبر الخسائر في جيوش الأعداء ، والإسهام في إحراز أروع الانتصارات .

3 - الرماة (النشابون) .

هم حملة الأقواس , ورماة النشاب ، ويسمون بالنشابة أو الرامية ، أي رماة النبل والنبل أو النبّال من النبلة , وهي السهم ، والنبالة هم الرامون بالسهام . وأهم واجباتهم إيقاع أكبر الخسائر الممكنة في صفوف العدو المهاجم قبل التحام الجيشين (3)

والرماة أدق إصابة لأهدافهم في حالة الوضع الدفاعي ، حيث تكون إصابتهم للهدف أكثر تأثيراً , لأن الرامي أكثر دقة بالإصابة بحالة الوقوف ، ولهذا كانوا

يضعوا الرماة في مواقع استراتيجية وفي المضائق ، وفوق الأسوار ليحققوا أكثر فائدة ، فلهم أهمية كبيرة في كل معركة , حتى باتت النتائج تعلق على تواجدهم وعددهم في الجيش .

وتميز رماة الجيش الغزنوي بصعودهم لأعلى أسوار وتحصينات العدو ، لمشاهدة وتحديد أهدافهم , ليتمكنوا من رمي معدات الأعداء وقنص جنوده . وتعتبر وحدة الرماة من الوحدات الهجومية الضاربة لوقوف رجالها جنباً إلى جنب مع رجالة الأصناف القتالية الأخرى في ميدان المعركة , لقذف السهام والنبال .

---

(1) تاريخ البيهقي ، ص 685 .
(2) المصدر نفسه ، ص 598 .
(3) الجاحظ ، أبو عمر بن بحر (ت 255 هـ / 868 م) : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف 1984م ، ج 3 ، ص 17 ؛ الطرطوشي ، أبو بكر محمد بن الوليد (ت 520هـ / 1126م) : سراج الملوك ، ط 1 مكتبة المحمودية التجارية ، مصر ، 1935م ، ص 337 ؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ / 1418م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، ج 2 ، ص 149 .

ونتيجة للمهارة الفائقة التي أبدها رماة الجيش الغزنوي أثناء غزوة سبكتكين لمقاطعة لمغان سنة 366هـ / 979م ، طلب جيبال مساعدة ملوك بلاد الهند ، فوصلت إليه نجدات من الجهة الشمالية الغربية , قدر عددهم بحوالي مائة ألف محارب ، خاضوا بعدها معركة في لمغان مع المسلمين ، نتج عنها هزيمة كبيرة لجيوش الهند والسند ، واجبر جيبال على قبول شروط سبكتكين مقابل وقف القتال على أن لا يعود جيبال للمراوغة ، والوفاء للسلطان بمال رتب عليه (1) .

وبرز دور الرماة منذ قيام السلطان محمود بغزو ويهند وبهيم نغر* سنة 399هـ / 1008م ، حيث أرسل ستة آلاف من الرماة , تمكنوا من استثارة العدو من مكامن تجمعاته وإخراجه من مواقعه التي يختبيء فيها لأرض للمعركة (2) .

كذلك قام رماة جيش السلطان محمود بإمطار حصن برتر* سنة 411 هـ / 1020م بوابل من رشق السهام ، وساعدت تلك الرشقات على تحقيق هدفين الأول : مشاغلة الكفار المدافعين عن الحصن ، والثاني : تشكيل غطاء جوي ، مكن وحدات رجالة الجيش من تسلق جدران الحصن بواسطة الحبال والسيطرة عليه . وبرز دور النشابة في معركة ناتل سنة 426هـ / 1034م بقذف العدو بوابل من السهام حتى قيل بأنهم أمطروا العدو بالسهام حتى حجبت الشمس فتهيأت الفرصة لبقية القطاعات لأن تحمل حملة هجومية صاعقة ، محققة نصراً باهراً على الجرجانيين (3) .

4 - الفيَّالون .

هم ساسة الفيلة ، مفردها سائس ، ويقال لهم الفيَّالون ، وهم مستخدمو الفيلة كسلاح ضارب من أسلحة الجيش الهجومية الثقلة والحاسمة ، وخصص للفيلة أشخاص آخرون يقومون على خدمتها ، عرفوا باسم ماره ، واجبهم تأمين ونقل الماء والطعام للفيلة ، وعينوا لكل فيَّال مساعد ، والاثنان يركبان في المهد معاً (4) .

أخذ الغزنويون نظام تشكيل قطاع الفيلة عن النظم العسكرية الهندية ، ولم يسبقهم لاستحداث هذا النظام أي نظام عسكري عربي أو إسلامي سبق عصرهم ، ولم ينتقل هذا النظام لجيش الخلافة العباسية ، أو للنظم العسكرية البويهية الذين عاصروا الدولة الغزنوية ، على اعتبار أن هذه الدول ، دول إسلامية نشأت في مشرق العالم الإسلامي ، وتجمع المصادر التاريخية المتوفرة على أن السلاجقة هم أول من تأثروا بالنظم العسكرية الغزنويـة

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 1 ، ص 263 ، ج 2 ، 67 ، 84 ، 98 ؛ أنظر : ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 86 - 87 ؛ الغامدي : الفتوحات الإسلامية ، ص 159 .

* نَغَر : ترد في بعض المصادر برسم نغز ، وهي مدينة ببلاد السند بينها وبين غزنة ستة أيام . البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 725 ؛ أنظر : الحسيني : تاريخ الدولة السلجوقية ، ص 13 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 238 .

(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 78 ؛ خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 378 .

* حصن برتر : إحدى حصون بلاد الغور ، فتحه السلطان محمود بن سبكتكين سنة 411هـ / 1020م . البيهقي : مصدر سابق ، ص 120 .

(3) المصدر نفسه ، ص 490 ، 627 ؛ العكيدي : السلطان مسعود ، ص 133 .

(4) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 300 .

ونقلوا هذا النظام لجيوشهم منذ سنة 428هـ / 1036م (1) .

وتشير المصادر بأن الغزنويين عرفوا نظام الفيلة منذ أيام مرافقة سبكتكين لسيدة أثناء غزوات الأخير للهند والتي كان أولها سنة 351هـ / 962م ، بجيش بلغ عدده ستة آلاف فارس ، فتصدى له الهنود بمائة ألف فارس ، وخمسين ألف راجل ، وخمسمائة فيل ، تمكن الهنود من إخراج ألبتكين من بلادهم (2) . ولا شك أن الغزنويون اطلعوا خلال المعارك التي خاضوها في بلاد الهند والسند على النظم العسكرية الهندية , ومنها نظام قطاع الفيلة ، واقتنوا النادر الممتاز منها .

وقد قيل : بأنه كان عند أمير المنصورة* في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ثمانون فيلاً ، منها فيلان من النوع النادر ، كما كان عدد مماثل عند حكام الملتان بالبنجاب ، وحكام المناطق الأخرى ، واختار سلاطين غزنة الثملة* منها ليتمكنوا من السيطرة عليها في ميدان القتال ، وزودوها بالسروج والمهود (3) .

وكان السلاطين وقادة الجيوش , يضعون أثناء المعركة نصف الفيلة في طرفي الميمنة ، ونصفها الآخر في طرفي قوات الميسرة خارج الصفوف ، وذلك تنفيذاً للنظم المعمول بها في أوقات التعابي الحربية (4) .

واعتمد الغزنويون على العناصر الهندية في تشكيل قطاعات الفيلة لأنهم الأكثر معرفة في تربيتها وخدمتها وقيادتها . وتشكل أول قطاع فيلة ليس في تاريخ الجيش الغزنوي فحسب ، بل في تاريخ الجيوش العربية الإسلامية في عهد الأمير سبكتكين الذي شكل أول قطاع فيلـة حربـي مـن مائتي فيل ، وجعله أحد قطاعات الجيش الذي قاده لمحاربة أبو علي وفائق سنة 384هـ / 994م (5) .

ونتيجة للدور الإيجابي والفاعل لقطاع الفيلة في القتال ، وما حقق من نتائج لصالح الغزنويين ، شكل السلطان محمود وحدة الفيَّالة من مائتي فيل ، وبرز دورها بفاعلية في

----

(1) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 10 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 819 .
(2) نظام الملك : سياست نامه ، ص 155 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 87 .
* المنصورة : مدينة هْمناباذ وتسمى باللغة السندية اميرامان ، كانت تسمى في القرن الرابع بر همنابان ، قصبة بلاد السند ، تقع على بعد ثمانية اميال من مدينة برهمان أباد ، وفرسخين عن مدينة حيدر أباد السند الحالية . بينها وبين الدَّيْبُل ست مراحل ، ومنها إلى الملتان اثنتا عشرة مرحلة ، وإلى طوران خمس عشرة مرحلة , أهلها مسلمون , يحيط بها خليج من نهر مهران ، وهي أشبه بالجزيرة . وفي القرن الأول كانت تسمى مهنو ، ولما دخلها محمد بن القاسم بن المنبة الثقفي سنة 93هـ / 711م فتحها وسماها المنصورة . قيل : في تسميتها الكثير ، البعض قال : سميت المنصورة لأن عمرو بن حفص الهزارمرد المهلبي بناها في أيام المنصور بالله ، فسميت به . ولكن الحقيقة الثابتة أنها بنيت من قبل عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي ، وللمنصورة خليج من نهر مهران يحيط بها , فهي منه في شبه الجزيرة . البلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ / 892 م) : فتوح البلدان ، تحقيق عبدالله أنيس وآخرون ، بيروت ، 1377هـ / 1957م ، ج 2 ، ص 426 ؛ ابن الفقية : البلدان ، ص 208 ؛ البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 16 ؛ ايلليوت : تاريخ الهند ج 1 ، ص 374 .
* الثملة : ثَمَّلَ الشراب : نَقَعَه حتى اختمَرَ . يقال الشراب الفلاني : أثمَلَه , أي أثقله . أنيس : المعجم الوسيط ، ج 1 ، ص 100 .
(3) المسعودي : مروج الذهب ، ج 1 ، ص 190 ؛ الحسيني : مصدر سابق ، ص 10 .
(4) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 38 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 86 .
(5) خواندمير : حبيب السير ، ص 367 .

الميدان، وقامت بمهمة دك الأسوار بالفيلة ، وتحطيم أبواب القلاع والحصون ، وحسمت العديد من المعارك لصالح الغزنويين (1) .

حافظ الغزنويون على سلامة الفيلة واستحدثوا نظام الدفاع عنها أثناء المعركة تحسباً لإصابة أي منها ، لأن إصابة الفيل تؤدي به إلى الانقلاب راجعاً للخلف ، وبهذه الحالة يصعب السيطرة عليه من قبل سائسه ، مما يحدث ضرراً بعساكر الجيش الغزنوي ، ناهيك عما يحدثه من إرباكٍ داخل صفوف المقاتلين ، بالإضافة إلى خسارته فيما إذا أصيب كسلاح فعال في الميدان (2) .

استخدم السلطان محمود الفيلة في حملته العسكرية التي قادها بنفسه سنة 393هـ / 1002م ، وهاجم بها طاهر بن خلف صاحب سجستيان الذي اتخذ من حصن الطاق مواقع دفاعية ، وبرز دور هذه الفيلة في قتل كل من تلحق به من الأعداء ، كما تقدم أعظم الفيلة إلى باب سور الحصن , واقتلعه بنابيه وألقاه أرضاً ، فتمكنت بعدها العساكر من اقتحام الحصن والسيطرة عليه (3) .

ثبت لمحمود فاعلية قطاع الفيلة ، فعمل على التوسع بهذا النظام وشكله من خمسمائة فيل ، وتمكن به من الانتصار على ملوك ما وراء النهر أيلك خان , وحليفه قدرخان سنة 397هـ / 1006م , واجبرهم على التراجع إلى بلادهم (4) .

كما استخدمت الفيلة في العصر الغزنوي , للقيام بأعمال المراقبة أثناء مجريات العمليات العسكرية في ميدان القتال ، لمشاهدة ما يدور في أرض المعركة ,

وتحديد الأهداف العسكرية ، وإصدار تعليمات إرشادية لتوجيه وتحريك القطاعات في الميدان للأماكن الاستراتيجية والمناسبة للقتال ، حسب ما تقتضيه ظروف المعركة ، وما يراه قائد الميدان مناسباً ، لتطبيق وإنجاح الخطة العسكرية المرسومة ، سيما وأن الجند لا يعرفون ما يدور حولهم أثناء الاشتباك مع العدو .

كذلك استخدمت الفيلة للركوب ، وكان السلطان مسعود الأول يفضل ركوب الفيلة على بقية وسائط النقل الأخرى , سواءً خلال رحلات الصيد أو عند التنقل بين القيادات العسكرية في مختلف ولايات الدولة (5) .

ولم تكن أعداد الفيلة التي شاركت بالحروب هي امتلكها الغزنويون فقط ، بل كانوا يمتلكون أعداداً كبيرة غيرها ، يختارون منها عددا يتناسب مع حجم العدو والمعركة المنوي خوضها ، حيث خلص المؤرخ الهندي محمد حبيب (6) إلى أن المجموع الكلي للفيلة في جيش السلطان محمود بن سبكتكين تجاوز ألفين وخمسمائة فيل .

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 1 ، ص 304 ، 307 ؛ الكرديزي : زين الأخبار ، ص 65 - 66 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 489 - 490 .
(3) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 216 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 783 .
(4) ابن الجوزي : المنتظم ، ج 15 ،ص 212 .
(5) البيهقي : مصدر سابق ، ص 132 ،274 ، 664 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 35 ؛ Bosworth :The Chaznavids , P . 116 .
(6) Habib : Sultan Mahmood , P . 45 .

ونتعرف على عدد الفيلة في عهد السلطان مسعود بن محمود من خلال زيارة قام بها إلى كابل يوم الخميس منتصف شهر شوال سنة 422هـ / الثلاثاء 21 سبتمبر 1030م استغرقت ثلاثة أيام استعرض خلالها ألف وستمائة وسبعين فيلاً ما بين ذكر وأنثى (1) .

وكون الفيلة سلاح من الأسلحة التي استخدمت في الحروب الغزنوية ، والرسوم الغزنوية تنص على عرض بعض الأسلحة أمام السفارات القادمة للدولة ، لتعطي للزائر صورة واضحة عن الأسلحة المستخدمة في جيوش الدولة ، تم عرض كثير من الفيلة في نيسابور سنة 424هـ / 1032م ، أمام السليماني رسول الخليفة العباسي القائم بأمر الله للسلطان مسعود على اعتبار أن الفيلة إحدى الأسلحة الأساسية الثقيلة , والفتاكة المستخدمة في الجيش الغزنوي (2) .

واعتنى الغزنويون بلباس الفيلة فوضعوا عليها التجافيف ، وأحياناً وضعوا بدلاً منها الغواشي* وعصبوا رأس الفيلة بعصائب عليها معاليق من الذهب الأحمر ، مرصعة صف بعد صف بكل الجواهر الثمينة (3) . وللحفاظ على الفيلة بنى الغزنويون مرابط خاصة لها عرفت بالمرابض ، وكان مربط غزنة يتسع لألف فيل، وأماكن تتسع لساسته ومائدته (4) وتعددت طرق حصول عليها ، كان أهمها الحروب (5) ومعاهدات الصلح (6) والشراء (7) والهدايا (8) .

نستنتج مما ذكر أن الغزنويون أدركوا أهمية قطاع الفيلة ، كسلاح هجومي ضارب في المعارك ، فضلاً عن كونه وسيلة نقل كبيرة ، وتقوم بحماية السلطان أو من ينيبه عنه كقائد للجيش ، وللفيلة ميزات أخرى , جعلت الغزنويين يقبلون على إدخالها في نظمهم العسكرية ، منها أن الفيلة تقتل كل من يصادفها في الطريق ، وتتحمل بعض الضربات ، ولا تهرب من ميدان القتال إلا إذا أصيبت بإصابة بالغة ، وكيثراً ما رجحت كفة النصر للجيش الغزنوي نتيجة إدخالهم الفيلة للقتال .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 312 ؛

Habib : Sultan Mahmood , P . 45 .

(2) البيهقي : مصدر سابق ، ص 392 .

* الغواشي : الجلال من الديباج الرومي . العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 130 .

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 130 ، 307 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 228 - 229 .

(4) ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 799 .

(5) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 96 ، 322 ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج 5 ، ص 323 الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ، ج 2 ، ص 420 .

(6) العتبي : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 58 - 59 ، 76 ، ج 2 ، ص 81 ، 258 ؛ الكرديزي : زين الأخبار ، ص 66 ، 85 - 88 ؛ إيلليوت ودوسون : تاريخ الهند ، ج 2 ، ص 463 - 464 ؛

Habib : Sultan Mahmood , p . 43 – 44 .

(7) ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 790 .

(8) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 88 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 246 - 247 ، 315 ؛ ناظم : زمن السلطان ، ص 106 .

كما تبين أن الغزنويين استخدموا العناصر الهندية كسائسي للفيلة لمعرفتهم الطويلة بتربيتها وترويضها ، وهنا تبرز أمامنا حقيقتين الأولى : لم يكن بمقدور الجيش الغزنوي أن يبني قطاع الفيلة لولا خوضه معارك عديدة في بلاد الهند التي تعد الموطن الأصلي للفيلة . والثانية : أن هذا القطاع رغم عدم وجود عدد ثابت لفيلته ، إلا أنه أضحى من أفضل وأقوى الأسلحة الهجومية في المؤسسة العسكرية .

5 - الجمَّالة .

الجمَّالة قطاع عسكري حربي ، ووسائط نقل إداري ، لعب دوراً كبيراً في إدامة العمليات العسكرية للجيوش الغزنوية .

وكان لاعتماد الغزنويين على الجمَّالة بالغُ الأثر في سير المعارك التي خاضوها ، وأصبح سلاحاً ضرورياً في عمليات الإسناد الإداري ، ونقل الأسلحة الثقيلة والمواد التموينية والأعلاف ، لقطاعات الجيش كافة .

ومما يؤكد أهمية الجمال في الحياة العسكرية عند الغزنويين ، أن السلطان مسعود الأول اشترط على أخيه محمد , لإنهاء الأزمة التي نشبت بينهما على عرش غزنة سنة 421هـ / 1030م أن يرسل إليه من مخازن حرب غزنة خمسة آلاف من

الإبل محملة بالأسلحة والمعدات العسكرية المختلفة (1) . هذا ما يؤكد بشكل واضح على دور وأهمية الجمال كسلاح فعال اعتمد عليه الغزنويين في مختلف مراحلهم القتالية .

ولمعرفة السلطان مسعود الأول لصفات الجمال , وتحملها طبيعة الصحراء وظروفها القاسية , طلب سنة 430 هـ / 1038م إمدادات عسكرية من غزنة كان من بينها عدد كبير من الجمال (2) .

ولما دار رحى معركة دندانقان سنة 431هـ / 1029م , لم يستطع الجمَّالة الحركة في أرض المعركة ، ولم يخرجوا للقتال ، قال البيهقي (3) : " ولم يكن من المستطاع المسير بجمل خطوة واحدة في معسكرنا ، فكان كل جمَّال يحتفظ بجمله أمام خيمته " .

يتضح أن سبب عدم تمكن الجمَّالة من الحركة يعود لسببين الأول : شدة هجوم الجيش السلجوقي على معسكرات الغزنويين ، والثاني : أنَّ الخنادق الدفاعية التي حفرتها وحدات الفعلة (الهندسة) ، شكلت عائقاً أمام حرية حركة قطاع الجمالة .

ونلاحظ أن الجمال احتلت مكانة مميزة في تشكيلات الجيش الغزنوي ، فلا تجد حملة عسكرية قام بها الغزنويون إلا والجمال تشكل قطاعاً كبيراً من قطاعات الجيش ، سوءاً كان لحمل المؤن أو لاستخدامها في ميدان القتال بدل الخيول .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 671 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 346 - 347 ؛ الجوارنه : قطاعات الجيش ، ص 33 ؛ العكيدي : السلطان مسعود ، ص 137 .
(2) البيهقي : مصدر سابق ، ص 646 .
(3) المصدر نفسه ، ص 627 .

المبحث الثاني
تشكيلات الإسناد

1 - المنجنيقية .

جَنَقَ بَجْنَقَ ، وجَنَّقَ الحجر ، رماه بالمنجنيق . والمنجنيقية هم المنجنيقون (1) الذين يقومون برمي حصون الأعداء , وقلاعهم بقذائف مصنوعة من الحجارة , بواسطة المنجنيق عند الهجوم , أو رمي الجيوش المهاجمة من داخل المنشآت الدفاعية بحالة الوضع الدفاعي (2) .

ولفعالية المجانيق أمر السلطان محمود بن سبكتكين سنة 387هـ / 997م ، قطاع المنجنيقية بنصب المجانيق وتدمير قلعة غرشتان* بعد أن رفض حاكمها الشار شاه مشاركة السلطان بغزو الهند ، ونتج عن قصف أن سويت القلعة بالأرض

وسيطرة جيش السلطان عليها واسر الشاه ، فأودعه السلطان السجن ، وبقي فيه إلى أن مات (3) .
وقام المنجنيقيون سنة 411هـ / 1020م بدكِّ إحدى الحصون المنيعة ببلاد الغور بالمجانيق ، ونتيجة ضربات المجانيق هرب الغوريين من الحصن ، وسقط جداره الأعظم عند الظهر ، ونتيجة الضرب المتواصل تصاعد الغبار , والتراب والدخان والنار من الحصن ، ولما رأى السلطان محمود مدى تأثير المجانيق , أمر بالاستمرار بدكها حتى سويت بالأرض ، فخاف الغوريون وأعلنوا الطاعة للسلطان . ولم يتمكن الجيش الغزنوي سنة 429هـ / 1037م من اقتحام قلعة هانسي ، رغم ضرب الحصار حولها إلا بعد أن تمكن المنجنيقيون من إحداث خمسة ثقوب بجدار القلعة (4) .
يظهر أن الجيش الغزنوي , لم يستطع السيطرة على بعض المواقع الدفاعية المعادية له , إلا بعد قصفها بواسطة المنجنيقات ، وأحياناً يعملون على تسوية المواقع الدفاعية بالأرض ، لكي لا يغتر بعد ذلك أحد بوجودها ، ويعود إليها للاحتماء بها , أو يشن هجوم على جيش السلطان .

2 - الفعلة .

هي وحدات عسكرية تعمل على إزالة وتذليل العوائق أمام قطاعات الجيش ، أثناء المسير، وبحالتي الهجوم والدفاع . وتشمل وحدات الفعلة عناصر أصحاب المهن الحرفيــة

---

(1) الهروي : التذكرة الهروي ، ص 81 ؛ الشرمان : الجيش السلجوقي ، ص 53 .
(2) الجنابي : تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني ، ص 38 ؛ درويش : السلطان محمود ، ص 103 .
* غرشتان : هي غرتشستان ، تعرف في الوقت الحالي بفيروز كوه ، كانت ولاية ليس لها سلطان , ولا لسلطان عليها سبيل . تعرف عند الجغرافيين العرب بغرج الشار . والغرج بمعنى الجبال ، والشار بمعنى الملك ، أي جبال الملك . يحدها من الغرب هراة ، ومن الشرق الغور ، ومن الشمال مرو الروذ ، ومن الجنوب غزنة . نظام الملك : سياست نامه ، ص 259 - 260 ؛ الحموي : معجم البلدان ، ج 4 ، ص 193؛ ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص 458 ؛
Anony m ous : Hudud AL – Alam , p . 105 .
(3) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 141 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 197 .
(4) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 123 - 124 ، 580 .

مثل النقابين , والحجارين والبنائين , والحفارين والحدادين ، وتشمل الجسارين الذيــن تقــع على كاهلهم مسؤولية بناء الجسور والقناطر على الأنهر والممرات المائية ، لتمكين قطاعات الجيش من اجتيازها بحالة الهجوم ، أو هدمها بحالة الدفاع , لإعاقة تقدم قطاعات الجيش المعادي ، وغيرها من المهن ، وكثيراً ما يتعرض الفعلة للمخاطر أثناء تأديتهم لواجبهم خاصة في أرض المعركة (1) .
أورد الهرثمي (2) أن أعمال الفعلة تتمثل في إصلاح الطرق وقطع الشجر ، وإقامة الجسور والمعابر ، وحفر الآبار وتنقيتها ، ونقب جدران الحصون والقلاع ، بالإضافة للعديد من الأعمال الإنشائية وغيرها .

كُلِفْ النقابون , وهم صنف من أصناف الفعلة ، بنقب جدران الحصون والقلاع والأسوار وغيرها من تحصينات العدو ، بواسطة أسلحة مخصصة لهذا الغرض ، وكانوا يحتمون بالدبابة أثناء تأديتهم لواجبهم (3) .

ومن الأمثلة على أعمال الفعلة ، قام الحفارون سنة 404هـ / 1013م بفتح أنفاق بأسوار قلعة ناردين ، مكنت عناصر الجيش الغزنوي من دخول القلعة من خلال تلك الأنفاق والسيطرة عليها (4) .

وقام الفعلة بدور مميز في حملة السلطان محمود على كنوج وماثورا لمحاربة ملكها بروجيبال سنة 409هـ / 1018م ، وأثناء مجريات العمليات العسكرية , جعل بروجيبال نهر كنك (الكنج) حاجزاً دفاعياً لحماية قواته ، وعائقاً أمام تقدم جيش السلطان في محاولة لوقف الهجوم على بلاده أثناء عملية عبوره مياه النهر ، وبهذه الخطة الدفاعية , تمكن إلحاق أكبر الخسائر بالجيش الغزنوي ، فبرز دور عناصر قطاع الفعلة التي قامت بنفخ القرب وربطها مع بعضها البعض حتى أصبحت وكأنها قطعة واحدة ، فتمكن جند السلطان من عبور النهر بواسطتها (5) .

برز دور الفعلة في حملة السلطان محمود على بلاد السند سنة 411هـ / 1020م وأثنـاء تقدمـه فـي مناطق بـارى* ، ضـرب حصـار علـ مدينتـي قبـرات ونــور* فقـام

---

(1) الهروي : التذكرة الهروية ، ص 82 ، 110 .
(2) مختصر سياسة الحروب ، ص 29 .
(3) الهروي : مصدر سابق ، ص 82 .
(4) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 81 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 270- 271 .
(5) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 306 ، 308 ؛ الكرديزي : مصدر سابق ، ص 86 ؛ دحلان : الفتوحات الإسلامية ج 1 ، ص 278 .

* باري : مدينة كبيرة وحصينة ، تقع على الضفة الشرقية لنهر كنك ببلاد الهند ، تبعد عن كنوج أربعين ميلاً باتجاه الشرق . فيها مقر الحكم وقلعة حصينة ، اجتاحها السلطان محمود بن سبكتكين سنة 411هـ / 1020م ، وأمر بهدمها وتسويتها بالأرض مع عشرة من قلاعها ، المتناهية الحصانة ، بعد أن حطم أصنامها . البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 158 ، 200- 201 ، 338 ، 431 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 302 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ص 800 ؛ ناظم : زمن السلطان ، ص 108 .
* قبرات ونور : أسماء لروافد نهر كابل ، وسميت كل من هذه المدن باسم الرافد المقامة عليه . البيروني : تحقيق ما للهند ص 215 .

فقام الحـدادون والحجارون والنجارون بتكسير الحجارة ، وتقطيع الأشجار لفتح الطرق أمام الجيش (1) .

واصطحب السلطان محمود العديد من أصحاب الحرف كالنجارين والحدادين وقاطعي الأحجار والبنائين في حملته الرابعة عشرة على بلاد الهند والسند سنة 412هـ / 1021م والتي كان هدفها أعالي البنجاب ولوهكت ، لإقامة معسكرات دائمة في بعض أقاليم تلك البلاد (2) .

ورافقت عناصر الفعلة بمهنها المختلفة ، حملة السلطان محمود الخامسة عشرة سنة 413هـ / 1023م على بلاد الهند والسند ، وأثناء المسير تفاجأ الجيش بطريق

مسدود بالغياض ، فأصدر السلطان أوامره للفعلة بقطع كل ما يعترض مسير القطاعات من أشجار ، وقاموا بطم وادي عميق اعترض مسيرهم بالجلود المملوءة بالتراب حتى أقاموا عليه معبر يسمح لمرور عشرين فارساً ، قام الحفارون وعناصر المهن الأخرى ، بعدة محاولات لفتح ثغرات بأسوار قلعة كَواليار* ، لكنهم لم يتمكنوا من تحقيق نتائج ايجابية ، لحصانتها واستماتت القوات الهندية بالدفاع عنها (3) .

ولم يستطع الجيش الغزنوي اقتحام قلعة هانسى سنة 429هـ / 1037م ، إلا بعد أن تمكنت قوات الفعلة من إحداث نقب بجدار القلعة في خمسة مواضع ، ثم قاموا بعد السيطرة التامة عليها بتنفذ عملية هدم لكامل الجدار . ومن واجبات الفعلة حفر الخنادق بحالة اتخاذ قطاعات الجيش وضع الدفاع (4) .

ولم يقتصر واجب الفعلة على ما ذكر أنفاً , بل تعداه إلى حفر الآبار , بغية توفير المياه اللازمة للقطاعات ، فقد قامت الفعلة بحفر آبار كثيرة على طول الطريق الممتد من سرخس إلى دندانقان لسببين , فكان السبب الأول : للتغلب على موجة الجفاف الشديدة التي اجتاحت اقليم خراسان سنة 429 - 430 هـ / 1037 - 1038م ، أما السبب الثاني : تفوفير الفعلة الماء لقطاعات الجيش أثناء تحركاته في تلك المناطق ، بهدف مقاومة التحديات السلجوقية التي تزايدت مع اندفاع أعداد كبيرة منهم ، باتجاه تلك البلاد منذ العقد الثالث من القرن الخامس الهجري / العقد الرابع من القرن الحادي عشر الميلادي (5) .

مما سبق يتبين لنا الدور الكبير والشاق للفعلة في إنجاح الأعمال العسكرية للجيش الغزنوي ، فعلى عاتقهم وقعت مسؤولية إزالة العراقيل والمصاعب التي واجهت الجيش خلال تنقلات قطاعاته , للقيام بالمهام المسندة إليه ، وتامين سلامته قدر المستطاع ، فقاموا بشق الطرق ، وحفر الخنادق والأنفاق والآبار ، وفتح ثغرات بالأسوار والقلاع والمنشآت الحربية الدفاعية للأعداء ، وإعداد قذائف المنجنيقان وغيرها من الأعمال الشاقة .

---

(1) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 158 ، 200 - 201 .
(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 , ص 88 ؛ ايلليوت ودوسون : تاريخ الهند ، ج 2 ، ص 465 .
* كواليار : إحدى ولايات الهند ، وتسمى كوالير نسبة إلى اسم عاصمتها ، تقع بين كنوج ومملكة ججاهوتي . فيها قلعة حصينة جداً تقع على رأس جبل شاهق . البيروني : مصدر سابق ، ص 161 ؛ الندوي : معجم الأمكنة ، ص 47 .
(3) الكرديزي : مصدر سابق ، ص 88 ؛ ناظم : زمن السلطان ، ص 207 - 208 .
(4) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 627 ، 580 .
(5) الراوندي : راحة السرور ، ص 163 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 15.

ونظراً لكثرة حركة القطاعات العسكرية الغزنوية بغية خوض المعارك ، وفرض الأمن داخل حدود الدولة ، وفتح المزيد من الأقاليم وضمها للدولة ، وما عرف عن الطبيعة الجغرافية لأراضى تلك البلاد من وعورة وصعوبة مسالكها ، وكثرة الأنهار والمستنقعات والغياض ، وما ينتشر بها من حصون وقلاع ، كل هذا

وغيره فرض على الغزنويين أن يكون ضمن نظمهم العسكرية وحدات فعلة , واعتبروها من الوحدات المهمة في قطاعات الجيش ، وأولوها جل عنايتهم .

3 - الجواسيس والعيون .

قيل في الجواسيس : " بأنه يجب على السلطان أن يكون له جواسيس ، وقد عرف منهم الثقة والدين والأمانة ، مقتنعين بما يفيض عليهم من إنعامه ، ويصل إليهم من إحسانه لا يحدثون أنفسهم بطلب المناصب ، وحرص المكاسب ، فينشرهم في البلاد ، ويرسلهم على العباد شرقاً وغرباً ، بعداً وقرباً ، ليطالعونه بالأخبار من جميع الأمصار ، لئلا ينكتم عنه حال ، ولا ينطوي عنه مقال ، وليضم إلى ما يوردونه عليه ، ويرسلونه إليه ، التماس الأخبار من المسافرين والتجار ، وذلك لئلا يتم عليه زلل ، ولا يداخل الملك خلل ، وليسأل من الوارد والصادر ، والبادي والحاضر . وليكتم أمره ويتجسس ، ويخف نفسه ويتحسس لتشمل الناس هيبته ، ويخافوا سطوته ، ويحذروا شره ، ولا يأمنوا مكره " (1) .

قال الهروي : " أحكم أمر جواسيسك , فإنه رأس أمر الحرب , وتدبير مكائد العدو واعلم أنه إن ظفر عدوك بأحد منهم فعاقبة ، دعاه ذلك وغيره إلى أن يأتوك بالأخبار من غير أصولها , وعلى غير حقائقها ... لتكن عيونك وجواسيسك ممن تثق بصدقه ونصيحته فإن الظنيين لا ينفعك خيره ، وإن كان صادقاً ، والمتهم عين عليك لا لك " (2) .

وهنا لا بد من الإشارة إلى نصيحة نظام الملك (3) التي أوصى بها للسلطان ملكشاة بن ألب أرسلان " بأنه يجب بث العيون في كل الأطراف دائماً في زي تجار وسياح ومتصوفة وبائعي أدوية ودراويش ، لنقل كل ما يسمعون من أخبار حتى لا يظل شيء خافياً ويمكن تلافي أي طارى جديد في حينه ، فما أكثر ما كان الولاة والمستقطعون والعمال والأمراء يضمرون للملك خلافاً وعصياناً ، ويتربصون به سراً ، لكن الجواسيس كانوا يكتشفون ذلك ويخبرون الملك به ، فيجهز الجيوش وينقض عليهم بغتة ، ويحبط مآربهم ومقاصدهم ، وكانوا إذا ما عرفوا بأن ملكاً ما أو جيشاً أجنبياً ينوي الهجوم على المملكة يخبرون الملك ، فيأخذ للأمر أهبته ويدفعه ، وكانوا ينهون أخبار الرعية خيرها وشرها فيتعهدها الملك بدورهم " .

ويقع على عاتق الجواسيس مهمات كبيرة ، منها التقدم أمام القطاعات عند خروجها للحشد والتعبئة ، ليكشف أخبار العدو ، واختار المنازل المناسبة ذات الماء والأعلاف ، وبعكس ذلك يحيط به العدو ويهلكه (4) .

---

(1) الهروي : التذكرة الهروية ، ص 79 ؛ الشرمان : الجيش السلجوقي ، ص 57 .
(2) مختصر سياسة الحروب ، ص 24 .
(3) سياست نامه ، ص 111 .
(4) الهروي : مصدر سابق ، ص 87 ؛ الجنابي : تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني ، ص 136 .

عرف الغزنويين نظام التجسس منذ عهد معلمهم الأول ألبتكين الذي كان يشرع بتدريب غلامه سبكتكين على الأعمال الاستخبارية ، فيقوم بإرساله إلى هنا وهناك

ليختبر صدقه ، فيقول له , حسب ما أورد نظام الملك (1) : " اذهب وآتيني بالجواب ، فكان يذهب ويعود بالجواب على نحو أفضل من نقلة الأخبار ، ولما ثبت له بالاختبار ، أنه يبدي تقدماً يوماً بعد يوم ، قربه إليه وأمره بالانقطاع لخدمته ".

تسعى العيون والجواسيس على الدوام , لتوفر أكبر قدر من المعلومات السرية ، لهذا منح السلاطين هذا الجهاز الهام أموال وصلاحيات كبيرة ، مكنتهم من القيام بواجبهم على أكمل وجه ، وسمحوا لهم بالدخول إليهم بأي وقت شاءوا . ولا زال هذا النظام مطبق من قبل الأجهزة الأمنية في دول العالم حتى يومنا هذا .

بث سلاطين غزنة العيون في خراسان ، لرصد أية تحركات معادية ، والتعرف على الأخبار المنتشرة بين الأهالي . كما بثوا العيون داخل مؤسستهم العسكرية ، لنقل أخبار الجيش ، وكشف بواطن الضعف والقوة ، ومعرفة معنويات الجند ، ومدى تقبلهم للأوامر الصادرة إليهم ، وجدية متابعة القادة للأمور الإدارية ، وتوفير المواد الغذائية والأعلاف ، والمعدات العسكرية وصيانتها ، وغير ذلك من الأمور التي تهم الدولة .

أسند السلطان محمود لأبو المظفر مهمة التجسس على غلمان السراي سراً ، بالإضافة إلى عمله في الكتابة في ديوان غزنة ، وكان إشرافه يسير بصورة سرية ، فيحدثه الغلمان عن همومهم وشكواهم وأسرارهم ، ويقوم بتلخيصها وعرضها على السلطان محمود مباشرة ، وبدون واسطة أحد ، وكان محمود في السابق يعتمد على أبو القاسم وألد أبو المظفر في مثل هذه الأعمال السرية . كما وضع السلطان مسعود الأول سنة 422هـ / 1030م الكتخدا سعيد الصراف عيناً له ، ليراقب ما يقوم به القائد العام للجيوش الغزنوية أشفتكين الغازي ، صاحب ولايتي بلخ وسمنجان . وكان وزراء آل سبكتكين يوصون قائد جيوش الهند ، بأن يبث العيون بين العناصر الغير مرغوب فيها , ومن ضمنها الديلم (2) .

بث السلطان مسعود الأول العيون بين الجند المنتشرين في بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م لينقلوا ما يدور بينهم من حديث ، ومعرفة معنوياتهم القتالية أو أية محاولة تحريض على القتال ، والتأكد من مدى ولاء الجيش له , ومما نقلته العيون المنبثة بين الجند الحديث الدائر بالشكوى من قلة الأعلاف (3) .

ونقلت الجواسيس للسلطان محمود أخبار عن ابنه مسعود أثناء إقامته بهراة ، أنه يميل لتناول الشرب ، وإقامة مجالس الطرب ، فيؤتي إليه خفية بالمطربين والمطربات من قبل ريحان الخادم , لبيت شيده لهذه الغاية في قصر البستان العدناني ، وجهزه بأنابيب تجري فيها المياه متصاعداً من الحوض إلى أعلى السطح ، وزين جدرانه بمختلف أوضاع اجتماع الرجال بالنساء وهم عراة ، ويقضي وقت القيلولة مع الفتيات ، والشباب يعملون كما يرون بالصور ، ولما علم محمود بما يجري ، حدث نوشتكين الخادم الخاص بالأمر ثقة منه به للتأكد من صدق المعلومات ، وكان نوشتكين هو الأخر عيناً للأمير مسعود ببلاط غزنة

---

(1) سياست نامه ، ص 146 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 146.
(3) المصدر نفسه ، ص 635 - 636 .

فعمل على تأخير إرسال الفارس الذي قرر السلطان إرساله , للتأكد من صحة ما ورد عن ابنه ثلاثة أيام ، أرسل نوشتكين خلالها للأمير مسعود ثلاثة فرسان لتدارك الأمر قبل وصول الفارس ، فأحضر مسعود الجصاصين وبيضوا الجدران ، وأخفى النقوش وأسدل الستائر وأغلق الأبواب ، فلما حضر الفارس لم يجد ما خل بالأدب ، فعاد إلى غزنة ، وأخبر محمود بما جرى ، فقال السلطان : إنهم يلفقون ضد ولدي (1) .

ووضع السلطان محمود الجواسيس والعيون والمخبرين والمنهيين في الطرق والمعابر ، لمراقبة تحركات وتصرفات ابنه مسعود الذي كان يتولى أنذاك نائباً لوالده على إقليم خراسان ، حتى لا يكتب عهداً وميثاقاً بولاية جرجان وطبرستان لمنوجهر* ، لوجود مراسلات بينهما إبان وجود مسعود بهراة ، واستمرت العلاقات الحميدة بينهما حتى بعد استلام مسعود الحكم سنة 422هـ / 1030م ، فمنح مسعود منوجهر عهداً وميثاقاً كما هي العادة بين الملوك .

كما وضع سلاطين غزنة عيون على الوزراء وكبار الأمراء ، لمعرفة نواياهم وولائهم وإخلاصهم للسلطان . كذلك وضعوا العيون على قوافل الحجيج ، منها , أن السلطان مسعود الأول أرسل سنة 423هـ / 1031م أبو نصر مشكان مع قافلة حج خراسان وبلاد ما وراء النهر ، ليكون منهياً وعيناً متنكراً على الحجاج ، فقام بكتابة الأخبار للسطان وأرسلها تباعاً مع السعاة ، وأعطاهم أجورهم حتى لا يتعطل عمله .

ومارس سلاطين غزنة العمل الإستخباري بأنفسهم ، فقد قام السلطان مسعود الأول ببيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م متخفياً ، وذهب لجانب معسكر جيشه ليسمع ويتأكد مما قاله القادة والعيون من أن الجند يشكون فيما بينهم من قلة الأعلاف (2) .

وعمل سلاطين غزنة على تنشيط عمل خلايا العيون والجواسيس ، لما رأوا أن الأخطار تحدق بدولتهم من مختلف الجوانب ، فالهنود يتحينون الفرصة المناسبة لأخذ الثأر لأنفسهم ، والبويهيون في الري يحاولوا القضاء على قوة غزنة الناشئة في مشرق العالم الاسلامي , والخانيون في بلاد ما وراء النهر , يرون الخطر الغزنوي محدق بهم والسلاجقة أصبحت قوتهم تزداد يوماً بعد يوم ، مما دفع بسلاطين غزنة للاهتمام بالجواسيس والعيون ، وبثهم داخل وخارج حدود الدولة ، لموافاتهم بالمعلومات والأخبار .

فكان القاضي أبا نصر الصيني* عيناً للسلطان محمود بن سبكتكين في أوزكند*

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 126 - 130.

* منوجهر : هو منوجهر بن شمس المعالي قابوس فلك المعالي بن وشكمير ، تولى حكم جرجان وطبرستان ونواحيهما بعد أن قتل أبوه من قبل كبار أمراء دولته سنة 403هـ / 1012م ، توفى سنة 420هـ / 1029م . العمري : مسالك الأبصار ، ص 222 ؛ 35 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 11 ، ص 350 .

(2) البيهقي : مصدر سابق ، ص 29 ، 142 ، 382 ، 511 ، 635 .

* أبو نصر الصيني : من دهاة رجال عصره ، عرف بحسن التدبير والحيلة والمكر ، لكنه كان قليل الفضل ، كان أبوه مؤدباً للسلطان محمود بن سبكتكين أيام طفولته , وقد حفظه القرآن ، وكان محمود يأتم به في الصلاة ، ثم نقم

عليه لسوء خُلقه ، فذهب إلى تركستان ، ونزل في أوزكند حيث آواه الإيلك خان ، ولما عرف السلطان محمود ذلك اختاره سراً لينهي إليه أخبار تلك النواحي . المصدر نفسه ، ص 526 - 527 .

* أوزكند : بلد في بلاد ما وراء النهر في أقصى نهاية إقليم فرغانة ، ويقال لها أوزجند ، ورد اسمها عند الحموي باسم يوزكند ، وهي أخر مدن نواحي فرغانة مما يلي الحرب من الترك . لها سور وقهندز وعدة أبواب ، وإليها يذهب التجار الأتراك . ولها نهران يمران بضواحيها . معجم البلدان ، ج 5 ، ص 453 ؛

Anony m ous : Hudud AL – Alam , p . 116 . 211 .

يرسل إليه أخبار الخانيين وتحركاتهم ، فأفاد منه الكثير . وكافأه محمود على ما قدم من خدمات استخبارية ، بأن فوض إليه في أواخر حياته منصب الإشراف على بلاط قصره ، فقام بعمله خير قيام (1) .

ونقلت العيون المنتشرة في إقليم كرمان سنة 422هـ / 1030م ، أخبار تفيد بتردي شؤون الحياة في الإقليم ، لما يتعرض له من فتن داخلية ، فأرسل السلطان لكرمان جيشاً وضمها لدولته (2) .

وزاد النشاط الاستخباري الخارجي , أثناء فترة الصراع الغزنوي السلجوقي ، فنقلوا أخبار تحركات وأماكن تواجد السلاجقة ، ونوعية الأسلحة التي يستخدموها ، وإمكانياتهم التسليحية ، ونواياهم القتالية ، وعدد مقاتليهم ، وموقفهم من سلطات غزنة وغيرها من معلومات ، وأفاد منها النظام الغزنوي ، فعملوا على اتخاذ الإجراءات المناسبة لإبطال مفعول مخططات السلاجقة المختلفة (3) . ونقلت العيون الغزنوية معلومات بالغة الدقة عن الروح المعنوية للمقاتلين السلاجقة بعد هزيمتهم في عليا باد سنة 430هـ / 1038م قولهم : " من المحال أن يقف أحد أمام صفوف هذا السلطان ، ولو تعقبنا أحد بعد أن ولينا منهزمين ، لما قامت لنا قائمة " (4) .

ونلاحظ أن الاستخبارات العسكرية الغزنوية الخارجية قامت بواجبها في سرخس سنة 430هـ / 1039م ، ومدت القيادة بمعلومات قيمة عن معنويات وتجمعات والخطط العسكرية المنوي تنفيذها من قبل السلاجقة ، فقد نقلوا إن السلاجقة قد عادوا ، وأنهم على مسافة مسير فرسخين من معسكر الغزنويين ، ويعملون على تحويل مجرى نهر سموه الذي كان يقيم الجيش الغزنوي على شواطئه ، وأن السلاجقة سيعاودون القتال . وبناءً على هذه التقارير ، اتخذ السلطان مسعود التدابير اللازمة ، وعدل خطته الحربية قبل دخوله المعركة وتخلص من الأثقال ، ورسم الطرق التي سيتم مهاجمة العدو منها .

بدأ عمل الاستخبارات بالتراجع منذ أواخر عهد السلطان مسعود بن محمود لأنه لم يعمل بقول الحكماء : " لتكن عيونك وجواسيسك ممن تثق بصدقه ونصيحته ، فإن الظنيين لا ينفعك خبره وإن كان صادقاً ، والمتهم عليك لا لك " (5) والسبب الرئيسي أن السلطان مسعود لم يكن موفقاً باختيار الجواسيس والعيون على السلاجقة ، فخدع بما كتبوا له عن نوايا المحموديين الفارين من عقابه ، أمثال علي القريب وأريارق والقائد أشفتكين وغيرهم ، بأنهم سينضمون إليهم حال اندلاع معركة دندانقان الفاصلة ، والذي حدث على العكس مما جاء بتقارير الاستخبارات العسكرية ، لاستمالة السلاجقة لهؤلاء الفارين من ناحية ، كما عملوا على إغراء جواسيس السلطان بالرشوة من ناحية أخرى ، فطبق السلاجقة قول ساسة الحروب : " وأعلم أنه إن ظفر عدوك , بأحد منهم فعاقبه ، دعاه

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 526 - 527 .
(2) المصدر نفسه ، ص 138 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 353 - 354 .
(3) أبو الفداء : المختصر ، ج 4 ، ص 65 ؛ أنظر : خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 95 ؛ أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص 52 .
(4) البيهقي : المصدر السابق ، ص 623 - 624 .
(5) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 24.

ذلك وغيرَه ، إلى أن يأتوك بالأخبار من غير أصولها وعلى غير حقائقها " (1) لذلك كانت النتيجة كما قال البيهقي (2) : " وكان قوى الحرب منبعثة من ناحية الفارين من معسكرنا أؤلئك الذين أرادوا أن يثبتوا للسلاجقة أنهم مخلصون ، وذلك حتى يأمنوا جانبهم ، وقد أمنوا فان أحداً منهم لم ينحز إلى ناحيتنا , وكان جواسيسنا قد كذبوا كثيراً ، إن كل ما قالوه كان بهتاناً وزورا ".

يتبين مما سبق أهمية الجواسيس والعيون في جمع المعلومات عن أعداء الغزنويين على الصعيدين الخارجي والداخلي ، ووفروا معلومات عن معنويات جنود الأعداء وقدراتهم القتالية ، وخططهم التعبوية ، وأوضاع المجتمع الداخلي بشكل عام ، وعملوا على وضع الحلول المناسبة لها بناءً على ما توفر من معلومات .

وأتضح أن سلاطين غزنة في مجال العمل الإستخباري طبقوا خبرة العارفين بسياسة الحروب المستمدة من أقوال بعض الحكماء في الحرب ، انه كان يُصير جاسوس عدوه جاسوساً له ، على أن يصدقه ويصدق عنه ، ويعطيه عن ذلك أكثر مما يعطيه عدوه (3) .

وفي خضم تسارع التطورات العسكرية والسياسية في إقليم خراسان ، أمسك الغزنويون سنة 428هـ / 1036م على اسكافياً يعبر نهر أموي* على نحو يثير الريبة وبعد التحقيق معه تبين أنه جاسوس بغراخان وآلي طراز* واسبيجان* وأنه متجه إلى السلاجقة ، ومعه رسالة إليهم مخبأة .

وأكد البيهقي (4) بأنه تم إخراج أدوات الإسكافية والمخرز من حقيبته ، وكانوا قد جوفوا الخشب وأخفوا به رسالة صغيرة ، ثم أحكموا وضعها , وملئوا الفراغ بنشارة الخشب ، ولونوا قطعة الخشب بحيث يصعب تميزها واعترف الرجل بان هذه التدابير من صنع بغراخان نفسه ،وكانت الرسالة مختومة , وموجهه إلى طغرلبك وداود وبيغو والينالين ، تتضمن إغراءات لهم بتهوين أمر الغزنويين . فأعجب السلطان مسعود ووزيره بهذه الطريقة الجاسوسية الطريفة ، واتفقوا على إعطاء الإسكافي مائة دينار مقابل العمل معهم بمهنته لصالحهم في لاهور .

انتحلت الجواسيس والعيون الغزنوية أزياء ومهن مختلفة كتجار وباعة متجولين أو رعاة دواب وغير ذلك ، وطبقوا قول الهرثمي (5) : " تلطف لإخفاء كتبك مع رسلك وجواسيسك ، باللطف والحيلة ، وأعلم أن بعض الحيل في ذلك ألطف من بعض " .

---

(1) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 23 - 24 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 627 .

(3) الهرثمي : مصدر سابق ، ص 24 .
* نهر آموى : الاسم القديم لنهر جيحون . البيهقي : مصدر سابق ، ص 654 .
* طراز : الإسم العربي لنهر لتلاس في آسيا الوسطى . وهي مدينة قائمة على النهر الذي يسمى باسمها . تقع بالقرب من اسبيجان من ثغور الترك ، وبالقرب من أولتا أتا . يبلغ طولها مائة درجة ونصف ، وعرضها اربعون درجة وخمس وعشرون دقيقة . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 418 ؛ الحموي : معجم البلدان ، ج 4 ، ص 27 .
* اسبيجان (اسفيجان) : اسم بلد كبير من أعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان ، لها ولاية واسعة ، وقرى كالمدن كثيرة ، من أشهرها مدينة أسبانيكت التي تبعد عنها مسافة مرحلة ، ومن مدنها بذخكت وسبانيكت والطراز واطلخ وشلجى وكدر وستكند وشاوغر وصبران ووسيج . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 418 - 419 ؛ الحموي : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 179 - 180 ، 375 ؛ الحميري : الروض المعطار ، ص 56 .
(4) مصدر سابق ، ص 572 - 573 .
(5) مصدر سابق ، ص 25 .

تبين أن الجواسيس والعيون من الأجهزة الأمنية الفعالة ، وقاموا بتادية , واجبهم بالشكل الأمثل ، وعملوا على توفير معلومات كافية عن أعدائهم من حيث تحركاتهم وخططهم العسكرية ومعنويات جندهم وغيرها ، وبناءً على تقاريرهم تم رسم الخطط القتالية المضادة من قبل القيادة العليا للجيش الغزنوي ، وافشلوا مخططات العدو . وعملت الاستخبارات العسكرية في مختلف مؤسسات الدولة العسكرية والمدنية ، وراقبت تصرفات كبار الموظفين والأمراء وقادة الجيش والجند ، وبناءً على التقارير الواردة ، عمل سلاطين غزنة على كبح جماح من تحدث له نفسه بزعزعة النظام .

4 - الشِحنة .

قال الجواليقي (1) : " الشِحنة بكسر الشين ولا تفتح ، هو اسم للرابطة من الخيل في البلد لضبط أهله من أولياء السلطان ، وليس باسم للأمير أو القائد ، كما تذهب إليه العامة " والنسبة إليه شحنيّ وشحنية ، ولا تقل شحنكية ولا شحنهية , وهذه الكلمة عربية صحيحة واشتقاقها من شحنت البلد بالخيل إذا ملأته بها ، والفلك المشحون أي المملوء (2) .

والشحنة قوة عسكرية تقوم بواجب الحماية الأمنية لمدينة ما وأعمالها ، وتمتع متقلدها بسلطات بوليسية وإدارية ، وراقبوا الخارجين على النظام ، وعاقبوا وحاسبوا المسيئين (3) .

وأسند للشحنة واجباتها الحفاظ على المدن والقرى التابعة لها من المفسدين والذعار وإخماد الفتن ، والحد من وقوع المشاكل والحوادث (4) ووجدت الشحنة كجهاز عسكري تنفيذي مباشر وغير مباشر لتحقيق الأهداف السياسية الداخلية للدولة في المدن التي أنشئت فيها ، وخضعت للسيطرة الغزنوية .

وإلى جانب إبقاء الغزنويين على مراكز الشحنة التي كانت موجود في عصر آل سامان ، استحدثوا مراكز جديدة في بعض المدن الرئيسة من إقليم خراسان وغيره , وأبقوا مركز شحنة نيسابور ، وأولـوه عناية خاصة ، كما أولوا غيره من مراكز الشحنة جل اهتمامهم ، لما لهذه المراكز من دور في حفظ الأمن الداخلي ، وتنفيذ الواجبات (5) .

وعن الغزنويين أخذ السلاجقة نظام الشحنة ، وعملوا على توسيعه بشكل أكبر مما كان عليه سابقاً ، وأكثروا من إقامة مراكز الشحنة ليشمل مدن بلاد فارس والعراق ، وامتد لمدن بلاد الشام وآسيا الصغرى . ولكل قوة من قوات الشحنة قائد يُعين من قبل سلطان غزنة شخصياً ، ويختار من الرجال الثقاة ، فقد عيَّن السلطان مسعود الأول سنة 421هـ / 1030م الخواجة ساتلمس شحنة لمدينة بادغيس ، مكافأة له على أنه أول مسؤول خرج لاستقباله في نيسابور . واعتبرت قوة الشحنة القوة العسكرية الثانية في النظم العسكرية الغزنوية ، لذلك خضع لأوامر قائد جيش الإقليم ، وقام بتنفذ ما يوجه إليه من تعليمات وأكـد

----

(1) تكملة إصلاح ما تغلط به العامة ، ص 48 .
(2) ابن منظور : ج 13 ، ص 284 (مادة شحن) .
(3) الصابي : الوزارة ، ص 18 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 151 ، 229 .
(4) البنداري : دولة آل سلجوق ، ص 8 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج 3 ، ص 466 .
(5) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 43 ؛ الحسني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 4 ؛ البنداري : دولة آل سلجوق ، ص 8 .

سلاطين غزنة على مسؤولي قوات الشحنة بضرورة تنفيذ أوامر وتعليمات قائد الإقليم (1) .

وكان يتم تشكيل قوة الشحنة بعد صدور أوامر السلطان بإنشاء مركز للشحنة في إحدى المدن من حوالي خمسمائة مقاتل ما بين فارس وراجل . فقد استحدث السلطان مسعود الأول قوة شحنة في الري قوامها خمسمائة من الفرسان ، دعى بعدها أعيان المدينة وأبلغهم بنيته التوجه لغزنة , وخاطبهم بقوله : " والآن نترك فيكم عاملاً من قبلنا مع ثلة من الرجال لنبلو طاعتكم ولنرى ما يحصل منكم ، فإذا آنسنا منكم النصح والطاعة دون رياء ، قابلنا ذلك منكم بالعدل والإحسان الشامل ، أما إذا استبان خلاف ذلك فستلقون جزاءً وفاقا ، لا يؤاخذنا الله عليه لأن البادئ أظلم " فاقروا له بالولاء والطاعة (2) .

وفي سنة 431هـ / 1039م تشكلت قوات شحنة بست من الفرسان والرجالة وعيَّن السلطان مسعود الأول لقيادتها نوشتكين نوبتي , وفوض إليه أمر نواحيها كافة . واشتركت قوات الشحنة بالأعمال القتالية , وقاتلت قوات الجيش السلجوقي في مرو وسرخس وبادغيس وباورد سنة 425هـ / 1033م (3) .

كما أسند إلى قوات الشحنة مهمة القبض على مرتكبي الجرائم . فقامت شحنة مدينة هراة سنة 430هـ / 1038م بالقبض على أبو الفتح الحاتمي نائب بريد هراة ، بعد وصول معلومات تخبر بأنه قابل السلاجقة ، وتم أرسله مقيد إلى قلعة بركز على حدود برشور وسجن بها . وللشحنة دور كبير في استقبال وتوديع السلاطين وكبار المسؤولين المدنيين والعسكريين ، وتوفير الأمن لهم . فقد كان حسن سليمان شحنك إقليم الري على رأس مودعي السلطان مسعود الأول عندما غادرها متوجها لمدينة غزنة ، وبقي مودعاً له حتى خرج من حدود الإقليم .

أما لباس قائد قوات الشحنة ، فكان القباء الخاص من الديباج الرومي ، ومنطقة ذهبية تقدر بخمسمائة مثقال ، وأشياء أخرى تناسبها ، وجرت العادة في العصر الغزنوي أن يتقدم الشحنة بعد ارتداء اللباس الخاص به ، ويؤدي الخدمة حسب الرسوم المعمول بها (4) .

5 - السفن (الأسطول) .

يرسم أسطول في المصادر العربية برسوم مختلفة منها : أصطول أو صطول (6) وتجمع أساطيل ، وهي كلمة يونانية الأصل ، تطلق في العربية على المراكب الحربية مجتمعة أو على السفينة الواحدة . ويقال المراكب الأسطولية (7) ويقال للجندي الذي يعمل

---

(1) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 20 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 38 - 40 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 19 - 20 ، 395 ، 562 .
(3) المصدر نفسه ، ص 709 .
(4) المصدر نفسه ، ص 23 - 24 ، 647 ؛ الحسيني : مصدر سابق ، ص 4 .
(5) ابن شداد ، بهاء الدين : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط 1 ، القاهرة ، 1964م ص 210 ؛ شيخو ، لويس : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، ق 2 ، ج 2 ، ط 1 ، بيروت ، 1923م ، ص 383 .
(6) ابن القلانسي ، أبو يعلي حمزة (555هـ / 1063م) : ذيل تاريخ دمشق ، منشورات آمدروز ، بيروت ، 1923م ص 332 .
(7) Dozy (R . Q . A) : Supplement aux Dictionnaires Arabes , Brill , Leiden , 1881 , Vols . 2 , p 22 .

بالأسطول أسطولي . وهناك الكثير من المصادر تشير إلى أن كلمة أسطول تدل على مجموعة من السفن (1) .

استخدم الغزنويون السفن لاجتياز المسطحات المائية التي كانت تعترض طريق سيرهم كالأنهار ، ومتابعة العدو في المحيط الهندي . ولم تسعفنا المصادر المتوفرة بذكر أنواع السفن التي اجتاز بها الغزنويون تلك المسطحات ، لكنها اكتفت بالإشارة إلى عمليات الإجتياز ، وبالتأكيد أنهم استخدموا مثل هذه السفن والزوارق التي كانت مستخدمة في ذلك العصر وهي على ضربين .

أ - السفن النهرية .

هي السفن النهرية التي يتناسب حجمها مع عمق مياه النهر التي تعمل فيه . وكثيراً ما تذكر المصادر والمراجع التاريخية والأدبية القديمة منها والحديثة السفن ، ولم تهمل إدراج أسماء الزوارق وأنواعها ، فقد استعملت الزوارق والقوارب في المشرق والمغرب الإسلامي لأغراض عدة ، منها ما يستخدم في القتال النهري (2) ومنها ما يستخدم لنقل الجند وأمتعتهم العسكرية ، أو لعمليات إنزال الجنود إلى البر (3) ومنها ما كان يستعمله التجار في نقل البضائع والأمتعة والأقوات والحبوب وما شاكل ذلك (4) .

استخدمت السفن النهرية لأغراض كثيرة ,منها تفريغ حمولة السفن , ونقل الماء والحجاج ، أو حمل المعادن ، كالجديد وغيره ، ولنقل الحجارة ، أو صيد السمك , واللؤلؤ كما أنها تستخدم , كوسيلة عبور سواء بمفردها أو عملها كجسور فوق المسطحات المائية تمكن قطاعات الجيش من العبور (5) .

ومن أسماء الزوارق والقوارب في صورها العامة مع استعمالاتها المختلفة ، فقد أدرج الدكتور درويش النخيلي (6) عدداً من السفن والزوارق النهرية التي استخدمت في المشرق الإسلامي ، ولعل الغزنويين استخدموا هذه السفن ومنها :- أشكيف ، بروليق ، بط ، بوصي ، بومبة ، جرم ، جلبة ، جملية ، حديدي ، دغيس , دغمص رفاس ، رفاص ، ركوة ، زلاج ، زو ، زومة ، ساجة ، سايقة , شايقة , شيقة ، سلورة سمادية ، سنبك , سنبوك وسنبوق , صنبوق ، شالوية , شلوبة ، شباك ، شختور , شختورة شلنبة ، صال ، صندل ، طيار ، عشارى ، غارب ، كارب ، فلوكة ، فلوة ، قادس ، قايق قايغ ، قربات ، قطيرة ، قفة ، قلص جلص ، قنجة , قنجة باش ، قود ، كندرة ، كيك لاذى لاطنة ، لبركة ، لنجون ، ماعون , ماعونة ، معبر (زورق أو قارب عبور) معدية نقيرة هورى .

---

(1) ابن خلدون : المقدمة ، ص 138 ؛ المسعودي ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي (ت 346هـ / 957م) : التنبيه والإشراف ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1893م ، ص 141 ؛ النخيلي ، درويش : السفن الإسلامية ، ط 2 ، دار المعارف 1979م ، ص 2 .

(2) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 3 ، ص 1168 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 140 .

(3) ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ج 2 ، ص 50 ، 205 .

(4) الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335هـ / 946م) : الأوراق ، عني بنشره ، ج . هيورث دن ، مطبعة الصاوي ، القاهرة ، 1354هـ / 1935م ، ص 76 ، 201 ، 244، 252 ، 254 ، 255 ؛السكندري : الإلمام بالأعلام (نسخة الهند) لوحة 260 أ ، نقلاً عن درويش النخيلي : مصدر سابق ، ص 61 .

(5) الصابىء : رسوم دار الخلافة ، ص 12 .

(6) مصدر سابق ، ص 62 .

واستخدمت السفن النهرية من قبل الولاة والقادة العسكريين في أقاليم الدولة . فقد استخدم التونتاش خوارزم شاة السفن النهرية في حربه مع علي تكين حاكم بلاد ما وراء النهر سنة 423هـ / 1031م (1) . ولم تذكر المصادر نوع السفن التي استخدمت أو عددها .

ب: ـ السفن البحرية .

تمتاز السفن البحرية بكبر حجمها , ومقدرتها على الإبحار في البحار والمحيطات ولها المقدرة على حمل آلاف الأطنان ، بغض النظر عن نوعية الحمولة . وفيما يلي أهم السفن التي استخدمت في المشرق الإسلامي .

1 ـ أهورة : نوع من السفن التي أخذها العرب عن الهنود بعد الإسلام ، وتستعمل الأهورة في النزهات البحرية للأمراء ، ولا تسير إلا وتحفها مراكب فيها الأتباع والندماء وأصحاب اللهو (2) .

2 ـ بارجة : والجمع بوارج ، وهي من المراكب الكبيرة في الهند ، وعربت عن لفظة بيرة الهندية ، وهي سفينة حربية كبيرة ، ثم قال العرب : سفينة بارجة ، فنعتوا

بهـا السفـن الكبيرة المكشوفة ، وقالوا البارجة : سفينة من سفن البحر تتخذ للقتال (3) .

3 ـ جاكر : نوع من السفن المستعملة في المحيط الهندي لنقل المسافرين ، وتزود عادة بالمقاتلة لحماية ركابها من هجمات لصوص البحر (4) .

4 ـ جلبة : وهي من المراكب التي تسير في المحيط الهندي والبحر الأحمر ، وتجمع جلاب أو جلب أو جلبات (5) .

5 ـ زومة : ذكرت بأنها من مراكب بحر اليمن والهند (6) .

6 ـ سنبك ، وسنبوك ، أو سنبوق ، وصنبوق : ويجمع على سنابك وسنابيك ، وهي السفينة الصغيرة ووضعها السكندري (7) في قائمة المراكب المستعملة في بحر اليمن والهند ، ويفهم من كلامه أن السنبوك زورق من توابع المركب المعروف بالجلبة .

7 ـ شبارة : تجمع على شبارات ، وهي سفينة نهرية صغيرة ، أكثر ما أستعملت في العراق وخراسان (8) .

8 ـ شلير : نوع من السفن الحربية التي استخدمت في الهند ، وتشبه نوع أخر من السفن وهو العكيرى (9) .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 363 .
(2) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص 109 - 110 ؛ النخيلي : السفن الإسلامية ، ص 7 .
(3) ابن سيدة : المخصص ، ج 10 ، ص 26 ؛ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص 42 ؛ النخيلي : السفن الإسلامية ص 10 .
(4) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ج 4 ، ص 58 - 60 ؛ النخيلي : مصدر سابق ، ص 21 .
(5) النويري السكندري : الإلمام بالأعلام ، نسخة برلين ، لوحة 127أ ، صور شمسية محفوظة بمكتبة كلية جامعة الإسكندرية تحت رقم 667 ، 737 ، 738 على التوالي ؛ نقلاً عن النخيلي : مصدر سابق ، ص 27 ، 43 .
(6) المصدر نفسه , لوحة 127أ ، نقلاً عن النخيلي : مصدر سابق ، ص 63 .
(7) المصدر نفسه ، لوحة 127أ ، نقلاً عن النخيلي : مصدر سابق ، ص 70 .
(8) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ج 2 ، ص 116 .
(9) المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 107 ؛ النخيلي : مصدر سابق ، ص 81 .

9 ـ طريدة ، وطراد ، وطرادة ، وتطريدة : والجمع طرايد ، وطرائد ، وطرادات ، فهي مفتوحة المواخير ، وتستخدم لنقل الخيل والدواب بانواعها ، إلى جانب استخداماتها الأخرى في النقل وغيره (1) .

10 ـ معدية : وتجمع معادي ، وهي من السفن الصغار التي يجاز بها مياه الأنهار ، وكانت تستخدم في الهند (2) .

11 ـ منورت : نوع سفن مستعملة في الهند ، لنقل المسافرين .

12 ـ الصغدية : إحدى أنواع سفن نهر جيجون (3) .

فهذه الزوارق والسفن على إختلاف أشكالها وأنواعها ، كانت مستخدمة ضمن البلدان التي دخلها الغزنويون ، فلا بد وأن استخدمها الغزنويون في معاركهم خلال

اجتيازهم لأنهار تلك الأصقاع ، أو عند خوضهم معارك على تلك المسطحات المائية النهرية والبحرية .

وتشير بعض الروايات إلى أن السلطان محمود بن سبكتكين عبر جميع أنهار البنجاب ما عدا نهري بياس وستلج* سنة 396هـ / 1006م ، لمحاربة قرامطة الملتان ، دون وجود إشارات للوسائط التي تمت فيها عملية العبور (4) . ويبدو أنه استخدم السفن لاجتياز مياه تلك الأنهار .

وأرسل الغزنويون من يقوم بإعداد السفن بختلان وقباذيان وترمذ ، وعيَّنوا أماكن خاصة لبناء السفن في نهر جيحون ، ليتمكن جيش السلطان محمود من اجتيازه ومحاربة الخوارزميين سنة 408هـ / 1017م ، لكن ألبتكين ركب إحدى السفن الخوارزمية الموجودة في مياه النهر للنجاة بنفسه من عقاب السلطان ، فكان القدر قد حال بينه وبين إرادته ، بسبب وقوع مخاصمة مع بعض قادته ، فقاموا باعتقاله وتسليمه لمحمود (5) .

واستخدم السلطان محمود سنة 408هـ / 1017م العديد من السفن لنقل جيشه عبر نهري سيحون* وجيلوم* ، أثناء توجهه لغزو قشمير وقنوج لأن المياه غمرت الفيلة ولم تستطع اجتيازها (6) .

---

(1) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ج 4 ، ص 107 ؛ السكندري : الإلمام بالأعلام ، لوحة 124أ ، نقلاً عن النخيلي : السفن الإسلامية ، ص 89 .

(2) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ج 3 ، ص 359 ، ج 4 ، ص 59 .

(3) الاصطخري : مسالك الممالك ، ص 163 .

* بياس وستلج : من أنهار بلاد البنجاب الخمسة ، وهما من الروافد التي يتشكل منها نهر السند ، ويطلق على أراضي هذه الأنهار الخمسة اسم بنج آب . البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 216 ؛ الغامدي : الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند ، ص 66 ، 225 ؛ ناظم : السلطان محمود ، ص 29 ؛
Jusjani : Tabakat Nasiri , vol . 2 , p . 74 .

(4) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 228 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ج 1 ، ص 40 .

(5) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 258 ؛ البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 741 - 742 ، 734 ، 744 - 745 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 282 .

* نهر سيحون : نهر كبير مشهور ،في بلاد ما وراء النهر ، قرب خجندة ، وبعد سمرقند ، على حدود بلاد الترك ، يجمد في الشتاء ، وتجوز على جمده القوافل . الحموي : معجم البلدان ، ج 3 ، 294 .

* نهر جيلوم : نهر كبير بين بيشاور ولاهور ، يقطع ولاية كشمير ، وهو أحد أنهار البنجاب الخمسة الكبيرة . وسمي بهذا الاسم نسبة إلى مدينة جيلم ، إحدى قصبات بلاد الهند , يلتقي مع ماء نهر جند راهه فوق جهراور بحوالي خمسين ميلاً ويمران غرب الملتان . العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 264 ؛ البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 216 .

(6) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 264 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 282 .

وقبل خوض معركة معبد سومنات سنة 416هـ / 1025م ، وضع السلطان محمود وبعبقريته العسكرية الفذة ، كافة الاحتمالات التي قد تنجم عن مجريات العمليات العسكرية المقبلة ، فأمر بتجهيز أسطولا حربياً ، مهمته منع وصول إمدادات للهنود من ناحية البحر والتصدي لأي هجوم بحري قد تقوم به البحرية الهندية على القوات الغزنوية ، لكن الذي حصل بعد هجوم جيش السلطان الكاسح على قلعة المعبد ، حاولت أعداد كبيرة من المدافعين عنها الهروب عن طريق القفز من أعلى الأسوار إلى البحر ، لركوب سفن كانت قد أعدت لهذه الغاية , فبرز دور

سلاح البحرية الغزنوي بالتصدي لهم ومنعهم من الهرب ، ودخلوا معهم في قتال ، نتج عنه قتل أعداد كبيرة من الهاربين ، وغرق أخرين (1) .

وبعد أن وضعت معارك سومنات أوزارها ، استخدم السلطان محمود السفن ، وتوجه بها لمطاردة بهيم ملك نهلوارة* الذي تحصن بقلعة كندهه (2) * .

وأثناء مرور جيش السلطان محمود في وادي السند السفلي ، عائداً إلى غزنة سنة 418هـ / 1027م ، تعرض لهجمات من قوارب قبائل الجات سكان تلك الأصقاع ، فأصدر محمود أوامره وتعليماته بالبدء ببناء القوارب والسفن ، استعداداً لخوض معركة بحرية مع الجات ، واحضر الصناع المتخصصين بصناعة السفن , والمعدات والأسلحة البحرية واستمرت ورش العمل ليلاً ونهاراً لمدة سنة حتى أنجزوا بناء ألف وأربعمائة سفينة .

وزود كل قطعة بحرية بثلاث آلات حديدية قاذفة للسهام ، وأحده في الأمام واثنتين على جانبي كل قارب وسفينة ، وشحن كل منها بعشرة رجال بكامل أسلحتهم الحربية ، من مثل السهام والخناجر والسيوف ، وأدوات قاذفة للنفط بواسطة السهام .

وشملت خطته الحربية وضع مقاتلين بخيولهم ، وأفيالهم الحربية على جانبي النهر من ناحية اليابسة ، لقنص كل من يهرب من العدو باتجاه اليابسة ، بدأ بعدها محمود بتطبيق خطة عسكرية بحرية محكمة ، بأن أغلق الناحية العلوية الشمالية لمجرى نهر السند ، بسفنه الصغيرة العائمة ، ثم توجه بها نحو العدو ، ودارت معركة قاسية بين الجانبين ، ورغم أن الجات دخلوا المعركة بقطع بحرية فاق عددها أضعاف عدد سفن السلطان ، قيل : بأنها كانت تتراوح ما بين أربعة إلى ثمانية آلاف قطعة بحرية من مختلف الأنواع ، بالإضافة لما بذلوه من شجاعة فائقة ، لكنهم لم يتمكنوا من الصمود أمام الأسطول الغزنوي ، وهزمت قوات الجات ولاذت بالفرار باتجاه اليابسة ، ففاجأتهم قوات برية غزنوية ، واجبرتهم على التراجع للماء ، فركبوا سفنهم وتوجهوا هاربين باتجاه مخابئهم وأمتعتهم (3).

---

(1) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 96 - 98 ؛ الطرزي : موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية ، ج 1 ، ص 304 ؛ ويلر : الهند تحت الحكم الإسلامي ، ج 1 ، ص 35 - 36 ؛

Ikram : History of muslim civilization , p . 16 .

* نهلوارة : فتحها السلطان محمود سنة 416هـ / 1025م ، وهو في طريقة لفتح سومنات ، وكان حاكمها بهيم قد هرب خوفاً من السلطان ، وتحصن بقلعة كندهة . ابن خلدون : العبر ، ج 4 ، ج 8 ، ص 802 .

(2) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 321 .

* كندهه : إحدى القلاع البحرية ، تبعد عن سومنات أربعون فرسخاً في البحر . ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 321 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 803 .

(3) الكرديزي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 100 ؛ جمال الدين : التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان ، ص 202 - 203 .

واستخدمت سفن نهر جيحون من قبل أمراء الأطراف في الدولة الغزنوية . ففي سنة 423هـ / 1031م قاد التونتاش خوارزم شاة جيش إقليم خوارزم ، وعبر جيحون بواسطة السفن وحاربوا علي تكين (1) .

واستخدم السلطان مسعود عشرة سفن شراعية سنة 428هـ / 1036م أثناء قيامه برحلة صيد وتنزه على ضفاف نهر هيرمند* وأخذ معه صقور الصيد والفهود والحشم والندماء والمطربين ، ركب السلطان ومعه نديمان وساقيان , وغلام والسلاحدار بأكبرها بينما استقل الآخرون بقية السفن (2) .

6 - الزرّاقون .

الزرّاقون : هم مستخدمي الزواريق (الزراقات) وتعرف بالنفاطـات (3) .
أعد الغزنويون للسفن والزوارق رجالاً للقتال عليها عرفوا بالزرّاقين ، أسند إليهم واجبات عدة من أهمها ، رمي النفط على معدات وجنود العدو بواسطة النفاطات .
ويرتدي الزرّاقين أثواباً خاصاً بهم غير قابل للاشتعال ، يطلق عليه اسم لباس النفاطين (4) .

من الأمثلة على استخدام النفط الملتهب ، قام السلطان محمود بغزو مدينة بهيم نغر سنة 399هـ / 1008م ، وواجهه ملكها آنندبال بهجوم كاسح مستخدماً كافة أنواع الأسلحة وعشرات الفيلة ، ففتكت قواته بجيش السلطان ، وفلت صفوفه حتى أصبح نصر آنندبال شبه مؤكد ، فلما رأى محمود ما حدث , أصدر أوامره لرماة السهام برشق الأعداء , وفيلتهم بالسهام الملتهبة بالنفط ، فأحدثت أصوات أشبه بالانفجار ، نتج عنها خلخلة وارباك بين فيلة الـهنود .

وأدى ذلك إلـى تخفيف حدة هجوم القوات الهندية ، وتهيأت الفرصة لقلب نتائج المعركة ليصبح النصر حليف الغزنويين ، ولما رأى السلطان ظهور نتائج ايجابية لاستخدام النفط ، شدد على قطاع الرماة برشق فيلة العدو بمزيد من سهام النفط ، مما جعل فيل آنندبال يرتاع من انفجار النيران الملتهبة ، فأصبح جامحاً عصي السير باتجاه المعركة ، فارتد على عقبه هارباً ، فتبعته بقية الفيلة ، وظنت بقية عناصر الجيش الهندي الأخرى ، أن خروج آنندبال بفيله من ميدان القتال علامة للهزيمة ، فولوا مدبرين ، وتحقق النصر للمسلمين (5) .

وفي معركة تانيشر سنة 402هـ / 1011م ، أصدر السلطان محمود أوامره لقطاع الرماة برشق العدو بالسهام الملتهبة بالنفط لتصيب فيلة الهنود في وجوهها وعيونها ، وتولى

---

(1) ابن النظام الحسيني : العراضة , ص 35 .
* نهر هيرمند : هو نهر هندمند , يسمى هيل مند أيضا ، من أعظم أنهار سجستان ، ينبع من ظهر الغور من روافد عدة تتجه نحو الجنوب الشرقي ، ويمر على الرخج ، وبلدة الداور ثم يجري على بست حتى ينتهي بسجستان ، ثم يصب في بحيرة زَرَه ، ومن هناك يسمى شط الهند . ابن الفقية : البلدان ، ص 208 ؛ سعيد : " أفغانستان " ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج 2 ، ص 352 - 353 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 547 - 548 .
(3) الجاحظ : البيان والتبين ، ج 3 ، ص 17 ؛ هندي ، إحسان : الحياة العسكرية عند العرب ، مطبعة الجمهورية ، دمشق 1964م ، ص 151 .
(4) الهروي : التذكرة الهروية ، ص 81 ، 99 ؛ هندي : مرجع سابق ، ص 151 .
(5) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 78 ؛ خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 378 .

السلطان بنفسه قيادة الهجوم الرئيسي والكاسح ضد مواقع العدو ، واشتركت جميع القطاعات وأصناف الجند بالقتال ، وكان للسهام الحاملة للنفط تأثيرها المباشر على تغير مصير نتائج المعركة ، فقد أخذت الفيلة تجمح ، وأصبحت قيادتها عصية ، ولم يعد لسايسيها مقدرة على السيطرة عليها ، فارتدت على أعقابها ، وهزم الهنود ، وتحقق النصر للجيش الغزنوي (1) .

وقامت فرقة الرماة التركمانيين بالتصدي لفيلة الهنود الحربية في معركة ناردين سنة 404هـ / 1013م ، ورمتها بسهام ملتهبة بالنفط ، حتى تمكنت من كسر مقدمة الجيش الهندي ، وأجبرتها على الارتداد للخلف ، فتهيأت الفرصة للسلطان محمود , وتحرك ببقية قطاعات الجيش بهجوم معاكس ، وضرب قوات العدو ميمنة وميسرة ، وبعد ساعات عدة تحقق له النصر ، والتجاء الهنود للتحصن بقلعة ناردين ، فضرب حولها جيش السلطان حصاراً حتى استسلم من بها (2) .

وقبل قيام السلطان محمود بهجومه الكاسح في اليوم الثاني على القوات المدافعة عن قلعة معبد سومنات سنة 416هـ / 1025م ، كانت قوة أسلحة الرماة منبعثة باتجاه مواقع الهنود ، بسهام نفطية ملتهبة ، أدت لإجلاء المدافعين عن الأسوار ، وتهيأت الفرصة لجيش السلطان ، بتنفيذ المرحلة اللاحقة من خطته الحربية بأن قام بشن هجوم كاسح على المدافعين ، فاعتلت عناصر جيشه الأماكن العليا من أسوار القلعة ، ثم دخل في معركة مباشرة مع عدوه داخل الأسوار ، أسفر عنها السيطرة التامة على القوات المعادية ، وتحقيق النصر (3) .

وتذكر المصادر أن السلطان محمود في حملته السابعة عشرة على بلاد الهند والسند استهدفت سكان وادي السند السفلي , المعروفين بقبائل الجات سنة 418هـ / 1027م فزود السلطان كل قارب أو سفينة بثلاث قاذفات نفط . وسبق وأن عرفنا أن الأسطول البحري الغزنوي في تلك المعركة بلغ ألفاً وأربعمائة قطعة بحرية ما بين زورق وسفينة ، يتضح لدينا أن عدد قاذفات النفط التي استخدمت بلغ أربعة آلاف ومائتين قاذف .

وكان لاستخدام هذا السلاح ، دور كبير في حسم المعركة لصالح جيش السلطان ، إذ فتكوا بمقاتلي العدو فتكاً ذريعاً ، بالنفط المحرق المنبعث من القاذفات البحرية , فكانت تحرق كل ما تقع عليه . قال الكرديزي (4) : " فكانت كل قذيفة في غاية القوة والحدة لدرجة أنــه كان يقذف على كل صوب بتلك القذائف ، وكان إذا أصيب شيء بها ولو كان قوياً ، تحطمه وتمزقه وتحيله هباءً منثوراً " .

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ،ص 393 - 395 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 272 .
(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 81 ؛ ناظم : زمن السلطان ، ص 91 - 92 .
(3) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 428 - 429 ؛ ويلز : الهند تحت الحكم الإسلامي ، ج 1 ، ص 35 - 36 .
(4) الكرديزي : مصدر سابق ، ص 100 .

المبحث الثالث
وحدات الخدمات الإدارية

للخدمات الإدارية دور بارز في السلم والحرب , لتامين المتطلبات الإدارية من المؤن والأعلاف والأسلحة والذخيرة والمعدات الحربية وغيرها من المستلزمات الإدارية الضرورية ، بواسطة وسائل النقل المتاحة . وللخدمات الإدارية دور بارز في رفع معنويات الجند واستمرارهم بالقتال ، وينعكس ايجابياً في ولائهم وإخلاصهم للنظام السياسي للسلطان والدولة ، وإدامة سير العمليات القتالية في الميدان على جميع الجبهات .

1 - التموين والنقل .

أوصى الهروي (1) بأن يتجنب القائد إنزال جيشه بأرض قليلة الماء والعلف ، خوفاً من أن يحيط به عدوه فيهلكه ، وأوصوا بالسبق للنزول عند المياه العذبة .

والمستلزمات الإدارية والعسكرية بأنواعها كافة ، تحتاج إلى رجال يقومون على توفيرها وتأمينها ، وتحميلها ونقلها وتنزيلها ، ثم توزيعها على قطاعات الجيش ، وتخزين الاحتياطي منها ، وتوفير وسائط نقل لهذه المواد ، فهذه الأعمال وغيرها من الأمور الإدارية ، أسندت خلال العصر الغزنوي لوحدة التموين ، وتتخذ مواقعها عند التعبئة خلف قطاعات الجيش المقاتلة .

لذلك أولى سلاطين غزنة أولوا هذه الجانب رعاية خاصة , فكانوا شديدي الحرص على توفير ما يلزم للقطاعات كافة ، وعملوا على تشكيل قوافل تموينية ترافق الجيش أينما حل أو ارتحل , وكانوا شديدي الحرص أن يضعوا بنود عند توقيعهم اتفاقيات الصلح يتعهد فيها العدو بتوفير ما يحتاج إليه جيشهم من علوفات وميرة عند مروره في بلادهم , مثل ما تضمنته اتفاقية الصلح التي تم توقيعها بين السلطان محمود بن سبكتكين وآنندبال ملك مملكة شمال الهند في لاهور سنة 396هـ / 1006م ، بالسماح لجيش غزنة بعبور أراضيه إلى أية وجهة يريدها ، وتقديم العلوفات , والمؤن الغذائية ، وإقامة الأسواق في الطريق ذهاباً وإياباً (2) .

وتفاخر السلطان محمود بين الناس بالاستعدادات القتالية ، وبما تم توفيره من العلوفات والمواد التموينية التي اتخذها لغزوة ناردين سنة 404 هـ / 1013م ، فحقق بهذه السياسة العسكرية والإدارية المميزة نصراً باهراً في ناردين ، اختلفت في نتائجها عما سبقتها من غزوات . ووصفها العتبي (3) بقوله : " وأقبل السلطان على استئناف العدة والعتاد واستعجال الميرة والأزواد ، واستدعاء أعيان الغزاة من أطراف البلاد ، حتى إذا تمت العدة والعديد من أصناف الأجناد والعساكر " .

---

(1) التذكرة الهروية ، ص 87 .

(2) العتبي : تاريخ العتبي ، ج 2 ، ص 361 - 363 ؛ ابن : الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 226 ؛
Habib : Sultan Mahmud , p . 30 – 31 .

(3) مصدر سابق ، ص 147- 148 .

وأرسل الوزير أحمد بن حسن الميمندي* رسولاً إلى ولاة كل من ختلان وقباديان وترمذ ، لإعداد السفن وجمع العلف عند نهر آموى , ليتوفر لقطاعات الجيش الذي وصل لاحقاً , لمواجهة قتلة أبي العباس خوارزم شاة (2) , فأعدت لهذه الغاية قوافل تموينية بأعداد كبيرة .

ولما قرر السلطان محمود القيام بحملة عسكرية لفتح سومنات سنة 416هـ / 1025م وبعد دراسة مستفيضة لطبيعة الطريق التي سيسلكها ، وجد أنها تخترق أراضي صحراوية لا يتوفر فيها الماء والمواد التموينية والأعلاف ، فأصدر أمره بتجهيز قافلة تموينية مكونة من عشرين ألف جمل حملت الماء والميرة (2) .

وأعطى السلطان مسعود الأول موضوع الإدارة جل اهتمامه ، وعمل على توفير الميرة بكل السبل ، ونهج سياسة مغايرة لسياسة والده ، باعتماده على ولاة المدن والأقاليم لتوفيرها . وأثناء إقامة مسعود في دامغان سنة 421هـ / 1030م , أصدر توجيهاته لقائد الجيش أشفتكين الغازي ، بالتنسيق مع ولاة خراسان لتوفير العلوفة بشكل دائم حتى لا يحدث نقص فيها ، وكان في ذلك الوقت ينوي السلطان التوجه بقطاعات الجيش كافة إلى خراسان (3) .

وبناءً على توجيهات السلطان مسعود الأول في شهر صفر 421هـ / فبراير 1030م حمل سوى بن المعتز رئيس ديوان خراسان العلف , وكل ما يلزم من العدد لاجتياز صحراء نسا وفراوة* بكافة قطاعات جيش خراسان لتعقب فلول السلاجقة الذين توارو في بلخان كوة ، وفي ذات الوقت تشاور مسعود مع أركانية الجيش , للتوجه من بلخ إلى مرو . فأرسل سورى أمراً إلى الولاة بتجهيز المؤن قبل تحرك القطاعات ، حتى لا يظهر عجز في أية ناحية تقع على طريق حركة جيش السلطان (4) .

ولما وصل مسعود إلى نيسابور ، وجد الميرة قليلة لأن السنة كانت جفافاً ، ولشدة حرصه على توفير العلف والميرة دعى لعقد اجتماعا مع الوزير وأركانية الجيش وأمراء الدولة ، وبحضور أبي الحسن العراقي ، تناول المجتمعون الحديث عن موضوعات عدة من بينها المواد التموينية ثم قال السلطان : " إنـي لا أرى البقـاء هنـا أكثـر مـن أسبـوع ، فـإن

---

* أحمد بن حسن الميمندي : يكنى بأبو القاسم أو أبو الحسن ، ولقبه شمس الكفاءة , وهو من أكبر وأشهر وزراء الدولة الغزنوية ، وأكثرهم قدرة بالشؤون الإدارية . تولى والده الوزارة للأمير سبكتكين . وكان أحمد أخاً ليمين الدولة محمود بالرضاعة ، ورفيق صباه ، وتربيته , تولى ديوان خراسان ، ثم عين مستوفياً عاماً للدولة ، ثم حاكماً ينوب عن حكومة غزنة في بست ، ثم على الرخُج ، وزر للسلطان محمود بن سبكتكين عشر سنوات (405 - 416هـ / 1014 - 1025م) فاتهمه بالاختلاس ، فصادر أمواله وممتلكاته ، وسجنه في قلعة كلنجر في كشمير ، وظل بها حتى أطلق سراحه إبنه السلطان مسعود ، فاستوزره ، وبقي وزيراً حتى وفاته في محرم سنة 424هـ / كانون الأول 1032م . نظام الملك : سياست نامه ، ص 217 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 347 خواندمير : دستور الوزراء ، ص 236 - 237 .

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 743 .

(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 89 - 90 الحسني ، عبد الحي بن فخر الدين (ت 1341 هـ / 1922م) : الهند في العهد الإسلامي ، تحقيق الدكتور عبد العلي الحسني وأبو الحسن الحسني ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الدكن ، د . ت ، ص 158 ؛ دحلان ، أحمد بن زيني : الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، 1354هـ / 1935م ، ج 1 ، ص 380 - 381 67 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 35 .
* فراوة : بلدة من أعمال نسا ، تقع بين دهستان وخوارزم . بناها عبدالله بن طاهر في خلافة المأمون (198 - 218 هـ / 813 - 833 م) . الحموي : معجم البلدان ، ج 4 ، ص 245 ؛ البغدادي : مراصد الإطلاع ، ج 3 ، ص 1023 .
(4) البيهقي : مصدر سابق ، ص 469 ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج 1 ، ص 482 .

الأمور قد استقرت في خراسان وذهب التراكمة إلى جهنم ، والجيش يسير في أعقابهم وبذلك حتى تبقى ذخيرة العلف في نيسابور للصيف حين نعود ، وسوف يأتي سورى إلى هنا ، ويتولى تنظيم الشؤون الأخرى ، ويقال : إن عشرة أمنان من القمح تباع بدرهم وأحد في دهستان ، وأن خمسة عشر مناً من الشعير تباع بدرهم ، فلنذهب إلى هناك حيث تعلف الدواب بالمجان ، ويقضي الجيش وقته في سعة من العيش " (1) .

نستنتج مما سبق أن المخصصات المالية , للنواحي الإدارية العسكرية في العهد المسعودي غير كافية ، مما يؤكد عجز ميزانية الدولة بشكل عام ، بالرغم من كثرة مصادرها ، لكن السلطان مسعود اظهر حنكة اقتصادية , وعالج الأوضاع الإدارية المتردية بالاعتماده على المراعي الطبيعية ، كبديل عن الأعلاف .

واستمر مسعود بإتباع نفس سياسته الإدارية ، بالاعتماد على ولاة المدن الواقعة على طرق حركة قطاعات الجيش لإعداد وتجهيز المواد التموينية والأعلاف ، لتكفي فترة استراحة الجيش , أو لطيلة فترة تنفيذ عمليات هجومية ضد الأعداء ، خاصــة عدوه اللدود السلاجقة . فأمر وزيره أحمد عبد الصمد سنة 429هـ / 1037م , بالتوجه إلى ولوالج للإقامة بها وإصدار أوامره لإعداد علف يكفي لخمسين ألف فارس وراجل لمدة شهر وإعداد مثله في كل من روان* وبروقان وبغلان* لنفس الغاية على أن تكفي هذه العلوفات لمدة عشرين يوماً (2) .

أدرك السلاجقة أهمية توفير الميرة للغزنويين ، وإدامة سير المعركة لصالح أعدائهم فعمدوا لاستخدام تكتيكاً مميزاً ، كان له تأثيرا مباشراً على الروح المعنوية القتالية لعناصر الجيش الغزنوي ، فقاموا بتنفيذ أسلوب مطاردة القوافل التموينية الغزنوية (3) . فشكى الجند من قلة الأعلاف والفقر ، وقالوا : إن العارض قتلنا بالحرص على التوفير ، وإنا نخاف أن تحدث فتنة هنا إذا ما سرى القيل والقال بين الجند ، ومصير الأمور رجحان كفة العدو , فلا مناص من اتخاذ الحيطة ، لتفادي ما قد يحدث من شر ، وتسائل السلطان عن التهاون الشديد في أمور الحرب الدائرة في بيداء سرخس فرد عليه أمراء الجيش قائلين : " إن الجو شديد القيظ والعلف شحيح ، وقد أشرفت الدواب على التهلكة ، ولا بد من اتخاذ تدبير ناجح في حرب هؤلاء الناس " يقصد السلاجقة (4) .

ونشط عمل قطاع التموين بفاعلية في معركة دندانقان سنة 431هـ / 1039م ، وبذل جهود مضنية لتوفير المؤن والأعلاف ، وقاموا بنقلها من دامغان ، قبيل وخلال مجريات المعركة ، وعملوا على تأمينها لكافة قطاعات الجيش المنتشر فــي ميدان المعركـة ، وكـان

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 473 ، 478 .
* روان : هي بروان ، وترد في المصادر باسم بروقان ، وهي قرية من نواحي بلخ . الحموي : معجم البلدان ، ج 1 ، ص 405 ، ج 3 ، ص 157 .
* بغلان : بلدة بنواحي بلخ ، ويرى البعض أنها من طخارستان ، من أنزه بلاد الله لكثرة أنهارها والتفاف أشجارها . بينها وبين بلخ ستة أيام . المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 468 ؛ البغدادي : مراصد الإطلاع ، ج 1 ، ص 209 .
(2) البيهقي : مصدر سابق ، ص 606 ، 608 ؛ نظام الملك : سياست نامه ، ص 138.
(3) المصدر نفسه ، ص 138 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 25 .
(4) ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 820 .

الجيش قد عانى من قلة العلف للدواب ، بسبب سؤ الأحوال الاقتصادية في خراسان (1) .

ورغم الجهد الكبير المخلص الذي بذله منتسبي قطاع التموين وتفانيهم بالعمل ، لم تكن مواد التزويد العسكري كافية ، مما كان له أثر كبير في ضعف معنويات الجند .

ووصف البيهقي (2) معنويات الجند على مختلف رتبهم أثناء توجههم للمعركة ، بأنهم متخاذلين كأنهم حقاً يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى ، وكان اليوم شديد القيظ ، والمؤن قليلة والعلف لا وجود له والدواب هزيلة ، والناس صيام ، وقد مر السلطان في الطريق على كثيرين يجرون جيادهم ويبكون ، فامتلأ قلبه حسرة ، وقال : ما أسوا حال هذا الجيش وأمر لهم بآلاف الدنانير , وكانوا جميعاً يأملون في أنه قد يعود من حيث أتى بهم .

وأمام هذه التطورات السريعة ، وفشل الخطط العسكرية الإدارية الغزنوية أصبح السلطان مسعود قلقاً حائراً ، فقال لوزيره وأعيان دولته : " إني لم أكن أعرف أن هؤلاء ـ يعني السلاجقة ـ على هذه الدرجة من القوة ، ولقد خدعوني في الحديث عنهم ، ولم يذكروا الصدق ، كما كان الواجب ـ يقصد جواسيسه ـ وكان ينبغي أن نبدأ بتدبير هذا الأمر " (3) .

نلاحظ أن سياسة السلطان مسعود الإدارية اختلفت عن سياسة والده ، حيث اعتمد منذ توليه الحكم على الولاة وقادة الجيش في الأقاليم لتوفير الميرة للجيش ، ليس لجيش الإقليم فحسب ، بل للجيش الخارج من مركز القيادة المركزية ، سواءً كان بقيادة السلطان أو من ينيبه عنه ، مما أوجد مصاعب لتوفيرها في كل مرحلة من مراحل تنقل الجيش .

لمعالجة موضوع التموين وتوفيره ، كان ينبغي على مسعود وغيره من سلاطين غزنة ، أن يخصصوا إقطاع في كل قرية وضواحيها من القرى الواقعة ضمن منازل الجيش على الطريق إلى الأملاك السلطانية الخاصة ، وأن يضع يده على أقرب قرية للمكان الذي فيه رباط ولا قرية فيه ، لجمع كل غلاتها ، وتخصيصها للجيش ، وبحالة عدم حاجة الجيش لها ، يتم بيعها وترسل أثمانها إلى الخزينة في غزنة ، ليتجنب إرهاق الرعية وتوفير العلف والميرة ، فبهذا يمكن النجاح في المهمة التي عقد العزم لتنفيذها .

ونتج عن عدم إتباع السلطان مسعود لهذه السياسة أنه لم يتمكن من توفير الميرة والتموين بالوقت المحدد ، فهزلت دوابه ، وانعكس سلباً على معنويات جنده ، وأرهق الرعية بتحصيلها ، فتقاعسوا عن مواجهة الأعداء في المعارك الأخيرة من تاريخ عهده مثل معركة بيداء سرخس ، ودندانقان والتي نتج عنهما ليس ضياع ملكه في خراسان فحسب بل فقدان حياته في صحراء الهند ، وقتله من قبل غلمانه ، والمتآمرين عليه من جنده .

واعتمد سلاطين غزنة على مياه الأنهر والآبار المنتشرة على طرق حركة قطاعات الجيش . ادركاً منهم لقول البيهقي (4) : " إن سبقك عدوك إلى الماء ، واحتجت إلى قتالهم عليه ، فاعرف الساعة التي يكونون فيها قد سقوا دوابهم ، وأخذوا حاجتهم منها ، فواقعهم فيها ودافعهم عنه ، وإن سبقت عدوك إلى الماء ، فلا تحوجنهم إلى قتالك عليه ما وجدت إلى

---

(1) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 120 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 24 ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج 4 ، ص 65 .
(2) تاريخ البيهقي ، ص 680 .
(3) المصدر نفسه ، ص 328 .
(4) المصدر نفسه ، ص 269 .

الحيلة سبيلا ، ولا تؤيسهم من الشرب ، وتيقظ في الساعة التي قد سبقتم فيها ، وأخذتم حاجتكم منه ، استظهر في الرد بالشجاع يكن للجبان كهفاً إن انصرف إليه منكوباً ، فإن الشجاع إن انصرف إلى الجبان أوى إلى غير ركن ، ولم يكن الجبان له كهفاً " .

لما سبق كان المسبب لإسراع السلطان مسعود منذ اليوم الأول لمعركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م بالسيطرة على شاطئ نهر سموه* وأوكل مسؤولية حمايته لفوج من الجند مع مقدميهم ، وبعد صلاة عيد رمضان أمر السلطان لهؤلاء بصلات مالية مكافأة لهم بدل دفاعهم وحمايتهم للنهر كمصدر للشرب .

وفي اليوم الثالث للمعركة ، قام العدو السلاجقة برد فعل ، بأن حولوا مجرى مياه النهر لاتجاه أخر ، فأصبح من الصعب على الغزنويين الوصول إليه . وكان هدف السلاجقة من تحويل مجرى النهر ، إحداث نقص في مياه شرب الجيش الغزنويون ، وإلحاق اكبر الضرر بقطاعاته ، كل ذلك من أجل تهيئة فرصة النصر . ولم يبقَ أمام الغزنويون إلا الاعتماد على مياه الآبار الواقعة ضمن منطقة سيطرتهم ، والتي كانت لا تفي بحاجتهم من المياه ، وعلى أثر انقطاع الماء قام السلاجقة بعمليات مطاردة للغزنويين ، وإبعادهم عن كافة مصادر المياه ، وجعل الجند والدواب الغزنوية عطشى ، لإجبارهم على الهزيمة والاستسلام .

يتضح أن سلاطين غزنة أولوا موضوع التموين اهتماما خاصاً ، حرصاً منهم على توفير المستلزمات الإدارية الخاصة بالجيش من مواد غذائية وأعلاف ، وأسلحة وذخيرة ومواد طبية ، وأمتعة عسكرية مختلفة ، مما يخص إدارة القطاعات والأفراد . فكان لتوفير هذه الخدمات دور أساسي في تطوير المؤسسة العسكرية ،

فكانت وحدات التموين ولا زالت وستبقى تقدم الخدمات الإدارية للجيش ، ولا يستطيع أي نظام عسكري الاستغناء عنها في أي عصر .

2 - الموسيقى .

عرفت الجيوش منذ القدم الموسيقى وواجباتها في أوقات السلم والحرب ، لما لها من فوائد كثيرة عند دق الطبل ، مثل تجميع القطاعات العسكرية الموجودة في الميدان اختصاراً للوقت وتوفيراً للجهد ، واستخدمت الموسيقى كإشارة للتقدم والمسير للحرب ، ويأتي دق الفرق الموسيقية للطبول عند كل حركة يقوم بها الجيش ، لإضفاء نوع من الانضباط على الجند أثناء المسير حتى الوصول إلى مواقعهم ، ورفع معنوياتهم القتالية ، ولإشغالهم عن التفكير بما يحيط بهم من أخطار ، وليطغى الصوت على مسامع الأعداء . وحدث اختلاف على النغمات الموسيقية عبر العصور التاريخية ، نتيجة تطور صناعة معداتها ، فلم تكن ذات وتيرة واحدة .

وللموسيقى دور كبير في إرهاب العدو ، حيث ذكر الهروي (1) بأن الموسيقى ترعب

----

* نهر سموه : دائم الجريان ، يخترق قرية بازركان الواقعة قرب سرخس . ويكثر ببازركان العيون ، والصحراء المملوءة بالرمال والحصى . البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 626 ، 633 .

(1) التذكرة الهروية ، ص 97 .

العدو بدق الكوسات* ونعير البوقات* وأصوات الطبول والنقارات* ,ولا يرعه كثرة الجيش ، والرجال المجمعة ، والسواد* الذي لا ينفع ، فإنهم إلى الهزيمة أقرب والمكبرون وأصحاب الطبول لا يكبرون , ولا يضربون إلا في الوقت الذي يأمر به السلطان أو من ينوب عنه في قيادة الميدان (1) .

وتشير المصادر بأن أول استخدام لضرب الدبادب * (الطبلخاناه) على أبواب الملوك ، يعود لسنة 368هـ / 978م عندما أمر الخليفة العباسي الطائع لله* أن تضرب الدبادب على باب عضد الدولة بن بوية* في وقت الصبح والمغرب والعشاء ، فصارت عادة متبعة منذ ذلك التاريخ (2) .

استخدمت الموسيقى في كافة الحروب التي خاضها الغزنويون . منها ما أصدره السلطان محمود سنة 389هـ / 998م من أوامر بضرب الكوسات , كإشارة لخروج قطاعات الجيش لحرب كبار أمراء السامانيين ، وعلى رأسهم بكتوزون وفائق وأبو علي سيمجور ، بهدف إخراجهم من إقليم خراسان ، وكان تعالي أصوات الأبواق , بمثابة اشارة اشتباك مع الأعداء (3) .

ومن واجبات الموسيقى إرهاب العدو ، فقد أمر السلطان محمود الفرقة الموسيقية المرافقة للجيش الذي قاده لمحاربة الخانيين سنة 396هـ / 1005م بعزف ألحــان موسيقيــة

----

* الكوسات : كلمة معربة ، مفردها كُوسُ ، وهو الطبل ، ويكون صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الأخرى بإيقاع مخصوص ، ويتولى ذلك الكوس . أدخلها الأمويين (41 - 132هـ / 661 - 750م) في الموسيقى العسكرية ، وأصبحت أكثر مؤائمة من مصاحبة المزمار والدف . الهروي : التذكرة الهروية ، ص 97 ؛ أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج 12 ، ص 187 (مادة كوس) ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 4 ، ص 9 ، 13 ؛ المقريزي السلوك ، ج 1 ، ص 126 ؛ فارمر : " طبل خانه " دائرة المعارف الإسلامية ، ج 15 ، ص 88 .

* نعير البوقات : نَعَرَ الرجال نعيراً ونُعاراً, صاح وصوت بخشونة ، ونير البوقات صوت النفخ بالأبواق . الهروي : مصدر سابق ، ص 97 ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج 14 ، ص 199 - 200 (مادة نَعَرَ) .

* النقارات : مفردها النقّارة , وهي مؤنث النقار شبه الدف من الجلد يضرب عليها . ومفردها المذكر ناقور ، والناقور : االصُّورُ الذي ينقر فيه الملك ، أي ينفخ . الهروي : مصدر سابق ، ص 97 ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج 14 ، ص 258 (مادة نقر) .

* السواد : العدد الكثير من الناس . الهروي : مصدر سابق ، ص 98. أنيس : المعجم الوسيط ، ج 1 ، ص 461 .

(1) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 40 .

* الدبدبات : مفردها دبدب ، آله موسيقية تشبه الطبل والبوقات ، وهى رمز كان يضرب بها عشية كل ليلة عند باب السلطان ، وتضرب خلف موكبه ، وهي شعار من شعارات الملك . القلقشندي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 128 .

* الطائع لله : أبي بكر عبد الكريم بن المطيع الفضل بن جعفر بن المقتدر بن الموفق بن المتوكل ، ولد سنة 317هـ / 929م . قبض عليه فيروز أبو نصر الملقب ببهاء الدولة بن عضد الدولة الديلمي ، صاحب بغداد وغيرها . توفى ليلة عيد الفطر سنة 393هـ / 1002، عن عمر ست وسبعين سنة ، منها سبع عشر سنة وستة أشهر ، وخمسة أيام خليفة ، وصلى عليه القادر بالله ، فكبر عليه خمساً ، وشهد جنازته الأكابر ، ودفن بالرصافة ، وكانت خلافته سبع عشر سنة وثمانية أشهر وأياماً . الروذواوري : ذيل تجارب الأمم ، ص 28 - 32 ، 183 - 184 ؛ الاربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص 258 - 261 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية : ج 11 ، ص 332 ، 349.

* عضد الدولة بن بوية : هو أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة الحسن بن بوية بن فناخسرو الديلمي ، ، ولقب بأمير الأمراء وبالشاهنشاه ، ثالث أمراء بغداد من البويهيين ، ولد سنة 324هـ / 936م ، تولى الحكم سنة 367هـ / 978م وتوفى سنة 372هـ / 983م ، ودفن بالنجف . ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 90 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ,ج , ص 50 ؛ الزركلي : الأعلام ، ج 5 ، ص 156 .

(2) الحنبلي ، أبو الفلاح بن عبد الحي ابن العماد (ت 1089هـ / 1678م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب , القاهرة ، 1350هـ / 1931م ، ج 3 ، ص 65 .

(3) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 1 ، ص 304 - 305 ؛ البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 708 .

مرعبة ، أثناء عمليات المطاردة لفلول الأعداء ، وقد نتج عنه أن ألقى الخانيين بأنفسهم في نهر جيحون .

ومما يشير إلى استخدام الموسيقى كإشارات تعبوية في الميدان ، تلك الأوامر التي أصدرها السلطان محمود سنة 411هـ / 1020م بضرب الكوسات عند الفجر ، لإشعار الجيش ببدء الحركة من إحدى مدن بلاد الغور المعروفة بمدينة وي , باتجاه حصون أخرى بهدف السيطرة عليها .

وعندما دخل السلطان محمود بلاد ما وراء النهر سنة 416هـ / 1025م لمحاربة قدر خان ، وبعد قيامه بتعبئة عامة لقطاعات جيشه ، أمر بضرب الأبواق والدبادب والطبول من على ظهور الفيلة دفعة واحدة ، فأحدث صوتها دوي هائل ، أثر على المعنويات القتالية لدى الأعداء (1) .

أما عن مكان وحدة الموسيقى أثناء مسير القطاعات من مكان لأخر وأثناء القتال ، فقد عُرف عن النظام العسكري الغزنوي ، أنهم يضعون وحدة الموسيقى خلف قيادة الميدان مباشرة .

وأثناء مسير جيش السلطان مسعود الأول سنة 431هـ / 1039م من سرخس باتجاه دندانقان ، دقت الكوس النحاسية المحمولة على النجائب* ، بغية تحقيق أهداف عدة منها : أولاً : رفع معنويات الجند ، ثانياً : حمل الفيلة والخيول والجمال وغيرها من وسائط النقل الأخرى على الإسراع في المسير ، ثالثاً : إثارة الخوف والفزع في نفوس جند الجيش السلجوقي . وهذا لا يعني أن الموسيقى تستخدم أثناء السير للمعركة باستمرار ، فكان يتحرك الجيش أحياناً دون أية أشارات موسيقية . فقد تحرك جيش غزنوي سنة 430هـ / 1038م قاده سوباشي لحرب السلاجقة في علياباد ، متنكراً بغير علم أو كؤوس ، حتى لا يعلم به السلاجقة ، ويستخدم عنصر المفاجأة ضده .

ولم يقتصر استخدام الغزنويين للموسيقات وقت الحروب ، بل استخدموها في أوقات السلم ، فقد أمر السلطان مسعود الأول سنة 421هـ / 1029م بدق الطبول والنفخ بالأبواق والطواف بشوارع نيسابور بمن جاءوا ببشائر انتصار قوات شحنة الري على مجموعات بويهية هاجمت المدينة ، وبعد الانتهاء من احتفالات النصر ، منحهم مسعود مكافأت جزيلة ووزعت الصدقات ، وذبحت القرابين شكراً لله على النصر (2) .

واستخدمت الموسيقى في العصر الغزنوي لاستقبال سلاطين الدولة ، وأثناء استعراض الجيوش ، وخلال إقامة مراسم لباس سلاطين غزنة لخلعة الخليفة العباسي ، فقد نفخت الأبواق الذهبية التي كانت وسط البساتين المحيطة بسرير السلطان مسعود الأول في نيسابور أثناء قيامه بارتداء خلعة القائم بأمر الله ، بحضور السليماني سنة 424هـ / 1032م

---

(1) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 77 ، 92 .

* النجائب : هي النُّجُبُ ، جمع نجيبةٍ ، وتأنيث النجيب ، والنجيب القوي من الإبل الخفيف السريع ، وناقة نجيب ونجيبة والنجيب الفاضل من كل حيوان ، نَجُبَ يَنْجُبُ نجابةً إذا كان فاضلاً نفيساً في نوعه . فالنجيب من البعير والفرس إذا كانت كريمين عتيقين . ابن منظور : لسان العرب ، ج 14 ، ص 41 (مادة نَجَبَ) .

(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 17 ، 42 ، 298 ، 460 ، 622 ، 665 .

وجرى ذلك حسب الرسوم المعمول بها . وكانت خلعة القائم عبارة عن سبع فراجيات* واحدة منها من الديباج الأسود ، والباقي من كل صنف ، وألبسة بغدادية ثمينة ، والتاج المرصع بالذهب , والطوق والقلادة المرصعة أيضا ، وعمامة ملفوفة ، ولواء وسيف مع حمائله (1) .

وظهر عدد من عناصر الموسيقي ، ولعبوا دوراً بارزاً في الأعمال الموسيقية ، كان من أبرزهم شخص يدعى بوقى ، اكتسب خبراته أثناء خدمته العسكرية في موسيقات دولة آل سامان ، وكان بوقى آنذاك في ريعان الشباب , وانتقل مع تاش فراش ، وانتسب لموسيقات الجيش الغزنوي في عهد السلطان محمود بن سبكتكين ، واستمر بالخدمة في عهد ابنه مسعود ، ووافته المنية في شهر ربيع الأول 426هـ / نيسان 1034م عن عمر يناهز الثالثة والتسعين عاماً ، وكان يعزف على الطنبور* ، ويدق الطبول , وينفخ في الأبواق قال عنه أبو نصر مشكان رئيس

ديوان الرسائل عند وفاته للسلطان : " ليعلم مولاي أن بوقى قد ذهب ، ولست أعرف في الجيش كله مثيلاً له يستطيع أن يحل محله " (2) . وقول أبو نصر يبين أن بوقى كان قائداً لوحدة موسيقات الجيش الغزنوي .

نستخلص مما سبق أن الغزنويين اتفقوا على وضع إشارات موسيقية لمختلف مراحل التعبئة العسكرية ، وعمليات الميدان ، فعندما تدق موسيقات الجيش الطبل في المرحلة الأولى : يعني بداية حركة الجيش باتجاه المنطقة المراد تنفيذ الواجب بها ، ثم تبدأ باستخدام آلاتها الموسيقية أثناء المسير حتى الوصول للمكان المخصص للراحة ، وعند الحركة تقوم الموسيقى بواجبها كما سبق لها وأن قامت به في المرحلة الأولى ، وهكذا تستمر حتى نهاية الطريق مهما بعدت المسافات أو قربت .

ثم تبدأ الموسيقات بتنفيذ واجبها في المرحلة الثانية : بقيام الطبالة بضرب طبولهم إيذانا بالتوجه للتعبئة العسكرية في الميدان المخصص لهذه الغاية ، وبعد التأكد من الجاهزية القتالية لجميع القطاعات من قبل السلطان أو من ينوب عنه في قيادة الجيش ، تبدأ المرحلة الثالثة : بقيام جميع مجموعات الفرقة الموسيقية بالعزف على الآلات ، فتتعالى أصوات الكوس والأبواق والطبول ، بمثابة إصدار أوامر ببدء القتال والالتحام مع العدو . وكان سلاطين غزنة يأمرون بدق الطبول والنفخ بالأبواق في المناسبات السعيدة ، كانتصار أحد الجيوش على الأعداء في جبهة ما .

لهذه الأسباب وغيرها شكل الغزنويون وحدة الموسيقى كوحدة ميدانية تعبوية للتأثير على رفع معنويات ومشاعر الجند أثناء القتال ، وعملت على تقوية ولائهم وإخلاصهم لنظام السلطان ، وأفادت الموسيقى الغزنويين بأن ضمنوا حمل فيلتهم وخيولهم وجمالهم وغيرها من وسائط النقل على الإسراع في المسير أثناء حركة القطاعات من مكان لآخر ، وخلال

---

* فراجيات : جمع فراجية ، وهي للتعبير عن كلمة فرجى الفارسية ، وهي جبة فضفاضة محلاة بالفراء . مخصصة للعظماء وملاءة النساء . البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 394 ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج 10 ، ص 210 .

(1) البيهقي : مصدر سابق ، ص 261 ، 308 ، 394 .

* الطنبور : آله موسيقية أصغر من العود قصعة ، وأطول منه عنقاً ، ويشاهد في آثار المصريين القدماء ، وآثار آشور وفارس ، والآن معروض ضمن مقتنيات اللوثر بباريس ، مرسوم على طين . فارمر : " الطنبور " ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج 15 ، ص 267 ،

(2) البيهقي : مصدر سابق ، ص 483 - 484 .

عمليات الميدان القتالية . وتبين أن وحدة الموسيقى تشكلت من مجموعات عدة ، منها : الطبالين والبواقين وضاربي الكوسات .

3 - الطب .

أ - الطب البشري .

قيل في الأطباء : بأنهم من ندماء بعض الملوك ، كما قالوا : الطبيب يبين منافع كل مأكول ومضاره ، وينصح الملك بما يوافقه وما لا يوافقه ، ويحفظ له سلامة

مزاجه ، ولكل منهم رتبة ومقام ، إذ خصصت أماكن لجلوس بعضهم ، وأماكن لوقوف بعضهم الآخر.

هكذا كانت العادة في مجالس الملوك والخلفاء ، قبل العصر الغزنوي ،ويشير نظام الملك (1) لندماء سلاطين غزنة ، ومنهم الأطباء بقوله : " أما سلطان غزنيين ، فكان له عشرون نديماً ، عشرة جلوس وعشرة قياماً ، وقد حذا حذو السامانيين في هذا " .

فالخدمات الطبية ضرورة ملحة لا يستغني عنها المجتمع ، وعدم توفرها أو نقصها يؤثر سلبياً على كفاءة الأفراد ونشاطهم ، والمقياس نفسه يطبق على أهم مؤسسة من مؤسسات الدولة ، ألا وهي المؤسسة العسكرية ، حيث إنَّ منتسبيها جزء لا يتجزأ من المجتمع ، ويحتاجون لأطباء لمعالجة المرضى ، وإسعاف الجرحى ، وإخلاء القتلى من ساحة المعركة . لهذا عمد الغزنويون إلى تشكيل وحدة طبية تشمل كافة الكوادر الطبية من مثل الأطباء والممرضين وفرق النقاله وغيرها ، لمرافقة قطاعات الجيش في كل تحركاته ومعاركه .

وتشير بعض المصادر المتوفرة لبعض الأعمال الطبية التي قامت بها الفرق الطبية الغزنوية ، بالإشارة على السلطان محمود بالراحة أثناء مرضه بسؤ المزاج والإسهال سنة 419هـ / 1028م ، وذكر ابن الأثير (2) إلى أن محمود لم يضع جنبه على الأرض طيلة فترة حياته ، لكنه كان يستند إلى مخدته أثناء مرضه ، وبقي على هذا الوضع حتى توفى في شهر ربيع الآخر سنة 421هـ / 1030م . ولا شك أن الأطباء قاموا بواجبهم وعالجوا المرضى من الجند ، ورافقوا تحركات قطاعاته الجيش لمختلف الأقاليم والجبهات .

وكان للسلطان محمد بن سبكتكين طبيب خاص عرف باسم أبو نصر ، بلغ مقام عالي في بلاطه ، وأصبح من جملة ندمائه . ولما آل الحكم لأخيه مسعود الأول أصبح أبو نصر من أطبائه وندمائه (3) .

ولما أصيب القائد أشفتكين الغازي بسهم في ركبته ، أثناء قتال دار بينه وبين أفواج من الجيش الغزنوي على أثر هروبه باتجاه أموي سنة 422هـ/ 1031م ، بعد أن وصلت إليه معلومات كاذبة , تفيد بوجود مؤامرة تحاك ضده أعدها السلطان مسعود الأول ، فلما تم القبض عليه ، أحضروه إلى القصر المحمودي في غزنة ، جاء الطبيب أبو القاسم الكحال وأجرى له عملية ناجحة ، بأن نزع سهم من ركبته كان قد أصيب به ، بعدها هدأت آلامه

---

(1) سياست نامه ، ص 127 - 128 .
(2) الكامل ، ج 7 ، ص 346 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 72 ، 511 .

وأمر السلطان بتشكيل فريق طبي مكون من أبو الحسن العقيلي , ويعقوب دانيال وأبو العلاء* للإشراف والاطمئنان عن حالة الغازي الصحية . ورافق الأطباء جيش خوارزم وجيش غزنوي قاده التونتاش سنة 423هـ / 1031م لحرب علي تكين ،

وقاموا بمداواة الجرحى ودفن القتلى ، وعالجوا التونتاش بعد أن أصيب بجروح بالمعركة ، لكن المنية وافته في الطريق ، فقاموا بالإشراف على جثته .

وشهد العصر الغزنوي بروز أطباء متخصصين قادرين على معرفة الأمراض وتشخيصها ، منها ما قام به الطبيب المشرف على علاج الوزير أحمد حسن الميمندي من تشخيص لحالته الصحية سنة 423هـ / 1031م في مدينة هراة ، حيث قال لعبدوس كتخدا جيش معسكرات هراة : " إنه قد أشرف على الموت ، وإنه مصاب بثلاث أمراض متضادة يصعب علاجها ولو نجا منها لكان أمراً عجيباً " وبقي على حالة حتى توفى سنة 424هـ / 1032م أي بعد سنة من تشخيص حالته الصحية .

وقام الأطباء بمعالجة علة ظهرت على ظهر أبي الحسن العقيلي سنة 424هـ / 1032م ، واستمروا بمعالجته حتى توفى في شهر محرم من نفس السنة .كما قام فريق طبي برئاسة الطبيب أبي العلاء بمعالجة السلطان مسعود الأول على أثر إصابته بحمى سنة 428هـ / 1036م ، وبعد تشخيص المرض , منع الطبيب أبو العلاء دخول أي شخص على السلطان , وقام بنفسه بنقل الرسائل الشفوية بينه وبين رسل سفارة علي تكين التي جاءت لمقابلته , وتقديم التهاني بسلامته , بعد نجاته من حادثة خلل فنيٍّ وقع لسفينة كان يركبها أثناء رحلة تنزه في مياه نهر هيرمند .

وأمر السلطان مسعود الأول سنة 431هـ / 1039م الطبيب أبو العلاء بمعالجة أبو نصر مشكان رئيس ديوان رسائل غزنة ، وتزويده بتقرير طبي مفصل عن حالته ، بعد أن أصيب بمرض الفالج والسكتة القلبية ، وبعد قيام الطبيب بفحص أبي نصر سريرياً ، ذهب يائساً للسلطان قائلاً : " إن أبو نصر قد راح ولا مفر من البحث عن أبو نصر جديد ... فقد ابتلى في يوم وأحد بل في ساعة واحدة ، بثلاث علل لا يستطاع النجاة من واحدة منها والأرواح في خزانة الله تعالى ، فإذا بقيت روحه ، فإن نصف جسده سيظل مشلولاً " ثم مات أبو نصر في نفس اليوم .

وبرز من الأطباء أبو العلاء الذي بلغ النفوذ به أن توسط لدى السلطان مسعود الأول بإعفاء رئيس ديوان الرسائل أبو نصر مشكان من عمله بناءاً على طلبه . وبلغ المقام بالطبيب أبو منصور أن أصبح من ندماء السلطان مسعود الأول ، يتناول معه وجبات الطعام والحلوى ويحضر عنده حفلات الشراب والغناء (1) .

ب ـ الطب البيطري .

لم تنل الأعمال البيطرية عناية المؤرخين ، إلا أنني أعتقد جازماً ، بأن الغزنويين عيَّنوا أطباء بيطريين ضمن مؤسسة الجيش ، وأسندوا إليهم مهمة الإشراف على مـا كـانوا

---

(1) أبو العلاء : الطبيب المشهور في عصره ، اصطحبه الملوك البويهيين في أسفارهم ، ووضعوه في قصورهم ، ثم انتقل لخدمة الغزنويين . البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 809 .

(2) المصدر نفسه ، ص 255 ، 368 ، 373، 387 ، 421 ، 547 - 549 ، 657 ، 655 - 656 ، 724 .

يملكون من خيول , وفيلة وجمال وبغال وغيرها من أنواع الدواب والماشية ، خاصة وأن وسائط النقل نالت اهتمام سلاطين غزنة . ورغم عدم توضيح لأي دور للبيطريين من قبل المصادر المتوفرة ، إلا أنه وجدت إشارة لمرض ما أصيبت بها خيول مربط نيسابور سنة 426هـ / 1034م (1) .

ج ـ التمريض .

ليس لدينا نصوص تشير إلى وجود وحدة للتمريض في الجيش الغزنوي ، لكن اهتمام السلاطين الغزنويين الفائقة بالنواحي الطبية ، يؤكد وجود ممرضين في الوحدات الطبية التابعة للجيش ، وذلك لعدم الاستغناء عن مثل هذه المهن ، سيما وأن قطاعات الجيوش الغزنوية ، خاضت غمار حروب كثيرة , تعرض خلالها الجند للقتل والجرح ، فلا بد من وجود من يقوم بمساعدة الأطباء ، بإسعاف الجرحى وإخلاء القتلى ، وتقديم الخدمات الدوائية والغذائية التي يوصي بها الأطباء للمرضى والعناية بهم ، حتى يتم شفاؤهم .

د ـ النقالة .

هم رجالة يقومون بنقل المرضى والجرحى إلى البيمارستانات (المستشفيات) فمثلاً قام فريق من نقالة المرضى مكون من خمسة أو ستة أشخاص ، بنقل أبي نصر مشكان من قيادة جيش هراة إلى منزله على أثر إصابته بالفالج والنوبة القلبية المفاجئة سنة 431 هـ / 1039م ، حيث أودت بحياته في اليوم الثاني من إصابته بالمرض (2) .

هـ ـ البيمارستان (المستشفيات) .

مفردها بيمارستان ، وهي لفظ فارسي مركب من بيمار أي مربط ، وستان أي محل ويقال : له بالتركية خسته خانه ، أي محل المرضى ، ويطلق البيمارستان على المحل المعد لإقامة المجانين أيضاً .

لم نعثر على نصوص توضع أسماء مستشفيات للجيش الغزنوي ، إلا أن البيهقي (4) أشار إلى أن السلطان مسعود الأول خصص قسماً من قلعة مدينة سرخس للمرضى ، هذا يؤكد وجود بيمارستانات يعمل بها أطباء وممرضون وغيرهم من المهن الطبية .

4 ـ الأدلاء (المرشدين) .

أهتم سلاطين غزنة على توفير أدلاء لإرشاد قطاعات الجيش في المناطق التي يجهلون مسالكها . ولعدم معرفة السلطان محمود بن سبكتكين ، لمسالك بلاد الهند والسند وطبيعتها الجغرافية ، حرص على تضمين اتفاقيات الصلح التي يعقدهـا مـع ملوك وأمـراء

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 475 .

(2) المصدر نفسه ، ص 657 .
(3) النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ / 1351م) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق محمد فوزي العنتيل ومحمد طه الحاجري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1405هـ / 1985م ، ج 29 ، ص 282 ؛ المقريزي : السلوك ، ج 1 ، ق 3 ، ص 716 .
(4) مصدر سابق ، ص 475 .

الهنود ، بنـداً يلتزم فيه خصمه بتقديم مرشدين قدر عددهم بحوالي ألفي رجل ، يكونـون تحـت طلـب السلطان وتصرفاته (1) . والهدف من وجودهم ، هداية القيادات العسكرية في بلاد الهند للطرق الآمنة ، والأكثر قرباً من غيرها ، وتجنب شعاب ومضايق نواحي تلك البلاد . لهذا سار الأدلاء أمام السلطان محمود أثناء توجهه لغزو ناردين سنة 404هـ / 1013م ، لإرشاده إلى الطرق الآمنة والمؤدية لأعماق بلاد الهند ، وتعريفه بأغوارها وشعابها وغياضها وغير ذلك من معوقات طبيعية (2) .

ولم يكن الأدلاء المرشدون الهنود يعرفون كل طرق بلاد الهند ، فقد تاه الأدلاء المرافقون للجيش أثناء غزوة السلطان محمود لمدينة لُهْكُت* سنة 405هـ / 1015م , ولم يتمكنوا من معرفة طريق العودة لتراكم الثلوج ، فظل الجيش تائها في الطريق ، فتارة يتجه لليمين وأخرى لليسار في التلال المجاورة ، حتى نفذ إلى سهل فسيح منبسط فأغراهم ، لكنه كان غارقاً في الماء والوحل ، فغرقت أعداد كثيرة من الجند ، ونفقت أغلب الدواب في الوحل ، ونجا السلطان بأعجوبة من الموت ، وقضى بقية أشهر الشتاء بمدينة لاهور ثم توجه إلى غزنة (3) .

وأثناء مسير السلطان محمود إلى ما وراء الأنهار السبعة* سنة 409هـ / 1018م وبسفوح جبال الهملايا الغربية ، تقدم إليه راجا جانكى بن سهمى ، أما ابن خلدون (4) فأطلق عليه جنكي بن شاهي ، وهو حاكم إقليم كشمير الجنوبي معلن إسلامه ، فعينه السلطان قائداً لطلائع جيشه ، وسارت الحملة بالجانب الغربي من بلاده ، وأصبح من أهم الأدلاء للسلطان خلال طريقه الطويل (5) .

وخلال فترة انتظار السلطان محمود في الملتان لمدة سبعة عشر يوماً سنة 416هـ / 1025م ، عمل خلالها على وضـع خطط عسكريـة وإداريـة ، تضمنـها إعداد الأدلاء والمرشدين ، ليسيروا أمام القطاعات حتى لا يضلوا الطريق إلى سومنات ، سيما وأن الحملة قطعت مسافات طويلة ، تخللها اجتياز مناطق صحراوية مهلكة (6) .

لكن الأدلاء المرشدون في هذه المرة لم يكونوا مخلصين للسلطان ، وخانوه أثناء عودته إلى غزنة ، وقبل عبوره نهر السند ، تعمد أدلاء ومرشدو الحملة ، وهم ممن كانوا يعبدون سومنات ، أن يسيروا بجيش السلطان إلـى متاهات بقصد إهلاكـه ، فأمـر محمـود

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 148 ، 361 - 363 ؛ الكرديزي : زين الأخبـار ، ص 79 ؛ ابـن خلـدون , العبر , م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 794 ؛ الغامدي : الفتوحات الإسلامية ، ص 208 ؛
(2) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 148 ؛ ابن خلدون ، مصدر سابق ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 794 .
* لُهْكُت : قلعة منيعة ، تقع على ممر تُشميدان ، إحدى بوابات أراضي كشمير ، أطلق عليها بعض المؤرخين إسم لوهكَوت ، وتعني القلعة الفولاذية أو الحصن الحديدي ، وهي لُهَرين الحالية . فشل السلطان محمود من السيطرة عليها سنة 405هـ / 1014م . العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 154 - 155 ؛ الكرديزي : مصدر سابق ، ص 81 - 82 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 279 ؛ ناظم : زمن السلطان ، ص 105 .

(3) فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 55 .
* الأنهار السبعة : روافده نهر السند ، وهي جهلم وجناب والراوي وستلج وبياس ، ولما تجتمع هذه الأنهار تسمى الأنهار الخمسة ، ويطلق عليها سندساكر أي بحر السند ، ويضاف إليها نهري جمنا والكَانج فتصبح اسمها الأنهار السبعة . البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 216 .
(4) مصدر سابق ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 796 .
(5) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 445 ، 265 .
(6) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 435 ؛ ناظم ، مرجع سابق ، ص 115 - 116 .

عليهم وقتلهم لقاء خيانتهم ، وقد مات من العطش والتعب أعداد كبيرة من جنود جيش السلطان ، ونفقت أعداد كثيرة من الدواب ، وتعرضت الحملة لهجمات من قبائل الجات في مناطق وادي السند السفلي (1) .

وإبان ولاية الأمير مسعود بن السلطان محمود لمدينة الري ، توجه سنة 420هـ / 1029م للانتقام من القائد إبراهيم* لقتله عدداً كبيراً من جيش والده قرب قزوين ، وبعد معارك عدة بين الجانبين ، اظهر خلالها إبراهيم تفوق عسكري ، فاضطر مسعود أن يستميل طائفة من جند إبراهيم بالأموال ، فأصبحوا أدلاء له ، ودلوه على أماكن ضعف إبراهيم ، وقاموا باستصحاب مجموعة قتالية من جيش مسعود عبر طريق غامض حتى وضعوهم خلف قوات إبراهيم ، فتمكنوا من شن هجوماً مفاجئ وكاسح على قواته ، والحقوا بهم هزيمة ساحقة (2) .

وبعد الهزيمة التي مني بها الجيش الغزنوي في دندانقان سنة 431هـ / 10039م استعان السلطان مسعود الأول بأدلاء أرشدوه عن الطريق المؤدي إلى غرجستان ، وتبعته بقية المجموعات الهاربة من أرض المعركة (3) .

نستخلص مما سبق أن سلاطين غزنة اهتموا بتأمين أفضل السبل لتأمين سلامة جنودهم ، والوصول بهم لتحقيق أهدافهم من خلال سلوكهم أقصر الطرق , لتكون أكثرها أمناً .

5 - عدد الجيش .

يقول خبراء النظم العسكرية وسياسة الحروب : كل تنظيم عسكري يزيد عن الخمسمائة إلى دون الثمانمائة يسمى المناسر* , وما بلغ الثمانمائة فهو جيش ، وأقل الجيوش . وما زاد على الثمانمائة إلى الألف فهو الحسحاس* وما بلغ الألف فهو الجيش الأزْلَم* وما بلغ أربعة آلاف فهو الجيش المجحفل ، وما بلغ اثني عشر ألفاً فهو الجيش الجرار (4) .

تزودنا المصادر بأرقام متباينة عن أعداد الجيش الغزنوي ، والملاحظ على هذه الأرقام أنها تتزايد وتتناقص بين فترة وأخرى ، وأحيانا تتوقف الزيادة ، ويعتمد ذلك

---

(1) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 98 ؛

Habib : Sultan Mahmud , p . 54 – 55 .

* إبراهيم : بن المرزبان بن إسماعيل بن وهسوذان بن محمد بن مسافر الديلمي ، من قادة بني بوية ، استحوذ على سرجهان وزنجان وأبهر وشهرزور وغيرها ، بعد وفاة فخر الدولة بن بوية . ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 336 .
(2) المصدر نفسه ، ج 7 ، ص 321 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 690 .

* المناسر : جمع منسر كمجلس أو كمنبر ، وهو قطعة من الجند تمر أمام الجيش الكبير . المَنْسِر والمِنْسَر من الخيل ما بين الثلاثة إلى العشرة ، وقيل : ما بين الثلاثين والأربعين ، وقيل : ما بين الأربعين إلى الخمسين ، وقيل : ما بين الأربعين إلى الستين ، وقيل : ما بين المائة إلى المائتين . الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 28 ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج 14 ، ص 122 (مادة نسر) .
* الحسحاس : الجيش المبيد المهلك ، وهي للسيف أصلاً . الهرثمي : مصدر سابق ، ص 28 .
* الأزْلَم : الذي يقطع أعداءه . ابن منظور : مصدر سابق ، ج 12 ، ص 16 (مادة أزم) .
(4) الهرثمي : مصدر سابق ، ص 28 .

تطورات الأحداث ، والأزمات السياسية والعسكرية التي تعصف بالبلاد بين حين وأخر . وبهذه الحالة يتوجب على ولاة الأمر النظر في زيادة أو خفض أعداد الجند أو الثبات على عدد معين (1) .

اتفقت معظم آراء المؤرخين الذين اهتموا بدراسة الدولة الغزنوية على أن مؤسسة الجيش ، حققت للغزنويين كل آمال سلاطينها وطموحاتهم ، فتوسعوا بـهـا علـى حساب الدول الأخرى ، وأكسبتهم هيبة وقوة على المسرح الإقليمي والدولي آنذاك .

وبالتأكيد أن بناء هذه القوة وتزايد أعدادها ، كان يتم بناءً على أوامر سلاطين غزنة أو تحت أشرافهم مباشرة . لذا وجب علينا أن نتعرف على عدد منتسبي هذه المؤسسة الحيوية ، ولو بأعداد تقريبية ، وحسب ما أوردتها الروايات التاريخية .

ذكرت المصادر أعداد بعض الجيوش الذي تم إعدادها وتجهيزها ، وإرسالها إلى جبهات القتال ، ولم تذكر عدد الجيوش بالكامل ، فقد ذكر البيهقي (2) أن الأمير سبكتكين افتخر بعدد وقوة الجيش الذي قاده بنفسه سنة 385هـ / 995م ، وحارب به أبو علي سيمجور ، وتمكن من إخراجه من نيسابور بقوله : " فإني بهذا الجيش العرمرم الذي هو تحت إمرتي أستطيع عمل المعجزات " .

وأضحى الجيش الغزنوي منذ أن هزم محمود بن سبكتكين أخاه إسماعيل القوة العسكرية الأولى في المشرق الإسلامي ، فلم تعد أي قوة تقف أمامها ، فلا قوة آل سامان التي بدأت بالانهيار ، ولا قوة القراخانيين* التي بدأت تظهر من جهة بلاساغون* وشرق تركستان (3) .

لقد أعطت الجيوش الغزنوية بأعدادها الكبيرة للسلطان محمود الغزنوي ، هيبة وعظمة على الصعيدين الداخلي والخارجي ، قال صاحب كتاب تاريخ نيسابور (4) : " حتى أن الله يسّر لـه ـ أي للسلطان محمود ـ من الأسباب والأمور العسكرية , والجنود والهيبة والحشمة في القلوب ما لم يراه أحد " .

---

(1) Ellphinstone : A History of India , p . 350 .
(2) تاريخ البيهقي ، ص 222 .
* القراخانيون : تشمل على مقطعين قرا ، وهي كلمة تركية بمعنى أسود ، وخانيون جمع خان ، وهو صاحب السلطة الرئيسية ، لذلك سموا بالقراخانيون السود , ويعرفون باسم الملوك الخانيون أو الافراسيابيون ، وهم عدة قبائل تركية تعود أصولها إلى قبائل القره خطائيون ذات الأصول التركية المغولية . استوطن القراخانيون بلاد ما وراء النهر (382 - 608هـ / 992 - 1212م) ، ومنهم قبلية التغزغز أو التغزاغز ، أو الغز المشهورة ، وكونوا لهم إمارة عاصرت حكم السامانيين والغزنويين ، واتخذت إمارتهم اسمها من اسم أول ملوكها الذي يدعى بغراخان (قراخان) ، فكان له كاشغر وبلاساغون وسائر بلاد تركستان الشرقية ، ودخلوا الإسلام في عهد

ساتوق بغراخان عبدالكريم سنة 344هـ / 955م أثناء فترة حكمه على كاشغر ، وهو أول من أسلم منهم ، وتبعه أتباعه . عروضي سمرقندي : جهار مقالة ، ص 113 - 114 ؛ الحموي : معجم البلدان ، ج 2 ، ص 23 - 24 ؛ خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 502 ؛ بارتولد : تاريخ الترك ، ص 76 ؛ زامباور : معجم الأنساب ، ج 2 ، ص 312 .

* بلاساغون : بلد عظيم في ثغور الترك ، وراء نهر سيحون ، قريبة من كاشغر وفاراب . الحموي : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 476 ، ج 4 ، ص 225 ؛ البغدادي : مراصد الإطلاع ، ج 1 ، ص 215 .

(3) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 184 ، 191 ، 196 ؛ ابن العبري ، غريغورس أبي الفرج بن أهرون الملطي (ت 685هـ / 1286م) : تاريخ مختصر الدول ، دار الرائد اللبنانية ، بيروت ، 1983م ، ص 178 .

(4) الفارسي ، عبد الغافر : ط 2، إيران ، 1403هـ ، ص 35 .

ودخل السلطان محمود حربا مع السامانيين سنة 389هـ / 998م بجيش بلغ تعداده أثنين وأربعين ألف مقاتل ، ومائه وأربعين فيلا ، وبهذه القوات تمكن السلطان أن ينهي المعركة بالقضاء على حكم آل سامان (1) .

وتوجه محمود لغزو بيشاور سنة 392هـ / 1001م ، بجيش بلغ تعداده أثنى عشر ألف فارس وثلاثين ألف راجل ، واستطاع بهذا الجيش أن يقاتل جيبال ويهزمـه ، ومن ثم وقعت بين الطرفين معاهدة صلح (2) .

كما قام السلطان محمود بتعبئة جيش في معسكرات بلخ سنة 407هـ / 1016م ، بلغ تعداده مائه ألف فارس وراجل ، وخمسمائة فيل ، دخل بـه فـي حـرب ضـد قتلت صهره أبو العباس في إقليم خوارزم (3) .

وبهذا العدد من الجيش زحف محمود من غزنة سنة 409هـ / 1018م ، وحاصر قلعة ماثورا ((Mathur))* , وبشجاعة فائقة ، وبسالة كبيرة ، حطم معظم الأصنام والمعابد الهندوسية في تلك المدينة (4) .

ويوضح كتاب أرسله السلطان محمود سنة 410هـ/1019م ، للخليفة العباسي القادر بالله ما فتحه من بلاد الهند ، وما حصل عليه من أموال وغنائم ، بين فيه أعداد الجيش في جميع أطراف وأقاليم الدولة الغزنوية ، وأوكل إليها مسؤولية حفظ أمن البلاد أثناء فترة غيابه بالهند .

وجاء بالكتاب " وأنتدب العبد ـ السلطان محمود ـ لتنفيذ أوامره العالية وتمهيد مراسمه السامية ـ المقصود الخليفة ـ وتابع الوقائع على كفار السند والهند ، فرتب بنواحي غزنة العبد محمد ـ يعني ابنه الأمير محمد ـ مع خمسة عشر ألف فارس , وعشرة آلاف راجل وأنهض العبد مسعود ـ يعني ابنه الأمير مسعود ـ مع عشرة ألاف فارس وعشرة ألاف راجل ، وشحن طخارستان بارسلان الحاجب مع أثنى عشر ألف فارس , وعشرة ألاف راجل ، وضبط ولاية خوارزم , بالتونتاش الحاجب مع عشرين ألف فارس , وعشرين ألف راجل ، وانتخب ثلاثين ألف فارس وعشرة ألاف راجل لصحبة راية الإسلام " . كما انضمت إليه أعداد كبيرة من المتطوعة (5) .

وإذا قمنا بجمع هذه الجيوش , يتضح لنا أن عدد الجيش الغزنوي في عهد السلطان يمين الدولة محمود , بلغ بحده الأقصى مائة وخمسون ألـف مقاتـل ، منهـم سبــع وثمانيــون

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 196 .
(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 74 ؛
Jusjani : Tabakat Nasiri , vol . 1, p . 81 .
(3) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 258 ؛ البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 741 .
(4) ماثورا : هي مدينة موثرا في بلاد الهند تقع على نهر جمنا شمال مدينة بور سيكرى الإسلامية ، وهي ذات أسوار عالية ، أسست على قواعد من الصخور الحجرية لتحميها من الأمطار ، وفيضانات نهر جمنا ، وهي مدينة مقدسة عند الهندوس ، لأنها مسقط رأس نبيهم كشن بن بأسدي ، وفيها صنمهم . الكرديزي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 85 ؛ ناظم : زمن السلطان ، ص 107 .
(5) ابن الجوزي : المنتظم ، ج 15 ، ص 133 ؛
Meyer : South Asia , P . 8 .
(6) ابن الجوزي : مصدر سابق ، ج 15 ، ص 293 ؛ اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن سعد بن علي (ت 768هـ/1366م) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبره من حوادث الزمان ، ط 2 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ،1970م ، ج 3، ص 23 ؛ العامري : غربال الزمان ، ورقة 98ب .

من الفرسان ، وستون ألف مقاتل من الرجالة . وربما كان العدد يزيد أو ينقص ، حسب الظروف السياسية والعسكرية للدولة الغزنوية .

أما عدد جند قطاعات الجيش في القيادة المركزية في غزنة ، فقد بلغ أربعة وخمسين ألف فارس مقاتل ، وألف وثلاثمائة فيل ، استعرضهم السلطان محمود سنة 414 هـ / 1025 م (1) . وبلغ عدد الجيش الذي قاده محمود بنفسه لفتح سومنات سنة 416هـ/1025م ثلاثون ألف فارس (2) .

وفي عهد السلطان مسعود بن محمود عمل على زيادة عدد الجيوش , وقام بالإيعاز لولاة الأقاليم بتجنيد عساكر جديدة للخدمة في القطاعات العسكرية ، وكان هدف مسعود من التجنيد زيادة عدد الجند من ناحية ، وإضفاء العنصر الشبابي على الجيش من ناحية أخرى .

ففي سنة 421هـ / 1030م أمر بالكتابة للغازي أشفتكين قائد جيوش خراسان برغبته بالرحيل من دامغان إلى خراسان ، فأخذ الغازي يتأهب للقاء السلطان مع جنوده القدماء ومن جندهم حديثا ، وهم مجهزين بأكمل العدة والسلاح ، ووعده السلطان بمنحه خير الجزاء والعطاء ، مقابل ما قدم من خدمات ، كما وعده بأن يرعى ويحسن أوضاع الجنود الجدد (3) .

وكتب السلطان مسعود الأول سنة 429هـ/1037م إلي أعيان نيسابور ، بأنه متوجه إلي خراسان بخمسين ألف فارس وراجل ، وثلاثمائة فيل ، ليخلص البلاد من السلاجقة (4) . ولما وصل نيسابور , عمل على حشد المزيد من القوات الإضافية من الأقاليم ، حتى بلغ عدد جيشه مائة ألف فارس ، بالإضافة لعدد عناصر القطاعات الأخرى .

وخلال عملية الحشد , عرض السلطان الصلح على السلاجقة ، فدارت مشاورات بين طغرلبك , وأفراد البيت السلجوقي , حول ما تقدم به سلطان غزنة ، وفي نهاية الحديث ختم طغرلبك حديثه قائلاً : " اليوم لا يتمهد للسلطان صلح وعذر ، بعدما سفكت الدماء وتمكنت من القلوب الشحناء , وعندنا فرسان يضيق بهم الديار ، وعند السلطان جنود ملاذها الفرار " (5) .

كان طغرلبك على دراية ومعرفة تامة بمعنويات الجيش الغزنوي , وقدراته القتالية وما لحق به من ضعف , بسبب سياسة السلطان مسعود ، وإهماله لمؤسسته

العسكرية ووصف البيهقي (6) حال الجيش وجنوده في قوله : " وركب السلطان مسعود ، وسلك طريق مرو ، وسار الجنود وراءه متخاذلين ، كأنهم يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى . وكان اليوم شديد القيظ والمؤن قليلة ، والعلف لا وجود له ، والدواب هزيلة ، والماء قليل وغير متوفر " . بعكس الأعداء السلاجقة التي كانت قواتهم على أتم الاستعداد لخوض معركة دندانقان الفاصلة .

---

(1) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 90 .

Ellphinstone : A history of India , p . 350 .

(2) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ص 430 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 4 ، ص 266 ؛ الذهبي : سير ألام النبلاء ، ج 17 ، ص 490 - 491 .

(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 35 .

(4) المصدر نفسه ، ص 605 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 15 .

(5) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 10 - 11 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 820 .

(6) مصدر سابق ، ص 680 .

ودخل أرسلان شاه بن مسعود بن إبراهيم بن مسعود الأول سنة 508هـ / 1114م معركة مع السلاجقة بقيادة سنجر بن ملكشاه في صحراء شهر أباد , الواقعة على مسافة فرسخ من غزنة بجيش مكون من ثلاثين ألف فارس ، ورجالة كثيرة لم توضح المصادر عددهم ، ومعه مائة وعشرون فيلاً (1) .

ومن خلال ما سبق نستنتج الفرق بين أعداد قوات الفرسان والرجالة خلال سنة 389 و 410هـ / 1098 و 1099م ، يتضح أن عدد فرسان الجيش الغزنوي ، غالبا ما يكون ثلاثة أضعاف عدد الرجالة ، ويمكن القول بأن هذه التشكيلة للجيش الغزنوي طبيعية من حيث عدد أصناف الجند فالظروف في تلك المرحلة كانت تتطلب المزيد من المقاتلين في ظل اتساع رقعة الدولة .

أما من حيث نوعية صنوف الفرسان والمشاة ، وفارق النسبة بين عددهم ، فتعود لكثرة غزوات السلاطين الغزنويين لبلاد الهند ، والتي تتطلب الاعتماد على المزيد من الفرسان لبعد المسافة ، والظروف التي تتطلب سرعة الحركة في القتال في بلاد غير معروفة بالنسبة للغزنويين ، هذا بحالة الهجوم والانتصار ، أما بحالة الهزيمة والانسحاب تتطلب التعبئة العسكرية ، لمثل هذه الظروف سرعة حركة المقاتلين ، للمحافظة على أرواحهم وسلامتهم ، لهذا الأسباب وغيرها اعتمدوا على الفرسان أكثر من الرجالة .

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 270 .

الفصل الثالث
أسلحة الجيش

المبحث الأول : الأسلحة الفردية الخفيفة

1 ـ السيف
2 ـ الرمح
3 ـ القوس
4 ـ النشاب (السهم)
5 ـ الخنجر
6 ـ الحربة
7 ـ الدبوس
8 ـ الطبر

المبحث الثاني : الأسلحة الجماعية

أولاً ـ الأسلحة الثقيلة
1 ـ المنجنيق
2 ـ الدبابة
3 ـ العرادة
4 ـ السلالم

ثانياً ـ الأسلحة النارية
1 ـ النفط
2 ـ الزواريق (الزراقات)
3 ـ النار

ثالثاً ـ اللباس الحربي
1 ـ الدرع
2 ـ االجوشن
3 ـ الترس
4 ـ الخوذة والمغفر
5 ـ الشارات

رابعاً ـ مصادر الأسلحة
1 ـ الصناعة
2 ـ الشراء
3 ـ الحروب
4 ـ تخزين الأسلحة

الفصل الثالث
أسلحة الجيش

السلاح رفيق المقاتل بكل زمان ومكان على مر العصور ، يرسم به طريق النصر في الهجوم ، ويدفع خطر العدو في حالة الدفاع ، ولضمان تحقيق أمل النجاح في المعارك ، عملت الدول ولا تزال تعمل على تطوير الأسلحة ، والعمل على توفيرها من مختلف المصادر الداخلية والخارجية , لتحقيق التفوق التسليحي لقطاعات جيوشها ، وبكميات تتناسب مع حجم مؤسستها العسكرية .

استخدم الجيش الغزنوي الأسلحة الثقيلة الهجومية الضاربة ، والفردية الخفيفة شائعة الاستعمال في عصرهم ، ونتعرف في هذا الفصل بالبحث على مختلف أنواع الأسلحة التي استخدمها الجيش الغزنوي . سيما وأن السلاح كان ولا يزال وسيلة تتحكم في تغيير واقع الدول على مختلف الأصعدة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها .

أسس الغزنويون دولة مترامية الأطراف ، وحافظوا على حياتهم ، وصانوا شرفهم ودافعوا عن عزتهم ، وأضافوا أقاليم جديدة لبلاد المسلمين في الشرق ، متمثلة في شبه الجزيرة الهندية ، عملوا فيها على نشر الإسلام قدر استطاعتهم ، وردوا عاديات أعدائهم الطامعين بأقاليم الدولة الإسلامية ، فحاربوا خانات بلاد ما وراء النهر ، وعملوا على استتباب الأمن في الأقاليم ، وقاوموا الحركات الانفصالية في نواحي البلاد كافة ، قاموا بهذه الأعمال وغيرها ، بفعل استخدامهم لمختلف أنواع الأسلحة .

ومنذ عهد مسعود بن محمود الذي استبد برأيه في شؤون البلاد ، يهمل غير مبالٍ بدور الجيش وما يصنعه من عزة ومجد ، للمحافظة على نظم وسيادة الدولة ، ولم يعر انتباهه لمؤسسة الجيش وأهمل تسليحها ، فبدأت بوادر الضعف تسري بمختلف مؤسسات وأجهزة الدولة ، ولم يستطع أي سلطان أن يعيد الدولة إلى سابق عهدها ، مما أدى في النهاية إلى ضعفها وانهيارها ، وتكالب الأعداء عليها من كل صوب وناحية.

لم يتمكن الغزنويون من تخطي الحواجز والعقبات التي وقفت حاجزاً أمام طموحاتهم في مختلف أقاليم أواسط آسيا والهند والسند , إلا باستخدامهم لأحدث الأسلحة المتوفرة لديهم ، فكان للأسلحة دور كبير في حسم المعارك التي خاضوها لصالحهم ، وشكلت عامل قوة وتفوق ، وقدرة على الصمود والاستمرار في حروب طويلة على مختلف جبهات القتال الشرقية منها والغربية ، والممتدة لآلاف الكيلومترات من حدود نهر سيحون إلى عتبات مدينة دلهي في الهند ، ومن حدود العراق غرباً إلى حدود الصين شرقاً . لذلك عمل سلاطين غزنة ، وبكل الوسائل على توفير مختلف أنواع الأسلحة ، لتسليح جيوشهم تسليحاً قوياً بأحدث الأسلحة .

المبحث الأول
الأسلحة الفردية الخفيفة

1- السيف .

يعتبر السيف السلاح الفردي والشخصي , لكل أصناف الجند في المعركة ويعتبر رمز وعنوان للبطولة والفروسية والمبارزة ، يستعمل بواسطة اليد وله أنواع عدة وأشكال ، ونصله يكون ذات حد أو حدين ، ومن أنواعه المستقيم والمقوس

يصنع من الفولاذ أو الحديد ، وله مقبض للضرب والقطع والطعن (1) وله حميلة خاصة يحفظ فيها بجميع الظروف ، ولا يخرج منها إلا للقتال أو الصيانة (2) .

يعد السيف أفضل وأشرف الأسلحة الفردية ، وأكثرها استعمال . استخدم السيف ذات النصل المستقيم من قبل عموم المسلمين في المشرق والمغرب الإسلامي (3) . وكانت سيوفهم ذات الحد الواحد أو الحدين الأكثر انتشاراً واستخداماً (4) .

والسيف سلاح قدره العرب والترك حق قدره ، واستخدم في العصر الغزنوي في نطاق واسع ، واعتبر السلاح الأساس في الحرب التي خاضوها ، ولا يكاد جندي من جنود الجيش الغزنوي ، ممن أكملوا السنة الثانية في الخدمة العسكرية ، يخلو من التسلح بهذا السلاح ، لما له من أهمية خاصة في حسم المعركة (5) .

استخدم الغزنويون أنواعاً عديدة من السيوف , منها الهندية المشهورة بجودة الصقل لاحتوائه وجود مادة الأنك فيها* , خاصة وأن الهنود استأثروا بإنتاجه وأحسنوا صناعته وتركيبه ، ويعود ذلك لمعرفتهم بتركيب أخلاط الأدوية التي يسبل بها الحديد اللين .

وذكر الإدريسي (6) أهم أنواع الحديد السندي والسرنديبي والبيلماني* وتتفاضل كلها بحسب هواء المكان ، وجودة الصنعة ، وإحكام السبل والضرب وحسن الصقل

---

(1) نظام الملك : سياست نامه ، ص 145 ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 2 ، ص 132 - 133 ؛ زكي ، عبد الرحمن : السلاح في الإسلام ، دار المعارف ، مصر ، 1951م ، ص 33 ، 123 ، 127 .

(2) الصابىء : رسوم دار الخلافة ، ص 80 .

(3) مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، معهد العلوم العليا الغربية ، المطبعة الاقتصادية 1936م ، ص 24 ؛ الجواري : تنظيمات الجيش في عهد المرابطين ، ص 68 .

(4) ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبدالله محمد (ت 776هـ / 1374م) : الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، ج 1 ، ط 2 ، مطابع الشركة المصرية القاهرة ، 1975م ، ص 449 - 450 ؛ عنان ، محمد عبدالله : عصر المرابطين والموحدين ي المغرب والأندلس ، ط 1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، 1960م ، ج 1، ص 82 .

(5) نظام الملك : مصدر سابق ، ص 145 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 784 ؛ خرج ، محمد : المدرسة العسكرية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1379هـ / 1960م ، ص 144.

* الأنك : كلمة فارسية معربة ، وهو معدن الرصاص الأبيض المعروف إلى وقتنا الحاضر في الهند باسم رانج ، نسبة لبلاد الرانج الواقعة حول مصب نهر اروادي جنوب بورما ، والأنك والرانج شيء وأحد . ابن البيطار : جامع مفردات الأدوية ، ج 2 ، ص 140 .

(7) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 108 - 109 .

* السرنديبي : نسبة إلى سرنديب ، وهي جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند ، طولها ثمانون فرسخاً وعرضها نفس طولها ، وهي جزيرة تشرع إلى بحر هركند وبحر الأعبان . الحموي : معجم البلدان, ج 3 ، ص 215 - 216 .

والجلاء ، ولا يوجد شيء أمضى من الحديد الهندي ، ولا يقدر أحد على إنكار فضيلته .

يعود انتشار السيف الهندي بين عساكر الجيوش الغزنوية ، لحكم الموقع الجغرافي للدولة الغزنوية المتاخم للهند ، ولكثرة الفتوحات التي قام بها سلاطين غزنة لأقاليمها ، مما أكسبهم الكثير من السيوف ذات الصناعة الهندية .

أما انتشار السيوف الإيرانية في العصر الغزنوي ، فيعود لإحكامهم السيطرة على إقليم خراسان المشهور بصناعة هذا النوع من السيوف ، واتفقت كلمة معظم الرحالة والجغرافيين المسلمين والأجانب في القرون الوسطى على أن إيران ، ولا سيما الجزء الشمالي الشرقي منها ، كانت من أهم أقطار العالم الإسلامي في صناعة السيوف من الصلب والحديد . واستخدم الغزنويون السيوف المصنعة في بعض المدن الإسلامية ، كسمرقند وبخارى وغزنة وأصفهان وخوارزم ونيسابور وبغداد (1) .

والأتراك استخدموا بشكل عام السيوف المغولية الطراز ، ذات النصال المقوسة تقويساً خفيفاً ، وتنتهي بطرف مدبب منحني ، بالإضافة لاستخدامهم السيوف المستقيمة (2) .

استخدم السيف في العصر الغزنوي من قبل قطاعات العسكرية كافة ، ومهروا باستخدامهم للسيوف القصيرة ، وتسلحوا بها في جميع معاركهم في خراسان وبلاد الهند والغور ، وغيرها من الأقاليم (3) .

استعملت السيوف كأسلحة الفردية لجند الجيش الغزنوي سنة 366هـ / 976م وكان الأمير سبكتكين يحمل سيفاً في الحرب التي دارت بينه وبين الأمير بابي تور* بعد أن سيطر الأخير على مدينة بست ، وانتزاعها من صاحبها طغان خان* وكان طغان قد استنجد بسبكتكين لإجلاء بابي تـور ، مقابل مالاً يقرر عليه لخزينـة غزنة وطاعة يبذلها طغان لسبكتكين ، فجهز الأخير جيش , وتوجه مع طغان ، ودخل في حرب مع بابي تور ، انتهت بانتصار الجيش الغزنوي ، وتسليم طغان البلد ، الذي أنكر وعوده لأمير غزنة ، مما أدى إلى اندلاع حرب بينهما بالسيوف ، أسفرت عن هزيمة طغان ، واستيلاء سبكتكين على بست (4) .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 449 ، 556 ؛ ثابت ، نعمان : العسكرية في عهد العباسيين ، بغداد ، 1987م ص 149- 150 .

(2) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 67 ، 96 ، 301 ؛ زكي : السلاح في الإسلام ، ص 70 .

(3) نظام الملك : سياست نامه ، ص 153 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 87 ، 197 ، 226 .

* بابي تور : شخص إسمه كان ، ويكنى ببابي تور ، استولى على بست ، وأخذها من أميرها طغان بعد حرب وصفت بأنها شديدة . إبن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 86 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 773 .

* طغان خان ، أبو نصر أحمد : أخو علي تكين حاكم بلاد ما وراء النهر ، تمكن من تشكيل حكومة في منطقة شمال نهر سيحون ، واتخذ من بلاساغون عاصمة له ، فحرمه منها السلطان محمود بن سبكتكين . البيهقي : مصدر سابق ، ص 94 ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص 186 .

(4) العمري : مسالك الأبصار ، ص 186 مجهول : إنسان العيون ، ص 45 .

قدم مقاتلو الجيش الغزنوي بطولات كبيرة في بلاد الهند ، باستخدامهم للسيف سنة 366هـ / 976م ، وحققوا تفوقاً عسكرياً على جيوش الهند التي بلغ عددها مائة ألف مقاتل بقيادة ملكهم راجيا جيبال ، مما أدى إلى وقوع أعداد كبيرة من القتلى في صفوف جند القوات المعادية ، وأسر الكثير منهم (1) .

حَكَّم الغزنويون السيوف سنة 389هـ / 998م في قتل عساكر الشار شاه* حاكم غرشتان ، لامتناعه عن مشاركة جيش السلطان محمود الغزنوي بغزو بلاد الهند (2) .

وبرز استخدام السيف من قبل جند جيش السلطان محمود في غزوة بهاطية سنة 395هـ / 1004م ، حيث حكموا السيوف في عساكر جيش الهند ، قال ابن خلدون (3) : " وأخذتهم السيوف من أمامهم ومن ورائهم " . فلما أيقن ملك الهنود بجيرا بالموت ، أخرج خنجره ، وقتل به نفسه .

وكان السيف السلاح الأكثر انتشاراً بين عناصر الجيش الغزنوي في الحرب التي خاض غمارها بقيادة السلطان محمود سنة 396هـ / 1005م ، ضد أيلك خان وحليفه قدر خان في إقليم خراسان (4) . وبهذه المناسبة أكثر الشعراء من مدح السلطان محمود وسيفه ، وتهنئته بالانتصارات التي حققها. منها قصيدة طويلة للحسن بن عبدالله المستوفي ، أوردت بعض المصادر أبيات منها .

ظهر الحق ثابت الأركان … صاعد النجم على البنيان
وهو للردى ذوو النكث والبغي … وأهل الضلال والطغيان
ما الذي غركم بمحمود المحمود … أنحاؤه بكل زمان

كما قال في مدح سيفه :

إنما سيفه شبيه عصا موسى … ابن عمران صاحب الثعبان
وقراجيولياتكم* كيد سحر … فإذا جاءت العصا فهو فان (5)

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 87 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 784 .
* الشار شاه : الشار هو أبو نصر محمد بن أسد صاحب غرشتان ، وهو لقب أمير كل من يملك بلاد غرشتان ككسرى للفرس ، وقيصر للروم ، والنجاشي للحبشة ، فهي سمة مصطلح عليها تنبئ عن معنى التملك ورتبة الإجلال والتعظيم , والشار تعني الجليل ، وشاه ملك ، فيكون معناها الملك الجليل ، والمعنى هنا محمد ابن أبو نصر صاحب غرشتان . وكان الشار يقيم بقرية في الجبل تسمى بلكيان . وكان والد أبو نصر قد ولى ابنه الشاه حكم الغرشتان مكانه ، وتفرغ للاشتغال بالعلوم ومجالسة العلماء . لكن الشاه رفض مساعدة السلطان محمود بن سبكتكين في غزو الهند . فأرسل إليه جيش حاصره في إحدى قلاع بلاده ، فأسر وأرسل للسلطان محمود فضربه تأديبا له ، وأودعه السجن إلى أن مات . ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 196 - 197 ؛ ابن خلدون : مصدر سابق ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 791 - 792 .
(2) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 141 .
(3) مصدر سابق ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 784 .
(4) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 228 - 229 .
* قراجيولياتكم : أي سيوفكم ، وهي السيوف التي ليس لها حد وأحد ، وكأنها منسوبة إلى قراجول الذي اتخذها على هذه الهيئة. وقوله : فهو هان ، أي الكيد باطل ومضمحل . العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 81 ، 130 ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 232 .
(5) المصدر نفسه ، ج 7 ، ص 232 .

كما مدح الفروخي* السلطان محمود وجيوشه بقصيدة اخترتنا ما يتعلق منها بمدح سيفه .

كــل جـيش لـــه أمير مـــثل مـــحمود
يــــــكون الــيمن عـــــن يمينه واليسر عـن يساره
ســــيوفـــهم مــثل الـــنار تحـرق العـــدو
وجيادهم مثل السفينة تقطع البحر طوال الشهور والأعوام
سيوفهم قرينة الأجل فـي البدن الواحـد
وجــيادهم تلــعب مــــع الأسـود فـــي مرتع واحـــــد
قبل أن يكون جيشه قد اصطف أمام الــعدو
يـــكون هـــو قـــد دمـــر عسكـر العـــدو بسيفـــــه
لقد رأيت الملك محموداً فـــي عدة حـروب
وقـــد جعل نفسه درعـاً أمام الجيش وقت الحـروب (1) .

وعند ضفاف نهر ويهند ، واجه جيش السلطان محمود القوات الهندية أصحاب السيوف العريضة بقيادة ابرهمز* سنة 399هـ / 1008م ، وكادت الهزيمة تلحق بصفوف الغزنوين بعد قتال دام حتى أخر النهار ، لكن محموداً أدرك أنه لا يتحقق له النصر إلا باستخدام السيوف من قبل جميع القطاعات العسكرية ، فأصدر أوامره بهذا الشأن ، وتمكن من إلحاق هزيمة ساحقة بالهنود (2) .

وأمام عدم قدرة جيش السلطان محمود على فتح العديد من قلاع وحصون بلاد الغور سنة 401هـ / 1010م ، طبق خطة استراتيجية ، بأن عمل على استدراج الغوريين ، وإخراجهم للقتال بأرض مكشوفة خارج قلاعهم وحصونهم ، بعدها أمر السلطان جميع القطاعات باستخدام السيوف فـي القتال ، فجـرى للغوريين بساحة المعركة عملية إبادة شاملة ، فلما رأى قائد الغور ، ما حل بجنده ، أخرج سماً كان معه وشربه فمات (3) .

كما كان السيف السلاح الرئيسي لجند الجيش ، وبه تمكن الغزنويون من حسم القتال ، وإحراز النصر على الهنود في غزوة السلطان محمود لناردين سنة 404هـ / 1013م ، ونتيجة لإبطال مفعول الأسلحة فـي معركة تانشر سنة 405 هـ / 1014 م

---

* الفروخي : أبو الحسن علي بن جولوغ السجزي المعروف بالفرخي ، من سجستان ، ويعتبر من كبار شعراء السلطان محمود بن سبكتكين ، لقب بمتنبي العجم ، لأنه اختص كابي الطيب المتنبي , بالسهل الممتنع وألف كتاب في فنون البلاغة باللغة الفارسية . عوفي ، محمد (ت بعد 633هـ / 1236م) : لباب الألباب ، ليدن 1321هـ / 1903م ، ج 2 ، ص 47 ؛ براون ، ادوار دج : تاريخ الأدب في ايران ، نقله إلى العربية الدكتور أمين الشواربي ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1373هـ / 1954م ، ص 144 - 145 .

(1) الفرخي : الديوان ، ص 55 - 59 .

* ابرهمز : بال بن آنندبال ، وابرهمز هو العالم في لغة الهند ، وجمعه البراهمة ، ويقال لخادم الوثن برهمن أيضاً . انتصر عليه السلطان محمود بن سبكتكين في معركة عند نهر هندمند ، وطارده حتى قلعة بهيم نغر . العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 96 - 97 ؛ الكرديزي : ج 2 ، ص 78 .

(2) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 96 ، 98 .

(3) الهمذاني : جامع التواريخ ، ج 2 ، ص 362 .

بسبب التحام القوات المتحاربة مع بعضها ، وعدم مقدرة كل منهم تمييز جندهم عن جند عدوه في أثناء القتال ، لجاء الغزنويين لاستخدام الأسلحة الخفيفة مثل السيوف والخناجر ، وأبدوا بطولة فائقة حتى حسمت المعركة لصالحهم . وبواسطة السيوف حسم الغزنويون معركتهم مع جيش إقليم خوارزم بقيادة أبو العباس لصالحهم سنة 408هـ / 1017م (1) .

كما استخدم الغزنويون السيوف في غزوة السلطان محمود لكشمير وقنوج سنة 409هـ / 1018م ، فكان لها أكبر الأثر بإلحاق خسائر بشرية كبيرة بمقاتلي القوات الهندية المعادية ، واستطاع الغزنويون بواسطة السيوف من فتح قلاع وحصون عدة بتلك الديار .

يعطينا السلطان محمود سنة 413هـ / 1023م صورة واضحة لتقديره للسيف الغزنوي ، حيث فرض على أرجان ملك قلعة كَواليور ، بأن يرتدي الثوب الغزنوي ويتمنطق بسيف جيش محمود حول خصره ، وأن يقطع حلمة أصبعه ، كعادة وتقاليد الهنود وأعرافهم ، ليصبغوا على مواثيقهم صفة الوفاء لها ، والالتزام بما جاء ببنود معاهدة الصلح التي تم إبرامها بينهم (2) .

كذلك كانت الكلمة للسيف في الحرب التي حدثت سنة 423هـ / 1031م بين جيش التونتاش خوارزم شاة ، والقوات المتحالفة معه من جيش غزنة بقيادة تاش فراش . وبعد أن فرغ التونتاش من كافة الاستعدادات ، خاطب أمراء وقادة الجيش قائلاً : " بأن الكلمة الآن للسيف ، وغداً تكون الحرب الطاحنة ، وأنا لست ممن يولون ظهرهم في المعركة ، فإذا كان الأمر على غير ما أرجو ، فإني لن أعود إلى خوارزم وإذا قتلت فذاك خير لأني أقتل في طاعة مولاي " .

ولما كان للسيف قيمة ومكانته عالية عند الغزنويين ، بعث السلطان مسعود الأول في أوائل شهر محرم سنة 423هـ / 1031م هدية للخليفة العباسي القائم بأمر الله ، من ضمنها خمسون سيفاً هندياً ثميناً (3) .

وفي سنة 425هـ / 1033م ، تحولت الحرب بين أهل طوس والنيسابوريين إلى القتال بالسيوف ، وبدأت المعركة باشتباك مقدمة الجيش الغزنوي بقيادة أحمد علي نوشتكين مع مقدمة الطوسيين ، وجرى بينهم قتال عنيف ، ثم التحم الجيشان في معركة وصفت بأنها شديدة ، انقلب فيها القتال إلى مبارزة بالسيف ، وتوقف القتال بالأسلحة الأخرى ، بسبب التحام جند الجانبان مع بعضهم البعض (4) .

وكان السيف مصدر اعتزاز وافتخار لسلاطين غزنة ، فقد استشار السلطان مسعود الأول الأعيان وأركانية الجيش ، حول رحيلهم من نيسابور لقضاء فصل شتاء سنة 426هـ / 1034م في دهستان ، والعودة في بداية الصيف إلى نيسابور . وخاطبهم بقوله : " انتم يا رؤساء الجيش ماذا تقولون ، قالوا : نحن عبيد

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 147 ، 152 - 154 - 155 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 271-272 .

(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 88 .

(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ، ص 21 ، 323 ، 366 .

(4) ابن الجوزي : المنتظم ، ج 15 ، ص 211 .

وإن مهمتنا الحرب والضرب بالسيف ، والإكثار من الولايات التابعة للسلطان " (1) .
وأكد السلطان مسعود الأول في معركة نسا سنة 426هـ / 1034م على أهمية ودور السيف في حسم المعركة ، وإنهاء التواجد السلجوقي في بلاده ، وقد نفذ قائد الجيش الغزنوي الحاجب بكتغدى ، تعليمات السلطان ورفض العرض السلجوقي الذي جاء به رسولهم ، بأنهم عبيد مطيعون ، وأنهم سيرحلون عن نسا ، وهم خائفون ولا يملكون السلاح ولا الذخيرة ، ولكن الحاجب بكتغدى أصر على أن يكون السيف بينهم هو الحكم (2) .
وفي شهر ربيع الأول سنة 428هـ / كانون الأول 1036م قال السلطان مسعود لوزيره أحمد عبد الصمد : " يجب أن تسير إلى هراة ، وأن ترابط بها حتى يلحق بك الحاجب سوباشي* وكافة جند خراسان ، فتنظر في شؤونهم نحو التراكمة - يعني السلاجقة - وتجلوهم تماماً عن أرض خراسان , وذلك بحد السف " وجاءت إجراءات مسعود العسكرية هذه ، عقب وصول رسائل من خراسان تفيد بانتشار مكثف للسلاجقة على حدود إقليم خراسان ، وقيامهم بنهب مدينة تون* .
كما اعتمد السلطان مسعود على الأسلحة الفردية ، كان من أهمها السيف في فتح قلعة هانسى سنة 429هـ / 1037م . وكانت السيوف أكثر الأسلحة استخداماً من قبل الغزنويين في معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م ، ووصف البيهقي (3) كل ما جرى من أحداث في ميدان المعركة ، من ضمنها كثرة ضرب السيوف بقوله : " وامتلأت الساحة بالضجة والصياح ، وعلت قعقعة السيوف حتى كان ألف ألف - يعني مليون - رجل يدقون المطارق ، وكنت أرى وميض السيوف من خلل النقع " .
وفي سنة 431هـ / 1031م كانت تجري اشتباكات عدة يومياً بين أميرك البيهقي صاحب بريد بلخ ، وقوات سلجوقية بقيادة داود ، استطاع أميرك هزيمة أعدائه بسلاح السيف ، أرسل بعدها معماة للسلطان مسعود تضمنت بشائر النصر الذي حققه وجاء فيها : " وأريناه - يقصد داود - حد السيف فعاد بخفي حنين " (4) .
واستخدم الغزنويون السيف لأغراض صيد الحيوانات الشرسة وخاصة الأسود ويتضح أن استخدم السيف من قبل منتسبي المؤسسة العسكرية , وعلى اختلاف رتبهم وفي جميع المعارك التي خاضوها , فكان له دور كبير في حسم القتال لصالح الغزنويين ، كما استعمل في أوقات السلم خلال رحلات التنزه والصيد .

---

(1) نظام الملك : سياست نامه ، ص 152 - 153 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 474 ، 515 ، 518 ، 525 ؛ نخجواني : تجارب السلف ، ص 201 .
* سوباشي : من أكبر أمراء الدولة في عهد مسعود بن محمود . توصل لمرتبة الحجابة ، قاد الجيش الغزنوي في إقليم خراسان ، وحارب السلاجقة في عدة مواقع ، لكنه لم يتمكن من القضاء عليهم . اعتقل في الخزانة الصغرى لعدة تهم نسبت إليه سنة 431هـ / 1039م ، وصادروا أمواله . البيهقي : مصدر سابق ، ص 475 505 ، 534 ، 712 ؛ الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 5 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 233 .
* تون : في لغة العرب البياض في الأظفار ، وهي مدينة من ناحية قُهستان قرب قائن . الحموي : معجم البلدان ج 2 ، ص 62 .
(3) مصدر سابق ، ص 580 ، 631 - 635 .
(4) المصدر نفسه ، ص 21 ، 323 ، 710 .

2- الرمح .

يعتبر الرمح من الأسلحة القتالية الفردية الفعالة التي استخدمت في الجيوش الإسلامية بشكل عام . وتعددت أنواعه واستخداماته في الجيش الغزنوي . ظهرت الرماح كأسلحة فردية للمقاتلين الرجالة (المشاة) على اختلاف صنوفهم ، منها القصيرة والطويلة ، والقصير منها يسمى المطارد ، وهي قناة قصيرة مجوفة والمطارد أشد قوة في حالة الطعن ، واخف حملاً من الرماح الطويلة التي كان يتسلح بها جند الفرس والعرب (1) .

يتكون الرمح من عمود طويل من خشب القنا* أو الزان أو الشوحط* يكون طوله حسب رغبة الفارس ، ويسمى بالقناة أو المتن ، ويركب في رأسه أسنان من الحديد , مدبب الطرف حاد الجانبين ، يطعن به ويدعى النصل . أما الطرف الأخر من الرمح ، فهو عبارة عن حديدة مستديرة ومدببة الطرف قليلاً ، تساعد على تثبيته في الأرض أو الطعن به عند الحاجة ويدعى الزج (2) .

استخدم الغزنويون الرماح الطويلة , كسلاح فردي رئيسي في حالتي الهجوم والدفاع ، طيلة حياتهم العسكرية المملوءة بالحروب الداخلية والخارجية . فمنذ أن طارد ألبتكين الجيش الساماني الذي أرسله منصور بن نوح ، بهدف إثناء ألبتكين عن قصده بلاد الهند عند مضيق خُلم سنة 350 هـ / 961م ، دخل الرمح كسلاح رئيسي في مؤسسة الجيش الغزنوي (3) .

واستخدمت الرماح الطويلة في غزوة السلطان محمود لبهاطية سنة 395هـ / 1004م ، فقد تمكن حملة الرماح من تفريق صفوف الجيوش الهندية بقيادة ملكهم بيجرا . وسلح السلطان محمود جيشه سنة 396هـ / 1005م برماح مختلفة في الغلظة , والطول والقصر ، أثناء تعبئه قطاعات الجيش ، استعداداً لمواجهة أيلك خان حاكم بلاد ما وراء النهر ، الذي تجرى على دخول خراسان للسيطرة عليه ، مستغلا انشغال وغياب السلطان وجيشه في بلاد الهند (4) .

وبَيَّن العتبي (5) دقة إصابات الرماح التي قذفها قطاع فرسان جيش السلطان محمود على القوات الهندية المعادية ، أثناء غزوته لناردين سنة 404هـ / 1013م

---

(1) الجاحظ : رسائل الجاحظ ، ص 52 - 53 ؛ الجنابي : تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني ، ص 145 الجوارنه : قطاعات الجيش ، ص 35 .

* القنا : قصب مسدود الداخل ينبت ببلاد الهند ، يقال للواحدة منه قناة ، ولمفاصلها أنابيب ، ولعقدها كعوب والثاني ما يتخذ من الخشب كالزان وغيره ، ويسمى الذابل . الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 31 ؛ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج 3 ، ق 2 ، ص 931 ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 4 ، ص 54 ؛ الشرمان : الجيش السلجوقي ، ص 172 .

* الشوحط : نوع شجر يتخذ منه القسي والنبال والرماح . القلقشندي : مصدر سابق ، ج 4 ، ص 133 - 134 ج 5 ، ص 72 - 73 ؛ مجهول : خزانة السلاح ، ص 33 .

(2) الطرطوسي : تبصرة أرباب الألباب ، ص 11 ؛ القلقشندي : مصدر سابق ، ج 4 ، ص 132 - 134 ، ج 5 ص 72 - 73 ؛ زيدان : التمدن الإسلامي ، ج 1 ، 194 .

(3) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 67 ، 151 ؛ الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 49 .

(4) نظام الملك : سياست نامه ، ص 153 - 154 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 226 .

(5) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 78 ، 130 ، 151.

حيث قال : " فكلما أشليت الفيلة للتهويل والتفخيم ، والحطم بالأظلاف والخراطيم مطرتها سحائب الزانات متلوية كالأراقم منسابة إلى حدق العيون أو ثغر الحلاقم " .

وأثناء اختلاط جند الجيش الغزنوي مع عساكر خوارزم شاه سنة 408هـ / 1017م ، لجاء الغزنويون لاستخدام الرماح للطعن بدل القذف ، ويعود ذلك لعدم تمييز كل جانب لجنده . واستخدمت الرماح في غزوة السلطان محمود لكشمير وقنوج سنة 409هـ / 1018م ، فكان لها دور كبير في التأثير على القوات الهندية ، مما مكن الغزنويين من فتح العديد من الحصون والقلاع (1) .

واستعملت الرماح لأغراض تعبوية غير القتال ، كإعطاء إشارة لقطاعات الجيش للالتحام مع العدو ، وأشار البيهقي (2) لمثل هذا الاستعمال ، أخذ التونتاش والى الغزنويين في خوارزم سنة 423هـ / 1031م ، التقدم أمام الصفوف ، ثم إعطاء بالرمح إشارة للجيش بالالتحام مع قوات علي تكين .

وبرزت الرماح بفعالية أثناء العمليات القالية في معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م ، فاستخدم السلطان الغزنوي الرمح في القتال , ونفذ خطة استراتيجية عمل من خلالها على إنزال قوات الرجالة حملة الرماح الطويلة بين التلال ، واتخذوا مواقع دفاعية ، استخدموا بعدها الرماح لمنع تقدم السلاجقة ، فتهيأت الفرصة لقطاع الفرسان من مباغتة السلاجقة من الخلف ، فأبدا الجميع قوة فائقة حتى سقطت راية داود ذات اللون الأسود ، بعدها بدأت علامات التقهقر تظهر على القوات المعادية ، فشن الغزنويون هجوم شامل وكاسح ، فتحقق لهم النصر .

كما أمر السلطان مسعود الأول سنة 432هـ / 1032م بتجهيز الجيش بمختلف أنواع الأسلحة كانت الرماح من ضمنها . وذلك لملاقاة السلاجقة بقيادة داود ودفع خطرهم ، وعدم تمكينهم من السيطرة على مدينة بلخ (3) .

3 - القوس .

تنقسم الأقواس من حيث الاستخدام إلى نوعين ، الأول : يستخدم باليد والثاني : بالرجل ، ومن حيث الصناعة ، فتنقسم إلى أصناف منها العربية والفارسية والتركية والهندية وغيرها (4) . تصنع الأقواس من شجر لين متين , يحنى طرفاه كالهلال ويثبت فيها الوتر* . والقوس والسهم سلاح ذات تأثير فعال في ميدان القتال , لما يلحقه من إصابات بالغة .

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 256 - 257 ، 279 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 798 .

(2) تاريخ البيهقي ، ص 368 .

(3) المصدر نفسه ، ص 630 ، 723 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 34 - 35 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 26 .

(4) الجاحظ : رسائل الجاحظ ، ص 33 ؛ ابن القيم الجوزية : الفروسية ، ص 115 - 116 ؛ الجواري : تنظيمات الجيش في عهد المرابطين ، ص 73 .

* الوتر : تجمع أوتار ، والمقصود بها أوتار القسي , يوضع الوتر بين طرفي القوس ، ويصنع من خيوط مفتولة أو شراك جلد أو عقب عنق البعير ، لذا يقال له القوس . ومن أقسامه المجس ، وهو مقبض الرامي وأطلقوا على مجرى الوتر اسم المحراث ، ومن مكملاته الكاظم ، وهو سير موصول بوتر القوس , وتحفظ الأقواس في غلاف

خاص يسمى الوسق . ابن منظور : لسان العرب ، ج 5 ، ص 275 (مادة وتر) ؛ زكي : السلاح في الإسلام ، ص 48 .

يعد القوس سلاحاً تقليدياً قديماً ، وسلاحه المكمل النشاب ، ويستعمل في حالتي الدفاع والهجوم . والأقواس من حيث الاستعمال نوعان ، فردي وجماعي ، ويستعمل من قبل الفرسان والرجالة ، ويصنف ضمن الأسلحة بعيدة المدى (1) . حيث يرمي مواقع العدو على شكل مجاميع في رشقه واحدة ، فضلاً عن دقة إصابته للهدف عن بعد (2) .

استخدمت الأقواس في العصر الغزنوي ، كأسلحة فردية من قبل الجند ، وبرز تأثيرها المباشر خلال المعارك التي خاضوه الجيش في مختلف الجبهات الداخلية منها والخارجية ، لما امتازوا من قدرات على استعمال الأقواس .

واصل رماة الجيش الغزنوي سنة 389هـ / 9978م الرماية بالأقواس لمواقع الشار شاه طيلة اليوم ، وجاءت هذه الرماية بعد أن تحصن في إحدى الحصون المنيعة ، ولم تتوقف الرماية حتى تم القضاء على جنده ، ووقوع الشاه أسيراً ، ثم اقتيدا للسلطان محمود ، فأودعه السجن ، وبقي فيه حتى مات (3) .

وفي معركة تانيشر سنة 402هـ / 1011م استمر رماة الجيش الغزنوي باستخدام القوس ، بقذف الهنود برشقات مكثفة من السهام ، فتحقق النصر ، ومنيت القوات الهندية المتحالفة بهزيمة نكرا (4) .

كما كان للسهام دور كبير في حسم المعارك التي دار رحاها حول حصون مناطق كنوج ، بين الجيش الغزنوي بقياد السلطان محمود بن سبكتكين ، والجيوش الهندية ، أثناء غزوته لبلادهم سنة 409هـ / 1017م . ولأهمية الأقواس والسهام أكثر السلطان محمود من تسليح جنده بهذا السلاح سنة 410هـ / 1018م ، استعداداً لغزو بلاد الأفغانية في بلاد الهند (5) .

ولفاعلية الأقواس والسهام في المعركة ، وتأثيره المباشر على الأعداء ، أصبح السلاح الفردي والرئيسي لكل جند الجيش الغزنوي . ومما يؤكد هذا القول : أنه في سنة 422هـ / 1030م ، توجه السلطان مسعود الأول في موكب حافل لميدان مرج شابهار الواقع قرب غزنة , ومعه الجيش بمختلف أصنافه , ووسائط النقل من الفيلة والجنائب ، وكان الجميع متسلح بالأقواس والسهام .

وبرز دور الأقواس والسهام في حسم معركة حدثت بين الغزنويين باكاليجار في ناتل سنة 426هـ / 1034م ، ووصف البيهقي (6) كثافة السهام المنصبة على أهدافها بأنها شكلت حاجزاً حجبت الشمس ، فأجبر الجرجانيون على التراجع عن مواقعهم بالتدريج حتى تمت هزيمتهم .

---

(1) العسكري ، أبو هلال (ت 395هـ / 1004م) : التخليص في معرفة أسماء الأشياء ، دمشق ، 1970م ج 3 ، ص 535 ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 2 ، ص 134 .
(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 134 .
(3) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 197 .
(4) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 80 ؛ الهمذاني : جامع التواريخ ، ج 2 ، ص 362 .
(5) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 279 ، 304 ؛ نخجواني : تجارب السلف ، ص 198 .
(6) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 308 ، 490 .

4- النشاب (السهم) .

السهم من متممات القوس ، وهو القسم الذي ينطلق باتجاه الهدف . بينما يبقى القسمان الآخران وهما القوس والوتر في يد الرامي . والنبلة أو السهم هو عود رفيع يصنع من شجر صلب ، ويكون طول الذراع تقريباً ، ينحته الجندي ويسويه ، ثم يفرض فيه فروضاً دائرية ليركب فيها الريش ، ويشد عليها بالجلد المتين أو بلصقه بالغراء ويربطه ، ثم يركب في قمته نصلاً من حديد مدبب له سنتان في عكس اتجاهه يجعلانه صعب الإخراج إذا نشب في الجسم (1) . ولأهمية سلاح النشاب تفوق الغزنويون بصناعته ، وتغنى الشاعر الفرخي بهذا التفوق قائلاً :

يصنعون من تيجان الملوك كواكب كنانات سهامهم

ومن أيدي الأصنام المحطمة أساور لمعصم الجميلات (2) .

استخدمت الجيوش الغزنوية السهام في كافة معاركهم ، لما لها من دور فعال في إيقاع الكثير من الخسائر في صفوف الأعداء ، ولرمي عساكر العدو من فوق الأسوار , خاصة عند قيامهم بعمليات الحصار المدن والقلاع والحصون (3) .

وفي غزوة السلطان محمود بن سبكتكين لمدينة بهيم نغر ، الواقعة ضمن أملاك آنندبال سنة 399هـ / 1008م . قام الجند برشق الهنود وفيلتهم بوابل من السهام الملتهبة بالنفط ، فَصُوِّبت إلى وجوهها ، مما جعلتها تتراجع للخلف وتصبح بحالة دفاع ، فكثفت الجيش رماية السهام , حتى تفوق بالقتال , وحقق النصر وهزمت القوات الهندية المتحالفة ضده (4) .

وبذل الغزنويون جهوداً مميزة في تطوير الأسلحة ، فكان النشاب أحد هذه الأسلحة المطورة ، حيث تمكنوا من تعديل النشاب حتى أصبح إحدى ذخائر المنجنيقان ، فعمل الجيش الغزنوي على ضرب النبال بواسطة المنجنيقان ، مما أحدث تغييراً في التكتيكات الغزنوية ، وهذا ما تم في عهد السلطان محمود الغزنوي أثناء حصاره لقلاع بلاد الغور والأفغانية سنة 411هـ / 1020م ، وتسبب هذا السلاح في فتح قلعة الغور ، وكان النشاب قد عمل على إضعاف معنويات العساكر الغورية وهروبهم أمام الجيش الغزنوي (5) .

وبدأت أولى العمليات الميدانية ضد القوات الهندية المدافعة عن قلعة معبد سومنات سنة 416هـ / 1025م , بقيام رماة الجيش الغزنوي ، برشق العدو بالسهام التقليدية ، وسهام أخرى حملت قذائف نفطية ، هيأت الفرصة بأن شن جيش السلطان محمود هجوم على القوات المدافعة في اليوم الثاني من المعركة ، مكنت بعض

---

(1) الهروي : التذكرة الهروية ، ص 82 - 83 ، 112 ؛ عون ، عبد الرؤوف : الفن الحربي في صدر الإسلام دار المعارف القاهرة ، 1961م ، ص 85 ، 138 .

(2) سيستاني : الديوان ، ص 57 .

(3) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 1 ، ص 363 ؛ الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 81 ؛ 124 ؛

Bosowrth : The Chaznavids , p . 116 .

(4) خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 378 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 46- 47 .
(5) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 123 - 124؛ الجوارنه : قطاعات الجيش ، ص 35 .

فصائل الجيش من الصعود لأعلى أسوار القلعة ، والسيطرة عليه ، بغية تخفيف حدة المقاومة الهندية المنبعثة من داخل أسوار القلعة ، واجبارهم على التحصن بداخلها حتى انقضت بقية الوحدات عليهم في حرب وصفت بأنها شرسة ، وبعد قتال مرير أبدى فيه الجانبان شجاعة فائقة ، وسقط ما لا يقل عن خمسين ألف قتيل من الطرفين ، الأغلب من القوات الهندية ، انتهت المعركة بانتصار جيش السلطان (1) .

وقامت كتائب الجيش الغزنوي البرية ، وخاصة كتيبة الرماة التركمانية بمفاجئة العناصر الهندية المنهزمة من معركة مياه نهر وادي السند السفلي بوابل من رشق السهام سنة 418هـ / 1027م ، فأجبر الهاربين للعودة لمياه النهر واصبحوا تحت مرمى السهام مرة أخرى ، فوقعوا فريسة لأسلحة البحرية الغزنوية (2) .

وأرسل السلطان مسعود الأول سنة 423هـ / 1031م , جيشاً بقيادة وزيره أحمد عبد الصمد ، مداداً للتونتاش حاكم خوارزم ، لقتال علي تكين حاكم بلاد ما وراء النهر ، ودارت المعركة بين الجانبين في موضع يعرف بإسم دبوسى ، كان النشاب السلاح الأكثر استخداماً من كلا الطرفين ، انهارت على أثرها قوة علي تكين وقتل من جنده جمع كثير ، وأصيب خوارزم شاه بسهم ، لقي على أثره حتفه في اليوم التالي ، وقبل أن يذيع خبر الوفاة ، بذل الوزير جهود لعقد اجتماع مع خصمه علي تكين ، تمخض عنه قبول الطرفين الصلح ، والانسحاب من ساحة المعركة (3) .

5 - الخنجر .

تجمع خناجر ، وهو سكين كبير ، ولعل التسلح بالخناجر كأن سلاحاً شخصي لا علاقة له بالتسلح العسكري ، وظهر دوره عند اشتداد القتال في بعض المعارك التي خاضها الغزنويون ، واستخدموه عند التحام جندهم مع الأعداء ، حيث يفترض بهذه الحالة التوقف عن استخدام الأسلحة الأخرى ، مثل السهام والنبال والرماح وغيرها ، خوفاً من أن يقتل جنود الجيش بعضهم البعض ، بسبب ما يدور داخل الميدان من عمليات قتالية ، تتمثل بسريعة الحركة ، وما يواجه مستخدمي الأسلحة الأخرى من التمييز بين جندهم وجند العدو (4) .

لهذا استخدم الجيش الغزنوي الخناجر عند التحامهم مع القوات الهندية أثناء عبورهم مخاضات أحد أنهار بلاد الهند ، بهدف الوصول إلى تانيشر سنة 405هـ / 1014م بعد أن تعذر استخدام الأسلحة الأخرى , لاختلاط جند الجيش الغزنوي مع العساكر الهندية المعادية . واستخدمت الخناجر من قبل اثنى عشر غلاماً في عملية قتل هرون بن التونتاش خوارزمشاه سنة 426هـ / 1034م ، وكانت الخناجر أسلحة

---

(1) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 428 - 429 ؛ ناظم زمن السلطان ، ص 117 - 118 ؛ ويلر : الهند تحت الحكم الإسلامي ، ج 1 ، ص 35 - 36 .
(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ص 96 - 100 ؛
Ikram :History of muslim civilization in India and Pakistan , p . 16 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 350 ؛ ابن النظام الحسيني ، العراضة ، ص 35 .

(4) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 155 .
لغلمان السراي المصطفين أثناء انتقال السلطان مسعود من القصر المحمودي إلى القصر المسعودي في غزنة ، وذلك عندما تم تجهيزه والانتهاء من بنائه سنة 429هـ / 1037م (1) .

6 - الحربة .

تجمع حراب ، وهي أصغر من الرمح ، وتمتاز بعرض سنانها ، ويرمى بها من اليد (2) , وهي من الأسلحة الفردية ، ذكر العتبي (3) أن استخدام الحراب كان عند الغزنويين تقليدُ متبعُ ، هذا القول يؤكد أن الحراب كان سلاحاً فردياً ، ولعب دوراً في بعض المعارك التي خاضها الغزنويون ، وربما يعود لظروف المعركة كأن تنفذ ذخيرة الأسلحة الأخرى ، أو اختلاط جند الطرفين المتحاربين مع بعضهم البعض , حيث يلجا الجند لاستخدام الحراب بمثل هذه الظروف .

وكانت الحراب الأسلحة الفردية والشخصية لقادة الجيش الغزنوي المرابط في كرمان سنة 422هـ / 1030م ، ولما امتدت أيدي عناصر الجيش للرعية ، وارتكبوا المظالم ، انسلت بعض رجال أهالي كرمان ، وذهبوا إلى وزير أمير بغداد ابن ماقيه* وطلبوا منه العون والمساعدة بتخليصهم من عساكر خراسان ، فلبى ابن ماقيه طلبهم ، وسار على رأس جيش مكون من خمسة آلاف فارس .

وانضم إليه في الطريق خمسة آلاف رجل من الثائرين ضد التواجد الغزنوي في كرمان ، ولما دارت معركة بين الطرفين ، تخاذل فيها الهنود وولوا منهزمين ، وما أن وصلوا إلى السلطان مسعود في بلخ ، حتى أمر بوضع ستة من مقدميهم في خان أعد لهم ، وأبلغهم بالاستغناء عن خدماتهم ، فضربوا أنفسهم بالحراب حتى سالت الدماء بالخان ، ولما علم مسعود بما فعلوا بأنفسهم ، قال : كان عليهم أن يضربوا هذه الحراب في كرمان وحقرهم ثم عفا عنهم (4) .

كما كانت الحراب من أسلحة القبائل والطوائف التي ساندت الجيش الغزنوي في بعض حروبه . فقد استخدمت طائفة الجتان الحراب إلى جانب السيوف والسهام في قتل أحمد ينالتكين قائد جيوش الهند الذي خلوعه السلطان مسعود الأول ، وكان الجتان قد انظموا للجيش الذي أرسله مسعود الأول بقيادة تِلِك بن جحام الهندي للقضاء على ثورة ينالتكين سنة 425هـ / 1033م .

وفي معركة ناتل سنة 426هـ / 1034م كانت الحراب من ضمن أسلحة قطاع رجالة الجيش الغزنوي ، وتمكنت إحدى فرق الرجالة بواسطة الحراب , والأقواس من إحكام السيطرة على قنطرة تحتها عساكر جرجانية ، كانوا قد اتخذوها موقع دفاعي , ونقطة قنص الجنود الغزنويين .

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 155 ، 500 ، 588 .
(2) مجهول : خزانة السلاح ، ص 34 .
(3) مصدر سابق ، ج 2 ، ص 130 .
(4) ابن ماقيه (مافنه) : وهو أبو منصور بهرام بن مافند الملقب بالعادل . كان آنذاك وزير لأمير بغداد . البيهقي تاريخ البيهقي ، ص 458 - 459 .
(5) المصدر نفسه ، ص 457 - 459 .

وكانت الحراب السلاح الشخصي للسلطان مسعود , وضباط جيشه في معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م (1) .

وفي معركة دندانقان سنة 431هـ / 1039م كانت الحربة السلاح الشخصي للسلطان مسعود ، قال البيهقي (2) : " وكان بيده حربة مسمومة يقضي بها على كل من يضربه فلا هو ينجو ولا دابته " . ولا شك أن الحراب كانت من ضمن الأسلحة الفردية للضباط ، اقتداءً بالسلطان ، على اعتبار أنه القائد العام للجيش ، وكان القادة يحملون نفس الأسلحة التي يحملها السلطان .

7 - الدبوس .

تجمع دبابيس ، وهي آلة حربية على شكل العصا ، يحملها الفرسان تحت أرجلهم ، ويتقاتلون بها بعد التضارب بالسيوف والرماح ، وتصنع عادة من الحديد أو الخشب ، ورأسها كالكرة ، ودَبُّوس (Topouz) كلمة فارسية بمعنى دبسة بالعامية (3) .

استخدم الغزنويون الدبوس إلى جانب الأسلحة الفردية الأخرى مثل الخنجر والسيف ، وجعلوها سلاحاً شخصياً للجند ممن بدأ في السنة الخامسة من الخدمة العسكرية (4) . ومن الأمثلة على ذلك , قيام اثنى عشر غلاماً مستخدمين الدبابيس الخناجر في عملية قتل هرون بن التونتاش خوارزم شاه سنة 426هـ / 1034م (5) .

8 - الطبر .

نوع من الفؤوس ، يصنف ضمن الآلات الحربية القديمة (6) . أشار البيهقي (7) إلى استخدام الغزنويين لهذا النوع من السلاح في رحلات الصيد التي كثيراً ما كانوا يقومون بها . وكان السلطان مسعود الأول يتزود بطبر , أثناء رحلات الصيد التي قام بها ، كما شوهد سنة 421هـ / 1030م يصطاد بعض الأسود الشرسة ومعه طبر لضرب الفريسة .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 461 ، 490 ، 629 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 36 .

(2) مصدر سابق ، ص 689 .

(3) ابن الأزرق ، محمد بن علي بن محمد الغرناطي (ت 896هـ / 1490م) : بدائع السلك في طبائع الملك تحقيق علي سامي النشار ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1397هـ / 1977م ، ص 77 ؛ الخطيب : معجم المصطلحات التاريخية ، ص 73 .

(4) نظام الملك : سياست نامه ، ص 145 .

(5) البيهقي : مصدر سابق ، ص 500 .

(6) الصابىء : رسوم دار الخلافة ، ص 13 .

(7) مصدر سابق ، ص 132 .

المبحث الثاني
الأسلحة الجماعية

هي الأسلحة الهجومية الكبيرة والتي يتم عن طريقها إيقاع أكبر الخسائر في جانب العدو ، بصورة مباشرة منها , ويحتاج استخدامها لأكثر من فرد .

أولاً - الأسلحة الثقيلة .

1 - المنجنيق .

يجمع منجنيقات ومجانيق ومناجيق , وتطلق علية بعض المصادر القديمة اسم المقالع ، وهو اسم أعجمي لآله ترمي العدو بالحجارة الكبيرة ، ولها عدة أنواع (1) .

يعتبر المنجنيق أحد الأسلحة الهجومية الثقيلة ذات التأثير المباشر والكبير على العدو داخل حصونهم أو خلف أسواره ، وله تأثير كبير في قلوب الأعداء ، لما تسببه رمايته من تدمير في المنشآت ، ورمي تجمعات الجند , ويعتبر من الأسلحة الضرورية لإنهاء وحسم المعركة بأقصر وقت (2) .

تعد المجانيق من الآلات الحربية الكبيرة ، لهذا كان يلزمها أعداد كافية من جند الرماة ، ليقوموا بنصبها وإعدادها ، ووضع الحجارة والمقذوفات بداخلها ، وقذفها على الأهداف المعادية ، وقد عرف هؤلاء بالمنجنيقيين . أما المقذوفات والمرميات الحجرية المخصصة لها ، فكانت تجهز من قبل عناصر الفعلة (3) .

وبواسطة المجانيق تقذف كرات من النار أو النفط المشتعل ، بهدف إشعال النيران , ولإلحاق أكبر الخسائر بأسلحة ومعدات وذخائر وممتلكات العدو وجنوده (4) . وللمجانيق أنواع وأشكال مختلفة ، تتباين في تراكيبها , منها ذات صناعة عربية ومنها ما صنعه الأتراك (5) .

يتبين أن الغزنوين استخدموا المجانيق التركية أكثر من غيرها ، بحكم حبهم لجنسهم التركي من ناحية ، وكثرة الأتراك وقلة الأجناس الأخرى في الجيش من ناحية أخرى .

واستخدم الغزنويون أنواع كثيرة من المنجنيقات ، منها مخصص لرمي السهام والنبال ، ومنها ليرمي الحجارة الكبيرة لمسافات بعيدة ، بهدف تحطيم المنشآت الدفاعية المعادية ، كالأسوار والجدران العالية ، ويسمى هذا النوع من الآلات بالطرادة . برز دور المنجنيق في مواقع كثيرة خاض فيها الجيش الغزنوي حروب ومعارك في بلاد ما وراء النهر وخراسان وغيرها من أقاليم الدولة الغربية ، وأكثروا

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 2 ، ص 134 - 142
(2) الأنصاري : تفريج الكروب ، ص 92 .
(3) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 88 .
(4) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج 3 ، ق 2 ، ص 892 .
(5) الطرطوسي : تبصرة أرباب اللباب ، ص 16 .

من استخدامه في معارك بلاد الهند والسند والغور ، ربما يعود ذلك لكثرة انتشار الحصون والقلاع والمدن ذات الأسوار المحكمة بتلك الأصقاع (1) .

واتخذ الغزنويون المنجنيق كسلاح رادع في المعارك ، وخاصة أثناء ضربهم الحصار على المنشآت الدفاعية المعادية . ففي سنة 389هـ / 998م خاض جيش السلطان محمود بن سبكتكين معركة في بلاد الهند ، تخللها فرض الحصار ، ونصبوا المجانيق ، ودك القلاع , وكثفوا الرماية ، حتى هدمت أسوار القلعة . مما مكن جند الجيش الغزنوي من تسلق الأسوار ، والاستيلاء على القلعة ، والقبض على ملك الهند وإيداعه السجن ، وبقي فيها حتى مات (2) .

وللمجانيق فاعلية عالية في تدمير منشآت وتحصينات العدو ، فكان سلاطين غزنة وقادتهم العسكريين يصدروا أوامرهم للمنجنيقيين ، بالإسراع بنصب المجانيق لدك المدن المحاصرة ، وتحصيناتها الدفاعية المختلفة .

تمكن جيش السلطان من القضاء على قبائل الغور والأفغانية في الحرب التي خاضها مع الغوريين سنة 411هـ /1020م ، وعندما أظهر الغوريون بسالة فائقة أمام هجمات الغزنويين ، عمل محمود على إصدار أوامره للجيش ، بمحاصرة قلاع الغور من الجهات الأربعة .

وظل المنجنيقيون طوال الليل يعملون على نصب المنجانيق ، ثم بدأت بدك المتحصنين بالحجارة في صبيحة اليوم التالي ، حتى سقط الجدار الأعظم ، نتيجة الضرب المتواصل ، فتصاعد الغبار والدخان ، واشتعلت النار فيه ، وأصيب سور القلعة بخلخلة ، تمكن بعدها الجيش من السيطرة على القلعة ، فدان أهل الغور للسلطان بالولاء والطاعة (3) .

وسبق وأن بينت دور المجانيق في حسم المعارك التي خاضها الغزنويون في معرض دراستي لموضوع قطاع المنجنيقيين في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

2 - الدبابة .

تجمع دبابات ، هي شبه برج متحرك من الخشب الصلب السميك المغلق باللبود والجلود المنقوعة في الخل ، مثبت على قاعدة خشبية لها عجلات . ولـه أحياناً أربعة أدوار ، أولها : من الخشب وثانيها : من الرصاص ، وثالثها : من الحديد ورابعها: من النحاس الأصفر . يصعد إلى طبقاته الجنود لمهاجمة الحصون ، وتسلق الأسوار المعادية ، واتخذها النقابون درعاً يقيهم السهام والحجارة ، ثم يتم نقب السور بواسطة رأس الكبش (4) .

والدبابة آله حربية هجومية ، تستخدم لدك المنشآت العسكرية مثل القلاع والحصون والأسوار ، وهي ذات شكل مربع , سقفها من الخشب الصلب ، وأحيانا لا يوجد لها قاعدة ، تركب على أربع عجلات أو أكثر ، وتسير عن طريق دفعها باتجاه

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 123 - 124 .
(2) الهمذاني : جامع التواريخ ، ج 2 ، ص 361 .
(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 123 - 124 ؛ الجنابي : تنظيمات الجيش قي العصر العباسي ، ص 38 .
(4) الجاحظ : البيان والتبين ، ج 3 / 93 ؛ المقريزي : السلوك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 59 .

الخارج أو دفعها من قبل الرجال الموجودين في داخلها فتلتصق بالسور ، ويقوم الجنود الذين بداخلها بنقضه ، وإحداث فجوة فيه عن طريق آلات حديدية (1) .

لم تزودنا المصادر بمادة توضيح دور هذه الآلة الحربية المهمة في حسم المعارك في العصر الغزنوي ، رغم اجتياح الجيوش الغزنوية لمساحات كبيرة من البلدان المجاورة لها في الغرب والشرق ، فيها الكثير من المنشات العسكرية الدفاعية كالقلاع والحصون والأسوار .

لكن البيهقي (2) أشار إلى استخدم الجيش الغزنوي للدبابات في المعارك التي تحتاج لمثل هذا السلاح ، حيث أشار إلى أن بوقى مات في الثالثة والتسعين من العمر ، وقد قال عنه : " ومن عجب أن يموت هذا الرجل وهو في الثالثة والتسعين من عمره على فراشه ، وقد سار آلاف الفراسخ جلها مع السلطان محمود في الهند ، وكان رجلاً كاملاً ، وقد رايته يشترك في دك القلاع ، وقد أثخن بالجراح من الحجارة وغيرها " .

3 - العرادة .

تصنف العرادات ضمن الآلات الحربية الثقيلة ، وهي كالمنجنيق في هندسته واستعماله ، وقد عُدَّت من أنواع المجانيق ، لكنها أصغر حجماً (3) ويرمى بها الحجارة والسهام إلى مسافات بعيدة ، ويمكن وضعها في السفن الحربية كالحراقة التي تتميز عن غيرها من المجانيق , بأنها تُجَر أو تحمل على الجمال (4) .

فقد دكت العرادات والمجانيق سنة 387هـ / 997م أحد حصون غرشتان حتى هدمت أسواره ، وهرب المدافعون عن أعلى الأسوار ، تمكن بعدها جند الجيش الغزنوي من دخول الحصن ، وإلقاء القبض على حاكمه الشاه شار الذي رفض تنفيذ أوامر السلطان محمود القاضية ، بإرسال قوات لمساعدته بغزو الهند (5) .

واجبرت العرادات قوات أوكار قائد جيش علي تكين على الانسحاب من حصار قلعة مدينة ترمذ سنة 426هـ / 1034م ، بعد أن أوعز أمراء الجيش الغزنوي المرابط في قلعة ترمذ لأبو نصر وأبو الحسن خلف ، بإعطاء غوري مسؤول العرادة في القلعة , خمسين ديناراً وكسائين إذا تمكن من رد أوكار عنهما فأعد غوري حجراً زنة ستة أمنان ، وسحب حبال العرادة ، فأصيب أوكار ومات على الفور ، فارتفع ضجيج جيشه ، وأنسحب أبناء علي تكين مع قواتهم سمرقند (6) .

---

(1) الخطيب : المصطلحات والألقاب التاريخية ، ص 163 ؛ دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص 73 ؛ زكي : السلاح في الإسلام ، ص 24 .
(2) تاريخ البيهقي ، ص 483 .
(3) الجاحظ : البيان والتبين ، ج 3 ، ص 17 ؛ المقريزي : السلوك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 62 ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج 3 ، ص 288 (مادة عرد) .
(4) الخطيب : مرجع سابق ، ص 319 .
(5) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 141 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 196 - 197 .
(6) أمنان : جمع مفردها مَنٌّ ، وهو كيل أو ميزان . ابن منظور : لسان العرب , ج 8 , ص 377 (مادة منا) .
(7) البيهقي : مصدر سابق ، ص 496 ، 498 .

4 - السلالم .

تصنع من الخشب ، وتكون عريضة وعالية , تلصق على أسوار المدن والقلاع والحصون ، لتمكين الجنود من التسلق , والصعود على أعلى الأسوار لبمشاغلة العدو , وفتح أبواب الحصون (1) .

تعتبر السلالم من الأسلحة الهجومية الثقيلة التي استخدمها الغزنويين في المعارك التي دارت في مناطق ذات قلاع وحصون ، أو خلال حصارهم لمدن محكمة بالمنشآت الدفاعية والأسوار . فقد تمكن الجيش الغزنوي من نصب السلالم على سور حصن سومنات* الحصين سنة 416هـ / 1025م ، مما سهل على جند السلطان من الصعود عليها ، والدخول بقتال ضاري مع القوات الهنودية المدفعة عن الحصن ، وفي اليوم الثاني من المعركة ، بكر الغزنويون القتال حتى قتلوا من الهنود أعداد كبيرة ، وترك السالم منهم المدينة هارباً (2) .

ولم يقتصر اعتماد الغزنويين على الصعود للأسوار على السلالم , بل استخدموا أسلوب أخر لهذه الغاية . فصنعوا حبالاً من الأوهاق لتسلق الحصون والقلاع ، وهذا ما فعله السلطان محمود مع قبائل الغور الأفغانية سنة 421هـ / 1030م قال البيهقي (3) : " وطفق المشاة يتسلقون جدران الحصن ، بحبال الأوهاق وقَتَلوا مَقْتَلَة عظيمة ، وهزموا أولئك اللئام ، وقتلوا خلقاً كثيراً ، وأسروا عدداً كبيراً واستولوا على أموال ، وغنائم مختلفة من كل شيء " .

ثانياً : الأسلحة النارية .

1 - النفط .

مادة سائلة سريعة الاحتراق ، توقد بها النار ، ويتداوى بها ، واستعملت بالحروب ، منها مادة القار وتقذف مشتعلة على الأعداء ضمن قارورة ، وبهذه الطريقة تصبح قذائف مادتها الأساسية النفط . والنفط مزيج من مواد ملتهبة كاللاترج والكبريت ، والنورة والسندروس ، والمصفكي وغير ذلك . ويرمى النفط بعدة طرق منها : يرمى بالنفاطة (الزراقة) ، ومنها : ما يرمى بالنشاب والقوارير أو بالمجانيق وغير ذلك (4) .

---

(1) مجهول : خزانة السلاح ، ص 72 .

* سومُنَات : مدينة ساحلية واسعة اسمها مكون من كلمتين ، سُمْ أو سوم ، وتعني القمر ، وناث تعني رب أو صاحب ، معبود أو إله ، أو سيد ، رب القمر ، صاحب القمر ، سيد القمر ، معبود القمر . وسومنات مدينة متسعة بها علماء الهنود وعبادهم ، والصنم المسمى بها ، صورته احليل إنسان وفرج امرأة ، مصنوعان من حجر أو من ذهب أو من حديد ، عند طائفة منهم يسمون ذلك العلة في اتحاد نوع الإنسان ، ويكون على كرسي من ذهب, وهو مضمخ بالمسك من رأسه إلى الكرسي ، ومقلدة بعقود الياقوت والجوهر ، ويكون أمامه أطباق ذهب مملوءة من الأحجار الشريفة الثمينة على مقعد مستدير ، يسع عشرة رجال . الفردوسي ، أبو القاسم الفردوسي (ت بين 411 - 416هـ / 1019 - 1025م) : الشاهنامة ، ترجمة عبد الوهاب عزام ، القاهرة ، 1350هـ / 1932م ص 342 ؛ القزويني : آثار البلاد ، ص 95 - 96 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 321 .

(3) تاريخ البيهقي ، ص 120 .

(4) الهروي : التذكرة الهروية ، ص 85 ، 105 ، 114 ؛ هندي : الحياة العسكرية عند العرب ، ص 85 ؛
Lambton : The internal structure , p . 229 .

وأحياناً تقذف قوارير النفط , بواسطة اليد أو الأقواس أو المقالع ، أو يوضع لها سلك يشعلها الضارب ، ثم يرمي بها فتتكسر فتشتعل النيران بالهدف ، وترمى على الأهداف الثابتة والمتحركة ، كما ترمى على الأشخاص بغض النظر عن عددهم . وتستعمل قوارير النفط بحالتي الدفاع والهجوم ، وفي القتال البري والنهري والبحري ، وهي شبيهه لحد ما بقنابل الزجاج اليدوية (1) .

ترمى قنابل النفط من قبل أشخاص مختصين ، يسموا بالزراقين أو النفاطين ويرتدي هؤلاء ثياب خاصة غير قابل للاشتعال ، يطلق عليه اسم لباس النفاطين (2) .

أثبتت قنابل النفط إيجابيتها في المعارك فأصدر السلطان محمود سنة 399هـ / 1008م أوامره لرماة السهام برشق قوات آنندبال ملك مدينة بهيم نغر ، وفيلته بوابل من السهام الملتهبة بالنفط ، فأحدثت أصوات أشبه بالانفجار ، أدت إلى تخفيف حدة هجوم آنندبال ، وارتباك فيلته ، وتهيأت الفرصة لتحقيق النصر .

ولما رأى السلطان ظهور ما أحدثه رماية النفط من نتائج ايجابية ، شدد على الرماة برشق فيلة العدو بالمزيد من السهام النفطية ، فارتاع فيل آنندبال من انفجار النيران الملتهبة ، وأصبح جامحاً عصي السير باتجاه المعركة ، وارتد على عقبه هارباً ، فتبعته بقية الفيلة ، وظنت عناصر جيشه أن خروج آنندبال بفيلته من ميدان القتال علامة للهزيمة ، فتركوا القتال ولحقوا به ، فوقعت الهزيمة بصفوفهم وتحقيق النصر للمسلمين (3) .

وفي معركة تانيشر سنة 402هـ / 1011م , أصدر السلطان محمود أوامره لقطاع الرماة , برشق العدو بالسهام الملتهبة بالنفط ، لتصيب فيلة الهنود في وجوهها وعيونها ، وتولى السلطان بنفسه قيادة الهجوم الرئيسي والكاسح ضد المواقع الهندية فاهتزت صفوف الجيشين المتحاربين ، واشتركت جميع القطاعات بالقتال ، وكان للسهام الحاملة للنفط تأثيرها المباشر على تغير مصير نتائج المعركة ، فقد أخذت فيلة الهنود تجمح ، وأصبحت قيادتها عصية ، ولم يعد لسايسيها مقدرة على السيطرة عليها ، فارتدت على أعقابها ، وهزم الهنود ، وتحقق النصر للجيش الغزنوي (4) .

وقام الرماة التركمانيون بالتصدي لفيلة الهنود الحربية في معركة ناردين سنة 404هـ / 1013م ، برميها بسهام ملتهبة بالنفط ، حتى تمكنت من كسر مقدمتها وأجبرتها على الارتداد للخلف ، فتهيأت الفرصة للسلطان محمود بالقيام ببقية قطاعات الجيش بهجوم معاكس على الهنود ، وضرب قواته ميمنة وميسرة ، وبعد عدة ساعات تحقق له النصر ، والتجاء الهنود للتحصن بقلعة ناردين ، فاضطر السلطان لضرب الحصار حولها حتى استسلم من بها (5) .

وقبل قيام السلطان محمود بهجومه الكاسح في اليوم الثاني من معركة معبد سومنات على القوات المدافعة عن قلعته سنة 416هـ / 1025م ، كانت قوة سلاح

---

(1) مجهول : خزانة السلاح ، ص 69 ؛ ثابت : الجندية في الدولة العباسية ، ص 148 - 149 .

(2) الهروي : التذكرة الهروية ، ص 81 ؛ هندي : الحياة العسكرية عند العرب ، ص 67 .

(3) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 154 - 155 ؛ خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 378 .

(4) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ،ص 393 - 395 .

(5) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 81 ، ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 271 .

الرماة منبعثة باتجاه مواقع الهنود ، بسهام نفطية ملتهبة ، أدت لإجلاء المدافعين عن الأسوار ، فتهيأت الفرصة للسلطان ، بتنفيذ المرحلة اللاحقة من خطته الحربية بشن هجومه على المدافعين ، فصعدت عناصر جيش السلطان إلي المواقع العليا من أسوار القلعة ، ثم دخل في معركة مواجهة مع الهنود داخل الأسوار ، أسفر عنها السيطرة التامة على القوات المعادية ، وتحقيق النصر (1) .

وحققت قذائف النفط التي قذفت على قوات قبائل الجات في المعركة التي جرت في مياه نهر وادي السند السفلي , أثناء حملة السلطان محمود السابعة عشرة على بلاد الهند والسند سنة 418هـ / 1027م نتائج ايجابية ، وذكر الكرديزي (2) بأن كل قذيفة كانت في غاية القوة والحدة ، لدرجة أنه كان يقذف على كل صوب بتلك القذائف ، وكان إذا أصيب شيء بها ولو كان قوياً ، تحطمه وتمزقه وتحيله هباءً منثوراً , واستمر النفاطون بقذف العدو بالقذائف الملتهبة ، حتى حسمت المعركة وتم النصر لجيش السلطان .

2 - الزواريق (الزراقات) .

وتسمى النفاطات* ، وكانت الزواريق السلاح الرئيسي في الحروب النهرية التي خاضها الجيش الغزنوي ، فقد أمر السلطان محمود سنة 418هـ / 1027م بتزويد كل قارب أو سفينة بثلاث قاذفات نفط قبل البدء بالمعركة التي خاضها ضد قبائل الجات .

وإذا علمنا أن الأسطول البحري الغزنوي ، بلغ ألف وأربعمائة قطعة بحرية , ما بين زورق وسفينة , يتضح لدينا أن عدد قاذفات النفط التي استخدمتها البحرية الغزنوية في هذه المعركة بلغ أربعة ألاف ومائتان قاذف ، وبهذا يكون الغزنويون برعوا في استخدام هذا السلاح على أكمل وجه ، إذ فتكوا بمقاتلي العدو فتكاً ذريعاً ، بالنفط المحرق المنصب عليهم من قاذفات السفن والقوارب ، فكانت تحرق كل ما تقع عليه مما جعل قوات الجات تهرب من خلال مياه المعركة باتجاه اليابسة ، فردتهم القوات البرية الغزنوية على أعقابهم ليواجهوا نيران القاذفات مرة أخرى ، وهكذا استمرت المعركة حتى انتهت بهزيمة ساحقة لقوات العدو (3) .

3 - النار .

استخدم الجيش الغزنوي النار كسلاحاً ضد أعدائهم في ميادين القتال التي تسمح لهم بذلك . فقد استخدمت النار من قبل مختلف قطاعات الجيش الغزنـــوي سنة

---

(1) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 428 - 429 ؛ ويلر : الهند تحت الحكم الإسلامي ، ج 1 ، ص 35 - 36 .
(2) زين الأخبار ، ج 2 ، ص 96 - 97 ، 100 .
* النفاطات : جمع , مفردها نفاطة ، وهي أدوات تعمل من النحاس ، يرمى فيها النفط والنار . الهروي التذكرة الهروية ، ص 81 ، 99 ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج 7 ، ص 471 ؛ ثابت : الحياة العسكرية عند العرب
ص 128 .
(3) البيروني : مصدر سابق ، ص 16 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 35 ؛
. Ikram : History of muslim civilization in India and Pakistan , p . 16

396هـ/1006م ، أثنـاء اجتياحهم لأراضي مملكة شمال الهند ، ومطاردتهم لملكها راجا آنندبال بعد هروبه من مدينة ناندان ((Nandan)) ، فاستخدم جند السلطان اسلوب إشعال النيران في الأماكن التي اعتقدوا أن آنندبال مختبئ فيها ، كما أشعلوا النار في بعض المدن والقرى التي وجدوا فيها مقاومة عنيفة ، واستمروا باستخدام النار حتى مدينة سودرا ((Sudra))* كل ذلك حدث بسبب رفض راجا آنندبال السماح للسلطان بالعبور من أراضيه لمقاتلة قرامطة الملتان (1) .

ثالثاً : اللباس الحربي .

هي الأسلحة الدفاعية الوقائية ، يلبسها المقاتل لتحميه من ضربات السيوف أثناء القتال ، ومن طعن الرماح وتأثير السهام ، ويمكن القول بأنها كل ما يتوفر للمقاتل من عدة يحمله أو يلبسها لتقية ضربات أسلحة العدو ، يمكن التعرف على اللباس الحربي للجندي الغزنوي ، من خلال استعراض السلاطين للجيوش في الميدان ، بالإضافة للمعارك التي خاضها الجيش الغزنوي في مختلف الأقاليم الداخلية منها والخارجية (2) .

وقبل البدء بوصف وتفاصيل أنواع الأسلحة الدفاعية العسكرية كل على حده وجدت من الضروري , توضيح ما ورد ببعض المصادر من روايات توضح اللباس الحربي العسكري الكامل لعناصر الجيش على اختلاف رتبهم .

فقد ارتديت الدروع , وحملت السيوف والأقواس والحراب من قبل حرس خيمة الأمير سبكتكين ، أثناء إقامته في نواحي بست ، وذلك عند مشاهدتهم رجل ظنوا أنـه قادم لعمل شيء خطير ، لكن الأمير شاهد الرجل وأمر الحرس بعدم التعرض له بسوء ، وتبين أنه جاء للأمير لتقديم مظلمة عن أحد فيّالة الجيش .

ويعطي البيهقي (3) وصفاً عن لباس غلمان السراي , أثناء مشاهدته اصطفافهم لاستعراضهم من قبل أبو بكر السليماني رسول الخليفة العباسي القائم بأمر الله سنة 422هـ / 1030م بقوله : " وقف أربعة آلاف من غلمان السراي في صفين من جهة القصر مقسمين إلى عدة كتائب ، ألفان منهم بقبعات ذات ركنيين ومناطق ثمينة, وبيد كل غلام دبوس فضي ، وألفان آخران بقبعات ذات أربعة أشرطة ، وقد شَدَ الكل إلى وسطه المنطقة , وكنانة الأسهم ، وجعبة الأقواس ، وبيد كل غلام قوس وثلاثة سهام وكلهم يرتدون أقبية من الديباج التستري* . كما وقف ثلاثمائة من خاصة عند

---

* سودرا : هي وزير آباد ، تقع على الناحية اليسرى من نهر جناب ، على بعد خمسون ميلاً شمال مدينة لاهور الحالية . ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 228 ؛ ناظم : زمن السلطان ، ص 89 .

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 75 ؛ ابن دحية ، أبو الخطاب عمر بن أبي علي بن حسن بن علي البلنسي
(ت 633هـ / 1235م) : النبراس في تاريخ بني العباس ، صححه عباس العزاوي ، مطبعة المعارف ، بغداد 1946م ، ص 129 - 134 .

(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 127 .

(3) تاريخ البيهقي ، ص 316 - 317 ، 480 - 481 .

* التُستري : نسبة إلى تُستر أعظم مدينة بخوزستان ، وهي قصبة الأهواز ، اشتهرت بعمل الثياب والعمائم الفائقة الصنع . ومنها يجلب أنواع الديباج والحرير والخز والستور والبسط والفرش . وفي الجانب الغربي من بغداد بين

دجلة وباب البصرة ، محلة سكنها أهل تُستر ، واشتهرت بها الثياب التسترية . الحموي : معجم البلدان ج 2 ، ص 29 - 31 .

الغلمان عند ممرات البهو ، مما يلي مجلس السلطان , بألبسة أفخر وقبعات ذات ركنين ومناطق ذهبية ، ودبابيس من الذهب ، وكان عدد منهم يتمنطق بالأحزمة المرصعة بالجواهر . وأقاموا خمسين أو ستين جندياً من المدرعين على الباب وسط سراي الديالمة ، حيث كان أصحاب الرتب ، وأكابر رجال القصر , والولاة والحجاب بمناطقهم الذهبية ، وقبعاتهم ذات الركنين ، وقد وقف على باب القصر جماعة أخرون من أصحاب الرتب ، وأوقفوا عدداً من الفيلة ، واصطف الجنود بأسلحتهم في صفين بلاماتهم والبستهم الحريرية المختلفة الألوان " . والهدف من تقسيم غلمان السراي إلى كتائب عدة ، لتمثل كل كتيبة قطاع معين من الجيش ، ويتم كل ذلك حسب النظم والرسوم المتبعة .

ورسم البيهقي (1) صورة أخرى , وقف فيها اللباس الحربي للجندي الغزنوي , بأنه وأثناء توجه السلطان مسعود الأول لمرج شابهار قرب غزنة سنة 423هـ / 1031م كان معه موكب وصف بأنه حافل ، فيه الفيلة والجنائب ، منها ثلاثون جواداً بالسروج المرصعة بالجواهر والفيروز والطرائف الأخرى . فضلاً عن ثلاثمائة من الغلمان يرتدون حللاً من الديباج الرومي موشاة بالذهب والفضة وأقبية صقلبية ، وخمسون أخرى من النجائب بسروج بالذهب .

وكان يمشي في المقدمة غلمان السراي ، والكل يحمل السهام والأقواس ، وبيد كل وأحد منهم عمود من الذهب والفضة ، وألف جندي يلبسون الدروع .أما سبب توجه مسعود لمرج شابهار ، فكان لتوديع جيش غزنوي تقرر إرساله لخراسان والعراق بقيادة تاش فراش ، وأول ما ظهر من قطاعات جيش تاش الحاجب الجامة دار يارق تغمش في أبهة فائقة ، وبعد أن أدى التحية ومر برجاله من أمام السلطان جاء على أثره ثلاثة من مقدمي الجيش المحمودي , متمنطقين بالأحزمة الذهبية وسبعة آخرون بالمناطق الفضية . وفيما يلي عرض لأهم قطع اللباس الحربي لجند الجيش الغزنوي على اختلاف رتبهم .

1 - الدرع .

تجمع دروع ، ثوب منسوج من الحديد أو من القرن أو الجلود ، يغطي الجسم من الرقبة إلى اليدين والساقين ، يلبس على الثوب ، ويعتبر أحد أهم الأسلحة الوقائية للمقاتل من ضربات سيوف وسهام العدو ، وبعض الدروع عبارة عن صدر لا ظهر له (2) . وللدرع أسماء عديدة منها دملاص : وهو الدرع البراق ، ودحاس : أي الدرع متقارب الحلق ، ودومة ذائلة : هو الطويل الذيل وغيره (3) .

توجه السلطان محمود إلى بلاد الغور سنة 411هـ / 1020م , وفي الطريق نزل للاستراحة في مكان يعرف باسم باغ وزير بيرون ، عمل خلالها على استمالة

---

(1) تاريخ البيهقي ، ص 308 .
(2) الطرطوسي : تبصرة أرباب الألباب ، ص 12 ، 14 ؛ مجهول : خزانة السلاح ، ص 60 .

(3) النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ / 1332م) : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1959م ، ج 6 ، ص 241 - 243 القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 2 ، ص 135 .

أبو الحسن بن خلف* ، وتعبيراً عن نواياه الحسنة اتجاه السلطان قدم له هدايا من ضمنها دروع .

ولأهمية الدروع , كانت تقدم هدايا للسلاطين والملوك . فلما توجه السلطان محمود سنة 411هـ / 1020م لقتال أهل الغور، أقام فيها أيام عدة , وقدمت له هدايا من بينها دروع ولأمات* , ومعدات حربية من صناعة أهل الغور , ثم انضم إليهم أحد مقدمي حدود بلاد الغور يدعى شيروان ، ومعه فرسان ورجالة كثيرة ، وكان شيروان قد حمل معه هدايا مختلفة للسلطان من ضمنها عدد كبير من الدروع .

كان الغزنويون شديدي الحرص على ارتداء الدروع من قبل الجند للحفاظ على أرواحهم ، لهذا حرص السلطان مسعود الأول على سلامة جنوده في معركة عليا أباد سنة 429هـ / 1037م ، وطلب من بكتغدى قائد غلمان السراي أن يمده بألف من خيرة الفرسان المدرعين ، فالتف حوله مقاتلين من مختلف أصناف الجند ، ثم قادهم وحمل بنفسه على الأعداء ، وبعد أن توقف السلطان , حمل الغلمان المدرعين على الأعداء حملة شعواء ، فولى السلاجقة منهزمين . وأشارت بعض الروايات التاريخية إلى ارتداء الجند الدروع العريضة في المعارك , ومنها معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م .

وأثناء عملية انتشار القطاعات في أرض المعركة ، طلب بكتغدى من مسعود أن يبعث له على الفور بألف غلام شجاع من المدرعين , لتعزيز مواقع الكمائن التي أعدها ، ليتمكن من القيام بعملية هجوم على المواقع الخلفية للسلاجقة ، فأجابه السلطان بالرفض قائلاً : " فإن العالم كله لا يستطيع أن يزعزع هذا القلب ، وقد جاء الأعداء وعجزوا ، وإن ميمنتنا وميسرتنا في أماكنها " (1) .

ونصت التعليمات العسكرية الغزنوية , بأن يكون الأمراء وحرسهم مدرعين أثناء تقديم الخدمة في بلاط السلطان . فمثلاً كان ارياروق قائد جيوش الهند يحضر لبلاط السلطان يمين الدولة محمود ، وبصحبته القائد أشفتكين الغازي ومعهم زمرة من المقدمين والجنود المدرعين، لتقديم مراسم الخدمة في الحضرة السلطانية . ولما كانت الرسوم الغزنوية لا تسمح لعناصر المواكب العسكرية بالظهور إلا بالزي العسكري الكامل ، فقد ظهرت عناصر جيش ولايتي بلخ وسمنجان* سنة 421هـ / 1030م ، بالدروع الفضية والذهبية أثناء تقدم موكبهم مع القائد غازي أشفتكين إلى الدركاة السلطانية , لتقديم الخدمة للسلطان مسعود (2) .

---

* أبو الحسن خلف : يقال له أبو العباس ، من أبرز مقدمي الغور ، استماله السلطان محمود سنة 411هـ / 1020م ومعه جيش قوامه ثلاثة آلاف من الرجالة المجهزين بالمعدات والأسلحة ، وأصبح ضمن جيشه. أسندت إليه مهمة سجن أرياروق في إحدى قلاع بلاده . البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 119 ، 124 ، 249 ، 700 .

* لأمات : وتجمع أيضاً لُؤَم ، مفردها لأمة . وهي الدرع . يقال : الرجل لبس اللأمة . وقيل : اللأمة السلاح ولامة الحرب أداتها . ويقال للسيف لأمة وللرمح لأمة . وسميت لأمة لأنها تلائم الجسد وتلازمه . ابن منظور : لسان العرب ، ج 12 ، ص 212 - 213 .

(1) البيهقي : مصدر سابق ، ص 120 ، 622 ، 629 - 630 .

* سمنجان : بلدة من طخارستان ، وراء بلخ وبغلان ، تسكنها طائفة من عرب تميم . منها إلى بلخ سبعة أيام ومن سمنجان إلى أندرابه خمسة أيام . الحموي : معجم البلدان ، ج 3 ، ص 257 .
(2) البيهقي : مصدر سابق ، ص 146، 238 .

2 - الجوشن .

تجمع جواشن ، وأصلها كلمة فارسية . وهى ألواح صغار من الحديد أو الحديد الممزوج بمسحوق القرن أو الجلود المكسية بالثياب ، ويكون أحياناً من الجلد .
ويلبس حول الجزء الأوسط من الجسم , فوق الثياب ، والجوشن بالنسبة للدرع الكامل هو الجزء الذي يقي الصدر مع الظهر أو الصدر فقط ، ومنها أجزاء أخرى تقي الساعدين والساقين والكفين ولكل منها اسم مخصوص (1) .

اهتم سلاطين غزنة بسلامة جندهم في الحروب . فقد أكد السلطان مسعود بن محمود على جميع الجنود ، بارتداء الجواشن والاستعداد لخوض معركة ناتل ضد الجرجانيين سنة 426هـ / 1034م . وقد شاهد البيهقي (2) بأم عينيه الجند يرتدون الجواشن أثناء عرض القطاعات العسكرية في ميدان باغ فيروزي قرب غزنة سنة 432هـ / 1040م .

3 - الترس .

يجمع تراس واتراس وتروس ، يقال رجل تراس ، أي صانع التروس، وتارس أي ذو ترس (3) . والترس هو صفحة من الفولاذ أو من الحديد أو من الخشب أو الجلود أو الخيزران ، ومنهم من يتخذها من الخشب المغطى بجلد الإبل ، وتسمى بهذه الحالة بالدرقة أو المجف .

ومن أسمائه المجن والجنة ، والستارة والفقع والصنبور ، ويطلق على الترس أسماء حسب مناطق صناعته ، لأن لكل بلد طرازاً خاصاً بها . مثل الترس العراقي والدمشقي والغرناطي وغيره . وللترس أشكال مختلفة ، منه المستدير والمسطح والمقبب ، يحمل في اليد للوقاية من ضربات أسلحة العدو (1) . ويعد الترس أحد الآلات الحربية الدفاعية ، وهو بمثابة حصن صغير متحرك بيد المقاتل ، يستتر خلفه الفارس أو الراجل .

استخدم جند الجيش الغزنوي التروس بشكل دائم أثناء القتال ، ورغم إغفال المصادر لذكر الترس ، إلا أنه كان لا مفر من استخدامه ، فقد أستخدمت التروس للوقاية من ضربات جيش أيلك خان سنة 395هـ / 1004م . وكان الجيش الذي استعرض السلطان محمود أثناء إقامة مراسم استقبال رسل أيلك خان سنة 402هـ / 1011م ، مرتب ومنظم ، وجعلوا الرجالة أمام الفرسان مرتدين التروس الواقية (2) .

---

(1) المقريزي : السلوك ، ج 1 ، ق 2 ، ص 563 ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج 13 ، ص 105 (مادة جشن) .
(2) تاريخ البيهقي ، ص 423 ، 489 .
(3) ابن منظور : مصدر سابق ، ج 6 ، ص 32 (مادة ترس) ؛ زيدان : تاريخ التمدن ، ج 1 ، 195 .
(4) النويري : نهاية الأرب ، ج 6 ، ص 239 - 240 ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 2 ، ص 136 .
(5) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 78 ، 130 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 231 ، 259 .
. ikram : History of muslim civilization in India and Pakistan , p . 26 – 27

ودخلت رجالة الجيش الغزنوي معركة ناتل سنة 426هـ / 1034م ، بكامل الأسلحة والمعدات الحربية اللأزمة من ضمنها التروس . ولم يتمكن رجالة الجيش من اقتحام إحدى قناطر ناتل ، والسيطرة عليها إلا بعد أن حملوا التروس ، وهاجموا الأعداء بالحراب والأقواس (1) .

4 - الخوذة والمغفر .

الخوذة والمغفر من مكملات الأسلحة الدفاعية للمقاتل ، أثناء صولته على العدو ، وتصنع من الحديد وبقطعة واحدة ، ويلبس تحتها المغفر المصنوع من الحديد أيضا ، ويغطي به وجهه ورقبته (2) ، وكلاهما لباس لحماية الرأس .

5 - الشارات .

مفردها شارة ، والشارة رنك , والرنك كلمة فارسية بمعنى اللون (3) . وتعد الشارات من مكملات اللباس العسكري لمنتسبي قطاعات الجيش ، والشارة رسم معين, يحملها الجندي للدلالة على صنف القطاع العسكري الذي ينتسب إليه .

زودنا البيهقي (4) بمعلومة تشير إلى استعمال الشارات , والعلامات للجنود الغزنويين , أثناء إقامة مراسم استعراض السلطان مسعود الأول , لجيش خراسان سنة 421هـ / 1030م ، وعندما ظهرت الجنائب بكامل أسلحتها ودروعها ، برزت معها الجنود بالعلامات والمطارد .

ومن الشارات التي حملتها بعض جنود المؤسسة الجيش الغزنوي شارات الأسد ، وحملة هذه الشارات رآهم البيهقي (5) بأم عينيه أثناء وجوده في معركة دندانقان سنة 431 هـ / 1039 م ، وجاء ذكره لهم في معرض حديثه عن خيانة بعض عناصر الجيش للسلطان مسعود الأول ، ممن يحملون هذه الشارات ، وقد قال : " وفجأة انضم ثلاثمائة وسبعون غلام من أصحاب شارات الأسد إلى التركمان ... " .

يتضح أن سلاطين غزنة , اهتموا بالمحافظة على حياة الجندي ، ووفروا له كل ما يلزمه من أسلحة قتالية ، ولباس حربي يقيه ضربات أسلحة العدو ، وخصصوا لكل قطاع شارة خاصة به ، لتميز منتسبي القطاعات عن بعضهم البعض .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 490 .
(2) زكي : السلاح في الإسلام ، ص 23 ، 26 - 27 .
(3) المقريزي : السلوك ، ج 1 ، ص 672 ؛ إبراهيم ، علي : دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، القاهرة 1948 ، ص 196 ؛ احمد : " الرنوك على عصر سلاطين المماليك " ، ص 67 .
(4) مصدر سابق ، ص 26 .
(5) المصدر نفسه ، ص 688 .

رابعاً : ـ مصادر الأسلحة .

تعددت مصادر الأسلحة وأنواعها في العصر الغزنوي ، وحرصوا على توفيرها بمختلف الوسائل السلمية منها والحربية . ونتعرف فيما يلي على أهم مصادر أسلحة الجيش الغزنوي .

1 ـ الصناعة .

اعتمد الغزنويون على صناعة الأسلحة , ومعدات القتال ، كأحد أهم مصادر التزويد بالأسلحة الحربية المختلفة . وساعدهم على ذلك أن بلاد فارس كانت في ذلك الوقت أكبر مركز لصناعة الحديد واستخراجه ، تليها مُكران وكابل وغزنة (1) وفرغانة (2) .

وامتازت بلاد خراسان بثروتها المعدنية ، أهمها النحاس والحديد والفضة والفيروزج وإن كان فيه شيء من البلور غير صافي ، وكان الفيروزج الأزرق لا يوجد إلا في نيسابور. وكان الغزنويين قد اتجهوا بفتوحاتهم صوب بلاد الهند والسند التي اشتهرت بإنتاج وصناعة كافة أنواع الأسلحة ، ومنها السيوف الهندية الخاصة التي شاع استخدامها في العالم العربي والإسلامي (3) .

قال الجاحظ : " ولهم السيوف القلعية* وهم ألْعَبُ الناس بها ، وأحْذقُهم ضرباً بها " (4) . والسيوف البيلمانية* من أشهر السيوف التي مهر الهنود بصناعتها فكانوا أفضل من غيرهم من الأمم بهذه الصناعة . ولا بد وأن السلاطين الغزنويين , عملوا على تطوير الصناعات التي كانت معروفة في البلاد التي دخلوها وسيطروا عليها ، ومنها بلاد السند والهند . وذلك بفضل عنايتهم واهتمامهم بهذا الصناعة المهمة والضرورية لتفوق مؤسستهم العسكرية ، ولما يعود عليهم بالنفع والتقدم . قال القلقشندي (5) : " من أرباب الصنائع بتلك البلاد صنّاع السيوف والقسيّ والرماح والزرد وسائر أنواع الأسلحة " . بالإضافة لبعض الآلات والأدوات الحربية التي كانت معروفة ، وتقدمت في فترة الحكم العربي الإسلامي .

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 214 ، 362 ، 450 .

* فرغانة : مدينة وكورة واسعة في بلاد ما وراء النهر ، متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيطل من جهة الشرق ، على يمين القاصد لبلاد الترك . بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً . الحموي : معجم البلدان ، ج 4 ص 253 .

(2) ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 432 ؛ الثعالبي ، أبو منصور عبد الجليل الثعالبي (ت 429هـ / 1037م) : لطائف المعارف ، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن الصيرفي ، ص 115 .

* نسبة إلي قلعة في مدينة كله من بلاد الهند ، تضرب بها السيوف القلعية . وكله مدينة عظيمة ومنيعة وعالية الأسوار ، بينها وبين الصين ثلاثمائة فرسخ ، وبها مقر اجتماع البراهمة حكماء الهند . الجاحظ : الرسائل السياسية ، ص 80 .

(3) القزويني : آثار البلاد ، ص 105 ـ 106 ؛ جمال الدين : التاريخ والحضارة الإسلامية ، ص 203 .

* البيلماني : نسبة إلى بيلمان , الموضع الذي تصنع فيه السيوف البيلمانية ، يقع على ملتقى الحدود بين السند والهند . البلاذري أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279 هـ / 892 م) : فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله أنس وآخرون ، بيروت ، 1377هـ / 1957م ، ص 67 ؛ الحموي : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 534 .

(4) صبح الأعشى ، ج 5 ، ص 83 .

2 - الشراء .

عمل سلاطين غزنة على تأمين احتياجات الجيش من مختلف أنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة ، فقاموا بشرائها من المناطق المشهورة بصناعة الأسلحة مثل الهند وبلاد ما وراء النهر (1) .

3 - الحروب .

كانت الحروب إحدى المصادر المهمة عند الغزنويين للحصول على الكثير من أنواع الأسلحة ، سيما وأنهم خاضوا غمار حروب داخلية وخارجية في خراسان بلاد ما وراء النهر والسند والهند وغيرها ، حصلوا خلالها على غنائم كثيرة ، كان من بينها أسلحة ومعدات عسكرية متنوعة (2) . كما تلقوا هدايا كثيرة كان من بينها أسلحة متنوعة .

4 - تخزين الأسلحة .

عمل الغزنويون على بناء دور لصناعة مختلف أنواع الأسلحة ، والمعدات الحربية ، وحفظوها في أماكن خاصة ، وعيَّنوا قائداً كبيراً أسندوا إليه مهمة حفظها وصيانتها ، أطلقوا عليه إسم سلاح دار .

وعند حركة الجيش إلى تنفيذ واجباته في الميدان ، كان السلطان محمود يأمر بأن يكون في مؤخرة كل تعبئة عسكرية دار لصناعة الأسلحة وصيانتها ، مهمتها تزويد القطاعات بالأسلحة اللازمة ، والعمل على إصلاح المعطل منه .

كانت صناعة الأسلحة والمعدات العسكرية إحدى هموم سلاطين غزنة (3) . ونتيجة هذا الاهتمام ، زخرت خزائنهم بكافة أنواع الأسلحة والمعدات القتالية .

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 81 ؛ الحموي : معجم البلدان ، ج 1 ، ص 534 .
(2) نظام الملك : سياست نامه ، ص 153 - 154 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 226 .
(3) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 84 .

الفصل الرابع
الرتب العسكرية

المبحث الأول : قادة القوات الضاربة

1 - الأسفهسالار
2 - السباهدار
3 - العارض
4 - كتخدا
5 - المقدم
6 - النقيب
7 - سوار سالار
8 - السرهنك
9 - العرفاء

المبحث الثاني : قادة تشكيلات الإسناد والإدارة

أولاً - قادة تشكيلات الإسناد

1 - أمير الحرس (حملة الدبابيس)
2 - سروثاقان
3 - الوثاق باشي
4 - آخور سالار (قائد الإصطبلات)
5 - الشحنة
6 - الكوتوال
7 - ضابط الإرتباط
8 - سالار المطوعة (قائد المطوعة)

ثانياً : قادة التشكيلات الإدارية

1 - صاحب البريد
2 - مقدم المربض
3 - سلاحدار
4 - الخازندار
5 - الجامة دار
6 - الجوكندار
7 - قاضي العسكر

الفصل الرابع
الرتب العسكرية

قالوا : أفضل الرؤساء في الحرب أيمنهم نقيبةً ، وأكملهم عقلاً ، وأطولهم تجربة ، وأبعدهم صوتاً ، وأبصرهم بتدبير الحرب ومواضعها ، ومواضع الفرص والحيل والمكائد ، وأحسنهم تعبئة لأصحابه في أحوال التعبئة ، وتسييرهم أوان المسير ، وإنزالهم أوان النزول ، وإدخال الأمن عليهم , والخوف على عدوهم ، مع طلب السلامة لنفسه , وأصحابه من العدو ، وأن يكون حسن السيرة ، عفيفاً صارماً حذراً متيقظاً شجاعاً سخياً (1) .

كان السلطان الغزنوي الحاكم المطلق للدولة , والمسؤول عن الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية فيها ، واستعان بعدد من كبار أصحاب الرتب ممن ثبتت له كفاءَتهم في إدارة شؤون الدولة ، أبرزهم الوزير وكبير الحجاب وقائد الجيش , والمشرف على المملكة , وعارض الجيش (رئيس ديوان العرض) .

أما الوالي فكان ينوب عن السلطان في إدارة شؤون أحد الإقليم ، ويساعده عدد من الموظفين ، مثل : صاحب الخراج ، وصاحب الشرطة ، وصاحب البريد الذي يعتبر المسؤول عن الجانب الأمني في الإقليم . وقد خضعت قطاعات الجيش الغزنوي ، لقيادات منظمة استطاعت السيطرة على مناطق واسعة من الأقاليم في المشرق الإسلامي . وعَيَّن لكل قطاع قادة عسكريون حملوا رتب مختلفة تتناسب مع حجم التشكيلات العسكرية .

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 3 ، ص 484 ؛ ماجد ، عبد المنعم : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، ط 4 ، القاهرة ، 1978م ، ص 62 - 63 .

المبحث الأول
قادة القوات الضاربة

1 - الأسفهسالار .

هو قائد الجيش المركزي أو قائد جيش الإقليم ، وترد كلمة أسفهسالار في المصادر برسوم مختلفة ، منها سبهسالار ، وسباهسلار ، وسبالار . واسفهسالار كلمة تركية تعني رائد الجيش في القتال ، مركبة من لفظين فارسي وتركي ، فلفظ أسفه بالفارسية تعني مقدم ، وسالار بمعنى العسكر باللغة التركية ، فيكون معنى اللقب مقدم العسكر مهما بلغ عدد جنده (1) . والأسفهسالار رتبة عسكرية من أصحاب أرباب السيوف وعامة الجند , إلى صاحبها يرجع أمر الأجناد بكافة قطاعاتهم وأصنافهم (2) , فأينما وردت كلمة أسفهسالار في المصادر والمراجع التي تتناول العصر الغزنوي ، فإنها تشير إلى شخص يتولى قيادة أحد الجيوش ، فإذا أشارت إلى شخص يتولى قيادة جيش مركزي ، فتكون تعني ذلك الشخص يتولى قيادة كافة قطاعات الجيش , أي قائد الجيش .

وبهذه الحالة يكون مركزة في القيادة العليا ، وعادة ما تكون القيادة في حاضرة الملك ، وإذا كانت تشير إلى شخص يتولى قيادة أحد الأقاليم ، فيكون متولي قيادة قطاعات الجيش لذلك الإقليم ، وبهذه الحالة مرتبطاً مباشرة مع والى الإقليم ، وفي أغلب الأحيان يكون الوالي هو قائد جيش إقليمه . قال صلى الله عليه وسلم : " إني لأؤمر الرجل على القوم فيهم من هو خير منه ، لأنه أيقظ عيناً وأبصر بالحرب " (3) .

وضعت رتبة الأسفهسالار ضمن الهرم الوظيفي العسكري للجيش الغزنوي منذ قبل بداية نشأت الدولة ، مما يؤكد هذا الرأي ، أن سيد الغزنويين ألبتكين ، كان أسفهسالار عند السامانيين ، كما كان الأمير سبكتكين , المؤسس الدولة الغزنوية الأول ، يحمل رتبة أسفهسالار .

وكان الأسفهسالار يتقدم القطاعات في قتال الميدان , مع حماته وثقاته المنتخبة من أفاضل جنده ، ويكون موقعه أمام قطاع فرسان القلب (4) . ويخرج الأسفهسالار إلى الحروب ، ويختاره السلطان من ذوي الشكيمة المعروفين بالقوة والشجاعة والشدة ، وممن تفننوا بالفروسية والمبارزة ولهم تجارب كثيرة في القتال (5) .

وللأسفهسالار واجبات كثيرة من أهمها الحضور على الدوام للحضرة السلطانية في غزنة ، وبرفقته كبار قادة ومقدمي الجيش ، ومعهم ثلة من العساكر المدرعين ، لتقديم الخدمة لسلطان غزنة ، كتعبير عن ولاء وطاعة ذلك الجيش لنظام

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 13 - 14 ، 238 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 73 ؛ الشرمان : الجيش السلجوقي ، 78 .
(2) دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص 16 .
(3) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 17 ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ / 1505م) : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ص 41 .
(4) الهرثمي : مصدر سابق ، ص 37 ؛ الجنابي : تنظيمات الجيش في العصر الأموي ، ص 207 .
(5) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 282 ؛ ابن الأزرق : بدائع السلك ، ص 203 .

حكومة السلطان , حسب الرسوم المتبعة عند الغزنويين (1) . ويعتبر الأسفهسالار المسؤول العسكري الأول بعد السلطان ؛ لذلك وجب الأخذ برأيه في كافة المشاكل والمواضيع المتعلقة بأمن الدولة الخارجي منها والداخلي .

وكان الأسفهسالار يقدم النصح والإرشاد للسلطان ، فقد سعى يوسف بن سبكتكين منذ وفاة أخيه السلطان محمود سنة 421هـ / 1030م ، أثناء توليته قيادة الجيش الغزنوي ، بتوجيه النصيحة للسلطان محمد بن محمود ، بالتنازل عن الحكم صلحاً لأخيه الأكبر الأمير مسعود ، لتحافظ الدولة على مقدراتها ، دون إراقة دماء أبناء المسلمين ، ولكي تبقى الدولة متماسكة الأطراف ، وتتمكن من الوقوف صفاً وأحداً أمام التحديات الداخلية منها والخارجية (2) .

وكان سلطان غزنة يكتب تعليمات وإرشادات لأسفهسالار الجيش ، بحالة إرساله لمكان ما ، ليستند عليها قانونياً في تنفيذ واجبه . فقد أمر السلطان مسعود سنة 432هـ / 1040م بتجهيز جيش بقيادة ابنه مودود للمرابطة في بلخ ، فكتب الوزير أحمد عبد الصمد تعليمات مفصلة ، وذكر فيها الأعمال الواجب على مودود القيام بها في فصول عدة .

فذكر في الفصل الأول : واجبات غلمان السراي وقائدهم ، وكيفية التعامل معهم ، وتضمن الفصل الثاني : معنى كبير الحجاب والقادة ومقدمي الجيش ، ووضح الفصل الثالث : كيفية المسير بالجيش ، ومنازل الراحة ، ومعرفة أخبار العدو بكل النواحي ، وبين في الفصل الرابع : نفقات الجند والإيثار والإسقاط ، وما يخص نائب العارض المرافق للجيش ، وبناءً على التعليمات العسكرية تقرب القائد من الجند وعطف عليهم . فكان الأسفهسالار أشفتكين الغازي يدعو كل يوم فوج من الأمراء والجند إلى داره ، يكرمهم بالهدايا والشراب (3) .

ولمكانة الأسفهسالار العالية ومنصبه الرفيع ، كثيراً ما كان يقوم بالتمرد والعصيان على نظام السلطان . فقد تأهب ارياروق أسفهسالار جيوش الهند للثورة والعصيان ، فعمل السلطان مسعود الأول على إلقاء القبض عليه سنة 422هـ / 1030م في بلخ ، تحت إجراءات أمنية مشددة ، للحيلولة دون هروبه ، أو حدوث ثورة من قبل خاصة جنده , وخطفه والهروب به .

وهذا ما حدث بالفعل , فقد ثار غلمانه مجرد سماعهم نبأ الاعتقال ، وتوجهوا جميعاً بأسلحتهم إلى منزل أرياروق ، ودارت معركة بينهم وبين جيش السلطان وصفت بأنها هائلة ، فأضطر السلطان لحل المشكلة سلمياً ، فأوفد كتخدا جيش هراة عبدوس ، ليقول لرجال أرياروق : " إن أرياروق كان رجلاً لا يعرف الجميل ، وقد كنتم معه في محنته ، وقد دعت المصلحة إلى القبض عليه اليوم ، ونحن أولياؤكم فلا تكونوا كالصبيان ، واتركوا القتال ، فإنكم عدد قليل , يمكن القضاء عليه في ساعة ولن يستفيد أرياروق من عملكم هذا ، فإن عدتم إلى صوابكم فسوف نعطف عليكم ونحسن إليكم " (4) .

---

(1) خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 26 .
(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 107 ؛ ابن الأثير الكامل ، ج 7 ، ص 347.
(3) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص 38 ؛ البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 240 ، 720 - 721 .
(4) المصدر نفسه ، ص 248 - 249 .

وعند صلاة عشاء ذلك اليوم , ذهبوا بأرياروق إلى القهندز* وبعد عشرة أيام سلموه إلى المقدم أبو علي الكوتوال لسجنه في قلعة غزنة ، ثم أرسل للسجن عند أبو الحسن خلف في بلاد الغور ، ولم تذكر المصادر شيء عن نهاية حياته ، حيث انتهت به الأخبار إلى هذا الحد . وبلغ بأرياروق من الحيطة والحذر , بأنه لم تكن للعيون وأصحاب البريد جرأة على كتابة الحقيقة للسلطان خوفاً على حياتهم منه ، فقد كان عماله لا يأذنون لأحد بالسير في الطرق دون إذن منه (1) .

واستشار السلطان وزيره أحمد حسن الميمندي في أمر اختيار من يتولى قيادة جيوش الهند لعد ارياروق , وبعد مشاورات , وقع الاختيار على القائد أحمد ينالتكين لما امتاز به من أمانة وإخلاص ورجاحة عقل ، وكان خازناً للسلطان محمود بن سبكتكين في كل أسفاره . وبعد أن أعد أحمد الجيش ، وجهزه بكل ما يلزم من مستلزمات ومعدات ، واستعرضه مسعود في ميدان شابهار ، حيث تقدم أحمد مرتدياً حلة حمراء ، وأدى التحية ، وتقدم بعده ركب عظيم حافل بالعدد والمعدات التامة ، ثم قبل الأرض ، وسار إلى لاهور مركز الحكم الغزنوي في بلاد الهند (2) .

وفي سنة 425هـ / 1033م بدأت نوايا أحمد ينالتكين تظهر من خلال تصرفاته ، فعمل على الإكثار من شراء الغلمان ، وامتنع عن إرسال الأموال إلى خزينة الدولة . وأخذت الكتب تتلاحق إلى غزنة من عيون السلطان ومخبريه المنتشرين بين جيوش الهند ، تحمل أخبار تمرد أحمد ، ومدى الشعبية التي يتمتع بها بين الناس . بالإضافة لأخبار تشير إلى نواياه بالانفصال في بلاد الهند . فاستشار السلطان الأعيان وكبار رجال الدولة ، وخلص إلى نتيجة مفادها تعيين أسفهسالار أخر لقيادة جيوش الهند ، ووقع الاختياره على أحد قادته العسكريين الهنود ويدعى تِلِك بن جحام الهندي (3) .

وبناءً على ذلك أصدر السلطان كتاب التولية لتِلِك الهندي ، وصرف له خلعة القيادة ، ثم استعرض مسعود الجيش ، بعد أن تم تجهيزه للمسير لبلاد الهند لقتال أحمد ينالتكين ، وبعد إنتهاء مراسم العرض ، قاد تِلِك الجيش ، وتوجه للهند لتنفيذ واجباته .

ولما سمع أحمد بذلك تملكه الخوف ، وتراجع عن بعض القلاع التي سيطر عليها ، وهرب من لاهور ، فتمكن تِلِك من أسر أعداد كبيرة من جنده ، وأصدر أوامره بمطاردة من تمكن من الهروب .

ودارت بين الجانبين معارك عدة ، واستطاع تِلِك استمالة جند خصمه ، وتخلت العناصر التركمانية التي اعتمد عليها أحمد عنه ، فلم يبقَ أمامه إلا الفرار مع بعض خاصته ومقربيه ، وقدرت المصادر عددهم بحوالي ثلاثمائة فارس ، فكتب تِلِك

---

* القهندز : القلعة أو الحصن القديم ، والمراد به هنا حصن مدينة هراة القديم . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 400 .

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 249 - 250 .

(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 109 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 4 ، 206 ؛ الساداتي ، أحمد محمود : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج 1 ، ص 103 .

(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 426 - 429 ؛ الساداتي : مرجع سابق ، ج 1 ، ص 102 .

إلى طائفة الجتان الهندية بإغلاق المنافذ أمام أحمد ، ووعد بإعطاء خمسمائة ألف درهم لمن يأتي بأحمد حَيًّا أو ميت ، فتمكن أحد أفراد الجتان من قتله (1) .

ومن الأمثلة على تمرد قادة جيوش الأقاليم ، أن هرون بن التونتاش خوارزم شاه الذي أتسمت علاقته بالتوتر مع السلطان مسعود الأول منذ أن تولى حكم خوارزم سنة 423هـ / 1031م ، خاصة بعد أن وصلت إليه أخبار من أحد الوشاة , تفيد بأن مسعود هو الذي قتل أخاه ستي على أثر سقوطه عن السطح وهو ثمل ، فأعلن هرون التمرد والعصيان على النظام الغزنوي سنة 425هـ / 1033م ، وحاول القضاء على وزيره عبد الجبار بن أحمد بن عبد الصمد ، فعمل احمد عبد الصمد على الإطاحة بهرون ، بأن دبر له مؤامرة مع رجال عبد الجبار ، وتم اغتياله سنة 426هـ / 1034م (2) .

وحين قتل السلطان مسعود الأول سنة 432هـ / 1040م ، خلفه بالحكم ابنه الأمير مودود ، فلم يرضى مجدود نائب السلطان في الهند منذ سنة 426هـ / 1034م بحكم أخيه ، فجمع الأموال والعساكر ، وأظهر المخالفة لأوامر مودود ، وأحدث مشكلة كبيرة أمام السلطان الجديد ،فحرك مودود جيشاً لقتال مجدود ، فعادت أمور بلاد الهند إلى سابق عهدها . وبعد عيد الأضحى بثلاثة أيام أصبح مجدود ميتاً في لاهور ، ولم توضح المصادر المتوفرة الكيفية التي مات فيها ، وعادت الهند بأسرها لحكم مودود (3) .

وفيما يتعلق بلباس قائد الجيوش المركزية في غزنة ، فكانت قلنسوة وحذا ومنطقة ذهبية خاصة بسبعمائة مثقال ، وهو لباس كان يرتديه الأمير يوسف بن سبكتكين خلال توليه قيادة الجيوش الغزنوية بعهد السلطان مسعود الأول . أما لباس قادة الحملات العسكرية على أقاليم الدولة ، فكان كمراً وعمامة من ذات الركنين .

أما المقدمين فهي رتبة قادة تشكيلات الجيش , فلباسهم مناطق ذهبية , وأخرى فضية (4) ، والفرق بين النوعين للدلالة على أصناف المقدمين ، كأن يكون من الفرسان أو الرجالة . وبهذه الحالة تكون المناطق الذهبية للمقدم الفرسان ، بينما تكون الفضية لمقدم الرجالة .

2 - السباهدار .

نائب القائد العام للجيوش الغزنوية ، وهي رتبة عسكرية دون القائد (5) ومتقلدها يتولى منصب نائب القائد , أي مساعد القائد . وسباهدار تطلق على المساعد سواءً كان يتولى منصبه في القيادة العليا للجيش أو في قيادة الإقليم ، أو في قيادة أي

---

(1) ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ص 814 - 815 ؛ الندوي : الهند في العهد الإسلامي ، ص 162 .
(2) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 64 - 65 ؛ إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامي ، ص 74 ؛ الفقي عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي ، مطبعة المدني ، القاهرة 1975م ، ص 51 .
(3) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 28 ؛ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 182 .
(4) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 116 ، 275 ، 309 ، 457 .
(5) المصدر نفسه ، ص 802

جيش يتم تشكيله للقيام بمهمة معينة . فالسباهدار يعني مساعد قائد أي جيش من الجيوش الغزنوية .

فقد قام السباهدار أميرك سنة 422هـ / 1030م بتنفيذ أمر السلطان مسعود الأول إبان إقامته بمعسكرات مدينة هراة ، بدعوة أرياروق قائد الجيوش الغزنوية في الهند ، لحضور جلسة للسلطان لتناول الشراب مع كبار القادة . وكان الهدف من ذلك إلقاء القبض عليه ، لوصول معلومات للسلطان تفيد بأن أرياروق يعمل بالخفاء على الخروج ببلاد الهند , كما سبق وأن ذكرت سابقاً (1) .

3 - العارض .

رتبة عسكرية تأتي بعد قائد الجيش ، وتتعلق بإدارة الشؤون العسكرية ، يقوم متقلدها بمهمة ضبط نفقات الجيش ومرتباته ، وتنظيم أمور التموين والغذاء ، وتفقد مظهر الجند على اختلاف رتبهم ، وتنظم سجلات الديوان ، والعمل على تهيئة الجيوش ، وتوفير كل ما يلزم من معدات وأسلحة ، وتوفير نفقاتها (2) . وهو المسؤول عن عرض الجند , بخيلهم وسلاحهم للتفتيش عليهم من قبل السلطان أو من ينوب عنه . ويسند إليه البحث في أوضاع الجند وأحوالهم ، وقراءة أسماء عناصر الجيش بمختلف رتبهم عند تشكيل جيش لإرساله لمكان ما (3) .

والغزنويون أول من استحدث منصب العارض ضمن نظمهم العسكرية ، ثم انتقل إلى نظم جيوش مشرق العالم الإسلامي حتى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي (4) .

ولم يقدم سلاطين غزنة على تعيِّن عارض للجيش إلا بعد إجراء مشاورات مع الوزير ، فقد استشار السلطان مسعود الأول سنة 423هـ / 1031م وزيره أحمد حسن الميمندي في تعين أبو الفتح الرازي لمنصب عارض الجيش ، بعد أن أقال أبو سهل الزوزني من المنصب . وحسب الرسوم الغزنوية المتبعة ، كان عارض الجيش يذهب عند تعيينه إلى خزانة الملابس ، ويرتدي خلعة رئيس ديوان العرض ، ثم يتقدم ويقبل الأرض أمام السلطان ، يخرج بعدها لديوان العرض لاستقبال المهنئين من كبار أعيان الدولة وأمراء الجند .

والعارض أحد كبار أركانية الجيش ، ويعتبر متقلدها من المقربين السلطان الغزنوي . فقد حضر العارض أبو سهل الزوزني مع السلطان احتفالات أهالي ترمذ

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 247 .

(2) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص 76 ؛ جواد ، مصطفى : " نظم الدولة العباسية في أواخر عهودها " ، مجلة الاعتدال ، مطبعة الغربي ، النجف ، 1934م ، ع 7 ، ص 314 ؛ زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، ج 1 ، ص 179 ؛

Lambton : The Internal Structur , p . 233 .

(3) الروذراوري ، أبو شجاع محمد بن الحسين (ت 488 هـ / 1095 م) : ذيل تجارب الأمم ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، مصر ، 1334هـ / 1016 م ، ج 3 ، ص 40 ، 43 ؛ السمعاني : الأنساب ، ج 4 ، ص 109 .

(4) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 128 ؛ البنداري : دولة آل سلجوق ، ص 71 ؛ الشرمان : الجيش السلجوقي ص 85 - 86 .

سنة 422 هـ / 1030 م ، ثم توجها إلى المعسكر ، وأخذا في تناول الشرب معاً (1) .
وتمتع العارض بمكانة عالية بين الأمراء وكبار مسؤولي الدولة ، وكان يقف بالقرب من الوزير ورئيس الديوان ، نتعرف على هذه المكانة أثناء استعراض السلطان مسعود الأول لإحدى الجيوش التي تم تجهيزها في مرج شابهار غزنة سنة 423هـ / 1031م , للتوجه إلى خراسان وعراق العجم بقيادة تاش فراش (2) .
ومن واجبات العارض أو نائبه القيام بكتابة جرائد* الجيش , فالجريدة الأولى : يتم فيها تسجيل أسماء كبار الأمراء على اختلاف طبقاتهم ، وتكون مقفاة على حروف المعجم . أما الجريدة الثانية : فيسجل فيها أسماء الجند ومعلومات عنهم وأرزاقهم ، تسمى جريدة الجيش ، وتكون مقفاة على حروف المعجم أيضا . ويبين في الجريدة الثالثة : توزيع الجند على المقدمين ، فيكون كل مقدم مسؤولاً عن عدد من الجنود . ويوضح في الجريدة الرابعة : اسم المقدم ومدة خدمته ، من غير وضع تفاصيل لأسماء تابعيه ، وأمام اسمه مقدار أرزاقه وأرزاق من يعول ، وكانت تسمى العدة (3) .
ومن واجبات العارض أيضاً , قراءة جميع أسماء القادة والجنود المسجلين بالجرائد , عند مشاركتهم بجيش أعد لخوض معركة في منطقة ما ، أو للمرابطة في ناحية معينة من نواحي البلاد ، ويتم ذلك ببداية العرض ، وأمام السلطان أو من ينوب عنه .
وبصفة العارض مسؤول عن النواحي الإدارية للجيش ، فعليه تقع مسؤولية تجهيز الخلع التي يأمر بها السلطان , لكبار القادة والمسؤولين العسكريين والمدنيين والإشراف على ارتدائها من قبل المعنيين ، بغية تجهيزهم وإحضارهم لمقابلة السلطان ، وكان العارض يجلس مع السلطان في ديوان العرض ، لإطلاعه على أمور الجيش الإدارية , ومناقشة المسائل المتعلقة به (4) .
تمتع العارض بنفوذ كبير في الدولة الغزنوية ، ومن الأدلة على قوة نفوذه أن السلطان مسعود الأول , كان يستشير عارض الجيش أبو سهل الزوزني في كافة أمور الدولة ، واستغل الزوزني نفوذه في الانتقام من خصومه المحموديين (اتباع السلطان محمود بن سبكتكين) ، وتمادى في ذلك حتى أساء إليهم جميعاً ، واعتقال كبير الحجاب علي القريب ، بتهمة مساعدة الأمير محمد بن محمود على تولي السلطة , بدلاً من تقديم هذه المساعدة لأخيه مسعود ، وحاول القبض على التونتاش وتآمر على حسنك وزير السلطان محمود وقتله ، واعتقل الأمير يوسف بن سبكتكين عم السلطان مسعود الأول ، وأمر باسترداد ما منح من صلات في عهد السلطان محمد بن محمود (5) .

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 166 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 308 ؛ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 154 .
(3) الجرائد : جمع جريدة ، والجريدة دفتر أرزاق الجيش في ديوان العرض . الصابي : الوزارة ، ص 451 .
(4) النويري : نهاية الأرب ، ج 8 ، ص 200 ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 8 ، ص 488 .
(5) البيهقي : مصدر سابق ، ص 36 ، 96 ، 262 ، 457 ؛ العباسي : آثار الأول في ترتيب الدول ، ص 69 - 70 .
(6) البيهقي : مصدر سابق ، ص 348 - 349 ، 536 - 537 ؛ حتاملة : البنية الإدارية ، ص 20 ، 32 .

والعارض أحد كبار أركانية الجيش الذين يحضروا الاجتماعات المخصصة لبحث السياسة الخارجية ، وتوثيق أواصر الألفة والصداقة مع الدول المجاورة . فقد حضر العارض أبو الفتح الرازي اجتماعاً بحث المجتمعون فيه مطالب سفارة علي تكين حاكم بلاد ما وراء النهر التي وصلت إلى نيسابور سنة 428هـ / 1036م التي جاءت لتقريب وجهات النظر، وتقوية أواصر الألفة والمودة بين الجانبين .

وتتلخص مطالب السفارة بثلاثة أمور ، الأول : أن يرفع السلطان منزلة علي تكين ، بتزويج أحدهم من كريمات الأسرة الغزنوية ، والثاني : أن يتكرم بتزويج أحد أبنائه من إحدى بنات علي تكين ، والثالث : أن يعمل السلطان على التوسط لتوثيق العهود والمواثيق بين علي تكين وارسلان خان ملك تركستان ، ليثبت لدى علي تكين أن لا خلاف مع السلطان ، وأن البيوت أصبحت بينهم واحدة . كما توجب عليه المشاركة بمختلف المناسبات والأعياد التي يحضرها كبار الموظفين والأعيان والأمراء .

وللعارض دور في جمع الأموال لخزينة الدولة . فمثلاً استخدم العارض القوة في تحصيل الأموال التي كان السلطان محمد بن محمود وزعها على الأعيان والأمراء والحاشية سنة 421 هـ / 1030 م ، وجاءت هذه الإجراءات تنفيذاً لأوامر السلطان مسعود ألأول ، حيث وزع البراءات على الناس ، وحصلت مضايقات واضطهدوا الناس ، وانتشر القيل والقال ، حتى تمكنوا في النهاية من جمع أموالٍ وصفت بأنها كثيرة .

ولما أصبح العارض في مكانة مرموقة استغل نفوذه , وتمادى على من هم دونه من أصحاب الرتب كلما سنحت له الفرصة ، ومن ذلك أن أبو الفتح الرازي تولى ديوان العارض سنة 423هـ / 1031م ، لأنه كان يخاف باس الوزير أحمد حسن الميمندي ، وعندما توفي الوزير سنة 424هـ / 1032م ، استغل أبو الفتح سلطته وأخذ يتمادى في أعماله ، واستولى على أموال الجند .

ولعارض الجيش شارات خاصة ومنطقة ذات السبعمائة مثقال ، تميزه عن غيره من القادة عرفت بخلعة رئيس ديوان العرض الخاصة ، فقد ارتدى أبو الفتح الرازي خلعة عارض الجيش الخاصة ، وتمنطق بالمنقطة ذات السبعمائة مثقال بعد صدور أوامر السلطان بتعينه عارض للجيش سنة 423هـ / 1031م (1) .

أولى الغزنويين اهتماماً بالغاً لديوان العارض , وعملوا على تطويره كغيره من الدواوين , حتى أصبح من أبرز دواوين الدولة (2) .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 285 ، 356- 357 ، 549- 550 .

(2) الجاجرمي ، أبو المعالي المؤيد بن محمد (ت أوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) : نكت الوزراء ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ، مركز إحياء التراث ، بغداد ، 1984م ، ص 124 ؛ حتاملة : البنية الإدارية ، ص 8 .

أطراف الدولة وأقاليمها ، فأصبح الجيش بحاجة إلى ترتيب منازلهم على حسب أقدار طبقاتهم ، وضبط مقادير اقتطاعاتهم ونفقاتهم ، ورعاية مبادئ مددهم ، وأوقاتهم وتمييزهم بالأسماء والكنى ، وتعريفهم بالأوصاف واختيارهم وانتقائهم .

فقد كان أبو الفتح الرازي عارض الجيش في عهد السلطان مسعود بن محمود يراعى جانب الجند ، وينظر في شؤونهم ، خاصة بعد الهزيمة التي مني بها جيشه في معركة نسا مع السلاجقة سنة 426هـ / 1034م . وكان يولي الجند الذين حاربوا بإخلاص جل عنايته خاصة الذين فقدوا عدتهم ودوابهم ، فعمل العارض على تعويضهم بدل مفقداتهم (1) .

وكان العارض يترأس ديوان العرض ، وتوكل إليه مهمة الإشراف على تنفيذ كافة واجبات الديوان ، وتدوين المعلومات الدقيقة والوافية عن الجند بكافة رتبهم (2) .

فقد كان ديوان العارض يقوم بعدة مهام منها :

أ ـ تنظيم سجلات ديوان الجيش ، ويدون فيها المعلومات الكاملة عن الجند , وتسمى الجريدة ، وتعتبر الأصل الذي يرجع إليه في الديوان ، ويسميها الخوارزمي (3) . الجريدة السوداء ، تحوى أسماء الرجال وأنسابهم ، وأجناسهم ، ومبالغ أرزاقهم ومواعيد قبضها ، وسائر شؤونهم وأحوالهم ، وهو الأصل الذي يرجع إليه في هذا الديوان في كل شيء , يتعلق بمنتسبي الجيش (4) .

والجريدة تخدم الديوان بما يلي :

1 ـ الإثبات : وهو تثبيت اسم الرجل في الجريدة ويفرض له رزق (راتب) .

2 ـ التحويل : تحويل الرجل من جريدة إلى أخري . ويبدو لي أن التحويل يتم عند نقل المقاتل من صنف تشكيل إلى أخر ، أو ترقيته من رتبة إلى أخرى .

3 ـ الزيادة : أن يزاد له في جاريه (راتبه) شيء معلوم . ويظهر أن الزيادة كانت تتم بناء على طول فترة الخدمة أو نتيجة ترقية الجند إلى رتبة أعلى .

4 ـ الوضع : أن يحلق على اسم الرجل , فيوضع عن الجريدة , ويتم ذلك عند الاستغناء عن خدماته ، أو محاكمته بحسم جزء أو كل جارية لجرم ارتكبه .

5 ـ النقل : أن ينقل بعض حاله إلى جاري رجل آخر .

6 ـ الفك : هو أن يصبح أسمه ورزقه في الجريدة بعد ما وضع .

7 ـ الساقط : الذي يموت أو يستغنى عنه فيوضع عن الجريدة .

8 ـ المخل : الرجل الذي أخل بمكانه ، ولم يوضع بعد .

9 ـ المتأخر : الجندي الذي يتأخر عن مجلس الإعطاء وقت التفرقة (5) .

---

(1) البيهقي: تاريخ البيهقي ، ص 524 ؛ العباسي : آثار الأول ، ص 69 ـ 70 ؛ يوسفي فر ، شهرام : نظام الأتابكيات في أيران ، رسالة ماجستير ، جامعة تربية مدرس ، طهران ، 1375م ، ص 5 .

(2) السمعاني : الأنساب ، ج 4 ، ص 109 .

(3) مفاتيح العلوم ، ص 38 .

(4) البيهقي : مصدر سابق ، ص 800 .

(5) الخوارزمي : مصدر سابق ، ص 38 ، 43 ، 76 .

ب ـ تنظيم سجلات بأسماء الجند الذين تتوفر فيهم شروط معينة ، مثل البلوغ والحرية والإسلام ، وسلامة الجسم من العاهات التي تمنعه من القتال (1) .
ج ـ ترتيب أسماء الجند حسب أجناسهم وأوضاعهم وبلدانهم الأصلية ، لمعرفة أصل الجندي وجنسيته ، وكان في الديوان مجلس يختص بالنظر في السجلات (2) .

وكان مركز ديوان العرض في غزنة حاضرة الدولة ، ليتمكن العارض من الإشراف المباشر على تسير الأمور المتعلقة بالمؤسسة العسكرية التنظيمية منها والإدارية ، سيما وأن العارض يترأس ديوان , يأتي من حيث الأهمية بعد ديوان الوزارة .

وحرص السلاطين على التأكد من قيام عارض الجيش بواجباته كافة ، وذلك فيما يتعلق بتجهيز الجيش ، فحرصوا على القيام بمراسم استعراض قطاعات الجيش ويتم ذلك في ميادين مخصصة للتدريب والعرض العسكري ، ليتأكدوا من خلالها على مدى قوة الجيش وإمكانياته ، وجاهزية عناصره القتالية , واستعراض المعدات والأسلحة الحربية والفيلة ، ووسائط النقل المختلفة في ميادين مخصصة لإقامة استعراض الجيوش وإقامة الحفلات بمختلف المناسبات ، مثل : ميدان وأدي شابهار في غزنة يتلي العارض خلال الاستعراض جريدة العرض ، أما استعراض الجيوش على جبهات القتال ، فكان يتم في مكان مناسب يختاره السلطان أو من يقوم مكانه في قيادة الجيش (3) .

واستحدث السلطان مسعود بن محمود منصب نائب العارض سنة 427هـ / 1035م ، وجاء هذا بعد مطالبة أمراء الجيش به من أجل تحقيق هدفين ، الأول : ليسهل تقديم الخدمات الإدارية في الميدان أو الإقليم ، إذ ليس من السهل الرجوع إلى السلطان في كل وقت ، والثاني : لعدم تمكن العارض من مرافقة الجيوش المتنقلة في جبهات القتال .

واسندوا لنائب العارض القيام بمهام العارض في قيادة الجيوش الفرعية في الولايات ، وصرف نفقات الجيش ، وأرزاق جند الإقليم ، وأن يكون له الحل والعقد والإثبات والإسقاط ، وأول من عيّن لهذا المنصب أبو سهل أحمد علي (4) ، وزود برموز المعماة* لكتابة الرسائل الهامة بالطريقة السرية .

---

(1) الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمود بن حبيب البصري البغدادي (ت 450هـ / 1058م) : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الحرية ، بغداد ، 1989م ، ص 203 - 204 ؛
Bosworth : The Chaznavids , p . 123 .

(2) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص 70 ؛ العباسي : آثار الأول ، ص 69 - 70 ؛ سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص 100 ؛
Bosworth : The Chaznavids , p .122 .

(3) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 60 ؛ العطار ، محيي الدين : بلوغ الأدب في مآثر العرب ، القاهرة 1319هـ ، ص 74 - 75 ؛ علي ، سيد أمير : مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ، ترجمة رياض رأفت مطبعة القاهرة ، 1938م ، ص 256 .

(4) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 240 ، 536 - 537 ، 539 ، 718 .

* المعماة : المعمى من الكلام ما عمي معناه وخفي ، وهو ما يعرف اليوم بكلمة الشيفرة ، وكان لكل مصطلح رموز سرية , متفق ومصطلح عليها , بين المعنيين بتركيبها وحلها , وحتى لا تعرف إلا من قبل من يهمه الأمر . المصدر نفسه ، ص 335 ؛ حتاملة : البنية الإدارية ، ص 35 .

4 ـ الكتخدا (ركن العمليات) .

هو الموكل بالشؤون الخاصة للجيش الذي يلحق به ، ويكون له الحل والعقد والخفض والرفع والأمر والنهي . وهذا يعني أن الكتخدا هو قائد كبير ، يقوم على تنفيذ التعليمات والأوامر العسكرية ، وأوامر قائد الجيش المرافق له ، وبعبارة مختصرة هو ما يعرف بركن العمليات في عصرنا الحاضر .

يتم تعيين الكتخدا من قبل السلطان ، ويكون شخص ممن يوثق بهم . فقد عَيَّن السلطان مسعود بن محمود سنة 423هـ / 1031م طاهر الكاتب , كتخدا للجيش المرابط في مدينة الري ونواحيها الذي كان بقيادة تاش فراش ، ثم صدرت الأوامر السلطانية بعزله لإكثاره من اللهو والشرب ، ونثر الورد والدراهم والدنانير بالحفلات بشكل لم يسبق له مثيل ، لأن مثل هذه التصرفات تقلل من شأن هيبة الدولة ، وعيَّن مكانه أبو سهل الحمدوى ، وعلق السلطان على تصرفات طاهر الشائنة بقوله : إنكم لا تعرفون أحوال تلك الديار وقد عرفتها ، إنهم أناس يكرهون الخراسانيين ، فيجب أن تكون هيبتنا كاملة ، حتى يستتب الأمر ، ولو سرنا على غير ذلك ، لاحتقروا شأننا وتنقلب كل هذه النظم رأسا على عقب (1) .

وتلقى على عاتق الكتخدا ، واجبات كثيرة منها : قيامه على تدبير شؤون الجيش ، وتنفيذ العمليات العسكرية في الميدان ، والإشراف على الأعمال والأموال ضمن منطقة مسؤولية الجيش . يتضح هذا من خلال قول الوزير أحمد حسن الميمندي للسلطان مسعود الأول ، أثناء اجتماع عقد سنة 423هـ / 1031م , لكبار رجال الدولة وأركانية الجيش ، بأنه يجب أن يُعيِّن السلطان كتخدا ليسير من بلخ على أثر تاش ، فإن الأمور جميعها لن تستقيم هناك , ما لم يصل الكتخدا (2) .

ومن واجبات الكتخدا , تأمين الأوامر السلطانية المتعلقة , بالعمليات العسكرية ضد أعداء الدولة , والإشراف على تنفيذها ميدانياً . فقد كلـف السلطـان مسعود الأول الكتخدا عبدوس ، بأن يحمل كتاباً إلى التونتاش خوارزم شاة يتضمن أوامر السلطان بالخروج لقتال علي تكين .

وصدرت تلك الأوامر بعد وصول معلومات للسلطان مفادها أن علي تكين بدأ يعد العدة , للمبادرة بالعدوان على إقليم خراسان ، بسبب تخلي السلطان مسعود عن وعوده لعلي تكين بمنحة الختل ، حسب الاتفاق الذي تم بينهما سنة 423هـ / 1031م إبان الأزمة السياسية والعسكرية التي نشبت بين الأخوين مسعود ومحمد على العرش بعد وفاة والدهما السلطان محمود ، ولما انتهت الأزمة دون قتال وإراقة دماء ، تخلى مسعود عن وعدة لعلي تكين ، مما جعل الأخير يجهز الجيوش للحرب .

كما كان الكتخدا يقوم بالأشراف على الأعمال والأموال والتأكد من سلامة المسؤولين والجنود على اختلاف رتبهم ، فكان عبـدوس الكتخدا العـام للـجيش برفقـة

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 359 ، 411 - 412 ، 415 ، 803 .
(2) المصدر نفسه ، ص 311 ؛
Ikram: History of muslims civilization in India and Pakistan , p . 20 .

الأطباء المشرفين على الحالة الصحية للوزير أحمد حسن الميمندي ، على أثر تعرضه لوعكة صحية .

وعند تعيين كتخدا جديد ، كـان عليه القيام بكتابة كل ما ينبغي فيه القول والكتابة . فقد كتب أبو سهل الحمدوي بيده شروط العهد كاملة فور تعيِّنه كتخدا للجيش المرابط بالري بقيادة تاش فراش سنة 423هـ / 1031م ، ثم عُرض العهد على السلطان مسعود فأجاب بخطه قائلاً : " أولاً : ينبغي أن يكون لأبي سهل هناك جاه عريض ، وثانياً : عليه أن يكون ذا مهابة , وأبهة وتبصر تام ، وكتب كل ما عنَّ له ثم وقع " , وأمر بأن يخاطب أبو سهل بالشيخ العميد (1) .

5 - المقدم .

رتبة عسكرية تلي رتبة الأسبهسالار (القائد) ، كان يقود حامل هذه الرتبة خمسين إلى مئتين من الفرسان . كما تطلق على كل من يقود تشكيل عسكري ، أو على من يقود تشكيلاً أصغر ضمن قطاع كبير من الجيش ، ويكـون بهـذه الحالـة تحت قيادة شخص أخر ، وأصبحت رتبة مقدم تستعمل كرتبة عسكرية منذ العصر الغزنوي . وكثر ذكر الأشخاص الذين يحملون رتبة مقدم في المؤسسة العسكرية الغزنوية (2) .

وكان مع القوات التي وقفت كقوات حراسة ، أثناء عملية اعتقال الأمير يوسف بن سبكتكين سنة 422هـ / 1030م ، ثلاثة هنود ممن يحملون رتبة مقدم ، ومعهم خمسمائة فارس هندي في أتم سلاح (3) .

وأصبح المقدم يقود ألف وخمسمائة فارس مقاتل , ففي سنة 426هـ / 1034م صدرت الأوامر السلطانية ، بتشكيل جيش قوامه خمسة عشر ألف من مختلف الأصناف القتالية مع عشرة من المقدمين ، وألفين من غلمان السراي ، والجميع تحت قيادة الحاجب بكتغدى ، وبهذا الجيش حارب الغزنويين السلاجقة في نسا (4) .

فإذا قسمنا عدد الجيش على مقدميه ، واستثنينا غلمان السراي ، لأنهم كانوا تحت قيادة بكتغدى مباشرة ، تكون تحت إمرة المقدم ألف وخمسمائة فارس .

ميز النظام الغزنوي المقدمين عن غيرهم من القادة بأحزمة خاصة ، تمنطقوا بها , وكانت من ضمن ألبستهم العسكرية . وكـان مقدمي الجيش الذي أرسل إلـى كرمـــان سنة 422 هـ / 1030 م بقيادة أحمد علي نوشتكين متمنطقين بالكمر المذهب ، وكان الجيش في لباس وعدة كاملة .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 67 ، 357 - 358 ، 366 - 373 ، 387 ، 412 - 413 ، 457 ؛ بارتولد : تركستان ، ص 437 - 438 ؛ الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا ، ص 96 - 97 .

(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 113 ، البيهقي : مصدر سابق ، ص 260 ، 275 ، 457 ، 678 درويش : السلطان محمود ، ص 122 ؛

Ikram : History of muslims civilization in India and Pakistan , p . 17 .

(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 275 .

(4) الكرديزي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 113 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 33 .

وحضر إلى ميدان شابهار سنة 423هـ / 1031م ثلاثة من مقدمي الجيش المحمودي , متمنطقين بالأحزمة الذهبية ، وسبعة آخرون بالمناطق الفضية ، جاءوا لحضور العرض العسكري الكبير الذي تم بحضور السلطان مسعود الأول ، للتأكد من جاهزيته القتالية ، تمهيداً لإرساله إلى خراسان بقيادة تاش فراش (1) .

6 - النقيب .

رتبة عسكرية لمن يقود خمسين إلى مائة جندي من الرجالة ، أو أية صنف أخر من المقاتلين من غير الفرسان ، ويختار من أمهر الفرسان المجهزين بالأسلحة والمعدات اللازمة للقيام بواجبهم بيسر وسهولة . ومن أهم واجباته اتجاه ممن يقود من الجند , أن يتولى شؤونهم والإشراف عليهم وإصدار الأوامر ، وإسناد المهمات إليهم (2) وانتقل نظام هذه الرتبة إلى النظم العسكرية السلجوقية .

وكان يعتمد على النقباء في مهام كثيرة , منها : إلقاء القبض على القادة والمسوؤلين السياسيون ، ومنها : أن الوزير أبو سهل الزوزني ، أوفد النقيب بهرام إلى جنكى كوتوال قلعة كالنجر * ليفك اسر أحمد حسن الميمندي ، ويحضره إلى بلخ مكرماً ، لأن الدولة أصبحت في تلك الفترة بحاجة لأشخاص أمثال أحمد . النقيب يحمل رتبة عسكرية أقل من رتبة مقدم .

وفي سنة 422هـ / 1030م اعتمد السلطان مسعود الأول على نقباء من الهنود ومعهم ثلاثمائة رجل هندي ، وجلسوا في البستان المحيط بقصره في غزنة , أثناء محاولة القبض على أرياروق قائد جيوش الهند .

وكان من ضمن القوات التي وقفت كقوات حراسة أثناء عملية اعتقال الأمير يوسف بن سبكتكين سنة 422هـ / 1030م ، ثلاثة من النقباء الهنود ، ومعهم ثلاثمائة من الرجالة المختارين .كما اعتمد السلطان مسعود الأول على عدد من النقباء للحاق بفرسان الجيش الذين كانوا قد خرجوا لمطاردة السلاجقة بعد انتهاء من معركة علياباد سنة 430هـ / 1038م ، وإعادة أولئك الفرسان لمواقعهم خوفاً على حياتهم . وقد قال مسعود للنقباء : " إنها الصحراء ، ومن المحال ارتكاب المخاطر ، وكل قصدنا أن نقضي عليهم جملة واحدة ، وهؤلاء الذين جاءوا ذاقوا ضربتنا " (3) .

وفي معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م أمر السلطان مسعود النقباء بتولي قيادة قوات القلب نيابة عنه ، ليتفرغ للشؤون العسكرية الأخرى ، كتنفيذ الخطط القتالية ، وإعداد الكمين ، ومراقبة مجريات القتال ، وإصدار الأوامر حسب ما تتطلبه ظروف المعركة .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 308 ، 457 .
(2) نظام الملك : سياست نامه ، ص 131 ؛
Jaffar : Medieval India under muslim Kings , vol . 2 , P . 55 - 57 .
* قلعة كلنجر : وتسمى كالنجار (Kalanjar) ، وتطلق عليها أحياناً بعض المصادر قلعة جنكى ، نسبة لإسم كوتوالها جنكى ، وتقع في بلاد كشمير . البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 161 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 347 ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص 195 - 196 .
(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 623 .

ومن واجبات النقباء الإشراف على الجاهزية القتالية للجند ، فقد استدعى الحاجب أشفتكين الغازي سنة 421هـ / 1030م ، نقباء الجيش ، وأبلغهم بأنه ينبغي أن يوعز إلى الجند ليتهيئوا للتعبئة ، ويسيروا ليراهم مولانا ، وكان يقصد السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين (1) .

7 ـ سوار سالار (قائد الفرسان) .

رتبة عسكرية تأتي بعد رتبة قائد التعبئة ، ويكون قائد لمجموعة من الفرسان تقدر بخمسين فارساً . وممن تولوا هذا المنصب في عهد السلطان يمين الدولة محمود الحاجب التونتاش (2) .

8 ـ السرهنك .

تجمع سرهنكية ، وهم الضباط الذين يقودون تشكيلات عسكرية ، ويأتمرون بإمرة المقدم أو النقيب ، وذلك حسب صنف الجند ، يقومون في الأحوال الاعتيادية في إدارة شؤون الجيش ، كالإشراف على توزيع الرواتب ، وترقية الجند إلى مراتب أعلى وغير ذلك ، وأطلق مصطلح السرهنكية على بعض رتب الضباط (3) .

لهذا أخالف كل المؤرخين المحدثين (4) الذين قالوا بأنها رتبة لكبار الضباط لأن المصادر لم تذكر بأن السرهنكية قادوا عدداً كبيراً من الجند في أوقات الحرب أو السلم ، وما يثبت هذا القول أن السرهنكية كانوا يرافقوا الجيوش في الأزمات العسكرية ، كقادة لمجموعات قتالية قدرت المصادر عدد كل مجموعة بحوالي مائة مقاتل ، لهذا يكون السرهنكية من فئة صغار الضباط .

والأمثلة على ذلك كثيرة فقد توجه أبو سهل الحمدوي إلى الري سنة 424هـ / 1032م ، ومعه اثنان من كبار سرهنكية غلمان السراي مع مائتين من غلمانهم الشجعان المبارزين . وفي نفس السنة كان برفقة الوزير أحمد عبد الصمد عشرة ممن يحملون رتبة سرهنك ، وألف فارس بعدة كاملة ، ذهبوا لقتال الكمخيين في ختلان . وإذا قسمنا عدد الجند على المقدمين نستنتج أن السرهنك قائد لمائة فارس (5) .

9 ـ العرفاء .

رتبة العريف من أصغر رتب الجيش الغزنوي ، ولم تذكر المصادر ، وجود رتبة اصغر منها ، ويكون تحت إمرته عشرة من الجند المقاتلين (6) .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 64 ، 247 ، 275 ؛ نيشابوري : سلجوقنامه ، ص 17 ؛
Ikram : History of muslims civilization in India and Pakistan , p . 20

(2) البيهقي : مصدر سابق ، ص 630 .

(3) المصدر نفسه ، 426 ، 724 .

(4) درويش : السلطان محمود ، ص 122 ؛ العبود : الدولة الخوارزمية ، ص 198 .

(5) البيهقي : مصدر سابق ، ص 417 ، 428 .

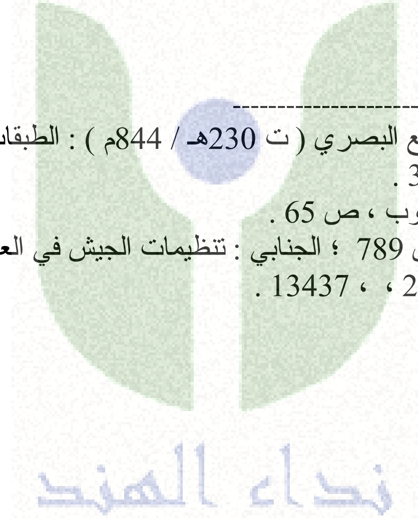
(6) ثابت : العسكرية في عهد العباسيين ، ص 97 ؛ الجنابي : تنظيمات الجيش العربي الإسلامي ، ص 221 - 222 ؛ درويش : السلطان محمود ، ص 122 .

ويقوم العرفاء بملازمة الجند ، لإعدادهم وقيادتهم حسب الرسوم المتبعة . ومن واجبات العرفاء المحافظة على الأمن والنظام , ومراقبة مثيري الفتن داخل المعسكر (1) .

وفي النظم العسكرية الناجحة , لا يكون بين الرجالة أي فارس ، إلا أنه يخصص للعريف في قطاع الرجالة , دابة يعبئ عليها أصحابه ، ويشرف منها على الزحف (2) . وقد برزت رتبة العرفاء في الجيوش الإسلامية منذ عصر الدولة الأموي (3) .

ومما يثبت وجود رتبة العريف ضمن رتب الجيش الغزنوي ، أن العرفاء ذهبوا مع خمسة من أعيان مدينة الري لخزانة الملابس ، وألبسوهم الخلع التي أمر لهم بها السلطان مسعود الأول بن محمود سنة 421هـ / 1030م .

وكان العرفاء , وحاملي الرتب الأخرى , لا يحصون عدا عند وصول السلطان مسعود بن محمود إلى نيسابور في العاشر من شهر شعبان سنة 421هـ / 1030 م قادماً من بلخ ، سار وسط حفل استقبال مهيب من أصحاب الرتب . وأكرم الجند ممن يحملون رتبة عريف أبو مطيع السجزي ابن أبي أحمد خليل أحد تجار وأعيان غزنة سنة 423هـ / 1031م (4) .



---

(1) ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت 230هـ / 844م) : الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت 1377هـ / 1957م ، ج 5 ، ص 396 .
(2) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 65 .
(3) البلاذري : الأنساب ، ج 6 ، ص 789 ؛ الجنابي : تنظيمات الجيش في العصر الأموي ، ص 223 .
(4) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 22 ، 13437 .

المبحث الثاني

قادة تشكيلات الإسناد والإدارة

أولاً- قادة تشكيلات الإسناد .

1 - أمير الحرس (حملة الدبابيس) .

إمارة الحرس من أهم الوظائف وأجلها في القصر الغزنوي ، إذ لم يكن في البلاط أعظم وأكثر أبهة بعد الأمير الحاجب من أمير الحرس ؛ لأن عمله مختص بالعقوبات ، والجميع يخشون غضب السلطان وعقابه ، فإذا ما غضب السلطان على شخص ما ، فإنه يأمر أمير الحرس بإحدى العقوبات التالية : ضرب العنق ، قطع اليد والرجل ، الشنق ، الجلد ، الزج في السجن ، الإلقاء في البئر .

ولم يكن الناس يترددون في افتداء أنفسهم ، وأرواحهم بالمال , وكان الناس يخافون أمير الحرس أكثر من السلطان , ولأمير الحرس لواء وطبل ودف , ويتواجد معه دائماً في البلاط خمسون من حملة الدبابيس على الأقل ، عشرون منهم بدبابيس ذهبية الرأس ، ومثلهم بدبابيس فضية الرأس ، والعشرة الأخرون بدبابيس كبيرة ولأمير الحرس أحسن الوسائل وأدوات الزينة ، والتجميل وأبهاها ، وله أتم احترام وأكمله (1) .

وعلى عاتقه تقع مسؤولية تأمين الحراسة اللازمة , لتنفيذ ما تتضمنه الأوامر السلطانية . فقد عمل محتاج أمير الحرس سنة 422هـ / 1030م على تنفيذ أمر السلطان مسعود الأول بتامين الحراسة اللازمة للقبض على أرياروق قائد جيوش الهند ، فأحضر خمسمائة من رجالة الحرس , المدججين بالأسلحة من مختلف الأجناس البشرية ، ووزعهم مختفين في البستان المحيط بقصر السلطان في هراة .

وعندما وصل أرياروق إلى القصر ، كان معه عشرة من خاصته المدرعين ومائة من الرجالة ، يرافقهم نائب القائد العام أميرك ، والبرده دار ، فتقدم بكتكين الحاجب نحو أرياروق ، وأنزله بمساعدة أمير الحرس ، وساروا به إلى الإيوان وعلى الفور تم اعتقاله من قبل خمسين من المقدمين ، وربطوا قدميه بحبل قوي ونزعوا من طيات قبائه سماً وتعويذ ، كان قد وضعها ليسم نفسه ، فيما إذا تعرض لمضايقة ، لكنه لم يتمكن من ذلك ، ثم قبضوا على حصانه وجهازه وغلمانه (2) .

وتسند لأمير الحرس القيام بحراسة الأمراء , وتأمينهم إلى مكان إقامتهم . فقد قام سنكرى أمير الحرس ، بالتوكل بالأمير محمد بن محمود وأبنائه الأربعة أحمد وعبدالرحمن وعمر وعثمان في قلعة نغر ، وبقوا فيها إلى أن أعادهم السلطان مسعود الأول إلى غزنة سنة 432هـ / 1040م ، وقد حمل الأمير محمد إلى قلعة غزنة ، بينما نقل أولاده إلى القلعة الخضراء بباغ فيروزي (3) .

---

(1) نظام الملك : سياست نامه ، ص 177.

(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 247 - 249 ؛
. Ikram : History of muslims civilization in India and Pakistan , p . 18

(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 725 ؛ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 182 .

2 ـ سروثاقان (رئس غلمان السراي) .

لكثرة الغلمان الذين جندوا لخدمة البلاط ، وحراسة القصور السلطانية ، عيَّن سلاطين غزنة لهؤلاء ، أميراً عرف باسم رئيس غلمان السراي أو أمير الغلمان مهمته الإشراف عليهم ، وتأمين احتياجاتهم ، وحل مشاكلهم ، واعتبر من أصحاب الرتب العليا في البلاط الغزنوي .

وكان يحضر الاجتماعات التي يعقدها السلطان ، ويشارك في بحث بعض الأمور التي تهم الدولة . فقد حضر بكتغدى قائد غلمان السراي ، اجتماعاً في نهاية سنة 422هـ / 1030م ، خصص لبحث الترتيبات المتعلقة باستقبال أبو بكر السليماني الذي حمل رسالة للسلطان مسعود بن محمود ، تفيد بوفاة الخليفة العباسي القادر بالله ، وتولية ابنه القائم بأمر الله خلافة بغداد .

وتم في الاجتماع بحث موضوع إقامة مراسم الإحتفال والتعازي بهاتين المناسبتين . ومن ابرز من تولى هذا المنصب الحاجب بكتغدى في عهد السلطان محمود بن سبكتكين ، وبقي في منصبه في عهد ابنه مسعود .

وأصبح قائد غلمان السراي صاحب نفوذ كبير في القصر ، ينفذ أوامر السلطان مهما بلغت من الخطورة . منها أن بكتغدى نفذ أوامر مسعود الأول ، بإعدام مظفر الطاهر والي بوشنك ، وكان بكتغدى قد اعتمد في ذلك على كلمة قالها السلطان مسعود وهو ضيق الصدر على مظفر عندما قال : يجب تعليق مظفر هذا القواد من رجله . وتمتع بكتغدى بمنزلة عالية عند مسعود ، فعيَّنه والياً على مدينة مرو ونواحيها سنة 428هـ / 1036م (2) .

ولما اقتضت الضرورة معالجة موضوع قطاعات الجيش في الفصل الأول من هذه الدراسة ، جاء الحديث عن متقلد رتبة سروثاقان ، ضمن موضوع غلمان السراي .

3 ـ الوثاق باشي .

رتبة يكون حاملها رئيس عنبر من عنابر الغلمان ، أو رئيس عدد معين من الغلمان ، والمقصود بالغلمان هنا خاصة الخدم ، وقد وضحت دورهم في الفصل الأول من هذه الدراسة ، تحت عنوان الوثاقين (الحرس الخاص) (2) .

شارك الوثاق باشي في معارك كبرى خاضتها الجيوش الغزنوية ، منها أن تكين الديلمي رئيس غلمان الوثاق ، قاد خمسمائة من غلمان السراي ، وتوجه لملاحقة طغرلبك السلجوقي بعد خروجه من نيسابور خوفاً من الجيش الغزنوي سنة 430هـ / 1038م (3) .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 83 ، 315 - 316 ، 462 ، 569 ، 802 .
(2) نظام الملك : سياست نامه ، ص 144 ، 162 .
(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 665 .

4 - آخور سالار (قائد الإصطبلات) .

اسم مركب من لفظة أمير العربية ، ولفظة أخور الفارسية ، ومعناها المعلف . أطلق هذا الاسم على القائم على أمر الدواب من خيل وبغال وإبل وغيرها من وسائط النقل المتوفرة في الاصطبلات السلطانية ، وانتقل هذا النظام إلى الدول ذات الأصول التركية كالسلاجقة والاتابكة* ، ودول إقليم خوارزم ، ومنهم انتقل هذا النظام إلى الأيوبيين ، واخيراً ظهرت في دولة المماليك .

وهي رتبة عسكرية يقوم متقلدها بمسؤولية الإشراف على اصطبلات خيول السلطان ، وعمل الصيانة اللازمة لها باستمرار ، وتجديد وإصلاح كل ما يخص الاصطبلات (1) . ويعود ظهور هذه الرتبة لاعتماد الغزنويون على الخيول ,كسلاح فتاك وحاسم في المعركة ، فكان السلطان يختار لهذا المنصب شخصاً من أفضل وأشجع الفرسان الجيش .

ولم يقتصر دور آخور سالار الإشراف على الاصطبلات ، بل شارك في معارك الجيش الغزنوي . ومن الأمثلة أن قائد الاصطبلات بيرى ، كان أحد قادة ميمنة جيش التونتاش خوارزم شاة في المعركة التي جرت سنة 423هـ / 1031م بين جيش إقليم خوارزم ، وإحدى الجيوش الغزنوية من جهة ، وبين جيش علي تكين حاكم بلاد ما وراء النهر من جهة ثانية (2) .

وشكل بيري من عناصر الاصطبلات جيشاً قوياً ، بمساعده عدد من الحجاب والمقدمين المشهورين ، وعبدوس كتخدا ومدير لشؤون الجيش ، وانضم إليه سورى والى طوس ,ومعه قدر الحاجب ,وقوات شحنة نيسابور وطوس ، وحارب السلاجقة في باورد ونسا سنة 426هـ / 1034م (3) .

وأصبح آخور سالار ممن يحضروا الإجتماعات التي تعقد على مستوى القيادة العليا للجيش . مثلاً حضر بيري اجتماعاً عقده السلطان مسعود الأول في رجب سنة 426هـ / 1034م مع الوزير والعارض وصاحب الديوان والنديم أبو سهل الزوزني ، والحجاب بكتغدى وأبو النصر ، وسوباشي ونوشتكين ولوالجى وخصص الاجتماع لبحث تداعيات الخطر السلجوقي في البلاد .

---

* الأتابكة : جمع أتابك ، وهو لقب يتألف من لفظين تركيين ، وهم أطا بمعنى أب ، وبك بمعنى أمير ، وأصله أن السلاجقة منذ أيام ملكشاه بن الب ارسلان (465 - 485هـ / 1072 - 1092م) أطلقوا لفظ أطابك على كبير أمرائهم ، وولوه الوصاية والرعاية من بعدهم على سلطان أو أمير قاصر صغير . وكثيراً ما تزوج الأطابك من أم الموصى به . فتصبح العلاقة بين السلطان ووصيه شبه أبوية . ثم أطلق هذا اللقب في أيام المماليك بمصر على مقدم العسكر او القائد العام للجيش ، على اعتبار أنه أبو العسكر والأمراء جميعاً ، وكان يسمى أتابك العسكر . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 2 ، ص 18 ؛ المقريزي : السلوك ، ج 1 ، ق 1 . ص 146 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 7 ، ص 108 ؛ حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ص 147 - 148 ؛ . Gibb : Damascus chronicle , p . 83 – 84

(1) القلقشندي : مصدر سابق ، ج 4 ، ص 19 - 23 ، ج 5 ، ص 461 .

(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 799 ؛ ابن الأزرق : بدائع السلك ، ص 104.

(3) البيهقي : المصدر السابق ، ص 362 ، 366 ، 469 .

ولآخور سالار دور في قيادة وحدات من الفرسان ، فقد اعتمد السلطان مسعود الأول على بيري لقيادة مقدمة الجيش في التعبئة التي تمت في معسكر بوشنك , قرب بلخ استعداداً لخوض معركة دندانقان سنة 431هـ / 1029م , وعليه تقع مسؤولية إعادة ترميم الإصطبلات (1) .

5 - الشحنة .

الشِحنة بالكسر : من فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان , وهو الشخص الذي يتولى قيادة قوات عسكرية تسمى الشِحنة ، تقوم بحماية المدينة والنواحي التابعة لها من الغزو الخارجي ، ويترأس عدد من الجند لتنفيذ مهامه . وهو النائب عن السلطان ، وإليه توكل مسؤولية الإدارة المدنية ، والمحافظة على أمنها واستقرارها ومراقبة الخارجين على النظام ، ومعاقبة المسيئين (2) . ويتم تعيين قائد الشِحنة من قبل السلطان ، ويخلص في القيام بالواجبات الموكلة إليه .

ويرى بعض المؤرخين أن الغزنوين ، هم أول من أوجدوا هذه الوظيفة في بلاد فارس ، فقد تصدت شحنة طوس للسلاجقة ، وأخذوا ماشيتهم . أما لباس الشحنة فكان قباء خاص من الديباج الرومي ، ومنطقة ذهبية تقدر بخمسمائة مثقال (3) .

6 - الكوتوال (مستفظ القلعة أو قائد القلعة) .

كوت باللغة الهندية تعني القلعة ، وكوتوال كلمة تركية معناها حارس القلعة أو قائدها . وهو أحد الضباط العسكريين الكبار ، ويختار ممن عرف عنهم الشجاعة والجدارة ، والكفاءة العسكرية ، وإليه تسند مسؤولية حفظ الأمن ، ومنع الاضطرابات ضمن منطقة مسؤوليته (4) .

وعلى عاتق الكوتوال تقع أصعب المهام وأكثرها خطورة ، كما يقوم الكوتوال باتخاذ كافة تدابير الحيطة والحذر ، تحسباً لوقوع أحداث تخل بالأمن الداخلي ، أو تعرض البلاد الواقعة ضمن منطقة مسؤولية لغزو خارجي ، فعليه منع الاضطرابات داخل القلعة أو المدينة أو المناطق المحيطة بها ، والدفاع عنها عند تعرضها لأي خطر ، والمحافظة على سلامتها ، وبحالة غياب السلطان أو الوالي ، يصبح الكوتوال الحاكم الفعلي لها ، وتوكل إليه كافة الصلاحيات المتعلقة في أمور المنطقة . وعمل سلاطين غزنة على وضع حاميات عسكرية في كل قلعة مدينة أو ناحية ، ويعينوا لها كوتوال يقوم على إدارة شؤونها العسكرية والإدارية (5) .

وتزودنا المصادر بمعلومات وإن كانت قليلة ، ولا تفي بالغرض المطلوب عن الكوتوال في عهد الأمير سبكتكين وابنه محمود ، وتعطيتنا تصوراً عن منصب

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 515 ، 632 ، 663 ، 669 .
(2) البنداري : دولة آل سلجوق ، ص 10 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 151 ، 229 .
(3) البنداري : مصدر سابق ، ص 8 ؛ الشرمان : الجيش السلجوقي ، ص 96 .
(4) العبود ، نافع توفيق : الدولة الخوارزمية ، ص 200 ؛ العكيدي : السلطان مسعود ، ص 117
(5) البيهقي : مصدر سابق ، ص 312 ، 724 - 725 ، 728 - 729 ، 803 ؛ درويش : السلطان محمود ، ص 221 ، السرنجاوي : تاريخ الحركات الإستقلالية ، ص 95 .

الكوتوال في العصر الغزنوي بشكل عام .

وتذكر المصادر بأن أبو علي الكوتوال تولى كوتوال قلعة غزنة منذ عهد الأمير سبكتكين ، واستمر في خدمة ابنه محمود ، وأبقاه السلطان مسعود بن محمود في منصبه ، للدور الكبير الذي لعبه في نزع فتيل الأزمة مع أخيه محمد , حيث أعلن أبو علي في النهاية , وقوفه إلى جانب مسعود ، وأوكل إليه مهمة حفظ الأمن وسجن المتمردين ، والعصاة في قلعة تكيناباد وغيرها من قلاع نواحي غزنة .

وعَيَّن السلطان محمود بن سبكتكين كوتوال على حصن تور في بلاد الغور بعد سيطرته عليه سنة 421هـ / 1030م ، ليقوم على إدارة شؤونها وحفظ الأمن في تلك البلاد (1) .

ومن واجبات الكوتوال تهدئة نفوس الأهالي ، فقد قام أبو علي الكوتوال سنة 422هـ / 1030م بكتابة رسائل بعث بها لأطراف إقليم غزنة , زف إليهم بشرى تحرك السلطان مسعود بن يمين الدولة محمود من خراسان إلى غزنة للجلوس على عرشها خلفاً لوالده ، كما أمر بنسخ البشرى ، وإرسالها إلى بلاد السند والهند وبلخ وطخارستان وجوزجان* ، ليبين الحقيقة لأهالي تلك البلاد ، ولكي تستتب الأمور الأمنية فيها .

وكما أوكل للكوتوال مهمة الإشراف على المساجين في القلعة , خاصة السجناء السياسيين . فقد أوكل لجنكى كوتوال قلعة كالنجر بالإشراف على الوزير أحمد حسن الميمندي الذي أودع السجن بعد أن تم اعتقاله ، بأمر من السلطان محمود ، بتهمة الحصول على الأموال الوفيرة دون وجه حق ، وبقى فيها إلى أن تولى مسعود بن محمود الحكم سنة 422هـ / 1030م الذي رأى أن الدولة بحاجة إلى رجال من أمثال الميمندي ، فأصدر أوامره بإخراجه من قلعة كالنجر , وإحضاره إلى بلخ مكرماً لتولى الوزارة (2) .

وأسندت للكوتوال واجبات عسكرية , منها : الإشراف على إنشاء التحصينات الدفاعية ، وتفقد المنشآت العسكرية ، لتكون جاهزة بصورة دائمة للدفاع عن المدينة أو القلعة ، ومواجهة أي اعتداء خارجي على منطقة مسؤليته . فقد تمكن بكتكين كوتوال لقلعة ترمذ من مواجه قوة من السلاجقة سنة 426هـ / 1034م ، ودار بينهم قتال شديد ، نتج عنه قتل خلق كثيرة من الجانبين ، وألحقت بالسلاجقة هزيمة ساحقة ألجأتهم إلى الصحراء .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 83 - 84 ، 249 ؛ السرنجاوي : تاريخ الحركات الاستقلالية ، ص 95 ؛ الطرزي : موسوعة التاريخ ، ج 3 ، ص 37 ؛

. Ikram : History of muslims civilization in India and Pakistan , p . 25

* جوزجان : وتسمى جوزجانان ، وهي اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان ، تقع بين مرو الروذ وبلخ يقال لقصبتها اليهودية . من أهم مدنها الأنبار وفاريان وكلار . فتحها عنوة الأقرع بن حابس التميمي أحد قادة الأحنف بن قيس سنة 33هـ / 653م . الاصطخري : مسالك الممالك ، ص 153 ؛ البيروني : تحقيق ما للهند ص 262 ؛ الحموي : معجم البلدان ، ج 2 ، ص 182 ؛ البغدادي : مراصد الإطلاع ، ج 1 ، ص 357 .

(2) البيهقي : مصدر سابق ، ص 6 ، 64 ؛

. Jaffar : Medieval India under muslim Kings , vol . 2 , p . 48 . 52

وتولى الكوتوال الإشراف على تجهيز إقامة مراسيم استقبال السلاطين وكبار رجال الدولة والوفود الرسمية . ففي يوم الثلاثاء التاسع عشر من شعبان سنة 428هـ / 1036م استقبل أبو علي الكوتوال في قلعة غزنة السلطان مسعود الأول وقام بضيافته (1) .

ولما كان الكوتوال من كبار قادة الجيش ، ترتب عليه قيادة بعض الجيوش وخوض غمار الحروب . فقد قاد أبو علي كوتوال غزنة في محرم سنة 432هـ / 1040م جيش كبير من غزنة إلى ناحية خلج* ليصلح حال أهلها الذين فسدوا فيها بعد غيبة السلطان مسعود الأول في بلاد الهند . ومن مهام الكوتوال الإشراف على مخازن الغلات ، والآلات الحربية ، والخيل والجمال ، والذهب ، والألبسة .

وعلى عاتق الكوتوال تقع مسؤولية إزالة العقبات الموجودة في الطرق ، سواءً أكانت طبيعية أو بشرية . وخير دليل على ذلك ,ما قام به أبو علي كوتوال غزنة بأن بعث عمال السخرة ، لإزالة الثلج عن الطريق لتأمين عودة السلطان والجيش المرافق له بعد أن قاموا بفتح قلعة هانسي سنة 429هـ / 1037م (2) .

7- ضابط الإرتباط .

تتمثل مهمة ضابط الإرتباط في نقل أوامر قائد التعبئة للقطاعات المشاركة في المعركة . فقد عَيَّن السلطان مسعود الأول في معركة ناتل سنة 426هـ / 1024م بكتغدى قائد غلمان السراي , ليعمل كضابط ارتباط ، فقام بإبلاغ الأوامر السلطانيـة لقطاعـات الجيـش فــي لميدان .

كما أسند مسعود في معركة خاضها ضد السلاجقة في مرو سنة 430هـ / 1028م ، مهمة نقل أوامر الميدانية للحاجب بكتغدى ، ومن أجل تمكينه من القيام بمهمته على الشكل الأمثل ، عمل السلطان مسعود على إعفائه من قيادة غلمان السراي ، وإسنادها لارتكين الحاجب (2) .

8 - سالار المطوعة (قائد المطوعة) .

قائد لجماعة تجمع للمشاركة والقتال في الغزوات العسكرية ، وشكلت جماعات رديف للجيش النظامي ، وعينَّ له قائد خاص عرف باسم سالار غازيان أو سالار غازي (3) . وقد تحدثت عن دور سالار غازيان في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 201 .

* خلج : موضع يقع بالقرب من غزنة من نواحي زابلستان . الحموي : معجم البلدان ، ج 2 ، ص 381 ؛ البغدادي : مراصد الإطلاع ، ج 3 ، ص 477 .

(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 580 ، 646 - 671 ، 724 - 725 .

(3) المصدر نفسه ، ص 463 ، 478 ، 663 ؛ الجوارنه : قطاعات الجيش ، ص 34 ؛ عمر : تاريخ ايران ، ص 60 ؛

The Chaznavids , p . 103 . : Bosworth

(4) البيهقي : مصدر سابق ، ص 804 .

ثانياً ـ قادة التشكيلات الإدارية .

1 ـ صاحب البريد .

رتبة عسكرية ذات صفة مدنية , وكان البريد في العصر الغزنوي نوعين الأول : بريد مدني لنقل الأخبار من الأقاليم والمدن ، يقوم متقلد هذا المنصب بإعمال المخابرات بالوقت الحالي . والنوع الثاني : البريد العسكري ، ويكون مقره بقيادة المعسكرات الثابتة أو مع قيادة جيش الميدان ، وتتلخص مهمته بنقل أخبار جبهات القتال ، وما يدور بين الجند من حديث (1) ، ويمثل الاستخبارات العسكرية في الوقت الحاضر ، وقد تمت دراسته ضمن موضوع الأجهزة الأمنية في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

2 ـ مقدم المربض .

رتبة عسكرية استحدثها الغزنويون , ليقوم متقلدها بالإشراف على ساسة ومروضي الفيلة ومرابضها . واستحدثت هذه الرتبة نتيجة امتلاك الغزنويين لأعداد كبيرة من الفيلة . فكان لكل فيل سواس , يتولى أمور الفيل , وترويضه وتدريبه ورعايته , وشخص أخر مشرف على غذائه وتحضير ما يحتاج إليه من علف وماء .

وللفيلة مرابض بدار كبيرة , يعمل بها ساسة الفيلة ، منها مربضي غزنة وكابل ، وخصص لكل مربض مجموعة من الجند تقوم بأعمال الحراسة ، ويتولى قيادتهم وتدبير شؤونهم شخص يعرف بمقدم المربض (2) . اهتم السلاطين بالمرابض وأولوها عناية خاصة ، فقد تفقد السلطان محمود بن سبكتكين سنة 414 هـ / 1023م مربض غزنة ، والفيلة الموجودة فيه والتي بلغ عددها ثلاثمائة فيل ، ورافقه أثناء الزيارة مقدم المربض (3) .

كما تفقد السلطان مسعود الأول سنة 422هـ / 1030م , مربض كابل لمدة ثلاثة أيام , استعرض خلالها ألفاً وستمائة وسبعين فيلاً ، وأعجب بسمنة ونشاط الفيلة واعتبر ذلك ناتج عن العناية الفائقة من ساستها ، ومقدم المربض أبو النصر ، وأبناء قرقمان التمتخصصون بتربية الفيلة ، فأثنى السلطان على أبو النصر ، وكرمه بأن رقاه لمرتبة الحجابة (4) .

3 ـ سلاحدار أو سلحدار .

رتبة عسكرية ظهرت في الدول الإسلامية ذات الأصول التركية . وتتألف من لفظين هما سلاح العربي , ودار الفارسي ، ومعناه ممسك السلاح . ويطلق على كل من يحمل سلاح السلطان أو الأمير . كما تطلق على الشخص الموكل والمسؤول

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 239 ، 300 ، 358 ، 366 ، 428 ، 468 ، 536 ، 723 ؛ ابن بطوطة رحلة الأنظار ، ج 2 ، ص 3 ؛ الطرزي : موسوعة التاريخ ، ج 2 ، ص 186 .

(2) العتبي : تاريخ العتبي ، ج 2 ، ص 300 .

(3) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 85 - 86 .

(4) البيهقي : مصدر سابق ، ص 312 ؛

. Ikram : History of muslims civilization in India and Pakistan , p . 18

السلاح (السلاح خاناة) المخصص لحفظ أسلحة الجيش على اختلاف أنواعها ويقوم بالإشراف عليه ، ويتأكد من صلاحية الأسلحة ، والكميات المتوفرة ، ويرفع تقارير عن مهامه للسلطان ، يوضح فيه النقص ، والكمية التي يحتاج إليها الجيش والقطع الغير متوفرة من أجل العمل على تجهيزها (1) . وكان السلحدار يحمل رنك على شكل هيئة السيف ، أما بقية العاملون في السلاح خاناه فكانوا يحملون رنك القوس (2) .

حرص الغزنويون على حفظ الأسلحة , وجعلوا لها أماكن خاصة لحفظها وأولوا صناعتها وتصليحها عناية فائقة ، فخصصوا في كل معسكر داراً لهذه الغاية فقد ذكر الكرديزي (3) أن السلطان محمود بن سبكتكين أمر بأن يجعل في مؤخرة كل تعبئة داراً لصناعة وصيانة الأسلحة .

يتضح من هذه الرواية ، أنه كان لكل قطاع من قطاعات الجيش دار خاصة لصناعة وصيانة الأسلحة والمعدات الحربية ، تقوم على تزويد الجيش بما يحتاج من أسلحة ، وإصلاح ما يمكن إصلاحه من الأسلحة المعطلة ، وكانت تضم أعداداً كبيرةً من الصناع المهرة , العارفين بتصليح وصناعة الأسلحة .

لذا أخذت دور الصناعة على عاتقها , صناعة الأسلحة التي يحتاجها الجند مثل السيوف والرماح , والدروع والتروس , والعرادات والدبابات , والمجانيق وغيرها مما يحتاج إليه المقاتلون . كان السلاحدار يرافق سلاطين غزنة وجيوشهم أينما حلوا وارتحلوا ، بهدف توفير ما يحتاجون إليه من أسلحة وذخائر . فقد رافق السلاحدار السلطان مسعود بن محمود في رحلة صيد ونزهه قام بها على ضفاف نهر هيرمند (4) .

4 - الخازندار .

لفظ مركب من كلمتين خزنة العربية ، ودار الفارسية ، ومعناه المسؤول عن الخزينة العامة للدولة (5) . ونـال الخازندار ثقة سلاطين غزنة ، فرفعوا من شأنه وأسندوا إليه قيادة بعض الجيوش . منها أن السلطان مسعود الأول أسند سنة 423هـ / 1031م لكوهرآئين الخازندار قيادة جيش سار به للمرابطة في مدينة الري (6) .

5 - الجامه دار .

إسم مؤلف من لفظين ، أحدهما من اللغة التركية جاما أو جامة ، ومعناها

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 547 - 548 ، 802 ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 4 ، ص 11 - 12 ، ج 5 ص 462 ؛ المقريزي : السلوك ، ج 1 ، ص 65 ؛ ابن كنان ، محمد بن عيسى (1153هـ / 1740م) : حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين ، ميكروفيلم رقم 3548 ، مركز الوثائق والمعلومات ، الجامعة الأردنية ، عمَّان ، مصور عن الأصل المحفوظ في مكتبة تشرينيتي ، ص 41 .

(2) الباشا : الفنون الإسلامية ، ج 2 ، ص 597

(3) زين الأخبار ، ج 2 ، ص 92 .

(4) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 87 ؛ درويش : السلطان محمود ، ص 127 .

(5) ابن كنان : مصدر سابق ، ص 125 ؛ الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ص 156 .

(6) البيهقي : مصدر سابق ، ص 143 ، 359 ، 666 .

الثوب ، والثانية دار الفارسية ، بمعنى ممسك ، فيكون معناها ممسك الثوب أو الوصيف الذي يلازم السلطان أو الأمير لإلباسه ثيابه (1) . والغزنويين أول من عرفوا هذه الرتبة ، ومنهم انتقلت إلى الدول الإسلامية التي خلفتهم في الحكم ، مثل السلاجقة والأتابكة ، وظهرت في الجيش الأيوبي والمملوكي (2) .

وهي رتبة حاملها متخصص بالتوكيل بالألبسة ، بمعنى ضابط مستودعات . استعان بهم سلاطين غزنة , كمساعد لقائد بعض الحملات العسكرية . فقد وقع اختيار السلطان مسعود بن محمود سنة 422هـ / 1031م على الجامه دار اقتغمش لقيادة جيش يتكون من أربعة آلاف فارس سلطاني ، وثلاثة آلاف راجل , بالإضافة إلى عساكر تركمانية ، وجميعهم تحت قيادة خمارتاش . وكان الجميع مجهزين بكامل العدة . وأسندت إليهم مهمة الخروج من معسكر هراة والتوجه إلى مكران ، لتنصيب أبو العسكر والياً عليها ، بدلاً من أخيه عيسى الخارج عن طاعة نظام غزنة (3) .

6 - الجوكندار .

اسم يتألف من لفظين فارسيين ، الأول : جوكان بمعنى العصا المنحنية أو المجن الذي يضرب به الكرة أو عصا البولو ، ويعبر عنه بالصولجان ، والثاني : دار من المصدر داشتن بمعنى ممسك ، وبذلك يكون المعنى الكلي ممسك الجوكان .

وهي رتبة عسكرية مهمة حاملها , حمل الجوكان للسلطان أثناء لعبة الكرة والصولجان أو البولو ، ويقوم بالإشراف على التدريبات العسكرية المتعلقة بهذا الشأن لمنتسبي المؤسسة العسكرية ، ومن الغزنويين انتقل هذا النظام إلى نظم الجيوش الإسلامية مثل السلاجقة والأيوبيين والفاطميين ، وأخيراً ظهر في العصر المملوكي (4) .

7 - قاضي العسكر .

كان للجيش الغزنوي قاضي , ذكرته المصادر بقاضي العسكر , تتلخص مهمته في فصل الخلافات بين الجند ، وإصدار العقوبات لمن تثبت عليه جريمة من الجند .

ولم تزودنا المصادر بتفاصيل كثيرة عن الجهاز القضائي العسكري في العصر الغزنوي ، وهذا لا يمنع من القول بوجود جهاز قضائي دقيق ومنظم ، كغيرة من النظم العسكرية الغزنوية ، ولعلنا نتعرف على دور هذا الجهاز من خلال بعض النصوص التي تشير لدور القاضي بالقيام بإجراء محاكمات لبعض الأشخاص على اختلاف مناصبهم ورتبهم ، سواءً أكان مرتبكي المخالفات مدنيين أو عسكريين .

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 5 ، ص 459 .
(2) أحمد ، أحمد عبد الرزاق : الرنوك على عصر سلاطين المماليك ، المجلة التاريخية المصرية ، مج 21 1974م ، ص 104 ؛ الباشا : الفنون الإسلامية ، ج 1 ، ص 359 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 68 ، 273 ، 308 .
(4) القلقشندي : مصدر سابق ، ج 5 ، ص 458 ؛ أحمد : الرنوك ، ص 105 ؛ ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص 143 .

ولم يقتصر واجب قاضي العسكري على القضايا العسكرية ، بل كان عضو محكمة للفصل في القضايا الجنائية المدنية ، فقد أمر السلطان مسعود بن محمود بتشكل محكمة لمحاكمة حسنك ، وزير والده تكونت من قاضي العسكر نصر بن خلف والقاضي المدني نبيه الفقيه .

وبعد الانتهاء من جلسات المحكمة التي حضرها العديد من أصحاب السيادة والأعيان وكبار الأمراء ، تدارس القاضيين ملف القضية المتضمن اتهام حسنك ببيع ضياع وأشياء أخرى تعود ملكيتها للخزينة العامة للدولة ، رفعوا بعدها ملف القضية للسلطان لأخذ موافقته وتوقيعه عليه , لتنفيذ عقوبة الإعدام بالمتهم حسنك .

وكان قد أقر المتهم معترفاً بما وجه إليه من تهم خلال جلسة المحاكمة ، وذلك بعد أن تليت عليه لائحة الاتهام ، ووقع عليها الشهود من الرجال الحاضرين من أمثال الخواجة أبو قاسم ، وأبو سهل الزوزني ، وأبو سهل الحمدوى ، وغيرهم من كبار الأمراء والأعيان ، ثم نفذ به حكم الإعـدام (1) .

وأخذت أمه تبكي بحرقة وألم ، حتى بكى كل من كان حولها ، ثم سكتت هنيهة وقالت : يا لولدي من رجل عظيم ، يمنحه ملك كالسلطان محمود عالم الدنيا فيمنحه ملك آخر كالسلطان مسعود عالم الآخرة . فأعجبت تلك الكلمة كل عاقل سمعها وأقامت له مأتما عظيماً . وقد رثاه أحد شعراء نيسابور بقصيدة منها :

اقطـعوا رأسـه لأنـه كان رأس الـرؤوس
وقــد كــان زينـــة الـدهـــر وتـــــاج المـلـك
فــإذا كــان قـرمــطياً أو يــهودياً أو كافراً
فقد كان صعوده من التخت إلى المشنقة عملاً منكراً (2)

ومن واجبات قاضي العسكر , الإشراف على بناء الـربط* ، وإدارة شؤونـها فمثلاً اسند السلطان مسعود بن محمود عنـدما وصل إلى غزنـة سنة 422هـ / 1030م ، مهمة بناء رباط قرب ضريح والده السلطان محمود المدفون في حديقة باغ فيروزى في غزنة للقاضي نبيه الفقيه ، ونصر بن خلف ، وأمر بقلع كل ما يؤكل من الخضر والنبات من الحديقة ، وعدم السماح لأحد بالمجيء بالتنزه بها (3) .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 463 ، 478 ؛ الجوارنه : قطاعات الجيش ، ص 34 ؛ عمر : تاريخ إيران ص 60 ؛

Bosworth : The Chaznavids , p . 103 .

(2) البيهقي : مصدر سابق ، ص 201 - 202 .

* الربط : وتسمى الخانقات ، وهي محال تعلم الصوفية ، وكان في كل مدينة أكثر من خانقاه (رباط) له أوقافه وخدمه ، منها خاص بالشيوخ ، والبعض خاص بالمريدين ، وبعض الصوفية يتخذون منها محلاً لسكناهم . وفي الربط كانت تتم الاجتماعات العامة للذكر الجماعي أو السماع ، كما أصبحت أماكن للتأليف والتصنيف والقراءة والتثقيف ، ومنها تؤخذ الإجازات ، وفيها تلقى المحاضرات ، وألحقت بها مكتبات يرتادها المتصوفة المقيمون فيدرسون ويتدارسون ويؤلفون ، وقد قرر أكثرهم الانقطاع للمطالعة والدرس . ابن منظور : لسان العرب ، ج 7 ص 341 ؛ الشذر ، طيبة صالح : ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ ، ص 182 .

(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 665 ؛ نظام الملك : سياست نامه ، ص 144 ، 166 .

(4)

الفصل الخامس
النظم الحربية

المبحث الأول : النظم التعبوية

أولاً ـ التعبئة في الهجوم

1 ـ الاستطلاع
2 ـ الحشد
3 ـ الزحف
4 ـ الأثقال
5 ـ المشاغلة
6 ـ الاستدراج
7 ـ الالتفاف والتطويق
8 ـ الحصار
9 ـ تناوب القتال
10 ـ تدمير منشآت العدو
11 ـ احتلال مواقع العدو
12 ـ المطاردة

ثانياً : التعبئة في الدفاع

1 ـ اليقظة
2 ـ المراقبة
3 ـ الحيطة والحذر
4 ـ الحراسة
5 ـ إعادة الإنتشار

المبحث الثاني : نظم الميدان

أولاً ـ النظم القتالية

1 ـ نظام الصفوف (المصاف)
2 ـ نظام التخميس
3 ـ نظام الكر والفر

ثانياً ـ نظم التشكيلات المقاتلة

1 ـ الطلائع
2 ـ الجرائد
3 ـ الفصائل
4 ـ الكراديس
5 ـ السرايا
6 ـ الكتائب
7 ـ الفرق

ثالثاً ـ نظم التحصينات الدفاعية

1 ـ القلاع
2 ـ الحصون
3 ـ الكمائن
4 ـ الخنادق
5 ـ الأسوار

الفصل الخامس
النظم الحربية

لم تكن الحملات الغزنوية تخرج من غزنة أو من قيادات جيوش الأقاليم ، دون اتخاذ التدابير الأمنية كافة ، كدراسة جميع العوائق العسكرية والتموينية ، وطبيعة الأحوال المناخية ، مثل درجة الحرارة ، وقسوة البرودة ، وتساقط الثلوج . ودراسة الطبيعة الجغرافية للبلاد المستهدفة من قبل الحملة ، كالأنهار والمجاري المائية التي تغطي أراضي ميادين النشاط العسكري , خاصة في شبه القارة الهندية ، وتضاريسها المتمثلة في جبالها وأوديتها وشعابها وسهولها .

فقد تقف مياه نهر جارٍ حائلاً أمام تقدم قطاعات الجيش فيكون سبب في اندحارها وفشلها ، أو يكون سبباً في تأخيرها دون تحقيق هدفها وقد يكون التأخير سبباً لوقوع كارثة لا يحمد عقباها . وقد تقع قوات الحملة في سهل تفيض فيه مياه الأنهار ، أو مناطق تهطل بها الأمطار وتتساقط فيها الثلوج ، فيحدث غرق للجند ، ويقع الموت في الدواب ، وتصبح المصيبة أعظم من الهزيمة .

لذلك كان سلاطين غزنة يضعون استراتيجية , لدراسة كل ذلك ضمن خططهم العسكرية , لتنفذ حسب الأصول من حيث الزمان والمكان ، ويقوم كل قطاع بالواجبات الموكلة إليه ، لتحقيق النصر بأقل الخسائر وبأقصر وقت .



المبحث الأول
النظم التعبوية

التعبئة اصطلاح معروف في النظام الحربي العربي الإسلامي ، أوردتها قواميس اللغة العربية بمعنى فن ترتيب الجند في مواضعهم وتهيئتهم للحرب . يقال : عبأت الجيش تعبئة ، أي رتبتهم في مواضعهم المناسبة وهيأتهم للقتال (1)

قال تعالى : " وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيل تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ " (2) .

قال الهرثمي : " إذا كان العدو منك على خمس مراحل أو نحوها ، فلا يكونن مسيرك ونزولك إلا على تعبئة . كان أهل الحزم والتجربة يرون لصاحب الحرب أن يكون نزوله ومسيره بالتعبئة في الأمن كما يرونه في الخوف ، إلا أن يدع ذلك عن ضرورة ، ويرون ألا يخلوا مما تيسر من التعبئة في الأمن على كل حال . ذكروا عن بعض أهل الحزم والتجربة ، أنه توجَّهَ من الشام إلى الهند يريد المحاربة بها ، فخندق في أول منـزلة بالشام ، ثم لم يزل يسيرُ وينزل بالتعبئة والخنادق ، إلى أن أظفره الله بعدوه " (3) .

وكانت النظم العسكرية في العصر الغزنوي , تقضي بأن يسبق إعلان الحرب القيام بتعبئة قطاعات الجيش , وإعدادها وتجهيزها بالأسلحة التي تتطلبها ظروف المعركة المنوي خوضها ، والعمل على توفير الخدمات الإدارية كالمؤن والأعلاف ووسائط النقل وغيرها (4) .

وبعد الانتهاء من تجهيز الجيش , تأتي مرحلة استعراضه من قبل السلطان ويتم خلالها التأكد من جاهزيته القتالية ، ثم يسير لتنفيذ مهمته الموكلة إليه ، بجميع أصناف قطاعاته تبعاً لنظم التشكيلات المعمول بها ، فالمقدمة أولاً ، ثم قوات القلب حيث تكون قيادة الميدان ممثلة في شخصية السلطان على الأغلب ، ثم تشكيلات الجناحين الأيمن والأيسر ، وتتبعهم المؤخرة . كما كانوا يضعون عدداً من الفيلة الحربية المدرعة في كل تشكيل من هذه التشكيلات (5) .

كان سلاطين غزنة يدعون الكفار للإسلام بالطرق السلمية ، قبل الشروع في إعلان الحرب عليهم ، منها على سبيل المثال لا الحصر , ما وجهه السلطان محمود لناندا " أن اسلم تسلم من كل سؤ وضر " (6) . فإن دخل الإسـلام كـان خيـراً ، وإن

---

(1) ابن منظور : لسان العرب ، ج 1 ، ص 75 (مادة عبأ) ؛ السامرائي ، عبدالجبار : نظم التعبئة عند العرب مجلة المورد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ج 12 ، ع 4 ، ص 7 .

(2) سورة الأنفال ، آية 60 .

(3) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 25 .

(4) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 78 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 146 ، 231 ، 282 .

(5) ابن الجوزي : المنتظم ، ج 8 ، ص 53 ؛ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ص 448 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 12 ، ص 30 .

(6) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 87 ؛ ارنولد ، سير توماس : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1970م ، ص 288 .

رفض عرضوا عليه الجزية ، فإن امتنع شنوا عليه الحرب (1) . وفيما يلي أهم مراحل التعبئة .

أولاً - التعبئة في الهجوم

1 - الاستطلاع .

أولى الغزنويون موضوع الاستطلاع عناية فائقة أكثر من الأمور التعبوية الأخرى ، فقد تعلم الأمير سبكتكين من معلمه ألبتكين خلال المعارك التي خاضها معه مختلف أنواع الفنون التعبوية ، وكان ألبتكين قد توجه للجهاد وفتح شبه القارة الهندية سنة 351هـ / 962م .

وعند مضيق خُلم* لحق به جيش الأمير الساماني منصور بن نوح ، لمقاتلته وإعادته لخراسان ، لوصول للأخير وشاية خلاصتها ، أن ألبتكين ذاهب للهند للخروج على النظام الساماني ، فمنذ ذلك الوقت بدأ ألبتكين بتطبيق تكتيك عسكري بأن عَيَّن عند المضيق , مائتي خيال من غلمانه بقيادة سبكتكين , لمراقبة واستطلاع جيش السامانيين المنتشر في الصحراء ، ورافق هذا العمل استخدم ألبتكين لعنصر المفاجأة، فما أن تمكن عدوهم من استلام السلاح ، وامتطاء الجياد ، حتى كان سبكتكين وغلمانه قد قتلوا أكثر من ألف من جيش السامانيين ، وعادوا بسرعة إلى مكامنهم على قمة الجبل ، لمتابعة واجبهم (2) .

وقبل بدء السلطان محمود بحملات عسكرية لغزو بلاد الهند ، قام سنة 391هـ / 1000م بغزوة استطلاعية لجس قوة خصمه ، ومعرفة مدى استجابة العدو بالرد عليه ، ومعرفة مراكز العدو الحدودية الدفاعية ، ومدى استنهاض ملك الهند راجا جيبال للقوى الهندية الأخرى والتي قد تنهض لمساعدته . أسفرت تلك الغزوة السريعة عن احتلال عدد من القلاع والحصون الواقعة على الحدود الشمالية لمملكة جيبال , ونهب ما فيها (3) .

وبعد ان تحقق النصر لجيش السلطان محمود في معركة ناردين سنة 404هـ / 1013م , عمل محمود على إعادة تنظيم قطاعات الجيش ، فوضع كتيبة استطلاع ضمن قوات المقدمة ، لجمع أخبار الهنود , وأفادت بأن العدو يقوم بإعادة تنظيم قواته شمال نهر جهلم ، ووجود حشود كبيرة من القوات الكشميرية جاءت تلبية لدعوة راجا تريلكنبال والد الأمير نيدار ، كما أن راجا عمل على جمع قوات من أقاليم مملكته .

وبدأت المعركة باشتباك كتيبة الاستطلاع الغزنوية مع القوات الكشميرية بقيادة تونكا ، وتمكن الأخير من هزيمتها ، وضن بأنه قادر على إلحاق المزيد من الهزائم

---

(1) إدريس : السلطان محمود ، ص 129 .

* خُلم : بلدة بنواحي بلخ ، على عشرة فراسخ منها ، وهي بلاد للعرب نزلتها قبائل عربية منها : بنو تميم وقيس أيام الفتوحاالاسلامية الأولى , يتبعها عدة قرى ، وبها بساتين وشعاب ، وزروعها كثيرة . الحموي : معجم البلدان ، ج 2 ، ص 385 ؛ ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص 469 .

(2) نظام الملك : سياست نامه ، ص 152 ؛ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 147 .

(3) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 71 .

بقطاعات الجيش الغزنوي ، ويحقق نصراً نهائياً على عدوه ، لكن السلطان بحكم خبر العسكرية ، وتجربته الطويلة بتنفيذ الخطط الحربية في ميدان ، تمكن من إصدار أوامره لأحد فيالق جيشه , مظهراً لعدوه بتنفيذه خطة انسحاب مدبر حتى جره إلى كمين ، فهزم ولاذ بالفرار (1) .

ولم يقتصر استطلاع مواقع العدو على وقت الحشد والحرب فقط ، بل كان يشمل وقت السلم ، بهدف جمع معلومات عن العدو . فمثلاً في سنة 422هـ / 1030م توجه السلطان مسعود بن محمود من بلخ لاستلام عرش غزنة ، وبينما هو بالطريق قرب بلق ، لاح له ضوء على مسافة بعيدة ، فأمر بإرسال اثنين من ثقاته لاستطلاع الأمر ، فعادا أدراجهما مسرعين يقولان : إنه الأمير يوسف بن سبكتكين , وعندما وصل ترجل وقبل الأرض إجلالاً للسلطان (2) .

يتبين أن سلاطين غزنة وقادتهم العسكريين حرصوا على معرفة كل صغيرة وكبيرة عن أعدائهم من خلال المعلومات التي تجمعها وحدات الاستطلاع التي تقوم بواجبها في أوقات السلم والحرب ، حتى يتمكنوا من مباغتة ومفاجأة العدو في أي مكان وزمان .

2 - الحشد .

مفرد حشود ، والحشد من الناس : الجماعة ، والحشد من الرجال : من لا يدع عنه نفسه شيئاً من النصرة والجهد والمال إلا بذله (3) .

من الأمور البديهية أن تستخدم الجيوش نظام الحشد عند التداعيات السياسية وما يتبعها من تطورات عسكرية , فعمل الغزنويون بنظام حشد الجيوش وتعبئتها عند حدوث الأزمات .

منها ما قام به الغزنويون من حشد للجيوش في عهد الأمير سبكتكين وابنه محمود في غزنة سنة 384هـ / 994م ، وذلك قبيل توجههم إلى خراسان لمساعدة الأمير نوح بن منصور الساماني على أمرائه أبو علي سيمجور وفائق (4) .

وبينما كان سبكتكين مرابطاً في معسكرات هراة سنة 385هـ / 995م ، فاجأه أبو علي سيمجور بعد أن أعد العدة بجرجان , للإنتقام من نوح بن منصور وحليفه سبكتكين ، فاتخذ الأخير إجراءات فورية لمواجهة قوات أبو علي ، فقام باستدعاء الجيوش المرابطة في الأقاليم ، وحشدها في هراة ، فأتاه محمود من نيسابور ، وجاء خلف بن أحمد حاكم سجستان ، ووصل من جوزجان الأمير فريغون . وبعد عملية الحشد , دخل سبكتكين مع أبو علي في معركة ، أسفرت عن انتصار ساحق للجيوش الغزنوية (5) .

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 388 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 274 ؛ الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 4 - 6 .
(3) ابن منظور : لسان العرب ، ج 3 ، ص 185 - 186 ؛ أنيس : المعجم الوسيط ، ج 1 ، ص 175 .
(4) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 164 ؛ ابن خلدون : العبر ، مج 4 ، ج 8 ، ص 774 - 775 .
(5) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 61 - 62 .

كذلك حشد الأمير سبكتكين الجيوش سنة 385هـ / 995م ، بناءً على طلب الأمير نوح بن منصور الساماني ، لمواجهة أيلك خان وآلي كاشغر * وبلاساغون فأتاه ابنه محمود بالحشود التي جمعها هو الأخر من كل جهة ، وبعث الأمير نوح جميع عساكره ، وقادة جيشه لسبكتكين (1) .

وقام السلطان محمود بن سبكتكين بعملية حشد للجنود والفرسان استعداداً لغزو بهاتية سنة 395هـ / 1004م . قال العتبي (2) : " وجمع الخيول إلى الخيول " .

وجمع السلطان مسعود الأول سنة 430هـ / 1038م قطاعات الجيش عند جسر كاروان في عليا أباد لمواجهة السلاجقة ، وفي اليوم التالي ظهر السلاجقة في وادي عليا أباد من ناحية الصحراء ، فوقف السلطان على ربوة لمراقبة مجريات المعركة ، وجرت حرب ميدانية عنيفة ، لم يشترك مسعود بها إلا بعد الظهر ، حيث حمل على الأعداء حملة شعواء , ولى السلاجقة بعدها الأدبار منهزمين ، وقتل منهم عشرون ، وتشتت الباقون ، وتفرقوا في الصحراء (3) .

لم يقتصر حشد الغزنويون للجيوش على الحروب الخارجية ، بل قاموا بحشدها للتصدي للحركات المناوئة لهم في الداخل .

3 - الزحف .

قال الهروي (4) على السلطان أن " يتقدم إلى بعض الأمراء المشهورين والفرسان المذكورين ممن قد عرف بالنجدة ، ووصف بالشدة ، وليمكنه من العُدة والعدد ... ولينـزل الأمير المذكور قريباً من المكان المطلوب ، والموضع المقصود وليوصِّ أصحابه وعسكره لئلا يقع تفريط ولا يجري تخليط ، ولا يمكن أحداً من القتال على البقعة المشهورة والرقعة المذكورة ، ليقل احتراسهم منها , ويميلوا عنها ولقصد الملك أقوى الأماكن ، واضعف المواضع ، والجَنَبَة القوية والناحية الحمية وينصب عليه القتال ، ويشعلهم بنار الحرب ، ويذيقهم مرارة الزحف ، فلا بد وأن يميلوا إلى ناحية القتال ، وموضع الحرب والنـزال , ويتركوا باقي الحصن ، وتملكهم الغفلة ، ويستولي عليهم " .

وقال الهرثمي (5) : " إذا زحف العدو وتراءى ، وأتت عيون الطلائع بخبرهم ، فلتفزع خيل القلب والروابط ورجالتها إلى مضرب والى الجيش ، وسائر

---

* كاشغر : مدينة في وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون ، تقع إلى أقصى الشرق من منابع نهر جيحون ، وإلى أقصى الغرب من نهر تاريم ، يسافر إليها من سمرقند ونواحيها . الحموي : معجم البلدان ، ج 4 ، ص 430 البغدادي : مراصد الاطلاع ، ج 3 ، ص 1143 ؛
Anony mous : Hudud AL – Alam , p . 116 . 96 . 280 – 281 . 494 .

(1) ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 776 - 777 .
(2) تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 72 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 622 - 624 ؛ نيشابوري : سلجوقنامه ، ص 8 ؛
Lambton : The internal structure , p . 226 – 227 .
(4) التذكرة الهروية ، ص 105 - 106 .
(5) مختصر سياسة الحروب ، ص 40 .

الناس إلى مراكزهم ، إلى أن يتحرك وآلي الجيش فيتحركوا معه على تعبئتهم " .

كما استخدم سلاطين غزنة نظام الزحف منذ أن بدأ الأمير سبكتكين بالعمل على توسيع إمارته سنة 366هـ / 976م ، فبعد أن انتهى من السيطرة على مدينة بست ، توجه غازياً إلى الهند ، واستولى على قلاع عدة ، فلما سمع ملك الهند ، عبأ عساكره وفيلته حسب النظم التعبوية المعمول بها في الهند ، ، وتوجه لطرد المسلمين من بلاده ، قال ابن خلدون (1) : " وزحف إليه سبكتكين من غزنة في جموع المسلمين ، والتقى الجمعان ، ونصر الله المسلمين " وتقابلا بعد أن تجاوز جيش الهند لمغان .

كما استخدم خلفاء سبكتكين نظام الزحف من بعده ، حيث أشارت المصادر إلى أن السلطان محمود عبئ قطاعات الجيش سنة 414هـ / 1023م ، تعبئة مكنته من استخدام نظام الزحف ، باتجاه جوانب معبد سومنات الأربعة ، وهيأ هذا الزحف الفرصة لتطويق المعبد والسيطرة عليه (2) .

وحشد التونتاش خوارزم شاه سنة 423هـ / 1031م طلائع قواته ، ووجهها ليلاً لمحاربة علي تكين في بلاد ما وراء النهر ، بنظام بالزحف من الجهات الأربعة ورافقه اتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة ، ورغم هذه الإجراءات المشددة ، تمكنت قوات علي تكين من القيام بشن عدة هجمات على التونتاش ، ووقعت اشتباكات عدة انتهت بهزيمة جيش علي تكين .

ثم جرت عمليات المعركة الرئيسية في الصباح الباكر ، اختل بها نظام ميسرة التونتاش ، وكاد أن يفقد السيطرة على بقية التشكيلات ، لولا أن التونتاش أمر الجميع بالزحف نحو علي تكين ، مما دفع بالجنود الهاربين من جيشه بالعودة للقتال ، وفي نفس الوقت أخذ خوارزم شاة الرمح وتقدم الصفوف ، فلما شاهد الجيشان شارته التحما معاً في قتال شديد حتى عز على الفرسان التجوال لكثرة ما قتل من الجانبين .

وأسفر القتال عن وقوع خسائر مادية كبيرة عند الطرفين ، وأصيب التونتاش بسهم في قدمه اليسرى ، وفي نفس الجزء التي كان قد أصابه حجر من حصن في بلاد الهند ، قال البيهقي (3) : " لو لم يتخذ خوارزم شاه هذه الخطة لهلك هذا الجيش العظيم " .

وبعد معركة ناتل سنة 426هـ / 1034م عقد السلطان مسعود الأول اجتماع مع كبار الأعيان والأمراء ، بعد أن وصلت رسالة من سورى بن المعتز ، وضح فيها الأخطار المحدقة بخراسان من جراء التواجد السلجوقي ، وفي الاجتماع أكد مسعود على ضرورة تنفيذ خطة زحف شاملة , للقضاء على السلاجقة في خراسان نهائياً حيث قال : " ليس هذا أمراً هيناً , لقد جاء عشرة آلاف فارس تركي مع كثير من القادة وأقاموا وسط بلادنا ، ويقولوا لم يبقى لنا من مكان نأوي إليه ، والحق أنهم استضعفوا بلدنا ، أن نمهلهم ليجدوا في بلادنا مستقراً يترعرعون فيه , أنظروا

---

(1) العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 773 .
(2) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 321 ؛ الحسني : نزهة الخواطر ، ج 1 ، ص 72 ؛ العسلي : فن الحرب ، ج 3 ص 368 .
(3) تاريخ البيهقي ، ص 368 - 371 .

مــاذا كـان مــن هؤلاء التراكمة من البلاء والإزعاج بعد أن جاء بهم أبي ، وأتاح لهم عبور النهر وأقاموا في خراسان ، كانوا رعاة إبل ، وهم الآن كما يقول الوزير طالبوا إمارة فيجب أن لا ندعهم يتنفسون في بلادنا ، والصواب أن نسير بأنفسنا لطردهم من جرجان مع غلمان السراي ، وجند مختارين عن طريق سمنكَان الواقع بين إسفرايين وأستوا ، وأن نزحف إلى نسا زحفاً قوياً حتى نستأصل شأفتهم " (1) .

وقرر سوباشى قائد الجيوش الغزنوية في خراسان وهراة سنة 429هـ / 1037م ، أن يبادر بحرب السلاجقة بنظام الزحف من نيسابور إلــى سرخس ، ولكن أبو سهل الحمدوى عميد عراق العجم ، وسورى بن المعتز قالا : " ليس هذا الزحف من الصواب ، ويجب المحافظة على الذخيرة وآلافادة من وجودها ، فإنه إذا ما آل الأمر إلى السيف , فمن الممكن أن تنفذ ، ونحن لا ندري مصير الأمور , فحمل سوباشى كتخداه أبو سهل رسالة ، وأرسله على عجل للسلطان مسعود في غزنة لأخذ رأية في المبادرة بالحرب ، وجاء الجواب بأن يبادر سوباشى بالحرب ، ويتخذ كل ما يجب من الحيطة (2) .

لكن الهزيمة كانت من نصيب جيش سوباشي . وقد جلس طغرلبك بعدها على عرش السلطان مسعود في نيسابور . ولما سمع مسعود الخبر قرر الزحف من غزنة مع خمسين ألف فارس وراجل ، وثلاثمائة فيل ، ليخلص خراسان من السلاجقة (3) .

وأصدر مسعود الأول سنة 431هـ / 1039م ، تعليمات لقطاعات الجيش بالزحف من هراه باتجاه نيسابور ، بنظام الزحف ، لمحاربة السلاجقة بقيادة طغرلبك (4) . نستنتج أن الغزنويين طبقوا نظام الزحف عند اشتداد الأمور العسكرية .

4 - الأثقال .

الأثقال تعني أمتعة الجند ، وأدوات الحفر وتسوية الطرق ، وأسلحة الحصار الثقيلة وغيرها مما يحتاج الجيش إليه (5) . فكان الغزنويون يختارون موضعاً مناسبــاً وقريباً من مكان المعركة ، لوضع أثقال الجيش فيه قبل بدء عملياتهم العسكرية ، فقد سار السلطان محمود بن سبكتكين لبلاد الغور سنة 401هـ / 1010م وأمر ابنه مسعود ، وأخاه يوسف ، بالنـزول في موضع يعرف باسم داور ، ليكونوا مع أحمال الجيش الثقيلة (6) .

وخرج السلطان مسعود الأول على راس جيش كبير لمحاربة الجرجانيين في ناتل سنة 426هـ / 1034م ، وترك وزيره أحمد عبد الصمد في آمل مع أحمال الجيش ، وأبقى معه أبو نصر مشكان لتحرير الرسائل ، وحاجب ليقوم بإعداد كل ما يلزم (7) .

---

(1) نيشابوري : سلجوقنامه ، ص 6 .
(2) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 25 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 583 ، 586 ، 604 - 605 .
(4) المصدر نفسه ، ص 663 - 664 ، 666 .
(5) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 30 .
(6) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 124 .
(7) نيشابوري : سلجوقنامه ، ص 7 ؛ البنداري : دولة آل سلجوق ، ص 6 .

وأثناء قتال سوباشي للسلاجقة في خراسان سنة 429هـ / 1037م ، كانت أمتعة الجيش العائق الرئيسي التي قللت من حركة القطاعات ، ومنعته من تنفيذ مهامه في عمليات المطاردة في الوقت الذي كان السلاجقة أكثر إدراكاً ومعرفة من الغزنويين لمثل هذه التكتيكات ، فقد عمل السلاجقة على التخلص من أثقالهم بتأمينها في الصحراء المحيطة بهم وبالجبال المنيعة ، فاستغل السلاجقة الفرصة وقاموا بتنفيذ عملية هجوم واسعة ، مستخدمين عنصر المفاجأة ضد قوات سوباشي ، مما اكسبهم الفوز بتحقيق النصر ، وهزيمة بكتغدى أثناء الليل سراً .

وقد أكد سوباشي على أن سبب الهزيمة , هي الأثقال التي اصطحبها الجند معهم , وقال : " ولاذ كل منهم بعنق حمار أو امرأة وهرب ، وكنت قد صحت مائة ألف مرة ، بأن لا تصحبوا النساء ، فلم يسمعوا أمري ، فلما رأى الأعداء حالنا على هذا النحو ازدادوا جرأة " (1) .

وبعد معركة عليا أباد سنة 430هـ / 1038م ، انتقد السلاجقة أخطاء الغزنويين في المعارك ، ووصلت تقارير سرية من الجواسيس الغزنوية العاملة في بلاد السلاجقة ، تخبر بأن داود السلجوقي قال في اجتماع مع كبار أمرائه : " وقد رأيت حرب الميدان في علياء باد ، لقد كان له كل ما يريد من رجال وعتاد ولكن الأحمال الثقيلة ، وليس في وسعهم أن يكونوا بعيدين عنها ، فبغيرها لا عيش لهم وهي سبب عجزهم ، لأنهم مضطرون إلى حماية أنفسهم ، وحماية متاعهم ، أما نحن فخفاف لا متاع لنا ، وقد حلت الهزيمة ببكتغدى وبسوباشي ، بسبب ثقل متاعهم ومتاعنا خلفنا على مسيرة ثلاثين فرسخاً ، ونحن بهذا قانعون ، فينبغي أن نمضي في الحرب حتى نرى تقدير الله عز وجل " (2) .

كما كانت الأثقال عائقاً كبيراً أثناء العمليات الميدانية التي نفذها الجيش الغزنوي ضد السلاجقة في معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م ، حيث أعاقت تنفيذ اسلوب الكر والفر من قبل قطاعات الجيش في الوقت الذي برع السلاجقة باستخدامه ، ملحقين خسائر فادحة بمعسكرات أطراف الجيش ، فاضطر السلطان مسعود الأول للعودة لمعسكرات هراة لأسباب من أهمها ، إعادة تنظيم وتجهيز الجيش للقتال ، والعمل على توفير المؤن والذخائر من الأقاليم ، استعداداً للقضاء على السلاجقة حسب ظنه وتخطيطه ، أما السبب الآخر محاسبة أهل هراة على موالاة السلاجقة ، واستسلامهم لهم دون قتال .

وقبل بدء المعركة الفاصلة ، ناقش السلاجقة الأمر فيما بينهم , وبالعواقب الوخيمة التي قد تلحق بهم ، فيما إذا دخلوا قتال مع الجيش الغزنوي الجرار الذي قاده السلطان مسعود بنفسه ، وبعد مناقشات فكر السلاجقة بالتوجه إلى ثغور الروم ، لكن داود حذرهم من ذلك ، لأن السلطان لم يتركهم وشأنهم ، ووضح لهم نقطة ضعف جيش السلطان التي تكمن في عدم إمكانية الغزنويين الابتعاد

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 28 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 624 - 625 .

عن أحمالهم (1) .

وبعد الانتصار الذي حققه جيش السلطان , عمل السلاجقة على إعادة تنظيم قواتهم ، وقالوا : " نحن فارغون البال من الأثقال والأمتعة ، ولقد أصابتنا هذه الهزيمة ، ويجب ألا نتفرق حتى نقلقه ـ يقصدون السلطان مسعود ـ فيكف عنا راضياً أو كارهاً ، وقد انقضى الشتاء وأقبل الصيف ، ونحن أهل بادية ، ولنا جلد على الحر والبرد ، ونقدر علــى الصبر ، أما السلطان وجيشه فلا طاقة لهم به ، وإلا كيف يستطيعون المقاومة مع هذه المتاعب ، إنهم لا بد سيتراجعون " .

ثم جرت اشتباكات عدة خسرها السلطان ، مما زاد من جرأة السلاجقة ، وعلق السلطان مسعود سبب فشل الجيش في تحقيق النصر الكامل والنهائي على السلاجقة بقوله : " سبب ذلك أنهم ليس معهم أثقال فهم يتحركون كما يريدون ، أما نحن فمعنا أحمال ثقيلة تعوقنا رعايتها عن القيام بعمل أخر ، ولهذا لزوم تخلينا عن الأحمال وليس للأعداء خطر كبير فمن المستطاع أن نقضي عليهم " (2) .

وبهذا يكون الغزنويون قد تعلموا من خلال المعارك التي خاضوها مع السلاجقة ، الكثير من النظم والفنون القتالية السلجوقية ، فقد ذكر أن السلطان مسعود لما وصل هراة , عائداً من معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م بعث رسالة إلى باكاليجار والى جرجان , وأبو سهل الحمدوي عميد العراق , قال فيها : " لقد جئنا هراة في عزة النصر والسعادة ، ونقيم هنا فترة إلى أن يصل ما طلبنا من غزنة من الجمال والمال والخيل والذخيرة وآلات الصحراء ، ثم نتجه في أهبة نحو طوس ونيسابور فإنا قد وقفنا على جملة عادات العدو وشعوذته ، وعرفنا أسرار نظمهم في الحرب ولسوف نرسل عليهم رجالاً خفافاً مثلهم ، على أن نكون لهم ذخيرة ، وذلك حتى نطهر الأرض من التركمان " (3) , يعني السلاجقة .

وفعلاً توجه السلطان مسعود مطبقاً تكتيك جديد لحرب السلاجقة في نواحي مرو أوائل سنة 431هـ / 1039م ، بجيش كامل العدة وبأحمال خفيفة (4) .

تبين أن الغزنويين تعلموا تكتيك التخلص من الأثقال خلال خوضهم الحروب مع عدوهم التقليدي السلاجقة ، فأصبحوا يتوجهوا إلى ميدان القتال بأحمال خفيفة مدركين الفرق بين الحالتين .

5 - المشاغلة .

تعتبر المشاغلة من الأساليب التكتيكية المميزة ، الهدف منها إشغال العدو بالمقاومة , لتمكين قطاعات الجيش الأخرى من اتخاذ مواقع هجومية متقدمة من العدو .

فقد استخدم الغزنويون اسلوب المشاغلة في بعض معاركهم ، فقد سار السلطان

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 24 ؛ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 182 . العمري : مسالك الأبصار ، ص 222 .

(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 633 - 634 ، 638 ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص 230 - 232 .

(3) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 11 - 12 .

(4) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 259 .

محمود لفتح تانيشر سنة 402هـ / 1011م ، وبمجرد أن علم أميرها ابـرهمـن بخبـر مسير السلطان ، عبر النهر وجعل منه حاجزاً يمنع تقدم الأعداء إليه ، ووضع جيشه على الجانب الثاني للنهر لقنص عناصر جيش السلطان ، أثناء عملية عبور النهر .

ولما رأى محمود ما فعله ابرهمن ، وضع خطة ميدانية على الفور ، بأن جعل مجموعة من القوات تشاغل الأعداء , وشغلتهم عن حفظ النهر حتى عبر الجند كافة من المخاضات ، وفي تلك الأثناء تمكنت المجموعة الثانية من عبور النهر من منطقة أخرى ، واشتبكوا معهم من جميع الجهات , وبهذه الخطة الذكية مكن السلطان جيشه من تحقيق النصر على ابرهمن (1) .

كما طبق السلطان محمود نفس الخطة التكتيكية سنة 409هـ / 1018م مع جيش بروجيبال , الذي اتخذ هو الآخر من نهر كنك حاجزاً بينه وبين جيش السلطان فتمكن الجيش الغزنوي من تحقيق النصر ، وهزيمة بروجيبال وجيشه (2) .

6 - الإستدراج .

استخدم الجيش الغزنوي اسلوب الاستدراج لخداع العدو ، وجره لمنقطة يسهل علية استخدام طبيعتها بكل سهولة ويسر . فقد استدرج السلطان محمود القوات الغورية سنة 401هـ / 1010م ، بأن أوعز لجيشه بالانسحاب من أرض المعركة بعد قتال دام إلى منتصف النهار دون تحقيق أي انتصار ، فتبعه الغوريون يطاردونه ظناً منهم أن جيش السلطان قد هزم ، ولما ابتعدوا عن مدينتهم ، وأوصلهم لمكان وضعه في خطته التكتيكية ، عطف جيشه على الغوريين ، واشتبك معهم في قتال عنيف ، فتحقق النصر لجيش السلطان ، وأسروا أعداداً كبيرة من الغوريين من بينهم زعيمهم ابن سوري , عمل بعدها محمود على نشر الإسلام ، بأن جعل عند الغوريين من يعلمهم شرائع الدين الإسلامي (3) .

7 - الالتفاف والتطويق .

طبق السلاطين الغزنويون الالتفاف في ميدان القتال ، بهدف الإطباق على العدو , وإلحاق أكبر الخسائر في صفوف قواته .

فقد قام الأمير محمود سنة 385هـ / 995م بعملية تطويق لقوات أبو علي سيمجور من الخلف ، فلما وجد أبو علي نفسه بوضع لا يحسد عليه ، لم يكن أمامه إلا الهروب ، بعد أن قتل عدد كبير من جنده (4) .

وفي معركة عنيفة بين الجيش الغزنوي بقيادة السلطان محمود ، والقوات الهندية المتحالفة مع آنندبال ملك مملكة بهيم الهندية سنـة 399هـ / 1008م ، قـامـت

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 273 .
(2) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 306 - 307 .
(3) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 79 .
(4) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 168 .

القوات الهندية بهجوم معاكس وكاسح ضد الغزنويين ، فكادوا أن يحققوا النصر لـولا تدخل العناية الإلهية ، ثم استخدام رماة الجيش الغزنوي للنفط ، وقيام محمود بتنفيذ خطة التفاف ، بأن أرسل قسماً كبيراً من قواته , للالتفاف خلف خطوط الأعداء وهاجمها على حين غرة ، مستخدمة عنصر المفاجأة ، وتزامن ذلك مع ارتباك فيلة الهنود من تأثير النيران الملتهبة التي كان الرماة يصوبونها في وجوهها (1) .

وعند وصول السلطان محمود لفتح قلعة كلجند سنة 407هـ / 1016م اعترضته في الطريق منطقة أحراش متشابكة ، لا يمكن اجتيازها بسهولة ، وكان كلجند قد وضع فيها عدد كبير من الجند والفيلة لمنع تقدم الغزنويين , ولصعوبة اجتياز تلك المنطقة ، طبق السلطان خطة التفاف في الوقت الذي أمر قسم من قواته بمشاغلة كلجند ، وسلك طريق أخر مع بقية الجيش ، وتمكن من الالتفاف حول القلعة وفاجأ من بها ، وقتل الكثير منهم وانهزم كلجند (2) .

وفي غزوة السلطان محمود على كشمير وقنوج سنة 409هـ / 1018م ، وعند قلعة مَهَابان (Mahaban)* وجد أميرها الإقطاعي كولشانـد (kulchand) قد حشد الجيوش ، وجمع فيلته الحربية ، واتخذ من الغابات الكثيفة المحيطة بمنطقته حصناً له ، فلم يكن أمام السلطان إلا تنفيذ خطة التفاف حول قوات كولشاند فاحرج موقفه ، ولم يبقَ أمام كولشاند إلا البحث عن مخرج للنجاة ، فـاختار جنده خوض مياه نهر جمنا العميقة الجارفة ، فكانت عندهم ارحم من الوقوع أسراء بيد القوات الغزنوية ، فهلك أغلبهم ، أما كولشاند فعمد إلى قتل زوجته وابنه ، ثم غمد خنجر في صدره ، خوف العيش تحت مذلة الهزيمة وعار الأسر (3) , نتج عنه هزيمة علاء الدولة والقوات المتحالفة معه .

8 - الحصار .

نصح الهروي (4) القادة العسكريين بقوله : " وليحذر أن ينـزل على حصن يكون أكبر منه ، وأقوى من جيشه فيقهره ، فإن رحيله عن الموقع ، بعد نزوله عليه ومباشرته له بالحرب عار وهزيمة ، ولا ينـزل على حصن منيع ولا ثغر حصين إلا بعد استمالة قلوب أهله وأجناده ، ومقدميه وقواده ، بجميع ما يقدر عليه ، ويصل إليه وخدع الأمراء والأكابر بما يرومونُه ، ويضمن لهم ما يطلبونه ، وذلك قبل الحركة إليهم والنـزول عليهم ، ولعله يجد فرصة ينتهزها أو حيلة يعملها ، أو يبلغه من ثقات الجواسيس ، وأصحاب النواميس ، أن الحصن قليل الذخائر أو خال من الرجال ، أو قد قل به القوت " .

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 338 ؛ خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 378 ؛ فريشتا : ج 1 ، ص 46 - 47 .

(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 84 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، 282- 283 .

* مَهَابان : يسميها الكرديزي مهاون (Mohawan) ، تقع قرب الشط الشرقي لنهر جمنا ، وهي على مسافة ستة أميال للجنوب الشرقي من مدينة ماثورا . الكرديزي : زين الأخبار ، ص 87 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 283 ؛ ناظم : السلطان محمود ، ص 104 .

(3) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 453 - 454 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 283، ج 8 ، ص 3 .

(4) التذكرة الهروية ، ص 102 .

أما الهرثمي (1) فنصح القادة بأن : " أول عمل الحصار أن تحصر أهله من ساعة تنزل عليهم ، حصراً لا يقدرون معه على أن يخرج منهم أحد ، ولا يدخل إليهم أحد ، ولا يسمعون له كلاماً ، ولا ينظرون منه إشارة ، ولا يبلغه لهم رمية وقالوا : اعمل في الحصار على استمالة بعض حاميته , والتحرز منهم وإدخال الرعب عليهم ، والعمل في كل خصلة من هذه الخصال الثلاثة وجوه من الحيل والمكائد كثيرة " . والمراد من إبعاده عن مرمى سهامهم ، لئلا يتفاهم معهم عن طريق الرسائل التي تربط على السهام .

لما ذكر من فوائد وغيره ، تشير المصادر إلى إكثار الغزنويون من استخدام اسلوب الحصار في معاركهم خاصة في بلاد الهند ، لأنهم كانوا يواجهون مدنا مسورة ، وقلاعاً حصينة يصعب فتحها دون ضرب حصار حولها . نذكر فيما يلي بعضها على سبيل المثال لا الحصر .

حاصر السلطان محمود جيش السامانيين بقيادة بكتوزون وفائق وأبو القاسم سيمجور في مرو ، ونتج عنه أن فتح المحاصرون باب المفاوضات ، وانتهت بموافقة الجانبين على أن يسود السلام بينهم . لكن الاتفاق لم يطبق فعلياً ، لمهاجمة الأمراء السامانيين مؤخرة جيش محمود التي كان يقودها أخوه الأصغر الأمير نصر ونهبوا متاعهم ، وبعض دوابهم ورجالهم ، فاضطر محمود أن يدخل معهم في معركة قرب مرو في 27 من شهر جمادي الأول سنة 389هـ / 20 ابريل 998م نتج عنها هزيمة ساحقة للأمراء السامانيين (2) .

كما ضرب الجيش الغزنوي سنة 390هـ / 999م , بأمر السلطان محمود بن سبكتكين , حصاراً حول حصن اصبهبذ* لتحصن خلف بن أحمد حاكم سجستان بداخله ، وضيقوا عليه الحصار حتى أجبر على طلب الصلح وأن يدفع أموال لخزانة غزنة , وصفت بأنها طائلة ، ويقيم الخطبة للسلطان في بلاده (3) .

ففي سنة 392هـ / 1001م توجه السلطان محمود لغزو بيشاور ، ولما وصل إلى ويهند ، لم يتمكن من اقتحامها ، فضرب عليها حصار محكم , وبقي يشدد عليها الحصار حتى فتحها قهراً (4) .

كذلك حاصرت قطاعات الجيش الغزنوي لمدة سبعة أيام وتحت إشراف السلطان محمود بن سبكتكين سنة 396هـ / 1006م , داود القرمطي في قلعته التي تحصن فيها ، بعد أن ترك للغزنويين باقي بلاده يفعلون فيها كيفما شاءوا . ونتج عن الحصار استسلام داود ، وتوقيع معاهدة مع السلطان ، تضمنت شروط عدة من

---

(1) مختصر سياسة الحروب ، ص 57 .

(2) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 1 ، ص 298 ؛ الكرديزي : زين الأخبار ، ص 65 - 66 ؛ ناظم : زمن السلطان محمود ، ص 38 - 43 .

* اصبهبذ : حصن منيع بنواحي بوشنج ، قال عنه ابن الأثير : هو حصن يناطح النجوم علواً وارتفاعاً . الكامل : ج 7 ، ص 206 . القزويني : آثار البلاد ، ص 337 .

(3) العتبي : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 395 - 396 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 206 .

(4) الكرديزي : مصدر سابق ، ص 66 ؛

Habib : Sultan Mahmud , p . 25 .

أهمها ، أن يتخلى داود عن مبدأ العصيان ، ويعود لطاعة الغزنويين ، وأن يلتزم بدفع ضريبة سنوية لخزانة غزنة ، ويتعهد بترك عقيدة القرامطة الشيعية . واختتم السلطان محمود المفاوضات بأقصى سرعة ، ليعود إلى غزنة لوصول أخبار مفادها عبور القراخانيين نهر جيحون ، واجتياحهم لأراضي خراسان الشرقية (1) .

وفي غزوة بهيم نغر سنة 397هـ / 1006م ضرب السلطان يمين الدولة محمود حصار مشدد على قلعتها ، قال العتبي : (2) " فحشر عليها جنوده ، وضرب حولها بنوده ، وانبرى لقتال مستحفظها ، بقلب جرى ، وأنف حمى ، وعزم ذكى وبطش قوي " .

ونفذ السلطان محمود أيضاً , الحصار حول كل قلعة أو حصن كان يصعب على جنده اقتحامه ، أو السيطرة عليه منذ اليوم الأول لوصوله إليها . مثل قلعة بهيم نكر سنة 399هـ / 1008 م . وقلعة نيدار بهيم سنة 404هـ / 1013م ، وكلاهما من قلاع بلاد الهند (3) ، وطبق محمود هذه الاستراتيجية أثناء غزوته الثانية عشرة لبلاد الهند سنة 409هـ / 1018م ، والتي استهدفت مناطق ما وراء الأنهار السبعة ، حيث بأشر بأول عمل عسكري بحصار قلعة كلجند الواقعة قرب نهر جمنا . كما ضرب الحصار أثناء عودته حول قلعة مُنْج التي تعرف بقلعة البراهميين حتى استسلمت حاميتها ، بعد مقاومة ضئيلة (4) .

ولم يكن اسلوب الحصار الذي كان يفرضه الغزنويون ، تكتيكاً ناجحاً باستمرار ، بل كان يؤدي إلى الفشل أحيانا ، ولم يحقق الهدف المنشود . فقد فشل حصار جيش السلطان محمود لقلعة لُهْكُت ، حامية ممر تُشميدان ، وهي إحدى بوابات أراضي كشمير سنة 405هـ / 1015م ، لشدة منعتها ، وكان الهنود قد تمكنوا من تأمين المواد التموينية والذخائر لها ، ورغم تشديد الحصار لها من قبل الجيش الغزنوي ، وطيلة فترته ، والمحاولات اليائسة التي جرت لاقتحامها ، من أجل إجبار أهلها على الاستسلام ، لكنه فشل في اقتحامها بسبب دخول فصل الشتاء ، وتساقط الأمطار والثلوج ، فأجبر السلطان محمود على إصدار أوامره ، برفع الحصار عنها والعودة إلى لاهور ، لقضاء بقية فصل الشتاء ، ثم عاد بعدها إلى غزنة (5) . كما فشل محمود في حصار قلعة لوهكت مرة أخرى سنة 412 هـ / 1021م (6) .

وفي حملة السلطان محمود الخامسة عشر لبلاد الهند والسند سنة 413هـ / 1022م ، التي وجهها ضد ناندا ملك تَشَنْدِل (Chandela) وعاصمته كالنجار وحلفائه , الذين كان على رأسهم ارجان ملك كَواليور ، والذين سبق لمحمود أن

---

(1) العمري : مسالك الأبصار ، ص 196 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ص 40 - 41 .
(2) تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 97 - 98 .
(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 97 - 98 ، 152 - 153 ؛ خواندمير : تاريخ حبيب السير ، ج 2 ، ص 378.
(4) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 82 - 84 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 283 .
(5) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 154 - 155 ؛ ناظم : زمن السلطان ، ص 105 .
(6) الكرديزي : مصدر سابق ، 88 ؛ ايلليوت : تاريخ الهند ، ج 2 ، 465 - 466 ؛
Habib : Sultan Mahmud , p . 44 .

حاربهم ، لكنه لم يتمكن من إخضاعهم لسلطانه في حملته الثالثة عشر سنة 410هـ / 1019م ، فقرر أن ينهي أمرهم ، مبتدأ بحصار قلعة كَواليور الحصينة ، حتى أرسل ارجان رسلاً ، حملوا هدايا قيمة للسلطان ، وطلبوا منه فتح باب المفاوضات بينهم ليكون من أتباعه ، فوافق السلطان على الطلب ، ووقعت بينهم هدنة ، تضمنت بنود عدة , أهمها فرض جزية سنوية , عدد من الفيلة يقدمها ارجان للسلطان (1) .

واتبع السلطان مسعود الأول نفس استراتيجية والده ، ففي سنة 425هـ / 1033م لم يتمكن مسعود من فتح قلعة سرستي المنيعة الواقعة على نهر كشمير إلا بعد أن ضرب الحصار حولها ، وراسله حاكمها ، ببذل المال مقابل فك الحصار وإبقائه في حكمه ، فوافق مسعود على العرض ، وكان بداخلها تجار من المسلمين عزم حاكمها على أخذ أموالهم ، وتقديمها إلى مسعود من جملة الأموال التي سيقدمها له ، فكتب التجار رقعة في نشابة ، ورموها إلى السلطان وضحوا فيها ضعف حاكم القلعة ومن معه من الهنود ، وإن صبر ملكها بسهولة ، فتراجع السلطان عن الصلح وتوجه للحرب ، فتحقق له النصر .

وتشير المصادر إلى أن والده السلطان محمود ، سبق وأن حاصرها مرات عدة ، لكنه لم يتمكن من فتحها (2) . ثم سار مسعود في نفس السنة إلى قلعة نغسي التي وصفت بأنها مرتفعة جداً ، وشدد الحصار عليها ، إلا أنه أصيب بوعكة صحية حتى وهن جسمه ، ولم يتمكن من رفع رأسه ، الأمر الذي جعله يفك الحصار ويأمر الجيش بالعودة إلى غزنة . وتشير المصادر إلى سبب مرض مسعود بأنه سحر من قبل عجوز ساحرة ، خرجت من القلعة ، وأطلقت كلاماً باللغة الهندية ، وأخذت مكنسة فبلتها بالماء ، ورشته باتجاه معسكر السلطان فمرض (3) .

وقام السلطان مسعود الأول سنة 429هـ / 1037م بعمليات عسكرية ضد القوات الهندية المدافعة عن قلعة هانسي ، بعد أن ضرب حصار مشدد حولها ، فأبلى المدافعون عنها القلعة دفاعاً مستميتاً ، كما أبلى المهاجمون بلاءً حسناً ، ورغم حصانة القلعة ومناعتها ، تمكن الجيش الغزنوي من إحداث خمسة ثقوب في جدرانها من مواضع مختلفة ، مكنتهم من الدخول إليها والسيطرة عليها (4) .

من خلال ما سبق يتضح أن هدف الغزنويين من ضرب الحصار حول قلاع وحصون أعدائهم , كان لقطع الإمدادات عنها حتى يصبح المدافعين عنها بقلة من الأسلحة والمؤن ، فيسهل على القوات المهاجمة السيطرة عليها . أما عن سبب فشل حصارهم لبعض القلاع والحصون , فكان ناتج عن سيطرة الأعداء على إمداداتم من ناحية ، وعلو وحصانة هذه المواقع الدفاعية من ناحية أخرى .

9 - تناوب القتال .

التناوب بالقتال أحد التكتيكات القتالية التي نفذها الغزنويون في الميدان ، كـــان

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 315 ؛ ناظم : السلطان محمود ، ص 207 - 208 .
(2) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج 4 ، ص 57 - 58 .
(3) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 12 ، ص 38 ؛ دحلان : الفتوحات الإسلامية ، ج 1 ، ص 235 .

(4) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 7 ؛ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 154 .

الهدف منه إضجار العدو ، وإرهاق مقاتليه ، استعدادا لقيام كافة قطاعات الجيش بحملة واحدة على الأعداء .

ولما رأى الأمير سبكتكين أن جيش جيبال ملك شمال بلاد الهند سنة 366هـ / 976م يقدر بمائة ألف مقاتل ، استخدم نظام القتال بالتناوب . وقسم قطاعات الجيش لعدة مجموعات قتالية ، وأمرهم بالتناوب بالقتال حتى ضجر جيبال من دوام القتال المستمر ، فحملت بعدها بقية المجموعات القتالية الغزنوية حملة واحدة ، فانهزم الهنود (1) .

وأثناء مجريات معركة حدثت بين جيش السلطان مسعود الأول والسلاجقة في وأدي علياباد من جهة الصحراء سنة 430هـ / 1038م ، وكان السلطان يمتطي فيله الخاص ، ويراقب أحداث المعركة من فوق ربوة مرتفعة ، وكان جيشه مكون من ستة آلاف غلام من غلمان السراي ، بالإضافة للقطاعات الأخرى .

إلا أن الستة آلاف لم يقاتلوا دفعة واحدة ، بل جرى تقسيمهم إلى أفواج كل فوج حوالي خمسمائة فارس ، فكان إذا دخل فوج للمعركة تبقى آلافواج الأخرى بحالة المتفرج على القتال ، ثم يخرج الفوج من ساحة القتال ، ويدخل مكانه فوج أخر أخذ قسطاً من الراحة ، ولما لاحظ السلطان عند الظهر فشل القتال بالتناوب ، طلب جواداً والتف حوله الجيش من مختلف التشكيلات القتالية ، وطلب من بكتغدى أن يمده بألف من الفرسان ، وخاض غمار الحرب بنفسه ، وبعد أن توقف عن القتال شن الغلمان على السلاجقة حملة عنيفة (2) . نتج عنها هزيمة ساحقة للسلاجقة ، وتفرقوا في الصحراء ، بعد أن وقع الكثير من جندهم ما بين قتيل وجريح وأسير .

10 ـ تدمير منشآت العدو .

اتبع الغزنويون تكتيكاً حربياً مميزاً لتدمير مواقع ومنشآت العدو ، بهدف تحقيق النصر بأقل الخسائر ، ففي معركة سُومنات سنة 416هـ / 1025م ، أصدر السلطان محمود بن سبكتكين تعليماته لقطاعات الجيش بفرض حصار مشدد حول قلعة سُومنات ، ومناوشة العدو في معارك جانبية ، لمعرفة قدرات القوات المدافعة ومدى استعدادها للقتال ، ومحاولة تدمير دفاعاته خاصة الأسوار منها ، عمل بعدها السلطان على إكمال تنفيذ خطته الحربية ، حيث قام في اليوم الثاني للمعركة بشن الهجوم الرئيسي ، مخترقاً صفوف القوات المدافعة ، ملحقاً بهم خسائر فادحة في المنشآت والجند ، وتشير بعض المصادر بأن عدد القتلى من الجانبين بلغ قرابة الخمسين ألف ، أكثرهم من القوات المدافعة (3) . فمرحلة تدمير منشآت العدو ، تعد مرحلة قتالية تمهيد لاحتلال المواقع الاستراتيجية ، وتفقد العدو قوة المقاومة .

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 81 ؛ فريشتا :تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 38 ؛
Jaffar : Medieval India under muslim Kings , vol . 2 , p . 34 .

(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 622 - 623 ؛ نظام الملك : سياست نامه ، ص 145 ؛
Smail : crusading warfare , p . 78 – 79 .

(3) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 429 .

11 - احتلال مواقع العدو .

قامت استراتيجية الجيش الغزنوي على تنفيذ خطوات الخطط الحربية المرسومة من قبل القيادة العليا ، وتحت إشراف السلطان أو من ينوب عنه في قيادة الجيش . فبعد قيامهم بتدمير منشآت العدو ، تتقدم بعض فصائل الجيش ، وتحتل مواقع متقدمة وقريبة من القوات المعادية ، وتتم مرحلة التقدم تحت حماية سهام ورماح قوة قطاع الرماة , وحملة الرماح التي تتخذ مواقعها خلف القوات المتقدمة بهدف حمايتها .

وبعد احتلال الفصائل لمواقعها الأمامية ، تقوم بالاشتباك المباشر مع دفاعات العدو ، بهدف تمكين عناصر الرماة وحملة الرماح وبقية القطاعات من التقدم لاتخاذ مواقع أمامية جديدة ، تكون أكثر قرباً من العدو ، لتصبح الأهداف ضمن مدى رماية أسلحتهم المباشرة . بهذا التكتيك احتلت جيوش السلطان محمود بهاطية سنة 395هـ / 1004م بعد أن دمروا سورها ، وقتلوا المدافعين عن قلعتها بالسيوف (1) .

وتحت حماية قوة الرماة ، وخلال الساعات الأولى من اليوم الثاني لمعركة سُومنات سنة 416هـ / 1025م ، تقدم السلطانة محمود بهجوم وصف بأنه شامل وكاسح علـى الهنود ، حقق من خلاله انتصاراً باهراً على القوات المدافعة واحتلال قلعة سُومنات (2) .

12 - المطاردة .

المطاردة إحدى التكتيكات العسكرية الهجومية التي استثمرها الغزنويون للفوز بالنصر ، ولإبعاد العدو عن المنطقة التي تم السيطرة عليها ، وكان اسلوباً وقائياً تحسباً من قيام العدو بإعادة تنظيم قواته ، والعودة لشن هجوم معاكس .

وبعد أن فتح السلطان محمود ويهند ، أثناء غزوته لمناطق بيشاور سنة 392هـ / 1001م ، بلغه أن جماعة من الهنود اجتمعوا بشعاب تلك الجبال ، عازمين على القيام بأعمال فساد في المناطق التي سيطر عليها ، فأرسل إليهم السلطان قوات قامت بمطاردة هؤلاء المفسدين ، فأكثروا فيهم القتل ، ولم ينجُ منهم إلا القليل (3) .

وبعد أن حقق الجيش الغزنوي انتصارات على قوات أيلك خان في مواقع عدة في خراسان سنة 396هـ / 1005م ، قام بمطاردة فلوله من مدينة إلى أخرى (4) .

وفي سنة 398هـ / 1007م وصل السلطان محمود إلى أقاصي نهر هندمند المعروف بنهر هيرمند ، وهناك دارت معركة عنيفة مع القوات الهندية بقيادة ابرهمن بن آنندبال ، أسفرت عن هزيمة ساحقة للقوات الهندية ، فطاردهم الجيش الغزنوي حتى أوصلوهم إلى قلعة بهيم نغر (5) .

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، 66 - 67 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 226 .
(2) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 428 - 429 .
(3) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 214 ؛ العسلي : فن الحرب ، ج 3 ، ص 357 .
(4) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 78 - 82 ؛
Jaffar : Medieval India under muslim Kings , vol . 2 , p . 56 .
(5) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 78 ؛ دحلان : الفتوحات الإسلامية ، ح 1 ، ص 372 .

وبعد انتصار جيش السلطان في معركة قلعة بهيم سنة 399هـ / 1008م والهزيمة الساحقة التي مني بها آنندبال ، والقوات الهندية المتحالفة معه ، حيث أخذ كل إنسان ينشد النجاة , بالبحث عن مسلك ينجو من خلاله بنفسه ، أو ملجأ يختبيء فيه , وفي تلك المرحلة نفذت قطاعات جيش السلطان , عملية مطاردة لفلـول جيش آنندبا , استمرت لمدة يومين وأخذوا يقتلون ويأسرون من يلحقون به ، ويسلبوا كل ما يجدون فيه فأئده لهم (1)

كما طارد الجيش الغزنوي سنة 408هـ / 1016م ، فلول القوات الخوارزمية المنهزمة من أرض المعركة ، وأخذوهم بالقتل والأسر ، ولم ينجُ من الخوارزميين إلا القليل (2) .

كذلك أرسل محمود قوات عسكرية أثناء عودته من كنوج سنة 409هـ / 1018م ، لمطاردة جندر راى حاكم قلعة شروا ، وبعد خمسين ميلاً من الملاحقة والمطاردة ، تمكنت من هزيمته واستباحت معسكره (3) .

كما طارد الجيش الغزنوي بقيادة السلطان محمود سنة 410هـ / 1019م فلول القوات الهندية المتحالفة مع تريلكنبال ملك لاهور وابنه نيدار الجسور ، وجاءت هذه المطاردة بعد الهزيمة التي مني بها تريلكنبال في المعارك المتلاحقة التي عرفت باسم معارك رهيب ، واستمر الغزنويون بعمليات المطاردة والملاحقة حتى ضواحي مدينة بارى (4) .

كذلك طاردت كتائب الجيش الغزنوي البرية ، فلول قبائل الجات الهاربة من معركة نهر وادي السند السفلي سنة 418هـ / 1027م ، بعد أن حقق الأسطول الغزنوي النصر عليهم ، وتابعوهم حتى تمكنوا منهم في الأماكن التي أمنوا فيها أهلهم وأموالهم ، فأوقعوا فيهم مقتلة عظيمة ، وأسروا بعضهم واسترقوا البعض الأخر(5) .

ولما طبق فرسان السلطان مسعود بن محمود اسلوب المطاردة في معركة ناتل سنة 426هـ / 1034م ، تمكنوا من تحقيق النصر ، وتم خلال عملية المطاردة قتل وأسر أعداد كبيرة من الجرجانيين (6) .

كما استخدم السلطان مسعود الأول اسلوب المطاردة في تتبع التجمعات السلجوقية خلال الفترة من سنـة 428 - 430هـ / 1036 - 1038م (7) .

---

(1) خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 378 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ،ص 46 - 47 ؛ ناظم : زمن السلطان ، ص 89 - 90 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 282 .

(3) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 258 .

(4) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 86 ؛ ايلليوت : تاريخ الهند ، ج 2 ، ص 462 ؛
Habib : Sultan Mahmud , p . 43 – 44 .

(5) الكرديزي : مصدر سابق ، ص 100 ؛
Jaffar : Medieval India under muslim Kings , vol . 2 , p . 58 .

(6) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 491 .

(7) البنداري : دولة آل سلجوق ، ص 10 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 8 ، ص 15 ، 17 .

وبعد أن تلقن السلاجقة درساً قاسياً في معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1039م ، طارد بيري قائد الاصطبلات مع جماعة من المقدمين فلولهم (1) ، وكان الهدف من عملية المطاردة القضاء على فلول السلاجقة , حتى لا يفكروا بإعادة تنظيم قواتهم ، وشن هجوم معاكس على مواقع الجيش الغزنوي المنتصر .

ثانياً - التعبئة في الدفاع

1 - اليقظة (التيقظ) .

حذر الهروي (2) السلطان أو من ينوب عنه في قيادة المعركة بقوله : " وإياه أن يهمل أمر الخصم ، فإنه إن أهمل أمره , قل احتراسهُ منه ، فربما يقوى عليه فيقهره ويندم ولا ينفعه الندم . بل لا يزال على قدم الخوف ، وبساط الحذر ومقام التيقظ ، فقد قيل في الأمثال : كُن مع عدوك وخصمك أسمع مـن فرس ، وأبصر من عُقاب* وأحذر من عَقعق* وأوثب من فهد ، وأشد إقداماً من أسد ، وأحقد من جمل وأصبر من ضب* " .

وطبق علي القريب اسلوب اليقظة , فاتخذ كافة التدابير الاحتياطية , للحيلولة دون حدوث اضطراب داخل ولايات الدولة خلال فترة عزل محمد بن محمود والمناداة بأخيه الأمير مسعود سلطان على البلاد سنة 421هـ / 1030م . كما حذر علي القريب عامل تكيناباد وشحنة بست ، بأخذ احتياطات أمنية تحسباً لحدوث اضطراب بتلك النواحي ، وقال له : " احتفظ بفرسانك , وأبعث ببقية الجند الذين معك حول القلعة إلى المعسكر ليسيروا معنا ، ولتكن حذراً يقظاً كي لا يحدث اضطراب " (3) .

وشدد سلاطين غزنة على تطبيق اسلوب اليقظة ، وكانوا يوصون قادتهم بمختلف مواقعهم بالحرص الشديد على اتخاذ تدابير اليقظة , والاحتراز من العدو .

من ذلك ما أوصى به السلطان مسعود بن محمود , لما عيَّن حسن سليمان شحنة للري سنة 421 هـ / 1030 م قائلاً له : " إنا مزمعون على الرحيل غداً ، وقد رأينا أن نستعملك شحنة على هذا الإقليم ، فلتكن كيساً يقظاً ، كيلا يقع خلل في غيابنا ، ولتسر في أهل هذا الإقليم سيرة حسنة " (4) .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 631 - 632 ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص 230 - 233 .

(2) التذكرة الهروية ، ص 92 .

* العُقاب : تجمع عِقبان وأعْقُب وعقابين . وهو طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى ، قوي المخالب وله منقار أعقف . ابن منظور : لسان العرب ، ج 1 ، ص 621 (مادة عقب) ؛ البستاني : محيط المحيط ، ص 617 .

* العقعق : طائر أبلق بسواد وبياض يشبه صوته العين والقاف. الهروي : مصدر سابق ، ص 92 .

* الضب : يجمع أضُب وضُبّان ، وهو حيوان من الزواحف شبيه بالجرذون ، ، جسمه خشن ، ولونه اغبر أسود وإذا سمن أصفر صدره ، ذنبه كثير العقد . ومن الأمثال فيه " أعقد من ذنب الضب " أي مشكل لا تحل عقده . وتقول العرب : " لا أفعله حتى يرد الضب الماء " ، لظنهم أن الضب لا يرد الماء . ابن منظور : لسان العرب, ج 1 ، ص 539 (مادة ضبب) ؛ البستاني ، مصدر سابق ، ص 529 .

(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 10 ؛
Jaffar : Medieval India under muslim Kings , vol . 2 , p . 59 .

(4) البيهقي : مصدر سابق ، ص 23 ؛ مقديش : نزهة الأنظار ، ج 1 ، ص 301 - 302 .

كما أوصى السلطان مسعود الأول القائد أحمد ينالتكين سنة 422هـ / 1030م بعد استعرضه الجيش في ميدان شابهار ، بأن يكون يقظاً في بلاد الهند ، وأن يقدر نعمة القيادة ، ويضع شخص السلطان نصب عينيه ، ويجعل خدماته محمودة ، ليكن مستحقاً لمزيد من العناية (1) .

كذلك أوصى السلطان مسعود الأول , بعد الانتهاء من استعراض قطاعات الجيش ، الذي جهز لإرساله لمساعدة التونتاش خوارزمشاة في حرب علي تكين سنة 423هـ / 1031م بأن نادى القائدين بكتكين جوكَاني ، وبيري قائد الإسطبلات وقادة قطاعات الجيش كافة ، وخاطبهم قائلاً : " كونوا عقلاء يقظين وامنعوا الجند من التعدي على الناس ، سواءً في بلادكم أو في غيرها من بلاد الأعداء ، حتى لا يقع ظلم على أحد ، وحين تلتحقوا بجيش التونتاش ، أدوا واجبكم خير أداء ، وائتمروا بأمره ، ولا تخالفوه في شيء .

فقالوا : سمعاً وطاعة ثم قبلوا الأرض , حسب العادة المتبعة عند تلقي الأوامر العسكرية . ولما وصل جيش غزنة لأرض المعركة في بلاد ما وراء النهر ، خاطب التونتاش من فوق ربوة مرتفعة قادة ومقدمي جيشه قائلاً : " أيها الأحرار عندما يطلع النهار ، سوف يقابلنا خصم لدود ماكر ، وله جيش متحد ، سيقاتلونكم مستميتين ، وها قد جئنا لسلب أموالهم ، واجتثاث أرواحهم ، فكونوا يقظين فطنين " (2) .

وشدد السلطان مسعود سنة 426هـ / 1034م في أوامره التي كتها لقادة الجيوش في كل من مرو وبلخ بالاستعداد ، وأن يكونوا جاهزين يقظين ، تحسباً لأي هجوم سلجوقي على نواحي خراسان ، والقيام بمراقبة حدود الصحراوات ، ومعابر نهر جيحون بدقة تامة ، في الوقت الذي توجه فيه السلطان إلى دهستان , لمواجهة هارون بن التونتاش خوارزم شاه ، والسلاجقة المختفيين في بلخان كوه ، وأكد في أوامره على ضرورة تعاون جميع الجيوش المنتشرة في خراسان على طرد السلاجقة من نواحي البلاد . وعقب السلطان على هذا الموضوع , بأن خراسان وطرقها مملوءة بالجند الذين حملوا تراكمة العراق على الفرار ، وطاردوهم حتى بلخان كوه وأن الجيش يتعقبهم بعمليات عسكرية منظمة (3) .

وعدم التيقظ يسئ سمعة الجيش ، ويقلل من معنوياته القتالية ، ويشجع العدو على الإقدام . فقد ساءت سمعة جيش السلطان مسعود سنة 430هـ / 1038م , عندما تمكنت إحدى مجموعات فرسان الجيش السلجوقي من التسلل لقرب حديقة السلطـــان في نيسابور ، وسرقة أحد الفيلة ، بعد أن قتلوا حراسه الهنود الأربعة (4) .

2 - المراقبة .

المراقبة تكتيك تعبوي حرص الغزنويون علـى تطبيقه بحالتي الهجوم والدفـاع

---

(1) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 5 ؛ الذهبي : العبر ، ج 2 ، ص 182 .

(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 362 .

(3) البنداري : دولة آل سلجوق ، ص 6 ؛

Ikram : History of muslims civilization in India and Pakistan , p . 35 .

(4) الحسيني : مصدر سابق ، ص 12 ؛ الذهبي : مصدر سابق ، ج 3 ، ص 172 .

لهذا وضع الغزنويين السعاة على الطرق المعروفة لهم ، وخصصوا لهم أجور شهرية ومكافآت ، ووضعوا نقباء لمراقبتهم والإشراف عليهم حتى لا يتوانوا عن أداء واجباتهم . فقد قام الأمير سبكتكين بمراقبة واستطلاع جيش الأمير نوح بن منصور الساماني أمير خراسان عند مضيق خُلم . وكان هذا الجيش قد لحق بألبتكين لأسره ، وثنيه عن قصده إلى بلاد الهند (1) . وكان هدف سبكتكين من تطبيق اسلوب المراقبة ، معرفة حجم قوات جيش أمير خراسان ، ومعنويات جنده ، ومدى استعداد تلك القوات لخوض معركة مع ألبتكين .

وأثناء خوض جيش السلطان محمود معركة بحرية في مياه نهر وادي السند السفلي سنة 418هـ / 1027م ، قام بوضع قواته البحرية بحالة مراقبة ، تحسباً لاستخدام القوات المعادية عنصر المفاجأة ضد قطاعات جيشه ، في الوقت الذي وضع فيه العدو ، قوات برية لشن هجوم شامل لمحاصرة أسطول السلطان ، لوضع قوات السلطان بين فكي كماشة ، لكن قوات محمود البرية نجحت بأعمال المراقبة وتصدت لكل من هرب من العدو وقتلته ، أو ردته لمياه النهر ، ليقتل من قبل القوات البحرية الغزنوية (2) .

وفي أواخر حياة السلطان محمود ، أمر بوضع الجواسيس والعيون والمخبرين والمنهيين في الطرق ، والمعابر لمراقبة تحركات ابنه مسعود وتصرفاته ، حتى لا يكتب الأخير عهداً وميثاقاً بولاية جرجان وطبرستان لمنوجهر قابوس والى جرجان وطبرستان ، وكان محمود يعرف بوجود مراسلات بينهما ، إبان وجود مسعود بقيادة هراة واستمرت العلاقات بينهما حتى بعد استلامه مسعود الحكم ، فطلب منوجهر عهداً وميثاقاً كما هي العادة بين الملوك (3) .

وكان الغزنويون في العهد المسعودي أكثر شدة في مراقبة الطرق ، فقد تمكن الجنود الغزنويون الموكل إليهم حراسة الطرق المؤدية لإقليم خوارزم سنة 423هـ / 1034م من إلقاء القبض على حامل معماة , كتبها مسعدى* الى التونتاش خوارزام تضمنت تفاصيل مكيدة أعدها السلطان مسعود للقبض التونتاش (4) .

وأرسل السلطان مسعود الأول كتب إلى بأكاليجار حاكم إقليم جرجان سنة 424هـ / 1032م ، ليكون على يقظة وأهبة ، وليرسل جيشاً قوياً إلى دهستان لحماية طرقها . وجاء ذلك على أثر وصول أخبار من مراقبي الطرق ، تفيد بوصول ابن يغمر التركماني من بلخان كوه ، للأخذ بثأر أبيه من المسلمين الذي قتل مع عدة

---

(1) نظام الملك : سياست نامه ، ص 123 ، 152 .
(2) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 100 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 142 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 22 - 23 .
* مسعدى : وكيل التونتاش خوارزم شاه المعتمد لدى البلاط الغزنوي منذ سنة 423هـ / 1031م ، كان يقوم بمراقبة مصالح وأعمال إقليم خوارزم في بلاط غزنة ، وينهي للتونتاش بكل الأخبار التي تحدث في غزنة أو يسمعها , أرسله السلطان مسعود الأول سنة 429هـ / 1037م لإبرام معاهدة صلح مع أولاد علي تكين .
البيهقي : مصدر سابق ، ص 61 ، 92 - 93 ، 335 - 336 ، 346 ، 533 - 534 .
(4) المصدر نفسه ، ص 336 ، 346 ؛ الراوندي : راحة الصدور ، ص 166 .

أشخاص من التركمان بأمر تاش فراش (1) .

كما أمر السلطان مسعود الأول سنة 426هـ / 1034م بالكتابة إلى القائد علي الداية بالذهاب إلى بلخ ليضبط الطرق ، وأخذ الحيطة التامة حتى لا يحدث خلل .

وجاءت تشديدات السلطان ، بعد وصول خبر وفاة على تكين حاكم ما وراء النهر ، وتولية ابنه الأكبر حكم البلاد خلفاً لوالده . كما كتب السلطان بهذا الخصوص إلى كلاً من قتلغ ، والقادة أبو نصر وأبو الحسن خلف المرابطين في ترمذ لأخذ كافة تدابير الحيطة والحذر (2) .

وفي تعبئة الجيش التي تمت تحت إشراف السلطان مسعود الأول قبيل معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1028م ، حرص على اتخاذ كافة أساليب الحيطة والحذر ، وأمر أرتكين ليكون قائد لساقة (مؤخرة) الجيش مع خمسمائة من أقوى الفرسان ، وخمسمائة فارس هندي ، وقال لأرتكين : " التفت حتى لا يحدث خلل في الإمدادات ، واحرس الطريق حراسة دقيقة ، حتى إذا رأيت رجلاً من جيشنا يفر من الصف فاشطره نصفين " (3) .

وبينما كان طغرلبك في نيسابور سنة 431هـ / 1039م تحرك السلطان مسعود الأول من طوس لقطع الطريق عليه ، وأرد تحقيق هدفين ، الأول : قطع الطريق أمام طغرلبك حتى لا يتمكن من العودة إلى نسا ، والثاني : سهولة أسره إذا سلك طريق هراه سرخس ، لكن طغرلبك الذي نشأ وتربى في مؤسسة عسكرية حققت تفوقاً في المشرق الإسلامي ، كان له باع طويل في أمور التكتيكات العسكرية وكان على معرفة تامة بالسياسة العسكرية لسلطان غزنة , فلما علم طغرلبك بما يحاك له , انسحب مسرعاً من نيسابور إلى خوجان* عن طريق أون (4)* .

نلاحظ أن الغزنويين عملوا على وضع نقاط لمراقبة الطرق ، لرصد تحركات نشاطات العدو العسكرية ، والتعرف على أماكن تواجد قطاعاته , لاتخاذ التدابير اللازمة حيال ذلك , بالإضافة إلى إلقاء القبض على أي شخص يشتبه به وإرساله للجهات المختصة للتحقيق معه .

3 - الحيطة والحذر .

ذكر الهرثمي (5) الحيطة والحذر قائلاً : " أقوى مكيدة المُحارب , إظهار شدة الحذر لعدوه في كل وقت ، ذلك مع تحصين كل عورة ، وإحكام كل مصنْعة ، وإذكاء

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 395 ؛ الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 11 - 12 .
(2) البنداري : دولة آل سلجوق ، ص 6 ؛ الحسني : نزهة الخواطر ، ج 1 ، ص 73 .
(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 664 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 35 .
* خوجان : قصبة كورة أستوا من نواحي نيسابور ، وأهلها يسمونها خبوشان . الحموي : معجم البلدان ، ج 2 ص 393 ؛ البغدادي : مراصد الإطلاع ، ج 1 ، ص 488 .
(4) الحسيني : مصدر سابق ، ص 11 - 12 ؛ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 171 .
* أون : ذكرت في أبيات شعر من قول بعض الأعراب ، ولم يحدد مكانها . لكنها يبدو من خلال النص أنها تقع بين نيسابور وخوجان . الحموي : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 283 .
(5) مختصر سياسة الحروب ، ص 19 .

العيون ومظاهرة الطلائع ، والقوة في الاحتراس . واجعل الحذر رأس مكيدتك ، فإنه قليل ما تكون عورة مع حذر ، أو تضييع مع سوء ظن ، والعورة موجودة مع الاتكال على القوة ، والركون إلى الاكتفاء بأدنى الحيلة ، كن في الحيلة والحذر وسوء الظن مُعظماً لأمر عدوك فوق قدره ، من غير أن يظهر ذلك منك ، أو يصدك عن أحكام شيء من أمرك . وهذا يعني حسن الإعداد للعدو ، وعدم الاستهانة بشأنه " .

قصد السلطان محمود مدينة ويهند للسيطرة عليها في شتاء سنة 399هـ / 1008م ، وأخذت جموع الإمدادات الهندية تتواصل لدعم عدوه آنندبال ، وظهر السلطان على درجة كبيرة من الحيطة والاحتراس والحذر إلى درجة كبيرة ، تحسباً لاختراق آنندبال صفوف الجيش الغزنوي في هجمة مفاجئة ، قد تفل قوته وتبعثر مراكز قواه ، فيحدث الخلل ، وما يتلوه من أمور لا تحمد عقباها ، وجاء حذر محمود نتيجة ما زج به الهنود من جحافل جرارة ، ضاقت بها سهول ويهند ، ولتجنب الوقوع بخطأ عسكري كهذا ، قرر مناجزة عدوه (1) .

وأثناء عودة السلطان محمود من فتح سومنات سنة 416هـ / 1025م ، وبينما كانوا يمر من وادي السند السفلي ، وهم في غاية التعب والحزن على فقدانهم من مات من رفاقهم ، وما نفق من دوابهم ، وقلقهم مما قد يعترض طريقهم ، فيكون سبباً في ضياع ما كسبوه ، حيث كان وفراوة ، بضرورة اتخاذ الحيطة التامة من قبل جميع القوات المنتشرة في تلك المناطق . وجاء هذا هَم محمود في تلك المرحلة الوصول إلى غزنة سالماً ، وبأقل الخسائر البشرية والمادية ، فاخذ حيطته وحذره من التعرض للتحالف الراجيبوتي الهندي الذي , بدأ بالتجمع ضده بعد سقوط سومنات وكمنوا له في مضائق سلسلة جبال آروالى , بقيادة راجا فيراما دِفَا ، وكانت حسابات محمود جعلته يتحاشى الصدام معهم حتى يأخذ وجنده قسطاً من الراحة في عاصمته غزنة (2) .

وكان سلاطين غزنة يؤكدون على قادتهم في مختلف الأقاليم ، باتخاذ الحيطة والحذر ، فقد أعطى السلطان مسعود الأول تعليماته لعلي القريب قائد الجيش الغزنوي المرابط في طوس سنة 423هـ / 1031م ، باتخاذ كافة تدابير الحيطة والحذر وفرض النظام والأمن في خراسان ، حتى لا تكون فتنة بالبلاد (3) .

وأكد السلطان مسعود الأول على ابنه مودود الذي كان يتولى أنذاك القيادة الموحدة للجيوش الغزنوية المرابطة في دهستان ونسا التأكيد إثر وصول معلومات تفيد بأن أفراد من السلاجقة , بدأوا يفدون من السهول باتجاه مناطق مسؤولية الأمير مودود . وبعد انتهاء اليوم الأول لمعركة سرخس سنة 430هـ / 1038م ، اتخذ الجيش الغزنوي الحيطة الكاملة حتى لا يحدث تسلل أو هجوم سلجوقي ليلي

---

(1) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 78 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 238 - 239 ؛ خواندمير : حبيب السير ج 2 ، ص 378 .

(2) الكرديزي : مصدر سابق ، ص 99 ؛

Ikram : History of muslims civilization in India and Pakistan , p . 16 .

(3) الذهبي : العبر ، ج 2 ، ص 200 - 201 .

على معسكر الجيش الغزنوي ، وبالتالي يحدث خلل لا يحمد عقباه (1) .

كما اتخذ بكتكين قائد قلعة ترمذ ، كافة تدابير الحيطة والحذر سنة 430هـ / 1038م , تحسباً لأي هجوم يقوم به بورتكين أحد قادة السلاجقة ، بهدف نهـب مدينة ترمذ (2) .

وكان كثيراً ما تقع خسائر بالجيش الغزنوي ، نتيجة عدم اتخاذ أساليب الحيطة والحذر . ففي سنة 431هـ / 1039م هاجم بورتكين بألف فارس تركماني من الينالليون* ومعهم خمسمائة فارس غزنوي من الذين كانوا قد فروا من الجيش الغزنوي في عهد السلطان مسعود الأول ، شكل هؤلاء مقدمة جيش بورتكين واستولوا على كثير من إبل الجيش الغزنوي (3) .

كانت هذه نتيجة عدم اتخاذ الحيطة لأي خطة عسكرية سلجوقية ، وعلى أثرها عقد مسعود اجتماع لأركانية الجيش ، وأعطى تعليماته باتخاذ الحيطة التامة في كافة مراحل حركة الجيش حتى وصولهم إلى مرو ، كما أكد على بكتغدى قائد مقدمي حرس القصور والغلمـان ، وعلـى نائبه أرتكين الحاجب ، بالتنبيه على عسكرهم باليقظة التامة . كما أكد مسعود سنة 431هـ / 1039م على صاحب بريد بلخ ، بأخذ الحيطة التامة للحفاظ على المدينة من اعتداءات السلاجقة ، حتى تصل إليه تعزيزات عسكرية (4) .

نستنتج أن سلاطين غزنة وقادتهم العسكريين ، ركزوا على اتخاذ تدابير الحيطة والحذر من قبل قادة قطاعات جيوشهم المنتشرة في مختلف نواحي وأقاليم البلاد ، وبالتأكيد أن هذه التدابير تشمل الكثير من واجبات القائد والجند معاً ، فعليه وضع الحراسة أثناء حركة القطاعات أو في المعسكرات ، والتصدي لأي حركة مشبوهة وغير ذلك من تدابير أخرى يراها القائد ضرورية .

4 - الحراسة .

طبق الجيش الغزنوي نظام الحراسة على مدار الساعة ، سواء كانت قطاعات الجيش بحالة هجوم أو دفاع , أو بحالة الحركة من مكان لأخر .

وبمختلف الحالات ، توجب على الحرس القيام بواجبهم على الشكل الأمثل وبعكس ذلك يكون الجند ومعسكرهم عرضة للخطر . ففي أثناء عودة جيش السلطـان

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 495 ،620 ، 626 ؛ الذهبي : العبر ، ج 2 ، ص 161 .
(2) ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 34 ؛
Osbrn : Islam under the khalifs of bagdad , p . 319 .
(3) الينالليون : فرق فرسان عسكرية سلجوقية أتباع إبراهيم ينال , الأخ غير الشقيق لطغرلبك , وإليه نسبوا وشكل هؤلاء في الغالب مقدمة الجيش السلجوقي ، لما عرف عنهم من شجاعة وبراعة في القتال ، خاضوا الكثير من الحروب ضد الغزنويين ، واستولوا على كرمان سنة 434هـ / 1042م ، وعلى بلاد الجبل سنة 437هـ / 1045م . ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، 82 - 83 ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص 10 ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص 254 - 256 ؛ إقبال : الوزارة ، ص 32 - 33 .
(4) نيشابوري : سلجوقنامه ، ص 18 ؛ ابن النظام الحسيني : مصدر سابق ، ص 34 - 35 .
(5) البيهقي : مصدر سابق ، ص 682 - 684 ، 711 ؛ الراوندي : راحة الصدور ، ص 162 - 163 ؛
. Ikram : History of muslims civilization in India and Pakistan , p . 52

محمود من فتح معبد سومنات سنة 416هـ / 1025م ، ورغم تبادل الجنود حراسة قطاعات الجيش أثناء المسير ، وخلال فترات الاستراحة ، استغلت قبائل الجات سكان مناطق وادي السند السفلي ، وقامت بعدة هجمات على قطاعات الجيش الغزنوي ، بنظام الكر والفر ، مستغلين الوقت الذي يغفل فيه الحرس عن القيام بواجبهم (1) .

يتضح أن كثرة تحركات قطاعات الجيش الغزنوي ، لخوض المعارك مع السلاطين ، ألحقت بالجند الكثير من المتاعب , وأرهقت أجسامهم ، فكانوا لا يقومون بواجب الحراسة على الشكل الأمثل ، فالجندي أثناء نوبته الليلية قد يستغل غياب المسؤول ، ويترك مكان حراسته ويذهب للنوم . فيستغل العدو مثل هذه الظروف وينقض على المعسكر بالقتل والأسر والسلب .

5 - إعادة الإنتشار .

طبق الغزنويون استراتيجية عسكرية تمثلت في نشر الجيوش في مختلف أقاليم البلاد ، وعملوا على إعادة توزيعها ونشرها , حسب ما تتطلبه الظروف السياسية والعسكرية , وما تنتجه من تطورات .

بدأ الغزنويون بتنفيذ خطة إعادة انتشار الجيوش , منذ أن ولى الأمير نوح بن منصور الساماني ، ولاية وقيادة جيوش خراسان للأمير محمود بن سبكتكين سنة 385هـ / 995م ، فعمل سبكتكين على نشر قطاعات جيشه في مختلف نواحي خراسان . وعَيَّن أخاه بغراجق في معسكرات هراة ، وابنه نصر في بست ، كما عَيَّن ابنه الأخر إسماعيل في بلخ (2) .

وقام السلطان محمود بن سبكتكين سنة 410هـ/1019م بتنفيذ خطة لإعادة انتشار الجيوش ، وذلك قبيل توجهه لفتح كنوج وماثورا من بلاد الهند . بغية فرض الأمن بالبلاد أثناء غيابه ، وتحسباً لأي هجوم خارجي على حدود دولته . وشملت الخطة ، وضع قوات عسكرية بنواحي العاصمة غزنة مكونة من خمسة عشر ألف فارس ، وعشرة آلاف راجل ، ووضع عشرة آلاف فارس , وعشرة آلاف راجل في خراسان ، وشحن طخارستان باثني عشر ألف فارس , وعشرة آلاف راجل ، وضبط ولاية خوارزم بعشرين ألف فارس , وعشرين ألف راجل ، وانتخب ثلاثين ألف فارس وعشرة آلاف راجل لصحبة رايته الى الهند . كما رافقته أعداد كبيرة من قوات المتطوعة كانت قد انضمت إليه (3) .

وفي هذا الشأن اتبع السلطان مسعود الأول سياسة والده ، منذ وصوله إلى نيسابور سنة 426هـ / 1034م ، فعمل بتنفيذ خطة إعادة انتشار للجيوش الغزنويــة

---

(1) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 98 ؛ ناظم : السلطان محمود ، ص 118 - 120 ؛
Habib : Sultan Mahmud , p . 54 – 55 .

(2) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 164 ، 185 ؛
. Hikram : History of muslims civilization in India and Pakistan , p . 39

(3) ابن الجوزي : المنتظم ، ج 15 ، ص 133 ، 293 ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، ج 3، ص 23 ؛ ألعامري : غربال الزمان في وفيات الأعيان ، ورقة 98ب .

في مناطق خراسان ، وأراد مسعود من عمله تحقيق مكسب سياسي تمثل بإظهار هيبة الدولة في الأقاليم والولايات ، كجرجان وخوارزم وغيرها ، ومكسب عسكري تعلق بمطاردة التجمعات العسكرية السلجوقية أينما وجدت . فعمل على إرسال القائد علي عبد الله , ليقضي على الجمالة والمفسدين من السلاجقة عند شبورقان* ، ثم يعود ليرابط في بلخ . وأبقى نوشتكين نوبتي (الخادم الخاص) يرابط في مرو .

كما أرسل جيشاً لمطاردة السلاجقة في فراوة ونواحيها بقيادة بيري قائد الإصطبلات ، ووجه سورى بن المعتز بجيش كبير العدد والعدة ، وانضمت إليه قوات شحنة نيسابور وطوس ، لمطاردة القوات السلجوقية حتى توارو في جبال بلخان كوه ، وقد حمل سورى معه العلف ، وكل ما يلزم من المعدات لاجتياز الصحراء ، وحَرَك لمعسكرات بلخ وطخارستان قائدين عظيمين تحت إمرة كل منهما جيش قادر على حماية منطقة مسؤوليته (1) .

وبعد ذلك قال مسعود : " إني لا أريد البقاء هنا أكثر من اسبوع ، فإن الأمور قد استقرت في خراسان ، وذهب التراكمة ـ يعني السلاجقة ـ إلى جهنم ، والجيش يسير في أعقابهم " . وخلال المحادثات التي جرت بين السلطان مسعود الأول وأبو نصر مشكان في نيسابور حول موضوع ذهابهم إلى دهستان ، قال مسعود : " إن خراسان وطرقها مملوءة بالجند الذين حملوا تراكمة العراق على الفرار ، وطاردوهم حتى بلخان كوة ، وإن الجيش يتعقبهم والمسافة معروفة بين دهستان وجرجان ، فإذا شيئنا فإنا نستطيع العودة إلى نيسابور في إسبوعين " .

واختلى السلطان فور وصوله جرجان مع الوزير أحمد عبد الصمد وأعيان الدولة ، ثم قرر أن يبقى الأمير مودود مرابطاً في معسكر جرجان مع أربعة آلاف فارس من كل صنف بشري مع مقدميهم على أن يكون مقدم الجميع الحاجب التونتاش ، ثم أكمل تنفيذ خطة الإنتشار , وأرسل إلى دهستان ألفان من الأعراب مع بيري الموكل بالاصطبلات ، وثلاثة آلاف من فرسان السلطان ، نصفهم من الأتراك والنصف الأخر من الهنود ، ووضع القيادة العليا المشتركة لهذه الجيوش تحت إمرة الأمير مودود (2) .

وإزاء التداعيات الناجمة عن التواجد السلجوقي في خراسان ، وما نتج عن ذلك من تطورات عسكرية وسياسية واجتماعية ، قرر مسعود الأول سنة 428هـ / 1036م إجراء بعض االتعديلات على خطة نشر الجيوش في بعض المناطق الغربية من أقاليم الدولة . فوجه ابنه مودود للمرابطة في بلخ ومعه الوزير أحمد عبدالصمد على رأس جيش بكامل الأهبة التعبوية . وأرسل سوباشى الحاجب إلى مرو مع جيش كامل العدد والعتاد ، وكان سورى مرابط في نيسابور مع فوج من

---

* شبورقان : يقال : لها شُقُرُقان ، بلد عامر وآهل بالسكان قرب بلخ ، بينهما مسير يوم أو يومين ، تبعد عن أنبار مرحلة إلى ناحية الجنوب ، ومنه إلى اندخذ مرحلتان باتجاه الشمال ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 370 ؛ البغدادي : مراصد الإطلاع ، ج 2 ، ص 622 .

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 467 ، 475 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 6 ـ 7 ؛ نيشابوري : سلجوقنامه ، ص 19 .

(2) البيهقي : مصدر سابق ، ص 473 ، 478 ، 482 ؛

. Ikram : History of muslims civilizatio in India and Pakistan , p . 50

الجند ، وفي كل من طوس وقهستان وهراة والمدن الأخرى قوات عسكرية كافية لحمايتها من أي هجوم معادٍ ، وأكد السلطان على ضرورة تعاون جميع الجيوش المنتشرة مع بعضها البعض إذا دعت الحاجة ، لتدارك الأمر على عجل دون وقوع خلل في أي منطقة (1) .

وقامت الجيوش الغزنوية المنتشرة بواجبها على أكمل وجه ، حتى عقد السلطان اجتماع مع كبار أمراء الجيش في شهر محرم 430هـ / 1028م ، وقرر المجتمعون تنفيذ خطة انتشار جديدة للجيوش ، وكانت على النحو التالي : بقي السلطان مسعود الأول في قيادة معسكرات بلخ ، وذهب القائد العام مع جيش مجهز إلى مرو ، وسار كبير الحجاب مع جيش أخر نحو هراه ونيسابور . ثم جرى تعديل على خطة الانتشار تضمن توجيه القائد العام للجيش إلى ختلان ، ومعه جيش مكون من عشرة آلاف فارس (2) .

وبعد معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م , عاد السلطان مسعود الأول مع كافة قطاعات الجيش إلى معسكرات هراة ، ونظر في خطة نشر الجيوش ، وقرر إرسال الجند إلى الأطراف ، ورتب الطلائع وآلافواج ، وأرسل كبير الحجاب بكتغدى على رأس جيش قيل بأنه عرمرم* إلى بوشنك ، وأرسل الطلائع لبعض نواحي نيسابور ، والحاجب بدر إلى بادغيس مع جيش قوي . فذهبت تلك الجيوش للمرابطة كل ضمن منطقة مسؤوليته ، وضبط الأمن في مختلف نواحي البلاد (3) .

وفور عودة مسعود الأول إلى نيسابور بعد أن انتهى من مطاردة طغرلبك في مرو ونسا سنة 431هـ / 1039م ، عمل على ترتيب بعض الأمور من بينها النظر في خطة نشر الجيوش . فبعث بدر الحاجب مع الفرقة الأعراب والكرد إلى ضواحي بست ، والتونتاش الحاجب إلى ضواحي بيهق* وكبير الحجاب إلى خواف وباخرز واسفند ، والقائد علي داية إلى طوس ، قال البيهقي (4) : " وملأ الأطراف كلها بالرجال " .

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 12 ، ص 53 - 54 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 610 ؛ الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 12 .
* عرمرم : جمع , مفردها عرم , وهو عرام الجيش , أي حدهم وشدتهم وكثرتهم . ابن منظور : لسان العرب ج 12 , ص 394 .
(3) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 17 - 18 .
* بيهق : ناحية كبيرة وكورة واسعة ، كثيرة البلدان والعمارة ، وهي من نواحي نيسابور ، كانت في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي , تشمل على ثلاثمائة وواحد وعشرين قرية بين نيسابور وقومس وجوير أما مسافتها فهي من أول حدودها إلى نيسابور ستون فرسخاً . الحموي : معجم البلدان ، ج 1 ، ص 57 ؛ القزويني آثار البلاد ، ص 339 .
(4) مصدر سابق ، ص 669 .

المبحث الثاني
نظم الميدان

أولاً : النظم القتالية .

استخدم الغزنويون أساليب عدة في حروبهم ، وكانت هذه الأساليب تقليدية مستخدمة في المشرق والمغرب ، وعند مختلف الدول في العصور الوسطى ، وقد طبق الغزنويون مختلف النظم التعبوية ، لتحقيق طموحاتهم العسكرية والسياسية في محاولة منهم لتطوير مؤسسات الدولة ، والظهور كأكبر قوة عسكرية في المشرق الإسلامي . وفيما يلي أهم النظم التعبوية التي طبقها الجيش الغزنوي في حروبه .

1 - نظام الصفوف (المصاف) .

المصاف جمع مصف , وهو موضع الصف (1) . يقال : صف الجيش يصفه وصاقَّهُ ، فهو مُصاف ، إذا رتب صفوفه في مقابل صفوف العدو . والتراصف انضمام الصفوف لبعضها البعض ، ليشكل عائق لحركة الجند وحريتهم ، ما لم يكونوا متباعدين نوعاً ما (2) . والمقصود بالتعبئة : صف الجند في مواقفهم بين الميمنة والميسرة وقلب وساقة وغيرها من أقسام الجيش ، ليكون مستعداً لخوض المعارك والقتال في أي وقت (3) .

قال الهروي (4) : " أقم مصاف عسكرك بالرجالة والقنا* المتراصف , واتخذ له بروجاً في كل برج سبعة رجال أو كما رأيت . وإذا أراد العدو ضرب المصاف فليجتهد أن تكون الشمس في عين العدو والريح عليه ، فإن فعل به العدو ذلك ، ولا يمكنه إزالته عن موضعه ، ولا قلعه عن منصبه ، بالمعسكر عرضاً ، ليكن الأمر له وعليه ، وليخوف أصحابه من الحيلة ، ويحذرهم من المكيدة ، لئلا يشتغلوا بالنهب ويغرهم الكسب " .

أما الهرثمي (5) فقد قال : " ومرهم في التعبئة بالتراصف وانضمام بعضهم إلى بعض ، وجنبهم المبارزة ، فإنها من فعل أهل الذعارة* والمخارجة , وليعودوا أنفسهم حمل السلاح ، وليمهروا في التيامن والتياسر والتقدم والتأخر واحرص على أن تسند ظهور أصحابك في مصاف اللقاء إلى الموضع الذي تأمن أخذ العدو منه وخروج الكمين عليه ، إحرص أن يكون موضع القلب على جبل أو شرف ، وما أشبه ذلك , فليكن موقفك من القلب على موضع تشرف منه على

---

(1) ابن منظور : لسان العرب ، ج 9 ، ص 232 ؛ البستاني : محيط المحيط ، ص 512 .
(2) الهروي : التذكرة الهروية ، ص 60 .
(3)المسعودي : مروج الذهب ، ج 1 ، ص 190 .
(4) الهروي : مصدر سابق ، ص 97 .
(5) القنا المتراصف : الرماح المضموم بعضها إلى بعض ، والمراد جعل المواقع حول العسكر مسلحة بالرماح لمنع الهجوم . الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 31 .
(6) المصدر نفسه ، ص 33 .
(7) الذعارة : الخوف ، وهي مأخوذة من الذعر . البستاني : مصدر سابق ، ص 308 .
(8) المخارجة : نوع من المراهنة والتحدي . الهرثمي : مصدر سابق ، ص 65 .

لتعاين ما ينبغي أن تدبره في أصحابك وعدوك ، من اهتبال فرصة وسد خلل وغير ذلك إن لم يكن من اللقاء بد ، والقلب في خفض من الأرض بحيث لا تتبين منه الزحفين " .

الزحفين يتضمن حرب المصاف ، قتال الجند باسلوب الصفوف المنتظمة الطويلة والمتراصة تتقدم لقتال الأعداء ، كالحائط الممتد . ويعد هذا النظام من أكثر الأساليب مقدرة على الوقوف بوجه الأعداء (1) .

لهذا وغيره طبق سلاطين غزنة وقادة جيوشهم نظام الزحف ، لما يجنيه من فائدة في القتال ، قال ابن خلدون (2) : " إنها تكون أثبت عند المصارع ، وأصدق في القتال ، وأرهب للعدو ، لأنه كالحائط الممتد والقصر المشيد لا يطمع في إزالته " .

اعتبر نظام المصاف في العصر الغزنوي ذا مقدرة كبيرة على مواجهة الأعداء ، وطبقوه في الكثير من المعارك التي خاضوها ، فاستخدم الأمير محمود بن سبكتكين نظام الزحف من غزنة ، ودخل مدينة نيسابور بقوة السلاح سنة 388هـ / 998م ، بعد أن أصدر الأمير منصور بن نوح قرار عزله عن ولاية إقليم خراسان سنة 387هـ / 997م (3) .

والجدير بالذكر أن محمود أسندت إلية ولاية خراسان من قبل الأمير نوح بن منصور منذ سنة 384هـ / 994م ، كمكافأة له ولوالده الأمير سبكتكين لتلبيتهما طلبه , بمساعدته في حربه مع أبو على سيمجور الذي حاول الانفصال عن النظام الساماني , والاستقلال في إقليم خراسان (4) .

واستعد السلطان محمود سنة 397هـ / 1006م ، لمواجهة جيوش أيلك خان وقدر خان ، وحشد العناصر من مختلف الأجناس في بلخ ، وخرج لمكان اختاره يصلح للحرب بنظام الصفوف (5) .

وفي غزوة السلطان محمود لبهيم نغر سنة 399هـ / 1008م ، وبعد قتال شديد استمر طوال النهار مع الهنود ، بقيادة ملكهم ابرهمز بال بن اندبال ، كادوا أن يظفروا بالمسلمين ، لولا أن الله منَّ عليهم بالنصر ، قال ابن الأثير (6) : " فانهزموا على أعقابهم ، وأخذهم المسلمون بالسيف ، فانهزم الهنود على أعقابهم ، وتبع جيش السلطان أثر قائدهم أبرهن بال حتى بلغ قلعة بهيم نغر " وتحصن بها .

وتمكن السلطان محمود في غزوته لناردين سنة 404هـ / 101013م تحقيق النصر بإتباع حرب المصاف التي فرضت عليه من قبل آنندبال ملك الهند (7) .

---

(1) الجنابي : تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني ، ص 65 ؛ الجوارنه : قطاعات الجيش ، ص 38 العكيدي : السلطان مسعود ، ص 146 .
(2) المقدمة ، ص 480 .
(3) العتبي : تاريخ العتبي ، ج 1 ، ص 59 ، 77 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 196 .
(4) النرشخي : ذيل تاريخ بخارى ، ص 145 - 146 ؛ الزهراني : نفوذ السلاجقة ، ص 35 .
(5) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 84 - 85 ؛ العسلي : فن الحرب ، ج 3 ، ص 360 .
(6) مصدر سابق ، ج 7 ، ص 239 .
(7) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 81 ؛
Jaffar : Medieval India under muslim Kings , vol . 2 , p . 61 .

وفي اليوم الثاني لمعركة سُومنات سنة 416هـ / 1025م ، كان الجيش الغزنوي معبأ بنظام الصفوف ، والجند تنتظر ما تسفر عنه رماية قطاع رماة السهام النفطية الملتهبة من نتائج ، وفي خضم هذه الظروف استغل السلطان محمود فرصة إجلاء المدافعين عن أسوار القلعة ، وقام باختراق قوات قلب صفوف قواته ، بهجوم شامل وكاسح على العدو ، فتبعته بقية قطاعات الجيش بمختلف أصنافها ، فحقق بهذا الاسلوب نصراً باهراً على القوات الهندية المدافعة (1) .

وأمر خوارزم شاه قطاعات الجيش في اليوم الثاني من المعركة التي دارت بينه وبين علي تكين في بلاد ما وراء النهر سنة 423هـ / 1031م ، بالتقدم بنظام الصفوف المتلاصقة حتى قابل جيش العدو والتحم معه ، فتحقق له النصر (2) .

وأحيانا لم يتكمن الغزونويون من تحقيق أهدافهم من خلال استخدام حرب المصاف ، فقد طبق سوباشي نظام الكر والفر مع السلاجقة في مختلف نواحي خراسان سنة 429هـ / 1037م ، كما فشل السلطان مسعود بتطبيق نظام التخميس أمام السلاجقة الذين قسموا قواتهم إلى ثلاثين فرقة قتالية (3) ولمعالجة الوضع أصدر السلطان أوامره لقطاعات الجيش بدخول معركة سرخس بحرب المصاف ، لكنه لم يحقق نصر ، وحلت الهزيمة بقواته . وعلق سوباشي على أن الهزيمة تعود لسببين الأول : قبول قادة الجيش أوامر السلطان بحرب المصاف ، والثاني : حمل الجيش للأثقال الكثيرة (4) .

وفي بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م أمر السلطان مسعود الأول بحرب المصاف ، بعد فشل جيشه بالاشتباك مع الأعداء السلاجقة في عدة معارك ، ودقت كؤوس الحرب بعد أن أدى الجميع صلاة عيد الفطر ، وامتطى مسعود فيله ، وحوله خمسون فارساً على ظهور الجنائب ، واتخذ المقدمون مواقعهم في الميمنة والميسرة والجناحين والمقدمة والساقة ، وعند مخازن الذخيرة (5) .

وقد حقق جيش السلطان انتصاراً باهراً على السلاجقة ، نتيجة خوضه المعركة بنظام حرب المصاف ، لكن مسعود لم يستغل الفرصة في مطاردة فلول السلاجقة الذين عملوا على إعادة تنظيم قواتهم . وجاءت الأنباء من الجواسيس والسعاة تفيد بأن " الأعداء قد لبثوا يتدبرون ، واتفقوا على أنه ليس من الصواب مواجهة السلطان في المصاف ، وأنه يجب المحافظة على تقاليدنا الحربية " (6) .

ولم يكن استخدام المصاف مقتصرا تطبيقه على العدو الخارجي ، بل طبقه الغزنويون في الحروب التي نشبت بينهم . منها أن الأمير مودود بن مسعود الأول عمل سنة 432هـ / 1040 م مصاف مع عمه محمد وابنه احمد ، ونوشتكين البلخي

---

(1) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 428 - 429 ؛ ويلر : الهند تحت الحكم الإسلامي ، ج 1 ، ص 35 - 36 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 369 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 43 .
(3) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 10 - 11 ؛ نيشابوري : سلجوقنامه ، ص 7 ؛ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 182 . 583 .
(4) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 15 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 12 ، ص 53 .
(5) المقريزي : السلوك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 12 .
(6) البيهقي : مصدر سابق ، ص 626 - 634 .

وأبناء علي خويشاوند ، وانتهت الحرب بانتصار مودود الذي قام بقتل جميع أولاد عمه باستثناء عبد الرحيم ، لإنكاره على أخيه عبد الرحمن ما فعله بعمه مسعود . وكان عبد الرحمن قد ارتكب جريمة بحق عمه مسعود ، بأن رفع قلنسوته عن رأسه لما تم اعتقاله , وعزله عن العرش في صحراء الهند (1) .

واجه أرسلان شاه بن مسعود بن إبراهيم الجيش السلجوقي بقيادة السلطان سنجر بن ملكشاه في معركة وقعت على بعد فرسخ من غزنة بصحراء شهر أباد سنة 508هـ / 1114م ، طبق فيها الغزنويون القتال بنظام المصاف ، وكاد الجيش الغزنوي أن يحقق النصر لولا أن أبو الفضل نصر بن خلف ، والى سجستيان ترجل عن فرسه ، وقصد كبير أنثى فيلة قطاع الجيش الغزنوي ومتقدمها ، ودخل تحتها وشق بطنها ، وقتل فيلين آخرين ، مما شجع أنر ومن معه من السلاجقة على مهاجمة قوات ميسرة أرسلان شاه . فتحقق النصر لسنجر (2) .

يتضح أن الغزنويين لم يلجأوا إلى القتال بنظام الصفوف إلا عند ظهور بوادر تشير إلى أن النصر حليف أعدائهم . وكانوا لا يحبذون القتال بهذا النظام لما يخلفه من خسائر بشرية ومادية .

2 - نظام التخميس .

ذكرت بعض المصادر بأن : " أصل أجزاء التعبئة ثلاثة , القلب ويسمونه الجمهور ، والميمنة والميسرة ويسمونها الجنبين ، وطرفا كل جزء من هذه الأجزاء جناح ، وقد يُجزأ من كل جزء منها ثلاثة أجزاء : قلباً وميمنة وميسرة . وقد يزاد في النزول والمسير والمصاف واللقاء وغير ذلك ثلاثون صنفاً " ، ومنها الساقة والمقدمة . ويكون قائد قوات القلب مع من يليه من وراء قائد الجيش ردءاً له في القلب ، وقائد الميمنة في حماته وثقاته أمام الفرسان لقلب الميمنة ، وقائد الميسرة في حماته وثقاته أمام الفرسان لقلب الميسرة (3) .

وكان يترك فيما بين جناحي القلب والميمنة والميسرة , طريقين واسعين لممر الخيل وأصحاب المبارزة . ويترك بين الصفوف فرجة عند صاحب الميمنة ، وفرجة عند صاحب الميسرة ، وفرجة عند صاحب القلب في مؤخرتهم ، فيها مواضع للصلاة ، ويوكل حمايتها لرجال معهم مختلف أنواع الأسلحة . والهدف من القتال بنظام التخميس ، تأمين الحماية للجيش من جميع الجهات .

لهذا اتبع سلاطين غزنة نظام التخميس في تعبئة قطاعات جيوشهم ، فقسموه إلى مقدمة وقلب وميمنة وميسرة وساقة (مؤخرة) . وهذا الاسلوب من الأساليب التعبوية التقليدية الذي كان شائع الاستخدام في عصر الدولة العباسية ، وأصبح اسلوب تنظيمي ضمن النظم العسكرية لجيوش الدول الإسلامية التي نشأت في المشرق والمغرب الإسلامي . ونلاحظ من خلال المصدر المتوفرة أن الغزنويين

---

(1) الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 200 .
(2) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 270 - 271 .
(3) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 25 - 27 ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ج 1 ، ص 190 .

طبقوا هذا النظام في مختلف المعارك التي خاضوها .

فمثلاً في جمادي الأول سنة 389هـ / مايو 998م ، هاجم الجيش الغزنوي بقيادة السلطان محمود بن سبكتكين ، قوات الأمراء السامانيين التي قادها كلا من بكتوزون وفائق وأبو القاسم سيمجور ، بنظام جناحين وقلب ، وعَيَّن أخاه نصراً قائداً للميمنة بقوات عددها عشرة آلاف فارس وراجل ، وثلاثين فيلاً حربياً ، وميسرة مكونه من عشر آلاف فارس وراجل وأربعين فيلاً ، وقلب بقيادته بعشرة آلاف فارس وراجل وسبعين فيلاً . وتمكن بهذا النظام من تحقيق النصر في المعركة ، وأصبحت بعدها خراسان ضمن أملاكه (1) .

وفي الحرب التي حدثت بين الغزنويين بقيادة السلطان محمود من جهة وبين أيلك خان وقدر خان من جهة أخرى سنة 397هـ / 1006م ، وصف العتبي (2) تعبئة الجيش الغزنوي بقوله : " وأصبح الناس على ميعاد الحرب ، فعبأ السلطان رجاله صفوفاً ، كالجبال الراسيات ، والبحار الزاخرات ، ورتب في القلب أخاه وصاحب الجيش نصراً ، ووالي الجوزجان أبا نصر احمد بن محمد الفريغونى ، وأبا عبدالله محمد بن إبراهيم الطائي الأكراد والعرب ، وسائر جماهير الهنود ، ومساعيد الجنود ، ورتب في الميمنة حاجبه الكبير أبو سعيد التونتاش ، وندب للميسرة ارسلان الجاذب ، وحصن الصفوف بزها خمسمائة من فيلته " .

وفي غزوة السلطان محمود لناردين سنة 404هـ / 1013م استخدم نظام التخميس في الحرب ، حيث وضع كتائب الميمنة بقيادة أخيه الأمير نصر بن سبكتكين ، ووضع قوات الميسرة بقيادة أرسلان الجاذب ، وجعل أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الطائي على المقدمة التي كانت مشكلة من الأعراب ، وفي القلب الحاجب التونتاش (3) .

وبعد أن غادر السلطان محمود أراضي نهر جمنا العلوية سنة 410هـ / 1019م ، وانتصاره في معارك رهيب التي دارت قرب بارى من بلاد الهند ، بينه وبين قوات ملك لاهور وابنه بهيم . وأثناء عودته تقابل مع جيوش هندية أخرى تحالفت ضده قرب بارى ، واستعد الطرفان للمعركة الفاصلة ، عمل محمود على تعبئة جيشه بنظام التخميس ، وقسمه إلى مقدمة وميمنة وميسرة وقلب وساقة ، واتجه إلى الله بالدعاء بالنصر ، بعدها بدأت قوات التحالف شن هجوم عنيف ، تمكن جيش السلطان من صده قبل حلول الظلام ، أخلى الهنود على أثرها مواقعهم من المعركة ، بانسحاب سري ومدبر (4) .

استخدم التونتاش خوارزم شاه نظام التخميس في المعركة التي جرت في بلاد ما وراء النهر مع علي تكين سنة 423هـ / 1031م ، حيث عَيَّن نفسه قائداً لقوات

---

(1) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 65 - 66 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 18 .
(2) تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 84 - 85 .
(3) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 149 ؛ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 147 .
(4) العمري : مسالك الأبصار ، ص 213 ؛ إيلليوت : تاريخ الهند ، ج 2 ، ص 463 - 464 ؛
Habib : Sultan Mahmud , p . 44 .

القلب ، وعَيَّن في الجناح مما يلي القلب بكتكين الجوكاني ، ليتمكن من إمداد قوات الميمنة والميسرة عند الحاجة ، وعيَّن قائد الفرسان بيرى على الميمنة بجيش عظيم القوة ، وجعل قائده تاش فراش على الميسرة ، وعبأوا ساقتين قويتين للطرفين ، وأمر بخمسة من القادة العظماء مع المبارزين أن يشطروا كل من يفر من أرض المعركة نصفين ، ووضع في الطليعة أكثر الفرسان خبرة .

وفي اليوم الثاني للمعركة ، بدأت مفاوضات الصلح بين الطرفين ، انتهت بانسحاب القوات المتحاربة من أرض المعركة . لكن التونتاش كان شديد الحذر من غدر علي تكين ، وأمر القطاعات بالإنسحاب بحذر ، والسير بنظام التعبئة العسكرية الكاملة ، وقال : " ويجب أن تسيروا ، بحيث تكون الميمنة والطليعة والساقة , معبأة ولو كنا في صلح , إلا أننا لم نزل في أرض العدو ولا يجوز الأمان من العدو " (1) .

وعبأ القائد الغزنوي أحمد علي نوشتكين المرابط في نيسابور جيشه بنظام التخميس في الحرب التي جرت بينه وبين النيسابوريين من جهة ، وبين الطوسيين من جهة أخرى . ويعود سبب هذه الحرب إلى أن أهل طوس هاجموا نيسابور لنهبها سنة 425هـ / 1033م (2) .

وفي حملة الجيش الغزنوي على نسا سنة 426هـ / 1034م ، استخدم الحاجب بكتغدى نظام التخميس في تعبئة الجيش ، وقد حقق انتصاراً منذ بداية اشتباك مقدمة جيشه مع السلاجقة ، ولم يعد حاجة لقوات القلب والميمنة والميسرة للاشتباك مع العدو ، كما نتج عن المعركة أن قطعت رؤوس سبعمائة أو ثمانمائة من السلاجقة ووقوع عدد كبير من الأسرى بيد الغزنويين . ولكن هذه النتيجة سرعان ما تغيرت ودارت الدائرة على جيش بكتغدى ، وذلك لعدم المحافظة على نظام التعبئة من قبل القطاعات ، وانشغال قسم كبير منهم بالغنائم .

مما دفع بالسلاجقة المتربصين على حافة الصحراء القيام بهجوم معاكس ومنظم ، فأحدث إرباكا بين تشكيلات الجيش ، واختل نظام التعبئة في الوقت الذي أبلى السلاجقة فيه بلاءً حسناً ، وساعدتهم الظروف بأن جرت المعركة في جو شديد الحر .

وفي ذلك الوقت كان الجيش الغزنوي بحاجة ماسة للماء ، فاقترح أحد أركانية الجيش الغزنوي أن يتم سحب القوات باسلوب الكر والفر حتى الوصول للماء ، ولكن صغار الجند الذين لم يتفهموا حقيقـة الأوامر ، ظنوا أن هذا التراجع يعني الهزيمة وبدأوا يفرون من أرض المعركة دون المثول لأوامر قادتهم ، مما شجع السلاجقة على الصبر في القتال ، ومطاردة عدوهم حتى أخرجوهم من نسا ، وأصبح النصر حليفهم (3) .

---

(1) الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 171 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 154 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 454 ؛ الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 5 - 6 ؛
. kram : History of muslims civilizatio in India and Pakistan , p . 49
(3) البنداري : دولة آل سلجوق ، ص 6 ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ورقة 24 .

ودخل السلطان مسعود الأول معركة بيداء سرخس مع السلاجقة سنة 430هـ / 1038م ، بتعبئة كاملة وبنظام التخميس ، وكان السلطان قائداً لقوات القلب ، في حين عَيَّن لقيادة الميمنة القائد علي داية ، وعلى الميسرة الحاجب الكبير سوباشي ، وعلى الساقة أرتكَين ، وحسمت المعركة بحرب المصاف بعد صلاة عيد الفطر .

وأصدر السلطان مسعود الأول أوامره بأن يتخذ القائد علي كافة تدابير الحيطة والحذر ، وأن يحمل على ميسرة قوات العدو ، وأمر كبير الحجاب بالذهاب على رأس الميسرة ، وأن يحمل على ميمنة العدو ، وأمر ارتكبن بأن يقود الساقة المشكلة من خمسمائة من أقوى فرسان غلمان السراي ، وخمسمائة فارس هندي ، وأمره بالانتباه أثناء القتال لتأمين الإمدادات ، وحراسة الطريق حراسة دقيقة ، وأن يشطر كل غزنوي يهرب من أرض المعركة نصفين .

وبعد أن اشتدت الحرب ، هبت ريح عند صلاة الظهر ، وثار الغبار حتى أصبح الناس لا يرون بعضهم بعضاً ، فظن السلطان أن نظام التعبئة اختل نتيجة العاصفة ، فخرج من أرض المعركة متنكراً ، يركب فرس بدل الفيل ، فتبعه معروف ربيع معتمد كبير الحجاب سوباشي ، وأميرك الختلي معتمد القائد علي ، وقال للسلطان : " لا يقلق السلطان فإن التعبئة كما هي ، وأن الأعداء مقهورون ، ولم يصلوا أبدا إلى ما أرادوا " (1) .

يتبين أن إنسحاب السلطان كان استراتيجية عسكرية ، جاء في الوقت المناسب وتفرغ لمراقبة سير المعركة ، وإعطاء توجيهاته لقطاعات الجيش ، ووجه النقباء لقيادة قوات القلب مكانه ، وإعداد الكمائن ، وإصدار الأوامر بالخروج على الأعداء بالوقت المناسب .

وفي الثامن عشر من شهر صفر سنة 431هـ / 1039م خرج السلطان مسعود من هراة لقتال السلاجقة في مرو ، ومعه جيش وصف بأنه جرار فيه فيلة ورجالة كثيرون ، وفي ميدان بوشنك أمر السلطان بالتعبئة الكاملة ، ووضع نفسه قائداً لقوات القلب ، ولقوات الميمنة القائد علي داية ، وللميسرة كبير الحجاب سوباشي ، وعَيَّن لقيادة المقدمة بيري قائد الاصطبلات وبايتكين (2) .

ولعدم المحافظة على نظام الميمنة والميسرة ، كانت تحدث نتائج سلبية لا يحمد عقباها ، فقبيل معركة دندانقان سنة 431هـ / 1039م ، أمر السلطان مسعود الأول بتعبئة الجيش بنظام التخميس ، وعيَّن نفسه على القلب ، وكبير الحجاب سوباشي على الميسرة ، وقائد جيشه على الميمنة ، وعيَّن للمقدمة قائد الإصطبلات بيري وبارتكين وأيد سنقر ، وأبو بكر الحاجب على الكرد والأعراب مع خمسمائة من الفرسان . وأثناء مجريات المعركة وقع اختلال بميمنة وميسرة التعبئة ، فكان أحد أسباب الهزيمة التي مني بها الجيش الغزنوي (3) .

---

(1) نيشابوري : سلجوقنامه ، ص 7 ؛ المقريزي : السلوك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 12 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 663 ؛ الراوندي : راحة السرور ، ص 162 - 163 ؛
Osborn : Islam under the Khalifs of Baghdad , p.318 – 319 .
(3) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 10- 11؛ إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامي ، ص 87
فامبري : تاريخ بخارى ، ص 135.

ومما يؤكد تلك الأخطاء شهادة البيهقي (1) حيث قال : " واختلط الحابل بالنابل واختل النظام من كل جانب ، وولى الغزنويون جميعاً الأدبار ، واختل نظام الميمنة والميسرة ، وكل رجل يقول نفسي نفسي ، وولى السلطان مسعود وعساكره منهزمين إلى غزنة " .

يتضح أن نظام التخميس من أفضل النظم التعبوية التي انتهجها الغزنويون في معاركهم ، ولهذا النظام مميزات من أهمها ، المحافظة على سلامة قطاعات الجيش أثناء الحركة وفي ميدان القتال ، وبحالتي الهجوم والدفاع .

3 ـ نظام الكر والفر .

عرف هذا النوع من التعبئة منذ عصر ما قبل الإسلام ، وطبقه الغزنويون في حروبهم ، واستخدموه كاسلوب تعبوي كغيرهم من الدول التي عاصرتهم ، وكان اسلوب الكر والفر معروف وشائع الإنتشار في ذلك العصر (2) .

ويتلخص هذا النظام على أساس الهجوم ثم الانسحاب السريع ، يهجم المقاتلون من خلال تطبيقه على العدو بكل قواتهم سواءً كانوا مشاة أو فرسان ، ويرمون بالنشاب , أو يضربون بالسيف , أو يطعنون بالرماح , أو يرمون بالمزاريق ، فان صمد لهم العدو وأحسوا بالضعف ، نكصوا ثم أعادوا وكروا ، أي أقاموا بالحملة مرة أخرى ، ويستمروا بهذا الاسلوب حتى يتم لهم النصر أو الفشل والهزيمة .

ولهذا النظام ايجابيات كثيرة ، وله سلبيات أيضا وخاصة إذا لم يبلغ القائد جنده بالخطة قبل البدء بتنفيذها . حيث تشير المصادر إلى أن القائد الغزنوي بكتغدى طبق اسلوب الكر والفر في معركة نسا سنة 426هـ / 1034م ، وكان يتراجع بالتدريج أمام هجمات الجيش السلجوقي ، وكاد أن ينجح ويحقق النصر ، لكنه لم يخبر الجند عن سبب تراجعه ، مما أوحى لهم بأنها هزيمة ، فولوا الأدبار هاربين (3) .

كما استخدم قائد الجيوش الغزنوية في خراسان اسلوب الكر والفر ضد السلاجقة . فقيل عنه : بأنه كان يهزم عدوه لما له هيبة في نفوس جنده ، ولما جبل عليه من الشجاعة والصبر , ولكنه مع هذه الميزة المهمة ، لم يكن يعرف هدفاً واحداً يسير إليه ، فكان بعد هزيمة عدوه في المعركة ، يتصرف دون أن يفكر في خطط عدوه العسكرية المضادة . فبعد أن هزم السلاجقة في سرخس ، كان يجب عليه اتخاذ كافة تدابير الحيطة والحذر ، لكنه لم يفعل شيأ من هذا القبيل , حتى عاد إليه السلاجقة مستخدمين اسلوب الكر والفر ، فهزم هزيمة نكراء (4) .

كما طبق الجيش الغزنوي الذي أرسله السلطان مسعود الأول سنة 429هـ / 1037م بقيادة بكتغدى ، لمحاربة السلاجقة وإخراجهم من خراسان اسلوب الكر والفر أثناء العمليات التي قام بها ضدهم ، فكان يتابعهم كلما انسحبوا مدبرين

---

(1) تاريخ البيهقي ، ص 689 .
(2) الجنابي : تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني ، ص 65 ؛ الجوارنه : قطاعات الجيش ، ص 38 العكيدي : السلطان مسعود ، ص 146 .
(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 520 ؛ البنداري : دولة آل سلجوق ، ص 6 .
(4) نيشابوري : سلجوقنامه ، ص 8 ؛ البنداري : مصدر سابق ، ص 6 .

ويرجع عنهم كلما اقبلوا مهاجمين ، قال ابن الأثير (1) : " فأقام مدة سنة على المدافعة والمطاولة ، لكنه كان يتبع أثرهم إذا بعدوا ، ويرجع إذا أقبلوا ، استعمالاً للمحاجزة وإشفاقاً من المحاربة " . ورغم ذلك انتهت المعركة بين الطرفين بهزيمة ساحقة للجيش الغزنوي ، ويبدو أن هذه الهزيمة جاءت نتيجة استخدام السلاجقة اسلوب الكر والفر ، واتخاذهم الصحراء بمثابة الأم والأب ، حيث كانوا قد نقلوا أمتعتهم ونساءَهم وذراريهم وأثقالهم إليها ، حتى لا تشكل عائق لهم أثناء مجريات عمليات الكر والفر .

وفي يوم الخميس الثامن من رمضان سنة 431هـ / 1039م بدأ السلطان مسعود الأول معركة دندانقان باسلوب الكر والفر . وكان ذلك ناتج عن معاناة الجند من الجوع ، وعدم توفر الأعلاف للدواب (2) .

يتضح أن اسلوب الكر والفر ، كان يطبق بحالة عدم استطاعة الجيش على القيام بعمليات هجومية ، مع عدم قدرته على الثبات أمام العدو من خلال وضع قطاعاته بمواقع دفاعية ، فاستخدم هذا النظام من قبل قادة الجيش الغزنوي بسبب ضعف قدراتهم القتالية أمام التفوق السلجوقي .

ثانياً : نظم التشكيلات المقاتلة .

1 - الطلائع (الاستطلاع العسكري) .

الطلائع جمع طليعة ، وهي قوة من الجيش ، ترسل قبله أو أمامه ، لكشف أمر العدو (3) قال الهرثمي (4) : " ينبغي لصاحب الطلائع أن يكون رجلاً مذكوراً ، بعيد الصوت ، ثقة ناصحاً عاقلاً مدبراً ، وينبغي لجميع الطلائع أن يكونوا من أهل النصيحة ، والنجدة والتجربة للحرب ، لتكن خيولهم سوابق جيدة الظهور والحوافر ليس بها حران ولا جماح* لا يلبسون الدروع ولا يحملون الترسة ، ولا يكون مع أحدهم ثقلُهُ ، ولا فضول من الظهر " .

وأضاف الهرثمي قائلاً : " ليكونوا على متون خيلهم بجعابهم ، وهي مع سيورها ومعاليقها أدم* فيها ما بين العشر نشابات إلى العشرين نشابة . ولا يدخلوا إلى أكثر من ثلثي الطريق فيما بينهم وبين عسكر عدوهم . وإن أتى أحدهم بالخبر وصار بحيث لا يرى العسكر نازلاً كان سائراً أو مصافاً ، قرب قليلاً ، ثم خبَّ ثم أعنق " (5) .

---

(1) الكامل ، ج 8 ، ص 15 ، 25 - 26 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 626 ، 684 - 685 .
(3) الجاحظ : البيان والتبين ، ج 1 ، ص 17 ؛ الشذر : ألفاظ الحضارة الإسلامية ، ص 183 .
(4) مختصر سياست الحروب ، ص 49 .
* جماح : الدابة الجامحة أو الحرون التي تغلب صاحبها فلا تستجيب لـه . ابـن منظـور : لسـان العرب ، ج 2 . 426
* الأدم : هو الجلد . والسر في أن تكون حقيبة السهام ومعاليقها من جلد ، لكي لا تحدث خشخشة أو يسمع لها صوت لو كانت من معدن مثلاً . الهرثمي : مختصر سياست الحروب ، ص 49 ؛ ابن منظور ، مصدر سابق ، ج 12 ، ص 10 ؛ البستاني : محيط المحيط ، ص 5 .
(5) الهرثمي : مصدر سابق ، ص 49 ؛ الأنصاري : تفريج الكروب ، ص 51 .

تعد الطلائع من القطاعات المهمة والفعالة في الجيش ، لأن عملها يأتي بالمقدمة ، ويسبق العمليات العسكرية ، فعليها يتوقف وضع وتنفيذ الخطط العسكرية من قبل قيادة الجيش العليا ، لما توفره من معلومات استخبارية دقيقة عن الجيوش المعادية من حيث تحركاتهم وأعدادهم وخططهم وأصنافهم وأسلحتهم ، وأماكن حشودهم ، وطبيعة جغرافية الأرض ، وغير ذلك من المعلومات التي يمكن أن تجمعها .

وعلى ضوء المعلومات المتوفرة ، يتم اتخاذ إجراءات ميدانية مضادة وفورية قد تؤدي إلى تغيير في الخطط العسكرية المرسومة سابقاً والمراد تنفيذها ، وترسم خطط جديدة ، لهذا يعتبر استطلاع العدو ، واستعلام أمره من أهم المعلومات وأكثرها نفعاً ، لمصلحة أمن الوطن ونظام الدولة (1) وتحقيق الانتصار .

ولتأمين نجاح مهمة الطليعة يجب على القيادة الاتفاق مع قائد الطليعة على علامات تدل على أخبار العدو من الخوف والأمن والقرب والبعد ، إذا لم يكن الوصول إلى العسكر ممكناً ، وأمكنه الترائي لقيادته ، فليفعلها بنفسه ودابته من استدارته وركضه ونزوله وجلوسه وإقباله وأدباره وما شابه ذلك ، فمن رآه من أهل العسكر ، أخبر به قائد الجيش ، فيعرف به الخبر الذي يريد تأمينه ، ويستمر هو لشانه , وينجو بنفسه إلى مأمنه إن احتاج إلى ذلك (2) .

نظام الطلائع من أبرز النظم العسكرية المعمول بها في الجيوش على مختلف الأزمنة ، وطبقها الغزنويون منذ عهد ألبتكين ، حيث عملوا على إرسال طلائع قواتهم بعد كل تعبئة للجيش ، لاستكشاف أمر عدوهم ، وبناءً عليه يأخذون حيطتهم وحذرهم (3) .

وللطلائع واجبات كثيرة من أهمها الاشتباك والتصدي لأي هجوم معادي . فقد تصدت طلائع الجيش الغزنوي المكونة من خمسمائة فارس كانت بقيادة الأمير سبكتكين ، لهجوم كاسح قام به راجا جيبال سنة 364هـ / 975م في محاولة منه لاحتلال غزنة ، وتمكنت من مشاغلة قوات جيبال حتى وصلت بقية قطاعات جيش سبكتكين (4) .

ومن مهام قوات الطليعة أيضاً , اكتشاف طرق ومسالك العدو السرية . لهذا اسند السلطان محمود بن سبكتكين لطلائع جيشه , أثناء غزوته لكشمير وكنوج سنة 409هـ / 1017م , استكشاف أقرب الطرق المؤدية للقلعة ، فتمكنت من استطلاع المنطقة ، ومعرفة طريق يوصل الجيش لأعلى القلعة المراد السيطرة عليها ، وبناء على هذه المعلومات ، أجرى محمود تعديل على خطته الحربية ، بأن جعل قوات

---

(1) الهروي : التذكرة الهروية ، ص 79 ، 87 - 88 .

(2) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 50 .

(3) نظام الملك : سياست نامه ، ص 153 - 154 ؛ الكوفي : فتحنامه سند ، ص 41 ، 89 .

(4) Jusjani : Tabkat Nasiri , vol . 1 , P . 73 .

تشاغل قوات كلجند ، وانسحب ببقية القطاعات مستخدماً الطريق المكتشف ، ولم يشعر العدو إلا والسيوف تقطع رؤوس عساكر كلجند من الخلف (1) .

ومن واجبات الطلائع اكتشاف مواقع وتحركات العدو . ففي سنة 423هـ / 1031م قامت طلائع جيش التونتاش خوارزم شاة ، بجولة استطلاعية كشفت خلالها مواقع جيش علي تكين ، ورصدت تحركات قطاعاته ، فعاد بعض فرسان الطلائع بمعلومات قيمة ، حيث أفادت بأن علي تكين قد عبر نهر جيحون ، واتخذ له موضعاً واسعاً في الصحراء من ناحية النهر والأشجار الكثيرة ، وامتدت جيوشه لمسافات شاسعة ، كما حددت طلائع التونتاش الموقع الذي ستدور عليه رحى الحرب من خلال رصدهم للمواقع الدفاعية التي اتخذتها قوات علي تكين .

تمكنت من معرفة مواضع الكمائن التي نصبها العدو في ثلاثة مواضع التي كان هدفها التصدي لقوافل التموين ، وساقة جيش التونتاش ، كما تعرفت الطلائع على الأماكن التي سيعبر منها جيش علي ، بهدف القيام بعملة التفاف على التونتاش من الخلف ، ومن ثم الهجوم عليه من جميع الجهات .

وبناءً على هذه المعلومات القيمة ، عمل التونتاش على إحباط خطة ابن تكين وعمل على إرسال ألف راجل ، كقوة تعزيز لألف فارس ، كانوا بقيادة كتخدا الجيش مرافقين للمعدات الحربية في الساقة ، ليقاتلوا معاً قوات العدو ، كما توجه عدد من نقباء جيش خوارزم للكتخدا أحمد ، وأوقفوا ساقة الجيش حتى لا تقع فريسة لخطة علي تكين الإلتفافية . واستمرت الطلائع تقوم بواجبها ، طيلة ليالي وأيام الحرب حتى تم الصلح بين الجانبين ، وانسحاب الجيوش المتحاربة من ميدان المعركة (2) .

وبينما كانت الاحتفالات تقام في نيسابور سنة 424هـ / 1032م , جاء خبر يفيد بأن ابن يغمر التركماني , جاء من بلخان كوه قاصد أطراف الدولة . ولإنهاء هذه الفتنة أمر السلطان مسعود بأن يتوجه القائد علي الداية إلى طوس ، وكبير الحجاب إلى سرخس ، وأسند مهمة التعرف على أخبار التركمانية لقوات الطليعة . كما اعتمد الحاجب بكتغدى قائد الجيوش الغزنوية في معركة نسا سنة 426هـ / 1034م على الطلائع لمعرفة أخبار ومكامن القوات السلجوقية (3) .

وفي معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م , نشط عمل طلائع الجيش الغزنوي ، واشتبكت مع طلائع الجيش السلجوقي في حرب عنيفة ، وفي الليل نشر الغزنويون المزيد من قوات الطلائع في الجهات الأربعة من معسكرهم ، وصفتها المصادر بأنها قوية . وجاء هذا الانتشار زيادة في اتخاذ وسائل الحيطة والحذر .

كما أرسل السلطان مسعود قوات من الطلائع ، لاستطلاع حدود نواحي خراسان ، والتعرف على الموقف العسكري السلجوقي وقتالهم ، كذلك أرسل كبير الحجاب إلى بوشنك مع جيش كبير ، وأمره بتجهيز وإرسال الطلائع إلى ضواحي

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 267 - 268 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 12 ، ص 8 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 367 ، 369 ؛
Jaffar : Medieval India under muslim Kings , vol . 2 , p . 37 .
(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 395 ، 519 - 520 ؛ الحسني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 4 - 5 .

نيسابــور ، كما تم إرسال الحاجب بدر إلى بادغيس مع جيش قوي ، ثم بعث بأفواج عسكرية قوية إلى نواحي عدة من البلاد ، تمكنوا من ضبط الأمن فيها .

وتوقف السلطان مسعود الأول في الوادي عند مفترق طرق يؤدي إلى سرخس ونسا وباورد ، وأسوا ونيسابور ، أثناء توجه من نيسابور إلى طوس سنة 431هـ / 1039م ، وهناك بعث طلائع الجيش مجهزة بالعدة والعتاد مع مقدميها ، لكشف تحركات السلاجقة ، فتصادف أن أرسل السلاجقة طلائعهم ، وكان الفريقان على أتم أهبة ، فاشتبكت الطلائع مع بعضها البعض ، نتج عنها تطور بالموقف العسكري ، حيث دفع كل من الجانبان المزيد من القوات لتعزيز موقفه العسكري ، فوقعت معركة سرخس (1) .

وتعرضت طلائع الجيش الغزنوي الذي أرسله السلطان مسعود بقيادة ابنه مودود ، لتعزيز موقف التونتاش والى بلخ سنة 432هـ / 1040م ، لهجوم طلائع الجيش السلجوقي بقيادة جغري بك ، فألحقت بها خسائر كبيرة ، مما جعل جند غزنة تولي الأدبار ، فاضطر التونتاش أن يقدم الطاعة لجغري بك ، وينخرط في خدمة السلاجقة . جاءت حملة مسعود هذه في محاولة يائسة , لاحياء مجد الدولة الغزنوية في خراسان ، بعد الهزئمة الساحقة التي مني بها في معركة دندانقان سنة 431هـ / 1039م (2) .

2 - الجرائد .

مفردها جريدة ، وهى من الوحدات العسكرية الصغيرة ، المشكلة من الخيل ولا رجالة فيها ، وتكون أقل من أربعين مقاتلاً . واجبها القيام بهجوم خاطف وسريع وبدون أثقال ودروع (3) .

عمل الغزنويين بنظام الجرائد منذ أن سار الأمير سبكتكين إلى قصدار سنة 366هـ / 976م ، لتأديب وآليها الذي شق عصا الطاعة ، ورفض تقديم أموال الخراج المفروضة على ولايته للأمير ، ظناً منه أن حصانة قصدار ، وصعوبة المسالك المؤدية إليها ، ستكون وسائل دفاعية طبيعية ، تمنع أي قوة مهاجمة من الوصول إليها ، لكن سبكتكين استخدم عنصر المباغتة واقتحم قصدار ، ولم يشعر وآليها إلا والخيل أحاطت به ، فأخذ من داره ، ثم أعاده سبكتكين إلى ولايته مقابل الالتزام بدفع الخراج (4) .

وبناءً على دعوة الأمير نوح بن منصور الساماني ، سار سبكتكين من غزنة إلى بخارى , بجريدة من الفرسان سنة 385هـ / 995م ، للاجتماع مع نوح , وبحث التطورات العسكرية الناشئة عن تحالف كبار قادة الجيش الساماني ، فائق وأبو علــي

---

(1) نيشابوري : سلجوقنامه ، ص 14 - 15 ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص 230 - 231 .
(2) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 12 - 13 ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ج 15 ، ص 477 .
(3) المقريزي : السلوك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 106 ؛ جب ، هاملتون : دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة إحسان عباس وأخرون ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 2 ، ص 11 ؛ الخطيب : معجم المصطلحات، ص 122 .
(4) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 86 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 774 .

سيمجور ضد نوح وحكومته ، وتم خلال الاجتماع الاتفاق على وضع الخطط العسكرية لمحاربة الخارجين عن النظام .

ثم عاد سبكتكين إلى غزنة ، لحشد الجيوش ، وبعد الانتهاء من كافة الترتيبات العسكرية والإدارية توجه مع ابنه محمود إلى خراسان ، وفي نفس الوقت سار نوح من بخارى ، فاجتمع مع جيوش غزنة ، والتقوا مع أبو علي وحلفائه في هراة ، وما أن دارت المعركة حتى بدأ سبكتكين بتطبيق القتال بنظام الجرائد ، وعَيَّن ابنه محموداً قائداً لجريدة من الفرسان الشجعان الممتازين ، اكمنوا وفاجئوا أبو علي سيمجور ، وأنـزلـوا ضربــات قاضيـة بفائق وإيلمنكوا ، ففر أبو علي إلى موضع بين طوس ونيسابور يسمى در رود ، ومضي من هناك لشانه ، كما أسفرت المعركة عن سقوط العديد من الأسرى بيد جيش سبكتكين كان من بينهم الكثير من القادة (1) .

وأثناء غزوة السلطان محمود لبلاد الهند سنة 407هـ / 1016م قام بمطاردة قوات جند رأي , حاكم قلعة شروه بنظام الجرائد ، وبقيت جريدة تطارده حتى لحقت به ، فقاتله محمود حتى سقط الكثير من الهنود ما بين قتيل وجريح وأسير (2) .

وفور وصول السلطان محمود إلى حدود بلاد الغور سنة 411هـ / 1020م عسكر في موضع يعرف بباغ وزير بيرون ، وبدأ بتنفيذ عمليات عسكرية في تلك الأصقاع ، كان أولها عملية عسكرية بجريدة قوامها ستون غلاماً مقاتلاً ، ومائتان من الرجالة ، والجميع مجهزون بكامل العتاد والأسلحة (3) .

وإبان مطاردة السلطان مسعود الأول للسلاجقة في نواحي اقليم خراسان سنة 430هـ / 1038م ، أمر وزيره بمطاردة طغرلبك المحتمي بجبال طوس المنيعة ، فطوى الوزير الطريق بجريدة ، فلما رآه طغرلبك ، توجه هارباً إلى أبيورد (4) .

وخرج السلطان مسعود الأول سنة 431هـ / 1038م , من هراة بأتجاه مرو لملاحقة السلاجقة بقيادة طغرلبك ، ولما وصل قرية نوق ، إحدى قرى بلخ ، وعسكر بها يومين كي يستريح الجند ، ثم زحف مسرعاً في جريدة من الخيالة السريعة إلى باورد ، ومن هناك أمر الوزير الجريدة بالسير على أثر طغرلبك (5) .

3- الفصائل .

بعد أن سيطر جيش السلطان يمين الدولة محمود على مدينة ماثورا الهندية سنة 409هـ / 1918م ، اختار نخب من فصائـل الجيش المختلفة ، وتحرك بنظام الجرائد باتجاه نهر الكَانج ، ثـم قصـد مدينــة كنـوج ، ذات القــلاع والحصون السبعـة

---

(1) نظام الملك : سياست نامه ، ص 155 - 156 .
(2) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 283 ؛
Jaffar : Medieval India under muslim Kings , vol . 2 , p . 50 .
(3) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 87 - 88 ؛ البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 120 .
(4) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 8 ، ص 17 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 35 .
(5) الراوندي : راحة الصدور ، ص 162 .

والواقعة على شاطئ نهر الكَانج الغربي ، ولما سمع أميرها راجيا بال بعبور قوات السلطان ، لاذ بالفرار ، فاستباحها جند السلطان (1) .

4 - الكراديس .

مفردها كردوس وهم جماعة من الخيل عددهم فوق المائة ، والاسم فارسي الأصل ، ومعناها فرقة من الجيش , لها ميمنة وساقة وقلب ومقدمة وقائد وراية وشعار خاص (2) . وهو نظام خاص بتشكيلات قطاعات الفرسان ، لأن التكرس في اللغة يعني التجمع ، فيقال : للكتيبة من الخيل كردوس (3) .

عمل سلاطين غزنة بنظام الكراديس في بعض المعارك ، منها تنفيذ الجيش الغزنوي أوامر السلطان مسعود بن محمود في معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م القتال بنظام الكراديس ، ولما رأى السلطان السلاجقة يقاتلون بنفس النظام غير خطته الحربية ، وأمر بتحويل القتال إلى نظام المصاف (4) .

5 - السرايا .

مفردها سرية ، وهي قطعة من الجيش ، سميت بذلك لأنها تسري خفية وتخرج بالليل . ذكر بأن عدد السرية يتراوح ما بين الثلاثمائة نفر إلى الخمسمائة وقيل : عددها من خمسين إلى أربعمائة ، وأرجح القول الأول لأن النظم التعبوية الحديثة لا زالت تتبع نظام الثلاثمائة مقاتل للسرية الواحدة ، وأما التي تخرج بالنهار فتسمى السوارب (5) . قال تعالى : " سَوَاءُ مِنْكُم مَّنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَن هُوَ مُسْتَخْفِ بَالليل وَسَارِبُ بِالنَّهَارِ " (6) .

نصح الهروي (7) السلطان أو من ينوب عنه في قيادة المعركة بقوله : " وليحذر أن يُنْفِذ سريَّة مع غير خبير ولا عالم بالحرب ، وليكن المقدم عليها كالقانص الحاذق الذي إن وجد له طمعاً في صيد أهدف إليه ، وطرح عليه ... وليكن المقدم عليها ذا رأي وعقل ومكر وخديعة ، يشاور أصحابه ومقدمي عسكره ، ويرسل الطلائع ويكشف الأخبار ، ويختار المنازل ، يسوس جنده ، ويدير عسكره ويُستمع قوله ، ولا يخالف أمره ".

نظم الغزنويون تشكيلاتهم العسكرية حسب نظام السرايا ، وخاضوا بهذا النظام معارك عدة . فقد قاد السلطان محمود بن سبكتكين سرية , وسار بها لمفاجأة بيجرا ملك بهاطية أثناء تحصنه بقمم الجبال بعد أن هرب الأخير في اليوم الرابع من المعركة التي جرت قرب بهاطية سنة 395هـ / 1004م ، فتمكنت سرية محمود من

---

(1) العمري : مسالك الأبصار ، ص 213 .
(2) سميل : فن الحرب ، ص 291 .
(3) ابن منظور : لسان العرب ، ج 6 ، ص 195 ؛ النخيلي : السفن الإسلامية ، ص 132 .
(4) نيشابوري : سلجوقنامه ، ص 9 ؛ المقريزي : السلوك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 12 .
(5) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 28 .
(6) سورة الرعد ، آية 10 .
(7) التذكرة الهروية ، ص 90 .

الإحاطــة ببيجرا ، وقتلت من جنده أعداد ذكرتها المصادر بأنها كبيرة ، ولما أيقن بيجرا بالموت ، قتل نفسه بخنجر (1) .

وأثناء محاصرة السلطان محمود لمعبد سومنات سنة 416هـ / 1023م أرسل قوات بنظام السرايا لقتال المدافعين عن المعبد ، فهزم الهنود ، وغنم أموالهم (2) .

6 - الكتائب .

الكتيبة تشكيل عسكري مكون من ثلاث أو أربعة سرايا ، وضعه الغزنويون ضمن نظم مؤسستهم العسكرية . وخاض الغزنويون بهذا النظام حروب كثيرة ، فقد اقتحمت كتيبة استطلاع كانت ضمن قوات مقدمة جيش السلطان محمود سنة 404هـ / 1013م ، مواقع القوات الكشميرية بقيادة تونكا ، لكنها ردت على أعقابها ، نتيجة ما واجهته من قوة رماية من جانب الكشميريين (3) .

وفي معركة نهر وادي السند السفلي سنة 418هـ / 1027م ، شكل السلطان محمود قواته البرية إلى كتائب عدة ، كان من بينها كتيبة الرماة التركمانية التي اتخذت مواقعها على طرفي مجرى النهر ، ورصدت تحركات قوات قبائل من الجات ، وكانت على أهبة الاستعداد للتصدي لأي قوات معادية قد تصل لإسنادهم .

وضع محمود في حساباته العسكرية أن تقوم مثل هذه القوات عند وصولها بالإطباق على أسطوله المنشغل بحروب نهرية طاحنة مع خصمه الجات ، وبالتالي قد تسفر المعركة عن نتائج لا يحمد عقباها ، لكن الذي حدث وأثناء مجريات المعركة واشتدادها ، أن هرب العديد من قوات الجات باتجاه اليابسة ، فتصدت لها كتائب جيش السلطان البرية ، وردتها إلى مياه النهر ، فوقعت تحت مرمى أسلحة البحرية الغزنوية (4) .

وأمر السلطان مسعود الأول سنة 422هـ / 1030م , عمه الأمير يوسف بن سبكتكين قيادة كتيبة ، والتوجه للمرابطة في قصدار ، ليكون مدداً لجيش يارق تغمش الذي قاد جيش غزنوي أخر ، وتوجه به إلى مكران (5) .

7 - الفرق .

طبق الغزنويون القتال بنظام الفرق منذ بداية قيام دولتهم في غزنة ، وذكر نظام الملك (6) بأن ألبتكين خرج من خراسان ، باتجاه بلاد الهند ، بنظام الفرق والجدير بالذكر أن ألبتكين ترك خراسان على أثر خلاف مع منصور بن نوح الساماني ، وكان الأخير قد حرك جيشاً لملاحقته وقتاله والقبض عليـه . ولمواجهـة

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 68 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 784 .
(2) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 320 .
(3) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 389 ؛ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 147 .
(4) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 100 .
(5) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 260 ، 273 ، 275 ، 515 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 33 .
(6) سياست نامه ، ص 153 .

الموقف العسكري قسم ألبتكين جيشه لثلاث فرق ، والتقوا عند مضيق خُلم ، فانقضت الفرق الثلاثة على الجيش الساماني بالسيوف ، وردوهم على أعقابهم خاسرين .

ثالثاً : نظم التحصينات الدفاعية .

هي كل ما تقيمه الدولة من منشآت أو مواقع عسكرية ، بقصد توفير قدر عالي من الحماية للمدن والجيش معاً . وتشمل التحصينات الدفاعية القلاع والحصون والأسوار والمطامير والخنادق بأنواعها وغيرها (1) .

إن المقاومة الناجحة للقوات المدافعة ، تكمن بالاحتفاظ بالأماكن ذات المواقع الاستراتيجية , حتى لا يتمكن المهاجم من اجتياز الحدود , والتوغل في عمق المنطقة المتنازع عليها , فيتوجب على القوات المدافعة وضع كل ثقلها في التحصينات والحاميات العسكرية ، للاحتفاظ بالأماكن الاستراتيجية .

1 - القلاع .

اهتم النظام الغزنوي بالقلاع لأهميتها كتحصينات دفاعية ضمن منطقة المسؤولية ، بالإضافة لاتخاذها مقراً لقيادة جيش الإقليم . وتحوي القلاع القيادة العسكرية للإقليم أو المدينة ، وثكنات الجنود ، ومستودعات الذخيرة والمؤن والأعلاف وخزائن المال والألبسة وغير ذلك من مستلزمات الجيش (2) .

ولضبط القوات المرابطة في القلعة ، عيِّن لقيادتها ضابط كبير عرف بالكوتوال ، وأسندت له مهمة القيام بالإشراف على القلاع والحصون والمستودعات بأنواعها ، والعمل على إدامتها وصيانتها ، وضبط الأمن في منطقة المسؤولية (3) .

ولما كان أعداء الغزنويين يتخذون من القلاع قيادات ومواقع دفاعية ، ركزوا على السيطرة على القلاع الحصينة المبنية فوق شواهق الجبال ، بهدف إضعاف مقاومة العدو والقضاء عليه (4) . ثم تحويلها إلى ثكنات عسكرية لجيشهم .

ولإثبات ذلك أمر السلطان محمود بن سبكتكين سنة 411هـ / 1020م بالاستمرار بقصف إحدى قلاع بلاد الغور الحصينة حتى تصاعد الغبار والتراب والدخان والنار منها ، ثم أمر بالاستمرار بدكها بالمنجنيقات حتى سويت بالأرض (5) .

كما أهتم الغزنويون ببناء مختلف أنواع التحصينات الدفاعية ، عملاً بقول الهرثمي : " أول ما يحتاج إليه قائد الجيش هو أن يكون في حال الأمن قد حصن نفسه ، وأحكم مواضع المقاتلة فيه والمدافعة عنه ، ورمَّ كل ما يحتاج إلى أن يرمَّه

---

(1) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص 56.
(2) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 161 ، 165 ، 167 ، 215 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 68 ، 94 ، 312 ، 317 ؛ الجوارنه : قطاعات الجيش ، ص 36 .
(4) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 161 ، 269 ، 431 ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص 230 - 231 .
(5) البيهقي : مصدر سابق ، ص 123 - 124 ؛ محمود ، حسن احمد وآخرون : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 5 ، 1982م ، ص 474 .

منه ، وشحنه بكل آله وعدة تعين على طول الحصار " (1) . لهذا اصطحب السلطان محمود الحرفيين من نجارين وحدادين وحجارين وبنايين في حملته على مناطق أعالي البنجاب سنة 412هـ / 1021م .

يتضح أن السلطان أراد من هؤلاء الحرفيين تحقيق هدفين ، الأول : القيام بتحطيم قلاع وحصون المدن والأقاليم التي غزاها ، وتقطيع الأشجار التي تحول دون وصوله للأعداء ، والثاني : إقامة مراكز إدارية وقلاع تحصينية في مختلفة المناطق التي فتحها . حيث توجه لقضاء فصل الشتاء في لاهور بعد فشله في حصار قلعة لوهكت ، وأسس فيها قيادة عسكرية ، وأمر ببناء قلاع حصينة في مناطق عدة من أعالي بلاد وادي السند على أيدي أولئك الحرفيين ، وبعد أن اطمئن على سلامة المنشآت الدفاعية عاد إلى عاصمة ملكه غزنة (2) .

ونهج السلطان مسعود الأول سياسة والده بتدمير منشآت العدو الدفاعية ، ولم يكتفِ بخمسة ثقوب أحدثته قصف مجانيق الجيش في جدار قلعة هانسي في بلاد الغور ، وأمر بالاستمرار بالقصف حتى تم هدمه وتسويته بالأرض (3) .

وكانت استراتيجية الغزنويين العسكرية تقوم على السيطرة التامة على قلاع العدو . ففي سنة 472هـ / 1079م غزا إبراهيم بن مسعود الأول الهند ، وشدد الحصار على قلعة أجود* حتى استسلمت ، ثم توجه إلى قلعة رويال* وفتحها وسيطر عليها (4) .

يظهر أن السلاطين الغزنويين اختاروا القلاع البعيدة عن مركز العاصمة لسجن الأمراء ، وكبار موظفي الدولة . كما خصصوا أماكن بداخلها لحبس الأسرى واتبعوا سياسة هدم قلاع الأعداء عند فتحها ، وتسويتها بالأرض ، حتى لا يعود إليها الأعداء ، ويتحصنوا بها مرة أخرى ، ولكي لا يغتر بعد ذلك أحد بوجودها ، وتساوره نفسه بالتحصن بها .

2 - الحصون .

الحصون ليست هي القلاع الشامخة المبني عليها الأسوار فقط ، بل هي القلاع والمطامير* والجبال والغياض* والمدن والخنادق ، والرمال والوحول

---

(1) مختصر سياسة الحروب ، ص 60 .

(2) الكرديزي : زين الأخبار ، 88 ؛ ايلليوت : تاريخ الهند ، ج 2 ، 465- 466 ؛ Habib : Sultan Mahmud , p . 44 .

(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 580 .

* قلعة أجود : وتسمى اجودهن ، قلعة حصينة تحوي عشرة آلاف رجل مقاتل ، تقع على مسافة مائة وعشرون فرسخاً من لاهور . فتحها السلطان إبراهيم بن مسعود سنة 472هـ / 1084م مع عديد من القلاع . ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 127 ، 147 ؛ محمود : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص 477 .

* قلعة رويال : تقع على جبل شاهق ، وتحتها غياض كثيرة ، وخلفها البحر . وكانت تحاط بوحدات من الفيلة المقاتلة . فتحها السلطان إبراهيم بن مسعود سنة 472هـ / 1084م . ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 8 ، ص 127 147 ؛ محمود : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص 477 .

(4) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 8 ، ص 127 ، 147 .

* المطامير : جمع مطمورة ، وهي الحفيرة تحت الأرض . ابن منظور : لسان العرب ، ج 4 ، ص 502 .

* الغياض : جمع غيضة وهي الأجمة ، ومجمع الشجر في مغيض الماء . ابن منظور : مصدر سابق ، ج 7 ص 228 .

والآجام* والبحار ، وكل هذه وما شابهها تعتبر حصون ومعاقل ، ويجتمع للحصن الواحد من هذه الأصناف العشرة أصناف عدة ، ولكل منها ضروب من العمل والتدبير (1) .

قال الهرثمي (2) : " إن أمكنك سترُ قصدك للحصن ، والحيلة لن تفاجئه خيلك على غرة ، فهو أكبر التدبير فيه . وكن في معرفة مواضع عورات الحصن ، والعمل فيما يحتاج إليه فيه ، مع تحصين عسكرك ، ولا تؤخر ذلك للمناظرة " .

هذا ما أكده الهروي (3) بقوله : " وليحذر أن ينزل عن حصن يكون أكبر منه وأقوى من جيشه فيقهره ، فإن رحيله عن الموقع بعد نـزوله عليه ومباشرته له بالحرب ، عار وهزيمة ، ولا ينزل على حصن منيع ، ولا ثغر حصين , إلا بعد استمالة قلوب أهله , وأجناده ومقدميه وقواده ، بجميع ما يقدر عليه ويصل إليه وخدع الأمراء والأكابر بما يرونه ، ويضمن لهم ما يطلبونه " .

اتبع السلاطين الغزنويون استراتيجية ذكية عند تنفيذهم هجوم على المنشآت الدفاعية المعادية ، فكانت أول أعمالهم التعرف على الأهداف داخل المنشاة الدفاعية ، هذه الاستراتيجية طبقها السلطان محمود أثناء حصاره لحصن الطاق الواقع في ولاية سجستان سنة 395هـ / 1004م ، حيث كان للحصن سبعة أسوار محكمة ويحيط بها خندق عريض لا يخاض إلا من طريق واحد ، بواسطة جسر يرفع عند الخوف . واستمر محمود بمنازلته ، والتعرف على بواطن ضعف صاحب الحصن خلف بن أحمد ، حتى تمكن من طم الخندق ، فتمكنت قطاعات الجيش من الوصول للحصن والسيطرة عليه (4) .

وأثناء حصار السلطان محمود ، لحصن برتر سنة 411هـ / 1020م , قام برصد مواقع قوات الغور داخل الحصن قبل البدء بتنفيذ الهجوم ، مما سهل على جنده تدميرها بكل سهولة ، والسيطرة على الحصن في أقصر وقت . وأثناء توجه محمود لفتح سومنات سنة 416هـ / 1025م ، وجد على أطراف الصحراء عدة حصون هندية مشحونة بحاميات عسكرية ، فعمل على فتحها ، ثم تابع مسيره فوجد عدة حصون مملوءة بالأوثان ، فقاتل من بها ، وسواها بالأرض ، وكسر أصنامها .

ثم تابع سيره إلى سومنات ، واستولى على حصنها المنيع . كذلك تمكن إبراهيم بن مسعود الأول من فتح حصون عدة في بلاد الهند سنة 451هـ / 1059م كانت قد امتنعت على والده وجده من قبله (5) .

---

* الآجام : مفردها أجمة وهي الشجر الكثيف الملتف . ابن منظور : لسان العرب ، ج 12 ، ص 8 (مادة اج) البستاني : محيط المحيط ، ص 4 .

(1) الهرثمي : مختصر سياست الحروب ، ص 56 .

(2) المصدر نفسه ، ص 57 - 58 ، 102 .

(3) التذكرة الهروية ، ص 102 .

(4) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 120 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 783 ؛ Habib : Sultan Mahmud , p . 44 - 45 .

(5) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 320 - 321 ، ج 8 ، ص 88 .

3 - الكمائن .

وضح الهرثمي (1) الطبيعة الواجبة في الكمين بقوله : " يُتحرى ألا يكون بأحد من الكمناء ولا بدابته علة ، ولا لدابته خلق ، يستدل به العدو على مكامنهم في الكمين ويتحرى أن يكون موضعهم في المكمن مستورا ... لا يؤذون الطير والوحش والسباع فيما حولهم ، يطلبون خبر عدوهم بالعيون الذكية ، ولا يُقدمون إلا على معرفة ... لتكن ساعة ظهورهم من المكمن بالغدوات* في حال الغفلة من عدوهم وعند حطهم عن دوابهم وإمراحها ، وعند انتشارهم واغترارهم في آخر ساعة تكون في أيام الصيف ، وأبرد ساعة في أيام الشتاء ... ليكن الكمين كراديس منتشرةً منقطعة من غير أن يبتعد بعضهم عن بعض ، ولتكن حملتهم عن صدق ، وانكماش من غير دهش ولا اختلاط ، ليسرعوا الرجعة إلى الموضع الذي أبعدوا عنه للاجتماع بالجيش , وعلى القائد أن ينتبه لأن العدو قد يضع الكمين في أماكن خافية تهاجمه منها من حيث لا تدري " (2) .

أما أوقات وأماكن وضع الكمائن , فيمكن التعرف علية من أقوال العارفين بسياسة الحروب , ومنهم الهروي الذي قال (3) : " فإذا قرب العدو من بلده , ولم يبقى له غير مرحلة واحدة ، فليكمن الكمناء, وليجرد من عسكره ، وينتخب من جيشه كل فارس مشهور وبطل مذكور . وليبادر العسكر عند نزوله بحملة هائلة وصدمة منكرة بجميع من معه ، والكمين يتبعه " . كما بين الهروي موقع الكمناء بأن يكون " خلف التلال وذيول الجبال ، وليصدقوا في الحملة ولينصحوا في العَمْلِة ، فإنها مكيدة عظيمة ، وحيلة هائلة جسيمة ، لا يسلم منها عسكر ، ولا بد وأن يُكسر ، ولا ينجو منها جيش إلا نادراً " .

يعد نظام الكمائن من الأساليب الناجحة في القضاء على الأعداء وحسم المعارك ، وهو اسلوب وقائي ذات مغزى هجومي . وتكمن مهمة الكمين بالإغارة على جيش العدو بطرق مختلفة . منها أن يأمر قائد الجيش في ميدان المعركة بتنفيذ خطة إنسحاب وهمية مفاجئة ، فيطمع العدو بهم ، فيندفع في الهجوم ، والمطاردة لهم ويستمر القائد بتوهيم العدو بالانسحاب والهزيمة , حتى يضع القوات المعادية والمطاردة له تحت مرمى أسلحة الكمين .

عندها يخرج الكمناء من مكامنهم ، وينقضون على الأعداء ، وهنا تستغل كافة القوات ، وقت مشاغلة الكمين للعدو ، ويعملون على إعادة تعبئة سريعة للقطاعات كافة ، ثم يقومون بتنفيذ عملية هجوم معاكس ، وأحيانا ينفذ القائد عملية التفاف فيحصر القوات المعادية ، ويقطع إمداداته ، ويربك تعبئته ، وتتهيأ الفرصة للقضاء عليه ، ويحقق النصر لجيشه (4) .

---

(1) مختصر سياسة الحروب ، ص 50 - 51 .

* الغدوات : جمع غداه ، وهي كالغُدْوة ، والغُدْوة : البُكْرَة ما بين صلاة الغَداة وطلوع الشمس . والغَدْوُ : أصل الغَدِ ، وهو اليوم الذي يأتي بعدَ يومِكَ . ابن منظور : لسان العرب ، ج 10 ، ص 26 (مادة غَدَا) .

(2) الهرثمي : مصدر سابق ، ص 20 .

(3) التذكرة الهروية ، ص 111 ، 114 .

(4) السلومي ، عبد العزيز عبدالله : ديوان الجند نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون ، مكة المكرمة ، 1986م ، ص 348 - 349 ؛ الجوارنه : قطاعات الجيش ، ص 37 .

ومن المهام الرئيسة للكمين ، الإغارة على مؤخرة الجيش المعادي لإشغاله والاستيلاء على أسلحته ، ومعداته وأمتعته ، وقطع إمداداته ، وارباك خطوط مسيره وتموينه ، وإدخال الرعب في قلوب جنده ، عند إدراكهم انقطاع الميرة والإمدادات التموينية (1) .

وأمم الترك ترى ضرورة وضع الكمين في الحرب ، قال ابن منكلي (2) : " لو أن منها نفر أو طائفة أو عصبة أرادت اللقاء لصيرت من بعضها كميناً ، وأما البيات فليس له فيه مذهب ولا عندهم بمستعجل " .

لهذا اعتاد الغزنويون على المناورات بطرق متعددة ، فقد عملوا أحياناً بمبدأ التقهقر بضعة أيام ، بهدف إرهاق عدوهم ، وإبعاده عن قواعده ، ويكونون قد هيأوا له كمين ، فتقوم قوة صغيرة من الخيالة , بإغواء العدو بتدميرها , وحفزه لمطاردتها ثم تتوجه القوة الصغيرة متظاهرة بالهزيمة باتجاه قواتها الضاربة المختفية حتى اللحظة الحاسمة ، فتخرج لتحقيق النجاح وكسب المعركة .

لهذا شاع استخدام اسلوب نصب الكمائن عند الغزنويين ، واعتبروه اسلوباً عسكرياً ناجحاً ، واتخذوه مبدأ من مبادئ سياستهم العسكرية ، وطبق منذ عهد ألبتكين ، حيث قام بوضع كمينيين ، عدد كل منهما ألف فارس ، للانقضاض على جيش الأمير نوح بن منصور عند مضيق خُلم سنة 350 هـ / 961 م (3) .

وكان ألبتكين أول من وضع الكمائن في بلاد الهند ، فعمل على إعدادها ميمنة وميسرة , قبل اشتباك طلائع جيشه مع جيبال في محاولة لجر الهنود لوضعهم وسط الكمائن ، للإطباق عليهم , وإلحاق أكبر الخسائر في صفوفهم (4) .

وطبق آل سبكتكين وقادتهم العسكريين من بعده ، نظام الكمائن في العديد من المعارك . منها ما نصبه الأمير محمود بن سبكتكين سنة 385هـ / 995م لأبو علي سيمجور ، حيث ظهـر الكمين وأطبق على قوات أبو علي ، وأوقع بجنده الكثير من القتلى ، فولى مدبراً إلى در رود في الوقت الذي كاد الجيش الغزنوي أن يهزم أمام ضربات قوات أبو علي ، لكن بروز قوات الكمين المكونة من الفرسان الشجعان المختارين كانوا قد أخذوا قسطاً من الراحة ، تمكنوا من إنزال الضربات القاضية بأبي علي فائق وإيلمنكو واجبرهم على الفرار (5) .

وطبق محمود الغزنوي اسلوب الكمائن في أواسط آسيا والهند ، وأصبح ذو خبرة ومعرفة كبيرة فيها ، وبهذا الاسلوب حقق محمود انتصارات متلاحقة على أكثر الأعداء شراسة وقوة ، وأقدرهم على المقاومة وأقواهم على الصمود .

---

(1) السلومي : ديوان الجند ، ص 349 ؛ الجوارنه : قطاعات الجيش ، ص 37 .
(2) الحيل في الحروب ، ما وجد في ذخائر الإسكندر بن داوود الرومي المعروف بذي القرنين ، نقل من اليونانية إلى العربية ، مخطوط بمكتبة أياصوفيا ، رقم 3772 ، نسخة مكتبة الدكتور محمد عيسى صالحية ، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بقسم التاريخ ، جامعة اليرموك ، إربد ، المملكة الأردنية الهاشمية ، ص 185 ؛ الجوارنه : قطاعات الجيش ، ص 37.
(3) نظام الملك : سياست نامه ، ص 153 ؛ ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص 271 - 272 .
(4) نظام الملك : مصدر سابق ، ص 156 .
(5) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 222 - 223؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 17 .

ففي الحرب التي خاضها ضد قبائل الغور آلافغانية سنة 411هـ / 1020م أبدى الغور بسالة وشجاعة عظيمة ، أمام زحف جيش السلطان محمود ، ورأى المسلمون منهم أشجع الناس وأقواهم على القتال ، فأدرك السلطان بسياسته العسكرية المحنكة خطورة هذه المواجهة ، فوضع خطة ميدانية , أظهر فيها براعته الفائقة وقدرته في مواجهة المعضلات الحربية في الميدان .

وتمكن محمود من الاحتيال على القوات الغورية ، بأن أصدر أمراً لجنوده بالانسحاب , وتولية الأدبار بهدف استدراج الأعداء ، فظن جند الغور أن جيش المسلمين انسحب منهزماً ، فخرجوا يطاردونه خارج المدينة ، وهم يعتقدون جازمين بأن القوات الغزنوية ولت منهزمة خوفاً منهم ، في الوقت الذي كان محمود قد نصب لهم كميناً ، فعطفت عليهم من جهات مختلفة ، وأوقعوا السيوف فيهم ، فأبادوهم قتلاً وأسراً ، وفتح الغزنويون قلاعهم وحصونهم (1) .

ووضع يارق تغمش كمين من ألفي فارس بين نخيل مكران , فور وصوله إليها سنة 422هـ / 1030م ، ولما دار رحى المعركة ، أبلى الجانبان فيها بلاءً حسناً كادت الهزيمة تحل بجيش يارق ، لكن النتيجة تغيرت بسبب ظهور الكمين ، ودارت الدائرة على عيسى والى مكران ، وقتل مع عدد كبير من جنده أثناء محاولتهم الفرار من المعركة ، وبعد أن استقرت الأمور لجيش السلطان ، تم تنصيب أبو العساكر على مكران ، وخطب فيها للسلطان مسعود ، وبقيت تحت حكمه حتى توفى (2) .

وخلال مهاجمة الطوسيين بأعدادهم الكبيرة مدينة نيسابور سنة 425هـ / 1033م ، نفذ القائد أحمد علي نوشتكين خطة عسكرية للقضاء على المهاجمين ووضع كمين من ثلاثمائة فارس تحت جدران القلعة ، فقال لهم : " كونوا على استعداد ، واستمعوا إلىّ ، فحين يقترب الطوسيون ، فإني سأقابلهم ثم أناوشهم مناوشة قصيرة ، ثم أوليهم ظهري ، وأتراجع منهزماً ، وأنا أجرهم خلفي رويداً رويداً حتى يعبروا كمينكم ، فحين يعبرون أرتد عليهم وأقاومهم ، فإذا حمي الوطيس ، وحين تسمعون النيسابوريين وطبلهم وصياحهم ، انطلقوا من الكمين وحينئذ يكون النصر من الله عز وجل " . وظهر الكمين حسب الخطة التي رسمها أحمد ، فتحقق له النصر (3) .

وبعد أن اشتد القتال في معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م ، غير السلطان مسعود الأول تكتيكه العسكري وترك القتال ، وتفرغ لإعداد الكمائن ، وعيَّن مكانه عدد من النقباء لقيادة قوات القلب ، ولينقلوا للجند قوله : " أثبتوا فإن كثرة جيش العدو ـ يعني السلاجقة ـ متجه لكم ، وإني أعددت الكمين , فاستمعوا إلىَّ واحملوا على ميسرة العدو ، حتى يشتبكوا معكم وأنا قادم على الأثر " ، واستدرج مسعود القوات السلجوقية حتى وضعها ضمن منطقة الكمين ، فأوقع بهم خسائر كبيرة ، بعد أن دارت معركة عنيفة بين الجانبين (4) .

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 301 - 302 ؛ ايلليوت : تاريخ الهند ، ج 2 ، ص 463 - 464 .
(2) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 263 - 254 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ص 814 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 454 .
(4) المصدر نفسه ، ص 627 ، 630 - 631 .

وفي سنة 444هـ / 1052م كمن طغرل كبير حجاب السلطان عبد الرشيد بألف فارس ، لتطبيق عنصر المفاجأة ، والانقضاض على جيش سلجوقي كان يقوده بيغو ، لكنه عاد وعدل خطته ، بأن أمر الجند بالخروج من مكامنهم ، والقتال حتى الموت ، فهاجم إحدى فرق بيغو ، وانتصر عليها ثم توجه وهاجم الأخرى ، فاجبر بيغو على الهرب ، واحتمى بأسوار مدينة سجستان (1) .

4 - الخنادق .

قال الهرثمي (2) : " اتخذ لنفسك خنادق إن احتجت إلى ذلك وأمكنك ، وضع على قدر غلوة* من أبواب حصن عدوك إن احتجت إلى ذلك رابطةً على متون خيلهم ركباناً بمنزلة طلائعك ، يكون فيها كفاية , وشغل لهم إن خرجوا عليك " وأضاف قائلاً : " لا تغفل عن ضرب الخنادق في موضع الحاجة إليها ، خندقاً للصناع والعدة ، وخندقاً للأسواق والأتباع ، وخندقاً لك ولسائر الناس أو على من تقدره ، واحشُها خيلاً ورجالاً " .

ونصح الهرثمي السلطان في حفر الخنادق بقوله : " وإياه أن يهمل أمر خنادق البلاد ، فهي من أكبر المهام والأمور العظام ، وليحفر خندقه ويوسعه ويعمقه ويحكمه ، فهو أوفى الحصون للعاجز المحصور " .

ولما كان حصن الطاق محاط بسبعة أسوار محكمة ، وخندق عريض ، لم يتمكن السلطان محمود بن سبكتكين من اقتحامه سنة 393هـ / 1002م إلا بعد أن قاموا بطم الخندق . كما قام الجيش الغزنوي ، وبأمر من السلطان محمود ، بطم وادي عظيم العمق ، بالجلود المملوءة بالتراب ، اعترض سير القطاعات أثناء توجهه لغزو قلعة كواكير سنة 396هـ / 1006م ، فتمكن بهذا العمل من الوصول إلى القلعة وحصارها لمدة أربعين يوماً ، حتى راسله حاكمها بيدا في الصلح (3) .

وعندما وصل السلطان مسعود بن محمود إلى قلعة سرستي* سنة 425هـ / 1033م ، ضرب الحصار حول قلعتها ، وبدأ يتعرف أحوالها ، فوجد خندقاً عميقاً يحيط بها ، فأمر بطمه بالشجر وقصب السكر وغيره ، حتى تمكن الجند من عبور الخندق ، واقتحام القلعة ، وتحقيق النصر المنشود (4) .

أهتم الغزنويون بحفر الخنادق , كونها إحدى الوسائل الدفاعية عن الجند والمعسكرات , لهذا أكثروا من حفرها , وللحفاظ على أرواح الجند في معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م , قاموا بحفر الخنادق حول معسكر الجيش . واتخذوا كل ما يمكن من الحيطة والحذر ، وجاء ذلك تنفيذاً لأوامـر السلطـان مسعود الأول

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 61 .
(2) مختصر سياسة الحروب ، ص 32 ، 60 ، 110 .
* الغلوة : مقدار رمية السهم . المصدر نفسه ، ص 60 .
(4) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 67 - 68 ، 76 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 25 .
* قلعة سرستي : تقع على نهر كشمير بالهند من امنع حصون الهند ، فتحها السلطان مسعود بن محمود سنة 425هـ / 1023م . أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج 4 ، ص 57 - 58 .
(4) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 8 ، ص 5 - 6 ؛ العمري : مسالك الممالك ، ص 225 ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج 1 ، 473 .

الذي كان آية في تعبئة الجيوش حسب رواية البيهقي (1) .

طم الغزنويون لخنادق أعدائهم , يدل دلالة قاطعة على عظمة وقوة مؤسستهم العسكرية , وأن الجيش الغزنوي كان بحالة هجوم ، وذلك منذ قيام دولتهم حتى منتصف العقد الثالث من القرن الخامس الهجري ، اما دلالة حفر الخنادق حول المعسكرات يدلل على أن جيوشهم أصبحت بحال دفاع , نتيجة الضعف والتراجع في مختلف مؤسسات الدولة ، فاتخذوا وضع الدفاع بدل الهجوم , وأصبحت معسكراتهم عرضة لهجوم خصومهم .

5 - الأسوار .

لم تساعدنا المصادر المتوفرة بذكر اهتمام الغزنويين بالأسوار ، ربما يعود ذلك لان الغزنويين كانوا يمتلكون جيشاً قوياً مجهزاً بأحدث الأسلحة ، لذا قامت استراتيجيتهم الحربية على الهجوم ، وليس على الدفاع ، وبهذه الحالة ليس هناك حاجة إلى أسوار لتامين مدن وقلاع البلاد (2) .

لكن الغزنويين عملوا على إصلاح الأسوار ، والقناطر التي كانت تتعرض للهدم ، نتيجة ظرف ما . فقد أمر السلطان مسعود سنة 422هـ / 1030م ، بإعادة بناء قناطر وأسوار مدينة غزنة ، بعد أن تعرضت للهدم جراء سيل (3) .

---

(1) تاريخ البيهقي ، ص 626 .
(2) درويش : السلطان محمود ، ص 127 .
(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 287 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 253 - 254 .
(4)

الفصل السادس
الإدارة والمصادر المالية

المبحث الأول ـ الإدارة

أولاً ـ التدريب
1 ـ الصيد
2 ـ لعب الصولجان
3 ـ رمي القرص
ثانياً ـ الرواتب
1 ـ النقد
2 ـ العطاء والهبات
3 ـ مال البيعة
4 ـ أموال الغنائم
5 ـ النهب
ثالثاً ـ المحاكمات
رابعاً ـ الترفيع (الترقية)
خامساً ـ الإجازات
سادساً ـ اللواء والعلم الرايات

المبحث الثاني ـ الخزينة

أولاً ـ الخزينة .
ثانياً ـ ديوان الاستيفاء
ثالثاً ـ المصادر المالية
1 ـ الخراج
2 ـ الضمان
3 ـ الجزية
4 ـ الغنائم
5 ـ المكوس (العشور)
6 ـ الفداء
7 ـ المصادرات
8 ـ أموال الخاصة
9 ـ الهدايا والنثار
10 ـ النهب
11 ـ ضرائب أخرى

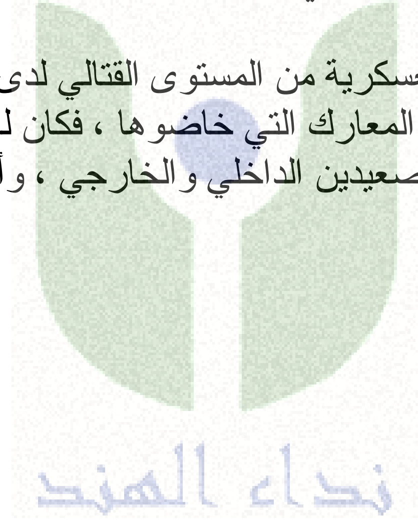
الفصل السادس

الإدارة والمصادر المالية

أهتم السلاطين الغزنويون بالإدارة والتدريب العسكري ، فعملوا على توفيرها من سبل مختلفة ، وكان للأموال الكثيرة التي غنمها الجيش الغزنوي أثناء خوضه للمعارك على مختلف جبهات القتال دور كبير في توفير نهضة أدبية وفكرية وعلمية ، وازدهرت مناحي الحياة كافة ، واهتم سلاطين غزنة بالمنشآت المعمارية المدنية منها والعسكرية ، فقاموا ببناء ميادين للتدريب العسكري ، وثكنات للغلمان في مختلف أقاليم الدولة ، خاصة بعد خوضهم الحروب في بلاد الهند والسند ، حيث شاهدوا عظمة المنشآت في تلك البلاد .

فمنذ وصول السلطان مسعود بن محمود إلى بلخ سنة 422هـ / 1030م , أشار بإنشاء الدواوين ، وتخطيط القصر السلطاني . وقد تلقى منتسبي المؤسسة العسكرية الغزنوية وعلى اختلاف رتبهم ، العديد من أنواع التدريبات العسكرية منها : ما كان يتم داخل ميادين التدريب ، ومنها في البر والبحر ، وهو ما يعرف في أيامنا بالمناورات العسكرية .

ورفعت التدريبات العسكرية من المستوى القتالي لدى الجند ، فحققوا انتصارات باهرة في معظم المعارك التي خاضوها ، فكان لهذه الانتصارات انعكاساتها الإيجابية على الصعيدين الداخلي والخارجي ، وأصبح العدو يخشى باس وقوة جند الجيش الغزنوي .



المبحث الأول
الإدارة

أولاً - التدريب .
1 - الصيد .

مارس الغزنويون جميع أنواع الرياضات بهدف التدريب . فكان السلطان مسعود الأول يمارس الصيد بصورة شبه دائمة منذ أيام صباه ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، شوهد في حدود الهند سنة 411هـ / 1020م ، وهو راكب على فيل غشى وجهه بالحديد كما هي العادة ، وإذا بأسد هائل يخرج إليه من الأكمة* ، ويهجم على الفيل الذي يركبه السلطان فصوب مضرباً أصاب صدر الأسد , فجرحه جُرحاً بالغاً جعله يهيج من شدة الألم ، فوثب وثبة وقع بها عن ظهر الفيل ، فاضطرب الفيل ونهض الأمير على ركبته ، وضرب الأسد ضربة ، فخر الأسد على ركبتيه ميتاً (1).

واعترف كل من حضر هذا المشهد ، بأنهم لم يروا مثل تلك الشجاعة, وكان يسافر إلى مناطق بعيدة عن غزنة مثل الصين ، للصيد في الغابات والأدغال ليصطاد الأسود بمفرده ، فيصيدها ويصارعها ، وأحياناً يساعده غلمانه ، وتذكر المصادر أنه صاد في مرة واحدة ثمانية أسود (2) .

وكان الجيش يستخدم معه أنواع مختلفة من الجوارح أثناء عمليات الصيد ، فقد ذهب القائد أشفتكين الغازي سنة 422هـ / 1030م ومعه عبدالله كتخدا قائد غلمان خاصة بكتغدى في عملية صيد رافقهم خلالها عشرون من الغلمان ، وأخذوا معهم صقور وفهود وأنواع أخرى من الجوارح (3) . يظهر أن الهدف من الرحلة كانت لتدريب غلمان الخاصة على متابعة العدو ، وإلقاء القبض عليه .

ولم يقتصر تدريب الجيش على الأعمال البرية , بل شملت أيضاً التدريب على الأهداف البحرية ، ويذكر أن السلطان مسعود الأول توجه يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادي الأول سنة 426هـ / 1034م مع الجيش إلى ساحل بحر آبسكون (قزوين) ونصبت خيام المعسكر ، وبدأ الجميع بالتدريب على إصابة الأهداف البحرية من خلال عملية لصيد الأسماك . وخرج السلطان مسعود الأول في شهر شوال سنة 428هـ / 1036م مع فوج من غلمان السراي والجند ، وصحبه الندماء والمطربون ، للصيد في ظروف مناسبة ، وقد أتى الهجانة بكثير من الصيد إلى غزنة .

ويذكر أنه خرج مرة أخرى في الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة 428هـ / 1036م من غزنة إلى صحراء رخا مرغ للصيد ، واصطحب معه الحاشية ، وكان الصيد كثير ، ومن كل الأصناف . ومدح أبو سهل الزوزني السلطان مسعود بن محمود في صيده للأسود قائلاً :

---

* الأكمة : الكماة هي التي تميل إلى الغُبرة والسَّواد ، وأكْمَأتِ الأرضُ كثرت كَمْأتُها . وأرض مَكْمُؤَةٌ : كثيرة الكَمْأة . ابن منظور : لسان العرب ، ج 12 ، ص 153 (مادة كمأ) ؛ البستاني : محيط المحيط ، ص 791 .

(1) ابن الأسود : صاحب المخزون ، ورقة 17 أ ، 21 أ .

(2) نظام الملك : سياست نامه ، ص 35 ؛ حتاملة : البنية الإدارية ، ص 70 .

(3) البيهقي : تاريخ البيهقي , ص 241 .

السيف والرمح والنشاب والوتر غنيت عنها وحاكى رأيك القدر
ما إن نهضت لأمر عز مطلبه إلا انثنيت وفي أظفارك الظفر
من كان يصطاد في ركض ثمانية من الضراغم هانت عنده البشر
إذا طلعت فلا شمس ولا قمر وإذا سمحت فلا بحر ولا مطر

ومن أنواع التدريبات حمل الصخور ، والمسير لمسافات طويلة ، والخروج للميادين لتحمل شدة البرد والثلج . فقد قام السلطان مسعود الأول بمختلف هذه التدريبات وغيرها (1) كان الجند يرافقونه في تلك الأعمال ، بغية التدريب العسكري وتطبيق التمارين عملياً .

2 - لعب الصولجان .

يعرف بالجوكان ، وهو عصى مدهونة طولها نحو أربعة اذرع , وبرأسها خشبة مخروطة معقوفة تزيد عن نصف ذراع تعرف بالمجف ، والجوكان كلمة فارسية ، يلقب حامله بالجوكان دار ، وظيفته حمل الصولجان للسلطان أثناء لعبة الكرة . والصوالجة تعرف الأن باسم (polo) ، يسمى متولي هذا المنصب بالجوكاندار . وكان الغزنويون يخرجون أولادهم منذ الصغر , لمشاهدة ألعاب الصولجان ، ويقومون بتطبيقها في ميادين مخصصة لها (2) .

أولى السلاطين الغزنويون لعب الصولجان عناية فائقة ، لدوره الكبير في صقل شخصية العسكر ، وتعليم وتدريب الجند على الأعمال القتالية منذ دخولهم المؤسسة العسكرية . وعيَّنوا لمنصب التدريب العسكري قائداً كبيراً , أوكلوا إليه مسؤولية التدريبات .

فمنذ عهد الأمير سبكتكين وابنه السلطان يمين الدولة محمود , كان بكتكَين يقوم بأعمال صاحب الصولجان ، وسمي في العهد المسعودي بصاحب الصولجان المحمودي . وكان بكتكين كوتوال قلعة ترمذ في عهد الأمير سبكتكين ، ثم أعاده حفيده السلطان مسعود مرة أخرى كوتوال إليها ، بالإضافة لمنصبه كصاحب للصولجان ، وكان سلطان غزنة يصطحب صاحب الصولجان معه في كافة تحركاته وفي مختلف الأوقات (3) .

من المعروف أن القدرة القتالية للجيش تقاس بالقدر الذي يتلقاه الجند من مهارة خلال التدريب ، لذا أولى سلاطين غزنة هذا الجانب أهمية بالغة . فكان التدريب العسكري يقام بمختلف المناسبات ، ففي سنة 423هـ / 1031م تم الاحتفال بمناسبة الانتهاء من تنظيم مصطبة ، كان السلطان مسعود الأول قد أمر بإقامتها في أحد البساتين المطلة على القلعة الخضراء في غزنة ، وأمامها الحوض الكبير والساحة التي تستوعب الجيش في صفين متواجهين .

وخلال الاحتفال سمح السلطان باستقبال كبار الأعيان والأمراء وقادة الجيش وتخلل الحفل نثر أموال كثيرة حسب العادة المتبعة ، ثم قام السلطان ممتطياً جواده

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي , ص 131 - 133 ، 494 ، 569 ، 574 ؛ ابن الأسود : صاحب المخزون ، ورقة 20 ب .
(2) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج 3 ، ق 2 ، ص 894 ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 5 ، ص 458 .
(3) نظام الملك : سياست نامه ، ص 146 .

إلى الميدان الذي يلي المصطبة ، والمخصص لكافة أنواع التدريبات العسكرية ليشاهد قدرة الجند على رمي الرماح ولعب الصولجان .الذي أصبح من أهم التدريبات التي تنمي معرفة الجند على الفنون القتالية ، وبرع القادة والجند في هذه اللعبة ، لصلتها الوثيقة بالتدريبات العسكرية . فكان أحمد علي نوشتكين المسؤول عن تدريبات الجيش في عهد السلطان مسعود الأول (1) .

ثم برز بايتكين* الذي تمتع بالدراية التامة بالفروسية ، ولعب الصولجان والكرة بأنواعها ، ورمي القرص , وبلغ درجة عالية ، ومقدرة فائقة على استخدام شتى أنواع الأسلحة ، وأصبح أحد كبار قادة الجيش المبارزين ، ونتيجة براعته عيَّنه أبو المظفر إبراهيم بن مسعود مسؤولاً عن أعمال التدريبات العسكرية كافة ، فأصبح له الإشراف على لعب الصولجان ، والتدريب على استخدام السلاح ، والطعن بالحراب ورمــي السهــام ، ومختلـف أنواع التدريبات العسكرية الأخرى التي تهم الجيش بكل قطاعاته .

وكانت عساكر جيوش الهند تلعب بالصولجان في ميادين مخصصة لهذا النوع من التدريبات . وهذه الألعاب تعتبر نوعاً من التدريب على إصابة الهدف ، وسرعة الحركة في الميدان ، وتقوية أجسام الجند .

أولى سلاطين غزنة التدريب العسكري عناية خاصة , وعملوا لهذا الغرض ميادين للتدريب , ولما لاحظ السلطان مسعود الأول أن نيسابور تفتقر لمثل هذه المنشآت , عمل بيده بشادياخ نيسابور على تخطيط مدخل للمدينة وميدان عسكري , وقصراً فخماً , وعدة جواسق وساحات , وأضاف إلى معسكر والده في دشت جوكان ببست مباني عسكرية كثيرة (2) .وكان الهدف من إقامة المنشآت العسكرية توفير أماكن خاصة لتدريب الجند على كافة أنواع التدريبات العسكرية , واللياقة البدنية , وعرض الجيوش وإقامة الاحتفالات التي يقيمها الجيش بمختلف المناسبات .

3- الرمي بالقرص .

اعتبر رمي القرص أحد أنواع تدريبات العسكرية الأساسية . فقد قام الجيش خلال شهر رجب 426هـ / 1034م ، بإجراء تدريبات على مختلف أنواع الفروسية ولعب الصولجان ، والرمي بالقرص في الميدان المخصص للتدريب العسكري , بساحة حديقة شادياخ نيسابور (3) .

ثانياً - الرواتب .

ذكرت المصادر بأن مرتبات الجند كانت تدفع أربع مرات فـي السنة بـاسـم بيستـكـانـي أو بيتكاني ، حسب رسم ديوان خراسان ، وتعرف الكلمة في العربية بالعشرينية ولعلها نقد يزن عشرين مثقالاً (4) .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 453 ، 510 ؛ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 154 .
* بايتكَين : أحد غلمان أبو نصر مشكان رئيس ديوان الرسائل في غزنة ، كان حي يرزق ، ويمارس عمله على أكمل وجه سنة 451 هـ / 1059 م . البيهقي : مصدر سابق ، ص 296 ، 613 .
(2) الذهبي : مصدر سابق , ج 2 , ص 182 .
(3) المصدر نفسه ، ص 510 .
(4) الخوارزمي : مفاتيح العلوم , ص 42 ؛ نظام الملك : سياست نامه , ص 31 .

يعتبر الراتب قاعدة ثبات الجند في ميدان القتال ، وقد قال العارفون بالسياسة العسكرية بأنه : يجب على السلطان أن ينظر في حال الرعية والرجال النقدية ، وإيصال مستحقهم من أرزاقهم ، ولا يماطلهم فيضعفوا ، وتوغر* قلوبهم عليه ، فيخذلوه عند الحاجة إليهم (1). فمنذ عهد ألبتكين ، كانت رواتب الجند تدفع لسد حاجة الجند ، لمنعهم من التعدي على الرعية أو أخذ أشياء دون وجه حق (2) .

أعجب الوزير السلجوقي الكبير نظام الملك الطوسي ، بنظام دفع رواتب الجيش الغزنوي ، ونصح السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بإتباع نفس النظام ، قائلاً له : " لقد كان من عادة الملوك القدماء ألا يقطعوا الجيش شيئاً ، بل يدفعوا لكل منهم بحسب رتبته طمعه* من الخزينة نقداً ، أربع مرات في السنة ، فكان الجند في يسر ورخاء دائماً ، وكان إذا ما طرأ هام ، يركب له ألفان أو عشرون ألفاً حالاً ، أما عمال الخراج ، فكانوا يجمعون ويحملون إلى خزينة الملك ، ومنها تصرف أطماعاً للغلمان والجيش ، مرة كل ثلاثة أشهر وهو ما أطلقوا عليه حساب العشرينية ، وما زال هذا العرف قائماً في آل محمود " (3) , وهو يقصد سلاطين غزنة خلفاء محمود .

وأضاف نظام الملك (4) " بأنه يجب أن يعين للجيش أطماع نقدية ثابتة ومنتظمة ، أما أصحاب الإقطاع منهم , فيجب أن تطلق أيديهم فيها ، ولكن بنظام معلوم . وأما الغلمان الذين لا إقطاع لهم ، فيجب إعداد جرايتهم وتهيئتها جميعها ، ودفعها إليهم في أوقاتها ، أو أن يستدعيهم الملك إليه مرتين سنوياً ، ويأمر بتسليمهم أطماعهم المقررة لا أن يحالوا إلى الخزينة لاستلامها دون أن يراهم الملك , فما أحسن أن سلمها الملك إليهم بنفسه ، لأن هذا يبعث على غرس روح المودة والألفة والاتحاد بينهم وبينه ، ويفضي بهم إلى بذل أقصى الجهود في الخدمة ، والثبات في القتال " .

وكانت هذه إحدى نصائح نظام الملك التي قدمها للسلطان ملكشاه ، لإدخالها للنظم العسكرية السلجوقية ، والجدير بالذكر أن نظام الملك اعتمد في نصائحه على النظم العسكرية الغزنوية ، مما يثبت أنها كانت منظمة وثابتة في دفع الرواتب .

1 - النقد .

لم تزودنا المصادر بتفاصيل عن رواتب منتسبي المؤسسة العسكرية الغزنوية لكن نظام الملك (5) أشار إلى أن دخل حاصلات إقليم خوارزم ستين ألف دينار في حين كانت رواتب جيش التونتاش خوارزم شاه ضعف هذا المبلغ . وتشير المصادر

---

* توغر : يقال : أوغر صدره ، أوقده من الغيظ . ابن منظور : لسان العرب ، ج 5 ، ص 286 (مادة غرد) .
(1) الهروي : التذكرة الهروية ، ص 80 ؛ ابن الأزرق : بدائع السلك ، ص 199 ، 299 .
(2) نظام الملك : سياست نامه ، ص 31 , 154 .
* طمع الجند هو رزقهم ، أي راتبهم . وقيل أطماع الجند أوقات قبضها أيضا . الصابي : الوزارة ، ص 452 ؛ ابن منظور : مصدر سابق ، ج 8 ، ص 240 (مادة طمع) .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 800 ؛ نظام الملك : مصدر سابق ، ص 139 ؛
Bayuk Lugat : Absiklopedisi , vol .11 , p . 146 .
(4) مصدر سابق ، ص 139 .
(5) مصدر سابق ، ص 293 .

إلى أن السلطان محمود ، ضبط ولاية خوارزم سنة 410هـ/1019م بالتونتاش الحاجب مع عشرين ألف فارس وعشرين ألف راجل (1) . وعرفنا سابقاً أن راتب الفارس يساوي ضعفي راتب الراجل , وبناءً على ما تقدم يمكننا التعرف على راتب الجندي بالعملية الحسابية التالية .

60000 دخل حاصلات خوارزم × ضعف المبلغ = 120000 دينار مجموع رواتب جند إقليم خوارزم .

120000 مجموع رواتب جند إقليم خوارزم ÷ 3 = 40000 دينار رواتب قطاع الرجالة

40000 رواتب قطاع الرجالة ÷ 20000 عدد الرجالة = دينارين راتب الراجل الواحد

120000 - 40000 = 80000 رواتب قطاع الفرسان

ولما كان راتب الفارس ضعفي راتب الراجل فيكون :

80000 ÷ 20000 فارس = أربعة دنانير راتب الفارس الواحد

وبهذه العملية نتوصل إلى نتيجة مفادها أن راتب الفارس كان أربعة دنانير ، في حين أن راتب الراجل ديناران .

ولم تذكر المصادر وبشكل واضح أرقام تبين مقدار الراتب الممنوح للجندي أو مجموع الرواتب لكافة الجند ، حتى نتمكن من تحليلها ، وتبيان قدر راتب الجندي بشكل أكثر وضوحاً ، لكن بعض المصادر المتوفرة ، أشارت أن ديوان جند خراسان كان يدفع رواتب الجند أربع مرات في السنة ، أي كل ثلاثة أشهر (2) .

كما بينت المصادر أن دفع نفقات الجند كانت تتم أثناء الاستعراضات العسكرية ، حيث يقوم نائب العارض بدفعها . ومما يثبت هذا القول أن الوزير استدعى مقدمي جيش تم تجهيزه وإرساله للمرابطة في مدينة الري سنة 424هـ / 1032م ، وأعطاهم ما يحتاجون إليه من نفقات (3) .

وكثيراً ما كانت تحدث مشاكل من قبل الجند عند تأخر دفع رواتبهم ، ويكون له نتائج سلبية في مواجهة أعداء الدولة . لهذا السبب هزم الغزنويون أمام السلاجقة في خراسان سنة 426هـ / 1024م ، وكان الجند قد تضمروا من عدم تسلم رواتبهم لفترة طويلة ، وقيل انه طال البيكار* (4) على العساكر ، وقل القوت ، وكان لعسكر خراسان آنذاك ثلاث سنين في البيكار .

---

(1) ابن الجوزي : المنتظم ، ج 15 ، ص 293 ؛ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 102 ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، ج 3، ص 23 ؛ العامري : غربال الزمان ، ورقة 98ب .

(2) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص 42 ؛ البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 800 .

(3) المصدر نفسه ، ص 292 ، 418 ، 525 ، 565 ، 607 ، 718 ؛ نظام الملك : سياست نامه : ص 125 .

(4) العمري : مسالك الأبصار ، ص 232 ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج 1 ، ص 482 .

* البيكار : كلمة فارسية معناها البطالة وعدم الشغل , ومعناها بالفارسية ان الحرب عامة ، وكان يقال : دخل الشتاء وقد طالت مدد البيكار ، وضجرت العساكر من كثر القتال . ويوجد أمثلة كثيرة لأوجه استعمال هذا اللفظ , منها : وصل الأمراء من التجاريد والبياكير . العمري : مصدر سابق ، ص 232 ؛ ابن الوردي : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 482 .

تنبه السلطان مسعود الأول إلى انعكاسات ومخاطر عدم دفع الرواتب للجند في الوقت والتاريخ المحددين ، فنجده يأمر وزيره أحمد عبد الصمد سنة 428هـ / 1036م بالمسير إلى هراة ، والمرابطة بها حتى يلتحق به الحاجب سوباشى ، وكافة جند خراسان والنظر في شؤون الجند جميعاً ، وتوزيـع الأرزاق عليهـم ، حتـى يسيـروا مجهزيـن نـحو السلاجقة ، ليجلوهم تماماً عن خراسان . وفور وصوله إلى هـراة اسند الوزيـر مهمـة توزيـع الرواتب على الجند لأبو سهل علاء نائب العارض ، فقام بتوزيعها بدقة أمام الوزير (1) .

وحرصاً من السلطان مسعود الأول على استمالة العسكر , استمر باتباع سياسة صرف الرواتب لمختلف عناصر الجيش ، فقد أرسل جيش لقتال السلاجقة في سرخس سنة 429هـ / 1037م ، وقبل المبادرة في القتال ، أبلغ سوباشى السلطان بأن الجيش جاهز بكامل أسلحته ، وهو على أتم الاستعداد للزحف من نيسابور على سرخس ومرو ، وأن نفقات الجند صرفت لهم نقداً من قبل نائب العارض . ومنذ عودة السلطان مسعود إلى غزنة بعد الهزيمة التي مني بها في دندانقان سنة 431هـ / 1039م ، قرر إرسال جيش مكون من ألف فارس بقيادة التونتاش الحاجب ، لحماية بلخ من الهجمات السلجوقية ، وجلس الوزير أحمد عبدالصمد والعارض أبو سهل الرازي وكبير الحجاب بكتغدى ، يسجلون أسماء الجند الممتازين ، ودفعوا لهم مرتباتهم نقداً حتى أعدوا جيش قوي (2) .

وعمل السلطان مسعود الأول إحداث تغيرات على خطة نشر قطاعات الجيش سنة 432هـ / 1032م ، فقام بتبديل الجيش المرابط في معسكرات بلخ ، ولما عاد ذلك الجيش أصدر السلطان أوامره للعارض أبو سهل الزوزني بصرف نفقات الجند والاهتمام بشؤونه , وإعداده وتجهيزه ، لإعادة إرساله لجبهات القتال في خراسان مرة أخرى (3) .

وكانت رواتب الجند تصرف أحيانا بواسطة البراءات* . وبهذه الحالة يعطى الجند براءات لتحصيل مال السلطان عنوة , منها : أن السلطان مسعود الأول أصدر أوامره سنة 426هـ / 1034م للمستخرج أبو سهل إسماعيل بكتابة البراءات وتوزيعها على الجند , لتحصيل رواتبهم من الأموال التي فرضها على أهل آمل ، في الوقت الذي لم يتمكن أهل آمل من توفير الأموال ، لما كانوا يعانونه من شدة الفقر ، فاضطر الجند لإضرام النار بالمدينة واستباحت الحرمات ، وقبضوا على كل من يريدون ، حتى استخرجوا في أربعة أيام مائة وستين ألف دينار .

قال البيهقي (4) : " وكانوا قد نهبوا من الناس ضعفي هذا المقدار ، وذلك غير ما سلبوا من المؤن , وكانت فضيحة كبرى أدت إلى أن يلجأ المتظلمون بعد سبعة أشهر أو ثمانية ، للسفر إلى بغداد ، يستصرخون الخليفة ، وقيل : إنهم ذهبوا كذلك

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 560 ، 564 - 565 ؛ المقريزي : السلوك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 105 ؛ ابن الأثير : الكامل ج 8 ، ص 28 .
(2) البيهقي : مصدر سابق ، ص 607 ، 718 .
(3) ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 819 ؛ الذهبي : العبر ، ج 2 ، ص 182 .
* البراءة : حجة يبذلها الجهنذ أي الخازن للمؤدي بما يؤديه إليه . الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص 37 - 38 .
(4) مصدر سابق ، ص 492 ، 494 ، 799 .

إلى مكة حرسها الله فإن أهل آمل ضعفاء ، ولكنهم بارعون في الكلام واللجاج وكان لهم الحق فيما يقولون " .

ولما عاد الجيش بقيادة السلطان مسعود الأول من معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م . كتبت براءات بمليون دينار ، ليتقاضاها الجند من أهالي مدينة هراة ونواحيها وبادغيس وكنج روستاق ، ومن كل مكان تصل إليهم أيديهم ، وبدأوا بجمعها بالعنف ، بحجة أن سكان تلك المناطق ، وافقوا السلاجقة على سياستهم العدوانية ، وساعدوهم على حرب الغزنويين (1) .

أما رواتب المطوعة ، فكانت تصرف لهم قبل الحركة إلى ميدان القتال ، ليستعينوا بها على أخذ الأهبة والاستعداد للمعركة (2) . واستمر جند الجيش الغزنوي بكافة أصنافهم يتسلمون رواتبهم نقداً من خزينة الدولة ، طيلة فترة حياتهم العسكرية . وانتقل هذا النظام ليدخل ضمن النظم العسكرية السلجوقية فيما بعد ، وبقي كذلك في عهد ملكشاه بن ألب أرسلان حتى أشار نظام الملك على ملكشاه بتطبيق نظام الإقطاع العسكري (3) .

2 ـ العطاء والهبات .

اتبع سلاطين غزنة سياسة العطاء والهبات مرة أو مرتين في السنة ، لضمان ولاء الجند للنظام ، والقيام بواجبهم على أكمل وجه . وكان السلطان يمين الدولة محمود يبذل العطايا ، ويفتح باب الخيرات ، حتى أحبه الناس , وأخذوا في مدحه والثناء عليه ، فتمت على يديه الأعمال الجليلة ، والفتوحات العظيمة (4) .

كما قام السلطان محمود بتوزيع الأموال على جنده ، وأصلح ما أراد إصلاحه ، بعد عودته إلى غزنة سنة 396هـ / 1006م ، وجاءت هذه الإجراءات استعداداً لمواجهة جيوش علي تكين التي انتشرت في نواحي خراسان ، وكان علي تكين قد استغل غياب السلطان في غزو مناطق الملتان ، ودفع بقوات كبيرة بقيادة قائده العسكري الكبير سوباشي تكين للسيطرة على خراسان ، وقد تمكن من السيطرة على هراة ونيسابور ، وأرسل أخوه جعفر للسيطرة على بلخ ، فاضطر محمود للتوجه إلى خراسان ، فوقعت بينه وبين جيوش علي تكين معارك عدة ، ومطاردات في مناطق خراسان ، انتهت بانتصار محمود على أعدائه , وإعادة خراسان لسيطرته (5) .

كذلك أمر السلطان محمود سنة 400هـ / 1009م بصرف عطاء للعناصر الديلمية المتواجدين في الجيش بعد أن تقدموا له يشكون قلة الأموال ، وعيَّن لهم من يقوم بدراسة احتياجاتهم لزيادة مرتباتهم (6) لأنة كان بحاجة لشجاعتهم في القتال ، ولتقتدي بهم بقية عناصر الأجناس البشرية الأخرى العاملة في الجيش .

كما قام محمود قبيل غزوة ناردين سنة 404هـ / 1013م بتفريق الأموال التي

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 646 ؛ الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 11 - 12 .
(2) ابن الجوزي : المنتظم ، ج 15 ، ص 182 .
(3) نظام الملك : سياست نامه ، ص 139 ، 154 ؛ البنداري : دولة آل سلجوق ، ص 60 .
(4) نظام الملك : مصدر سابق ، ص 84 ؛ عبدالرؤوف : الدولة المستقلة في الشرق ، ص 184 .
(5) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 78 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 228 - 229 ؛

(6) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 81 .

جمعها من مختلف أنحاء البلاد على الجند ، فتم له تجهيز جيش كبير (1) . كما حصل جنود الجيش الغزنوي على أموال كثيرة من غنائم ناحية وي الواقعة في بلاد الغور سنة 411هـ / 1020م ، حيث أمر السلطان بالمناداة على لسانه بعد هزيمة الغوريين " لقد وهبنا المال والذهب والفضة والرقيق للجيش، أما الأسلحة فيجب تسليمها " (2) .

يتضح أن محمود أراد من هذه الهبة تحقيق ثلاثة أهداف ، الأول : تشجيع المقاتلين على الاستمرار بالتوجه لغزو الهند ، والثاني : تشجيع انضمام أعداد أخرى للجيش عند سماعهم خبر هبة السلطان . أما الهدف الثالث : يكمن في توفير أسلحة ومعدات للمقاتلين الجدد عند انضمامهم للقتال بصفوف الجيش ، أو وضعها كأسلحة احتياطية بمستودعات الجيش .

واتبع السلطان مسعود الأول سياسة والده بهذا الخصوص ، فقد أمر سنة 424هـ / 1032م بمنح الصلات والنفقات لمائتي من غلمان السراي مع اثنين من قادتهم ، ممن وقع عليهم الاختيار للتوجه مع أبو سهل الحمدوي للمرابطة في الري . كما عَيَّن الخواجه حسين بن ميكائيل سنة 426هـ / 1034م مشرفاً على توزيع الهبات على الجيش الذي تم تجهيزه وإرساله إلى نسا بقيادة بكتغدى ، لمحاربة السلاجقة ، وقد زود بالذهب والألبسة ليعطي الصلات لكل من يراه يحسن القتال في المعركة ، وأعطى لبكتغدى فيلاً لمراقبة المقاتلين في أرض المعركة عن كثب (3) .

وفي شهر رجب سنة 429هـ / 1037م وصل أبو سهل قائد قطاع فرسان إقليم خراسان إلى الحضرة السلطانية في غزنة ,وقام بتقديم إيجاز عن الموقف العسكري في خراسان ، فأنعم عليه السلطان مسعود بخمسة آلاف درهم ، وخمسة اكيسة ، وحصان غوري ، مكافأة له . وتم منح مقدمي الجيش مكافآت لدفاعهم عن مياه شرب الجيش في أرض معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م ,. وبمناسبة تولى إبراهيم بن مسعود الأول عرش غزنة سنة 451هـ / 1059م أمر بإعطاء الجند هبات مالية ، أدت لرفع الروح المعنوية والقتالية لديهم ، فاتحدوا تحت قيادته (4) .

3 ـ مال البيعة .

هي الأموال التي يوزعها السلاطين والملوك على أمرائهم وأجنادهم ، بمناسبة توليه حكم البلاد . وبرزت هذه الظاهرة منذ أن خَلَفَ إسماعيل بن سبكتكين والده في حكم غزنة سنة 387هـ / 997م ، فقام ببعض الإجراءات الإدارية ، بهدف دعم مركز سلطانه ، فاستغل أموال والده ، ووزع منها مبالغ كثيرة على كبار الأمراء ورجال الدولة العسكريين منهم والمدنيين ، واستمر في توزيع الأموال حتى أفنى الخزائن التي خلفها والده ، فكان الهدف من توزيع هذه الأموال ، ضمان ولاء الأمراء لعرشه ، ووقوفهم إلى جانبه عند الملمات (5) .

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 147 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 124 .
(3)العتبي : مصدر نفسه ، 418 ، 517 ؛ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 161 .
(4) نيشابوري : سلجوقنامة ، ص 15 ؛

(5) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 184 .

واتبع الأمير محمد بن السلطان محمود بعد وفاة والده الذي كان قد أوصى له بالملك من بعده ، نفس الأسلوب منذ وصوله إلى غزنة ، قادماً من قيادة بلخ سنة 421هـ/ 1030 م فأخذ العهود والمواثيق من أمراء ، وأعيان الدولة والجند ووزع عليهم الأموال ، والخلع النفيسة . قيل : بأنه أسرف في توزيع الأموال ، بغية تأييد العناصر المختلفة في مؤسسة الجيش له ، والوقوف معه ضد أخيه الأكبر الأمير مسعود (1) .

لكن مسعود عمل على استعادة تلك الأموال عندما اعتلى عرش غزنة سنة 422هـ / 1030م ، وكانت سبعين أو ثمانين مليون درهم ، فسبب ذلك له يأس وقنوط من الناس وخمدت في نفوسهم كل تلك الميول ، والعواطف البالغة التي كانوا يبدونها اتجاهه .

وكان قد عمل واليها أبو سهل الزوزني على تحصيل هذه الأموال , كرواتب للجند بطريق التسبيب* , وكتبوا البراءات لتحصيلها ، واضطهدوا الناس ، وشددوا عليهم في تحصيل الأموال ، لكنهم جمعوا في النهاية مال وصف بأنه كثير . ومنذ أن تولى عرش غزنة إبراهيم بن مسعود الأول يوم الاثنين التاسع عشر من صفر سنة 451هـ / 1059م ، كان أول عمل له بذل الهبات السلطانية للجند ، فقويت روحهم ، واتحدت قلوبهم ، وارتفعت معنوياتهم (2) .

يتضح أن سلاطين غزنة ، كانوا يبذلوا مال البيعة لكسب ود الأمراء والجند معاً ، لكي لا يتجرأ أحد على مناهضته ، خاصة أبناء البيت الحاكم ، وليبقوا مؤيدين لسلاطينهم عند المحن والملمات ، وليبذلوا أرواحهم في سبيل الدفاع عن البلاد حفاظاً على عرشه .

4 ـ أموال الغنائم .

كانت الغنائم مصدراً أساسياً من مصادر دخل الجند على اختلاف رتبهم بالإضافة إلى أنها أحد أهم المصادر المالية لخزينة الدولة ، لذلك عمل سلاطين غزنة على توفير الأموال من خلال الغزو .

وتشير المصادر إلى أن السلطان محمود بن سبكتكين ، وضع نصب عينيه أموال وكنوز قلعة تانيشر ، وتحطيم معبدها جكرسوام*, فغزاها سنة 402هـ / 1001م وحصل على أسلاب وغنائم ، وصفت بأنها هائلة وضخمة ، وبلغت أعداد

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 281 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 810 .

* التسبيب : أن يسبب رزق رجل على مال متعذر ، ليعين المسبب له العامل على استخراجه ليجعل ورداً للعامل وإخراجاً على المرتزق بالقلم . الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص 41 ؛ الصابئ : الوزارة ، ص 452 ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج 1 ، ص 457 - 458 ؛ البستاني : محيط المحيط ، ص 390 .

(2) البيهقي : مصدر سابق ، ص 382 - 385 ، 402 .

* جكرسوام : تتكون من كلمتين ، جكر أو كاكرا وتعني السلاح ، وهو سلاح ذات شكل مدور وحاد جداً ، يقطع كل شيء يضرب به ، وسوم أو سوام أو سفامين ، تعني رب أو صاحب أو راعي ، ويعرف برب السلاح ، وهو صنم مقدس عند الهنود في مدينة تانيشر ، بحجم قامة الرجل مصنوع من النحاس ، وقد أخذ إلى غزنة .
البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 89 فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 51 ؛ الغامدي : الفتوحات الإسلامية ، ص 208 - 209 .

الأسرى حوالي مائتي ألف من الغلمان والجواري ، وزعت على المقاتلين ، فأصبح كل جندي صاحب ثروة ، ويملك عدد من الغلمان والجواري (1) .

وغزا قائد جيوش الهند أحمد ينالتكين مدينة نرسي في بلاد سنة 421هـ / 1030م في مائة ألف مقاتل ، ودخلها من أحد أبوابها ، ونهبها وخربها واستباحها يوماً ، ولـم يكمـل كـل أعماله بها ، فخرج الجند وباتوا بضواحيها ، خوفاً على أنفسهم من أهلها ، وأراد ابن ينالتكين العودة لإكمال ما بدأه في المدينة ، فلم يتمكن من تحقيق هدفه بسبب القوة التي أبداها المدافعين عن المدينة ، ولكثرة الأموال التي حصلوا عليها , قال ابن خلدون (2) : " وقسموا الأموال كيلاً " . يتبين أن الغنائم كانت المصدر الثاني من مصادر دخل الجند ، لكثرة ما كانوا يستولوا عليه من أموال ومعدات وأسرى وغير ذلك .

وأثناء غزوة السلطان مسعود بن محمود إلى ولاية بنارس سنة 424هـ / 1032م دخل الجند مدينة بنارس نهب الجند أسواق البزازين والعطارين وتجار الجواهر ، قال البيهقي (3) : " وقد أثرى الجند ، وظفروا جميعاً بالذهب والفضة والعطر والجواهر ، وعادوا بعد أن نالوا منها ما يشتهون " .

5 - النهب .

أباح السلطان محمود لجنده نهب مدينة كنوج سنة 409هـ / 1018م ، فقاموا بنهب وسلب مدخراتها ، وقتلوا كل من وجدوه فيها من الأهالي ، وأخذوا بعضهم رقيق (4) . كما قام الجند بنهب مدينة أصفهان وإشعال النيران فيها , بعد أن غادرها السلطان مسعود الأول سنة 422هـ/1030م متوجهاً إلى معسكرات بلخ للاستعداد للذهاب إلى غزنة (5) .

ومنذ أن دخل قائد جيوش الهند أحمد ينالتكين مدينة بنارس من ولاية الكنج ببلاد الهند سنة 424هـ / 1032م ، أكثر الجند من نهب موجودات أسواق البزازين والعطارين وتجار الجواهر ، وعادوا وقد أثروا مما ظفروا به من الذهب والفضة والعطر والجواهر (6) . يمكن القول أن سلاطين غزنة كانوا يشجعون جندهم على القيام بأعمال السلب والنهب لمصلحتهم الخاصة في الأقاليم التي يتم فتحها في بلاد الهند والسند ، تشجيعاً لهم عل ى بذل المزيد من التفاني في القتال .

ثالثاً - المحاكمات .

قال نظام الملك (7) : وإذا ما تطاول جندي على قائده ، ولـم يحترمـه أو يـراع

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 153 - 156 ؛ الكرديزي : زين الأخبار ، ص 79 ؛ Habib : Sultan Mahmud , p . 33 .

(2) العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 809 .

(3) تاريخ البيهقي ، ص 426 .

(4) المصدر نفسه ، ص 436 - 437 .

(5) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 258 ؛ الكرديزي : زين الأخبار ، ص 84 .

(6) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 347 .

(7) سياست نامه ، ص 163 .

حرمته بل تجاوز حده ، يجب أن يعاقب كي يمتاز الرئيس عن المرؤوس .
بدأ نظام تنفيذ محاكمات الجند منذ عهد الأمير ألبتكين ، وللتدليل على هذا أن أحد غلمان الجيش خالف أوامر ألبتكين الصادرة للجند قبل دخولهم غزنة ، بأخذه دجاجة ومخلاة تبن من أحد الفلاحين دون أن ينقد صاحبها الثمن ، رغم أن الغلام تسلم راتبه , فاستدعاه ألبتكين ، وثبتت المخالفة ، فأمر بإعدامه أمام الجميع ، بشقه نصفين ، وتعليقه على خشبة ومعه سرقته ، ثم أكد ألبتكين على تنفيذ تعليماته التي كان أصدرها بهذا الخصوص ، بأن أعلن لجميع المواطنين والجند ، ولمدة ثلاثة أيام متتالية ، بعدم أخذ أي شيء من الأهالي دون ثمـن ، وإلا سينال المخالف ما ناله الغلام من عقاب (1) .
وبوضع ألبتكين قاعدة نظام المحاكمات يكون قد مهد الطريق لاستتباب الأمن في ضواحي غزنة ، بسبب تناقل أخبار المحاكمة ليس بين الجند فقط ، بل بين الناس عامة ، مما جعل الأهالي يتوجهون للأسواق ، لممارسة أعمالهم اليومية ، وعرض منتجاتهم للبيع فتوفرت البضائع ومتطلبات الحياة في الأسواق للجميع .
وكان الأمير سبكتكين أشد قسوة في المحاكمات من سيده ألبتكين ، فقد برع في السياسة والجود وحسن تدبير الأمور ، والمعرفة بجميع رسوم الملك . وبينما كان بولاية البايتوزين التابعة لبست ، إذ تقدم إليه متظلم قائلاً : إني رجل فقير لا أملك غير نخلة ، واحدة ، وقد ربطوا فيلاً قرب نخلتي ، ويستولي الفيّال على تمري بالمجان ، فليغثني السلطان على الفور فركب سبكتكين على الفور وتوجه مع الشاكي ليتأكد بنفسه من المخالفة .
ومن المصادفات العجيبة أنه عند وصوله وجد الفيّال قد شد الفيل إلى النخلة وكان يقطع التمر ، وهو لا يدري أن الأمير وأقف ويراه من بعيد ، فقال سبكتكين : باللغة التركية لأبو نصر مشكان فك الوتر من القوس ، واصعد على الفيل ثم اطلع النخلة ، واصلب الفيّال بوتر القوس ، وتم تنفيذ المحاكمة ، بأن أمر برسن , شد الفيّال به , بعد أن تم ربطه في أعلى النخلة ، ثم أعطى الشاكي ألف درهم ثمن نخلته وبقي الفيّال معلقاً ، وهو مشنوق لفترة طويلة ، ثم قطعوا الرسن وسقط الجثمان (2) .
واستمر العمل بنظام المحاكمات في عهد السلطان يمين الدولة محمود ، فقام بمحاكمة كل من يرتكب جريمة أياً كان نوعها . ففي أحد الأيام جلس للمظالم ، وحاكم أحد القضاة لخيانته أمانة ، كان أحد أفراد الرعية قد أودعها لدى القاضي ، وعندما طلبها صاحبها أنكر القاضي الأمانة ، وبعد التحقيق بالقضية ، تبين أن القاضي خائن للأمانة ، فتشفع بعض كبار رجال الدولة للقاضي عند السلطان ، بحجة أنه رجل مسن ، فاكتفى محمود بمحاكمة القاضي بأن يفدي نفسه بخمسين ألف دينار ، وعزله من منصبه (3) .
وتابع السلطان مسعود الأول تنفيذ المحاكمات ، فأمر سنة 422هـ / 1030م بتشكيل لجنة تحقيق ، لمعرفة الأشخاص الذين خوفوا قائد الجيش أشفتكين الغـازي

---

(1) نظام الملك : سياست نامه ، ص 154 - 155.
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 480 - 481 .
(3) نظام الملك : مصدر سابق ، ص 121 - 122 .

منه , وتقديمهم للمحاكمة ، وكان أشفتكين قد هرب دون علم السلطان باتجاه نهر جيحون ، وقد وضح ذلك مسعود في اجتماع مع كبار رجال الدولة .

وبعد الانتهاء من الاجتماع ، أرسل مسعود ثلاثة من أطباء الخاصة ، وهم أبو الحسن العقيلي ويعقوب دانيال وأبو العلاء إلى الغازي ليقولوا له : لا تشغلن خاطرك فقد دبروا هذا لك ، فإنا سنتحقق من الأسباب التي أدت إلى هذه الحال ، ثم نأمر بما يلزم . لكن أهل السوء استمروا بعمل التدابير للتخلص من الغازي ، حتى أيقن السلطان أن الرجل أساء إلى سمعته ، وبعث عبدوس ليقول له : إن مصلحتك تقضي بأن تقيم في غزنة بعيداً عن القيادة والسلطان مدة ، حتى ينسى الناس تدريجياً هذه السمعة السيئة التي لحقت به (1) .

وفي أثناء اجتياز السلطان مسعود الأول مدينة محمد آباد الواقعة في نواحي جرجان سرق أحد مرتزقة الجيش شاة ، فتقدم صاحبها بشكوى تظلم للسلطان ، وفوراً أوقف حصانه وقال للنقباء : أريد أن تحضروا هذا الغلام الآن ، فأحضروا الغلام ، ومعه الشاة ، فسأله مسعود ، لماذا سرقت الشاة من أهل ولايتنا ؟ وإذا اشتهيت اللحم ، فلماذا لم تشتريه بالدراهم فإنك قد أخذت أجرك ولست فقيراً ؟ فقال : لقد أخطأت ، فقال : لا جرم , سترى جزاء المجرمين ، وأمر بشنقه على بوابة جرجان ، وأعطى حصانه وعدته لصاحب الشاة ، وأطلق منادياً ينادي في الناس هذا جزاء من يظلم أحداً في هذه البلاد (2) .

كما حاكم الغزنويون كل من يخالف أو يهمل في واجبة ، فقد حاكم السلطان مسعود الأول سنة 430هـ / 1038م الفيَّالة الهنود الذين تولوا مهمة حراسة الفيل الكبير المربوط قرب حديقته في ترمذ , بالتعنيف والضرب وفرض عليهم غرامة مقدارها مئة ألف درهم ، لإهمالهم بواجبهم أثناء نوبة حراستهم للفيل ، وكانت هذه المجموعة السلجوقية قد قامت بقتل أربعة رجالة هنود قبل سرقتهم للفيل الكبير مع طفل كان ينام على ظهره ، وتمت عملية السرقة دون علم حرس الفيل (3) .

وكانت المحاكمات تنفذ بحق الجند والقادة ، فقد حاكم للسلطان مسعود سنة 424هـ / 1032م طاهر الكاتب (طاهر دبير) كتخدا الجيش المرابط في مدينة الري ، بسبب ارتكابه مخالفة انهماكه في اللهو والشراب والمجـون ، ونثره الورد في موسمه بصورة لم تصدر عن أي سلطان ، وكانت الدنانير مبثوثة بين أوراق الورد التي نثروها ، وبلغ به الأمر أن أمر بإحضار أواني الشرب الذهبية والفضية ، وربطت بحبال من حرير ، وتمنطق بها كأنها منطقة ، ووضـع علـى رأسه تاجاً نسج من الياسمين والورد الجوري ، وكان يدق الأرض بقدميه ، وندماؤه وغلمانه يدقون الأرض بأرجلهم ، راقصين وعلى رؤوسهم الدبابيس فحاكمه السلطان غيابياً ، بأن كتب إليه يوبخه ، وأقاله من منصبه ، ونصب مكانه أبو سهل الحمدوى (4) .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 255 - 257 .
(2) المصدر نفسه ، ص 479 .
(3) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 10 ؛
Bosworth : The Chaznavids , P . 116 .
(4) البيهقي : مصدر سابق ، ص 412 - 413 ، 416 ؛

وحاكم السلطان مسعود الأول سنة 426هـ / 1034م ، بالتوبيخ واللوم الشديد قائد غلمان السراي بكتغدى على توجهه مع فوج من الغلمان , لإحدى قرى آمل الواقعة على حافة الأحراش ، وقيامه بالنهب والسلب والقتل ، وكان سبب الفتنة أن رجل من سقاة الحاجب بكتغدى ذهب ليحضر قليلاً من الثلج من تلك القرية ، فهمَّ بفتاة فيها ، فمنعه أبوها وأخوها , وحدثت بينهم معركة ، ضرب خلالها الساقي بالسوط فعاد وأخبر بكتغدى بالأمر فثار غضبه ، فركب في اليوم التالي وحدث ما حدث (1) .

رابعاً - الترفيع (الترقية) .

طبق الغزنويون نظام الترفيع الذي كان معمول به أيام السامانيين ، ووضح نظام الملك (2) بأن السامانيين كانوا " يرفعون من مرتبة الغلام تدريجياً , وفقاً لخدماته وكفايته , ولياقته فهم حين يشترون الغلام يضعونه في خدمة الركاب , راجلاً بقباء زندنجي* وموزج* سنة كاملة ، لا يسمح له فيها بركوب الخيل سراً أو علانية ، وإذا ما فعل يعاقب ، وحين تنقضي السنة يكلم رئيس عنبره الحاجب في أمره ، فيخبر الحاجب الملك ، فيأمر له حينئذٍ بمُهر تركي ، بسرج غير مدبوغ ، ولجام جلدي عادي . وبعد خدمة سنة بمهر وسوط فقط يعطى في السنة الثالثة سيفاً معقوفاً ، يشده على وسطه ، ويعطى في الرابعة جعبة وكنانه سهام يرتديهما عندما يمتطي جواده . أما في السنة الخامسة ، فيعطى سرجاً أحسن ولجاماً مكوكباً وقباء ودبوساً . وفي السادسة يولى السقاية ويوكل بالماء فيعلق في وسطه قدحاً . وفي السابعة يوكل باللباس . وفي الثامنة يعطى خيمة من عمود واحد في ستة عشر وتداً ويضاف إلى فوجه ثلاثة غلمان صغار ممن اشتروا حديثاً ، ويلبس قلنسوة لباد سوداء محلاة بخيوط فضية وقباء جنزيا* " .

وهكذا يظل يزاد في ألبسته وآلاته , وعدده وعدد أفراده , ومقامه سنوياٍ إلى أن يصبح قائد فوج ، وهكذا دواليك إلى أن يصير حاجباً , وحين تبدو كفاءته وجدارته وشجاعته للجميع وتتم على يديه الأعمال العظيمة ، ثم يصبح محط أنظار صحبه ومحباً لمولاه ، ينبغي ألا يولى الإمارة أو الولاية ، ما لم يبلغ الخامسة والثلاثين أو الأربعين من عمره .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 495 ؛ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 161 .
(2) سياست نامه ، ص 145 .
* زندنجي : ويعرف بالكرباس ، وينسب إلى زندنة ، وهي قرية كبيرة تقع شمال بخارى في بلاد ما وراء النهر ، بينهما أربعة فراسخ ، واليها تنسب الثياب الزندجية المشهورة في ذلك العصر . وكان هذا القماش يحمل إلى العراق وفارس ومصر والشام والروم وغيرها ، وكان الملوك والعظماء يشترونه بثمن الديباج ، واتخذون منه ثيابهم ، ومنه الأحمر والأبيض والأخضر . النرشخي : تاريخ بخارى ، ص 30 ، 37 ؛ نظام الملك : مصدر سابق ، ص 144 ؛ الحموي : معجم البلدان ، ج 3 ، ص 154 ؛ البغدادي : مراصد الاطلاع , ج 2 ، ص 673 .
* موزج : المَوْزَجُ : الخُفُّ . وهو لفظ فارسي معرب أصله مُوزَهْ ، والجمع موازِجةُ . وهو الحذاء ذو الساق . نظام الملك : مصدر سابق ، ص 144 ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج 13 ، ص 92 (مادة مَزَجَ) .
* جنزياً : نسبة إلى مدينة جنزة ، وهى من أعظم مدن أران (الران) بين شروان وأذربيجان . بينها وبين برذعة ستة عشر فرسخاً . ومن أسمائها كنجة ، كانت تعرف في المائة الثالثة بالمتوكلية ، لأن الخليفة المتوكل أحدثها عام 240هـ / 854 م . وكان يجلب منها إلى سائر البلدان الإبريسم الجيد ، والأطلس والثياب التي يقال لها الكنجي

، والعجم يسمونها القطني ، والعمائم الخز ونحوها . نظام الملك : مصدر سابق ، ص 145 ؛ الحموي : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 135 ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص 213 .

كما عمل الغزنويون بنظام ترفيع الميدان ، وطبق هذا النظام منذ بداية قيام الإمارة الغزنوية سنة 351 هـ / 962 م ، فكان سبكتكين أول من نال هذه الشرف من سيده ألبتكين حين عيَّنه رئيس لأحد العنابر ، قبل مضي ثلاثة أيام على شرائه ، وكان من يتوصل لهذه الرتبة يكون قد مضى على خدمته سبع أو ثماني سنوات ، ثم أخذ في ترقيته حتى بلغ منزلة وصل فيها فوجه إلى ثلاثمائة غلام . كذلك كان سلاطين غزنة يرقوا بعض الرجال ممن يتفانوا بأداء الواجب (1) .

خامساً - الإجازات .

عمل الغزنويون بنظام الإجازات ، لتمكين الجند من الذهاب للراحة والاستجمام بين أهله أيام عدة . ومن الشواهد على ذلك النظام ، أن القائد علي عبدالله المعروف بعلي داية , المرابط في بلخ نفذ أمر السلطان ، ومنح الجند إجازة يوم الاثنين العاشر من رمضان سنة 428هـ / 1036م ، وعاد علي إلى غزنة ، وقابل السلطان مسعود فاحتفى به ، وبعد ذلك انصرف هو الأخر لقضاء الإجازة في بيته . وكان السلطان قد أرسل هؤلاء الجند للمرابطة في خراسان منذ شهر جمادي الثاني سنة 426هـ / 1034م .

ثم أرسل القائد علي عبدالله مع الأمير مودود على رأس جيش قوي للمرابطة في بلخ يوم الأربعاء ثاني أيام عيد الأضحى الحادي عشر من ذي الحجة سنة 427هـ / 1035م . وبعد مرور سنة من الخدمة المتواصلة ، عاد الأمير مودود والقائد علي إلى غزنة يوم الثلاثاء الثالث من جمادي الثاني سنة 428هـ / 1036م لقضاء الإجازة ، وتركوا الوزير أحمد عبدالصمد مع الجيش المرابط في بلخ . مما سبق يتبين أن الجند كانوا لا يمنحون الإجازة إلا بعد مضي حواليها سنتين في الخدمة العسكرية ، أما القادة والضباط , فكانوا يمنحون الإجازة بعد مضي سنة واحدة من الخدمة المتواصلة .

وكان الجند فيما إذا مني الجيش في هزيمة بإحدى المعارك ، يذهبون إلى بيوتهم لأخذ قسطاً من الراحة ، على اعتبار أنها إجازة ، وأن مهمتهم قد انتهت . فبعد الهزيمة التي مني بها جيش سوباشي في سرخس سنة 429هـ / 1037م ، عاد الجميع إلى غزنة بما فيهم قائدهم سوباشي ، فادوا التحية حسب الرسم العسكرية المتبع ، وعطف عليهم السلطان ، ثم انصرف الجميع إلى بيوتهم (2) .

سادساً - اللواء والعلم الرايات.

1 - اللواء .

اللواء رمز لقاعات الجيش ، قالوا : ليتحرك والى الجيش نحو العدو, وقد تراءى له ، فليتقدم البند الأعظم* واللواء بين يديه في جماعة من الخيل الروابط والشرط والمحتسبة* كما تكون الرجالة والنشابة مع الرجالة ، وليتحرك الناس مع

---

(1) نظام الملك : سياست نامه ، ص 145 - 147 .

* البند الأعظم : (العلم) واللواء يكونان مع قائد الجيش . الهرثمي : مختصر سياسة الحروب , ص 37 ؛ ابن منظور : لسان العرب , ج 3 , ص 118 ؛ الشذر : ألفاظ الحضارة العباسية , ص 183 .
(2) المقصود فرقة المحتسبة القائمة بوظيفة الحسبة في الجيش . الهرثمي : مصدر سابق , ص 40 .

قوادهم وولاتهم على راياتهم وأعلامهم وألويتهم وتعبئاتهم (1) .

كان اللواء ضمن الخلعة التي تمنح لقائد الجيش ، وطبق هذا النظام منذ بداية قيام الدولة الغزنوية . فقد منح الأمير نوح بن منصور الساماني سنة 381هـ / 991م خلعة للأمير سبكتكين من ضمنها لواء ، ولقبه بعماد الدولة مكافأة له على مساعدته في الحرب التي جرت بينه وبين كبار أمراء دولته ، وعلى رأسهم أبو علي سيمجور وفائق (2) .

اتخذ الغزنويون ألوية جيوشهم من القماش الحريري ، كما خصصوا لواء حريري ذات لون أحمر لجيوش الهند ، وكان قد حمل هذا اللواء ومن حوله خمسة وسبعون غلاماً حرساً عليه مع كثير من النجائب والإبل السريعة , وراء قائد جيوش الهند أحمد ينالتكين في ميدان وأدي شابهار , أثناء استعراض السلطان مسعود لجيش الهند سنة 423هـ / 1031م .

وظهر تاش فراش قائد جيش خراسان والعراق ، والألوية والكوسات تحف به ، في ميدان وادي شابهار أثناء استعراض السلطان مسعود الأول لقطاعات الجيش على مختلف أصنافها سنة 423هـ / 1031م ، وأعطى السلطان الألوية لقائدين من غلمان السراي وقع اختاره عليهم ، لقيادة مائتي من غلمان السراي ، للذهاب مع أبو سهل الحمدوي ، للمرابطة في معسكرات الري سنة 424هـ / 1032م (3) .

وكانت ألوية الجيش ترفع أثناء إقامة مراسيم استقبال السفارات من قبل مقدمين يمثلون قطاعات الجيش المختلفة . فقد رفع المقدمون ألوية الجيش واصطفت الرجّالة ، بأعداد كثيرة وقوفاً بأسلحتهم أمام الفرسان ، وأصحاب الرتب مصطفين صفين ، أثناء إقامة مراسم استقبال محمد أبي بكر السليماني رسول الخليفة العباسي القائم بأمر الله في نيسابور سنة 424هـ / 1032م ، وأركبوا الرسول وخادمه من مكان إقامته ، لتقديمه لمقابلة السلطان مسعود ، وأمامه اللواء معقود بيد فارس وأمامهم الحجاب وأهل المراتب ، وعند وصولهم أمام صفة سرير السلطان ، تقدم الرسول وقبل يد السلطان ، وقبل الخادم الأرض ، ثم وقفا حسب الرسم المتبع ، وبعد ذلك جرت المحادثات بين السلطان وضيفه (4) .

2 - العلم .

المقصود به العلم الكبير ، ويطلق عليه اسم البند ، ويخصص لقائد الجيش .

قالوا : أصحاب أعلام القلب والميمنة والميسرة أول الفرسان أمام فرسانهم (5) .

وكانت النظم الغزنوية تقضي بان يكون العلم ضمن خلعة السلطان التي يمنحها لقادة الأقاليم عند تعينهم . فقد كان العلم ضمن خلعة السلطان مسعود الأول التي منحها لأحمـد ينالتكيـن بمناسبة تعينه قائداً لجيوش الهند سنة 423هـ / 1031م .

---

(1) المصدر نفسه , ص 40 .
(2) الكرديزي : زين الأخبار , ج 2 , ص 57 - 58 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 298 ، 309 ، 418 ؛ نيشابوري : سلجوقنامه ، ص 14 .

. Ikram : History of muslims civilization in India and Pakistan , p . 26
(4) البيهقي : مصدر سابق ، ص 392 .
(5) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب , ص 37 .

ولايته ، فمنحت ولاية دهستان لداود ، وولاية نسا لطغرل ، وولاية فراوة لبيغو . وكان علم جيوش الهند مع الأمير مجدود بن السلطان مسعود بن محمود ، منذ توليه قيادة جيوش الهند سنة 427هـ / 1035م (1) .

وكانت الأعلام ترفع مع مقدمي الجيش أثناء استقبال الوفود . فقد رفعت أعلام مقدمي الجيش ، وامتدت لمسافة بعيدة من أبواب قصر شادياخ نيسابور أثناء مراسيم استقبال موكب محمد أبو بكر السليماني سنة 421هـ / 1030م (2) .

3 - الراية.

الرايات رمز للقبائل والوحدات المختلفة المشاركة في الجيش ، ولها دورٌ كبيرٌ في كيان كل الجيوش القديمة منها والحديثة . فكانت تنصب عند تعبئة الجيش ، ويقتدوا بها ، سيما وأنها تكون في قلب الجيش خلف القائد . ونصح العارفون بسياسة الحروب السلاطين والملوك بقولهم : ليُرعب قلب العدو بنشر الرايات(3) . ويظهر أن الهدف من وجود الرايات خفاقة في ميدان المعركة ، هو رفع المعنويات القتالية لدى الجند .

أما رايات القطاعات العسكرية أو القبائل المتحالفة ، فعادت ما تكون مختلفة الألوان لتميز القطاعات والقبائل عن بعضها البعض ، وليسهل على قائد الجيش مراقبة وإصدار أوامره لكل قطاع على حدة ، بالإضافة لتوجيه القطاعات المقاتلة أثناء المسير أو داخل ميدان القتال . لهذه الأسباب وغيرها كانت الرايات ترفرف عالياً أمام قطاعات الجيش أثناء حركتها في مختلف مناطق جبهات القتال (4) .

ولما أعلن أبو علي سيمجور قائد الجيش الساماني في خراسان , العصيان على النظام الساماني سنة 384هـ / 994م , وصف الكرديزي (5) رايات قطاعات جيوش الأمير نوح بن منصور الساماني والأمير سبكتكين أثناء عمليه حشد الجيوش بقوله : فكان الغلمان والرايات من كل صوب آتية مشهورة . وتشير بعض المصادر إلى خفقان الرايات فوق قطاعات جيش السلطان محمود سنة 396هـ / 1005م .

دخل الجيش الغزنوي سنة 397هـ / 1006م والرايات ترافق كل قطاع من قطاعاته في حروب مع جيوش أيلك خان في مختلف نواحي خراسان (6) .

وللراية دور في رفع معنويات المقاتلين ، واندفاعهم للهجوم على الأعداء . فقد أصدر السلطان محمود بن سبكتكين , أوامره أثناء حصاره لأحد حصون ولاية وي ، ببلاد الغور سنة 411هـ / 1020م ، بأن تتقدم الرايات شيئاً فشيئاً بعد أن صعب على الجيش اقتحام الحصن المنيع ، فارتفعت معنويات الغلمان المهاجمين ، وتشجعوا على الهجوم ، فتمكنوا من تحقيق النصر (7) .

---

(1) بالبيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 295 ، 298 ، 528 ، 539 - 540 .
(2) البيهقي : مصدر سابق ، ص 44 .
(3) الهروي : التذكرة الهروية ، ص 97 .
(4) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 384 .

(5) زين الأخبار ، ص 60 .
(6) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 82 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 26 - 27 .
(7) البيهقي : مصدر سابق ، ص 123 .

كما كان لقيادة قوات الشحنة في كل مدينة راية خاصة بها ، ترافق قواتها عند اشتراكها في المعارك . فعندما هاجم البويهيين مدينة الري سنة 421هـ /1030م تصدت لهم قوات الشحنة بقيادة حسن سليمان ، ودارت بينهم معركة وصفت بأنها عنيفة ، رجحت فيها كفة البويهيين أكثر من مرة ، ولم تحقق قوات الشحنة النصر ، فاستخدم حسن تكتيكاً تعبوياً فريداً ، بأن عبأ جيشه بمهارة ودقة ، واختار وقت الظهيرة ، لاستغلال شدة حرارة النهار ولضمان نجاح خطته ، أمر بالتقدم بالراياتالكبرى المخصصة لقوات شحنة مرو ، مما شجع فرسانه الممتازين , بالاندفاع بهجوم كاسح على الأعداء (1) ، فكانت حملة موفقة ، إذ داهموا قلب قوات العدو وهزموهم . ويبدو أن حسن استغل شدة حرارة الشمس ، لكي يستبد العطش بأعدائه بعد أن أنهكهم التعب .

وكانت الرسوم الغزنوية ، تخصص راية ضمن خلعة القيادة عند تعيين قائد جديد لإقليم معين ، مثلاً كانت خلعة تاش فراش قد تضمنت راية خاصة لقيادة جيش خراسان والعراق سنة 422هـ / 1030م . واستعرض السلطان مسعود الأول في ميدان وادي شابهار جيش كان قد أمر بتجهيزه سنة 422هـ / 1030م ، بغية إرساله للمرابطة في الهند مع أحمد ينالتكين ، وكان من ضمن تشكيلاته قطاع غلمان السراي ، يقودهم ثلاثة من مقدميهم مع ثلاثة رايات مرسوم عليها صور الأسود والمطارد* . يتبين أن السلطان استعرض الجيش ليتأكد بنفسه من جاهزيته القتالية .

وكان السلطان مسعود الأول في بلخ ، ركب قبيل ظهر اليوم الأول من شهر محرم سنة 423هـ / 1031م وأمامه أربعة آلاف من الغلمان ، وذهب إلى الحديقة من الجانب الآخر للشارستان* ومن خلفه القائد بكتغدى ، وفي أثره غلمان الخاصة ، وكانت راية السلطان وأصحاب الرتب في المقدمة ، ومن ورائهم كبير الحجاب بلكاتكين ، وذلك لحضور مراسم استقبال رسول الخليفة العباسي القائم بأمر الله , وفي اليوم الرابع , رفعت الرايات بهذه المناسبة , واصطف الجنود صفين ، بأسلحتهم ولاماتهم وألبستهم الحريرية المختلفة الألوان ومعهم الرماح والرايات في مدينة بلخ , ورفعت راية السلطان في مقدمة الموكب أثناء مسيره مع الرسول ، وبرفقتهم رايات أصحاب الرتب العسكرية الكبيرة والحجاب , وتم استعرضهم من قبل ضيف الدولة أبو بكر السليماني (2) .

وللراية أهمية كبيرة في ثبات الجند في القتال ، منها أن التونتاش خوارزم شاة شدد على قادة ومقدمي الجيوش التي قادها ، لمحاربة علي تكين في بلاد ما وراء النهر سنة 423هـ / 1031م ، على ضرورة تسديد أنظارهم إلى رايته في قلب الجيش . ولما دار رحى الحرب ، اصطحب التونتاش معه أميرك البيهقي صاحب بريد خوارزم ، واعتلى ربوة راقب مجريات العمليات العسكرية ، ليكون شاهد عيان

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 41 ، 291 ، 298 ، 309 .
* المطارد : مفردها الطراد أو المطرد ، وهو الرمح القصير ، وسمي بذلك لأن صاحبه يطارد فيه . ابن منظور : لسان العرب ، ج 3 ، ص 330 (مادة طرد) .

* الشارستان : إقليم مزدحم بالمدن أو قصر تحوطه الحدائق أو الضاحية أو المدينة الحصينة . البيهقي : مصدر سابق ص 803 .
(2) المصدر نفسه ، ص 316 - 319 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 34 - 35 .

على إخلاص التونتاش للسلطان مسعود في الحرب . أما علي تكين فقد اعتلى ربوة ، تحت شارة حمراء محفوفاً بالمظلات (1) .

وكان لكل جنس من الأجناس البشرية المشاركة في الجيوش الغزنوية راية خاصة. فكان لتِلَك بن حجام الهندي راية خاصة مع طبل وكوس منذ أن تم تعينه قائداً لجيوش الهند سنة 424هـ / 1032م . وعاد تِلِك سنة 426هـ / 1034م بعد أن تمكن من إنهاء تمرد أحمد ينالتكين ، وقابل السلطان مسعود في مرو الروذ ، وقدم فروض الطاعة ، وكان معه جيش تام الأهبة ، وكثير من المقدمين ، ومعهم الرايات مرفوعة والمظلة (2) .

وفي أرض معركة بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م كانت راية السلطان مسعود ذات اللون الأسود مع قوات القلب مرفوعة ، ليراها الجند من مختلف المواقع ، ويدخلوا المعركة بكل شجاعة وبسالة بمجرد مشاهدتها مرفوعة وسط أرض الميدان . ووصفت المصادر كثرة رايات جيش السلطان مسعود ، بأنها سدت رحاب السماء . وفقدت راية مسعود السوداء أثناء مجريات أحداث معركة دندانقان سنة 431هـ / 1039م ، فقام أبو علي كوتوال قلعة غزنة , بإرسال راية سوداء مع معتمده بدلاً منها للسلطان قبل أن يرحل من رباط (3) كروان* .

ولوجود الرايات أهداف كثيرة ، منها نصبها كعلامة , ليراها الجند ويهتدوا بها . فلما هزم الغزنويون في معركة دندانقان سنة 431هـ / 1039م ، حاول السلطان مسعود يائساً ، جمع شتات قطاعات جيشه من خلال رفعه الرايات ليستدل بها من تخلف أو ضل الطريق من أعيانه وجنده (4) .

وبعد توضيح دور كل من اللواء والعلم والرايات، يتضح لنا أن الرايات خصصت للسلطان أو لمن ينوب عنه بقيادة الجيش المركزي أو جيش الإقليم . أما اللواء فكان للقوات العسكرية التي يقودها مساعد قائد الجيش أو أحد الضابط ممن يحملوا رتبة مقدم . بينما كانت الأعلام ترفع من قبل الوحدات الصغيرة ، أو من قبل القبائل المشاركة بالحملات العسكرية ليسهل تميزها في الميدان ، وبالتالي يتمكن قائد المعركة من تحريك القطاعات حسب متغيرات مجرى المعركة .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 319 ، 366 - 367 ؛
. Ikram : History of muslims civilization in India and Pakistan , p . 19
(2) نيشابوري : سلجوقنامه ، ص 14 .
(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 626 ، 629 ، 705 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 34 .
* كَرَوَان : إحدى قرى طوس . الحموي : معجم البلدان ، ج 4 ، ص 458 .
(4) البيهقي : مصدر سابق ، ص 690 ، الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 12 .

المبحث الثاني
الخزانة والمصادر المالية

قال الهروي (1) : يستحب للسلطان جمع المال من أبوابه وجهاته ، ويحب الاستكثار من الذخائر ، فإن المال مع الملوك كالشمس في العالم ، فإن كثر قوي صاحبه ، وإن قل أضعفه.

أولاً - الخزانة .

أطلق الغزنويون على متولي الأمور المالية اسم خزينة دار أو الخازن دار ، واسم جامه دار على الشخص الموكل بخزانة الملابس . أما بالنسبة للأموال فكانت توضع في خزانتين الأولى : خزانة للمصاريف والنفقات الجارية ، والثانية : الخزانة الأصلية ، ولا تفتح إلا عند الضرورة ، أو عند نفاذ الأموال من الخزانة الأولى .

وبهذا المعنى قال نظام الملك (2) : " ولو لم يفكروا على هذا النحو ، لأنفق كل ما كان يحصل من الأموال ، حتى إذا ما احتيج إلى المال بغية ، ولم يكن متوفراً فلا ينشأ عنه سوى الحيرة وانشغال البال ، والتقصير في مواجهة ذلك المهم ، والتأخر في قضائه . ولم يكن الملوك ينقون مما كان يدخل الخزانة من دخل الولاية البتة ، لكي تؤدى النفقات في أوقاتها ولا يحدث أي إخلال أو تقصير في أداء الصلات والهبات والأعطيات ، وحتى تظل الخزانة عامرة دائماً " .

ولمتولي الخزانة مساعدان ، فقد كان لأبو الحسن عبد الجليل قريش مساعدان في عصر السلطان محمود بن سبكتكين ، أحدهما علي ابن عم أبو الحسن الذي استمر في خدمة السلطان مسعود بن محمود ، حتى عَيَّنه مسؤولاً عن خزينة بلخ سنة 422هـ / 1030م وأمره بالجلوس للمتظلمين لمدة عشرة أيام مع الوزير أحمد حسن الميمندي . وكثيراً ما كانت الخزينة المالية تتعرض للإفلاس ، فلما توفى الأمير سبكتكين ، وخلفه في الحكم ابنه إسماعيل سنة 387هـ / 997م ، استضعفته الجند ، واشتطوا في طلب الأموال حتى أفنوا الخزانة (3) .

لكن الخزائن عادت وزخرت بالأموال في عهد السلطان محمود بن سبكتكين ، وقيل : بأنها امتلأت بالأموال الطائلة ، والقناطير المقنطرة من اللؤلؤ , والجواهر والزمرد والياقوت والذهب والفضة ، حتى سارت بأخبارها الركبان ، وقد جمعها من طرق مختلفة ، وبأساليب متباينة ، وبالطرق العسكرية المتبعة في جباية الأموال ، بحق وبغير حق ، وقد أمر بأن يُجْمَعَ النادر منها , وتوضع أمامه قبيل وفاته ، فلم يعد يتمالك نفسه إلا بالبكاء والعويل والنحيب لما رآها بعد أن وضعت أمامه (4) .

---

(1) التذكرة الهروي ، ص 80 .
(2) سياست نامه ، ص 293 .

(3) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 184 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 778 ؛
Jaffar : Medieval India under muslim Kings , vol . 2 , p . 89 .
(4) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 96 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 12 ، ص 8 .

وفي العهد المسعودي كان الحرص على سلامة الخزائن أكثر من ذي قبل ، فقد أصدر السلطان مسعود الأول أمراً إلى كبير الحجاب علي قريب , بضرورة المحافظة على ما في الخزائن كافة ، بما فيها خزانة المال ، وتأمينها لحضرته حال وصوله إلى غزنة (1) .

ولم يكن السلطان مسعود الأول ارحم من والده في تحصيل الأموال للخزينة ، فظلم الناس وتشدد في استخلاصها منهم بأشد العذاب ، بعد أن كان يفرضها من تلقاء نفسه وبدون وجه حق . فوضع في بلخ سنة 422هـ / 1030م خزانة حوت على دراهم ودنانير وألبسة ، وعينَّ لها خازن وكاتب، ولجنة للإشراف عليها برئاسة الوزير أحمد حسن الميمندي وعدد من الأعضاء من ضمهم المؤرخ أبو الفضل البيهقي ، وذلك لإكمال مهمة النظر بالمظالم المقدمة من الناس والشرطة المتظلمين ، وقضاة وعمال وغيرهم ، لمدة عشرة أيام من مغادرة السلطان إلى غزنة (2) .

وكانت التعليمات المالية الصادرة عن سلاطين غزنة ، تشدد كثيراً على الاهتمام بخزائن المال والأسلحة . لهذا استخدم الوزير أحمد بن عبد الصمد سنة 423هـ / 1031م كل الحيل ، لسحب الجيش والخزائن ، وغلمان السراي حتى أوصلهم سالمين إلى خوارزم وبدون خسائر . وكان أحمد قائد لجيش غزنوي خرج به من غزنة ، وجاء به لإسناد موقف التونتاش خوارزمشاة في معركته مع علي تكين في بلاد ما وراء النهر (3) .

وكانت الخزينة الثانية لا تفتح إلا عند الضرورة . ولما تأزم الموقف العسكري بين الغزنويين والسلاجقة في خراسان ، وترتب على الغزنويين نفقات كثيرة ، أدى الأمر إلى إفلاس الخزينة الأولى ، فاضطر السلطان لفتح الخزانة الثانية الاحتياطية ، وزود العساكر بالذخائر والأموال ، وجهز جيش خرج به إلى بلخ لمواجهة السلاجقة (4) . وجاء صرف هذه الأموال وتجهيز الجيوش نتيجة خسارة الغزنويين في سرخس سنة 429هـ / 1036م .

وللمحافظة على مدخرات خزائن الأموال قبيل معركة سرخس سنة 429هـ / 1037م عقد سوباشي في خراسان ، اجتماعاً مع أبو سهل الحمدوي وسورى بن المعتز ، وعدد من كبار القادة العسكريين ، قرر المجتمعون الذهاب إلى سرخس ، لإنهاء التواجد السلجوقي وطردهم من أراضي إقليم خراسان ، وطلب من سورى وأبو سهل البقاء في نيسابور للمحافظة على الأموال ، ونقلها إلى مكان آمن ، وامتثالاً لأمر سوباشي تم نقل جميع الأموال إلى قلعة ميكالي* حتى لا تقع غنيمة بيد السلاجقة ، وتحسباً لوقوع هزيمة لقطاعات الجيش الغزنوي . أما أثقال نيسابور من الألبسة والفرش والأسلحة وغيرها ، مما لم يكن في الوسع نقله إلى قلعة ميكالى ، فقد أمر سورى بإيداعه بالخزائن (5) .

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 12 ، ص 27 - 28 .

(2) خواندمير : تاريخ حبيب السير ، ج 2 ، ص 392 - 393 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 806 .
(3) خواندمير: مصدر سابق ، ج 2 ، ص 392 .
(4) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 599 - 602 ؛ الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 10 .
* قلعة ميكالي : تقع في روستاق بست . البيهقي : مصدر سابق ، ص 589 - 590 .
(5) الحسيني : مصدر سابق ، ص 10 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 34 .

وكان الغزنويون يأخذون كافة تدابير الحيطة والحذر ، للمحافظة على مدخرات الخزائن ، خوفاً من وقوعها بأيدي الأعداء ، لهذا عملوا على تحميل الأموال على النجائب السريعة ، لتأمينها إلى إحدى القلاع الآمنة .

وأمر الوزير أبو سهل الزوزني الغلمان ، بتحميل النقود والملابس على النجائب مع تشديد الحراسة عليها ، وأخذوا كافة وسائل الحيطة والحذر ، تحسباً لاستخدام السلاجقة عنصر المباغتة أثناء ليلة يوم الثامن من رمضان 431هـ / 1039م . ولضبط الأمور المالية وضع الغزنويون مشرفاً على الخزانة ، لجرد الأموال والتأكد من المبالغ المتوفرة والواردة والمصروفة . فلما توفى أبو نصر مشكان ببداية سنة 431هـ / 1039م ، قام أبو سعيد المشرف على خزانة الدولة بجرد خزينة أبو نصر ، تأكد خلالها من صحة أمواله وممتلكاته وعمل بيان بثروته ، ليطلع السلطان عليها (1) .

ولخوف السلطان مسعود على الخزائن ، اصطحبها معه إلى الهند بعد خسارته أمام السلاجقة في دندانقان سنة 431هـ / 1039م , قال البيهقي (2) : أرسل المعتمدين سراً ليحملوا كل ما في خزائن غزنة من الذهب والدراهم والألبسة والجواهر وغيرها ، وأرسل إلى الحرائر العمات والأخوات والوالدة والبنات أن تأهبن للرحيل معه لهندوستان , فلم يبق ما يقلق البال في غزنة .

وخرج من غزنة في شهر صفر سنة 432هـ / 1040م مستصحباً معه الخزائن والحرائر ، وفي الطريق أرسل من يأتيه بأخيه محمد من قلعة نغز* وبعد عبوره نهر سيحون ، وعند رباط ماريكلة* طمع بعض ضعفاء النفوس ، وعلى رأسهم انوشتكين البلخي* ، وجماعة من العسكريين والغلمان ، وأخذوا من الجواهر والذهب والفضة ، فأدى ذلك إلى اضطراب الجيش الذي انقض على الخزائن دفعة واحدة ، فلما حدث ذلك رأوا أن الأمر لا يستقيم إلا إذا عزلوا مسعود ونصبوا أميراً جديداً مكانه ، وأخيراً اتفقوا على تنصيب أخيه الأمير محمد . فسيطر الجيش على الرباط ، واخرجوا مسعود منه ، وقيدوه وسجنوه في قلعة كيرى* وبقي فيها حتى قتل على يد أحمد ابن أخيه السلطان محمد بن سبكتكين سنة 432 هـ / 1040 م (3) .

وأشار السلطان مسعود الأول إلى مجمل محتويات خزائنه المالية ، عندما تم اعتقاله سنة 432هـ / 1040م ، حيث طلب من أخيه محمد مالاً لينتفع به ، فأرسل إليه خمسمائة درهم ، فبكى مسعود وقال : كان بالأمس حكمي على ثلاثة آلاف حمل من الخزائن ، واليوم لا أملك الدرهم الفرد (4) .

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 660 ، 687 ؛ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 172 .
(2) مصدر سابق ، ص 726 - 727 .
* قلعة نغر : هي قلعة مدينة نغر ببلاد السند ، بينها وبين غزنة ستة أيام . ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 238 .

* رباط ماريكلة : يقع في بلاد ما وراء النهر , على بعد خمس وثلاثون ميلاً من نهر جيحون . الكرديزي : زين الأخبار ج 2 ، ص 123 .
* نوشتكين البلخي : أحد كبار قادة السلطان مسعود بن محمود . العمري : مسالك الأبصار ، ص 233 .
* قلعة كيرى : قلعة ناحية كيرى في بلاد الهند , سجن بها السلطان مسعود بن يمين الدولة محمود من قبل أخوه السلطان محمد ، وبقي فيها حتى قتل سنة 4312هـ / 1040م . العمري : مصدر سابق ، ص 233.
(3) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص 320 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 12 ، ص 52 .
(4) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 8 ، ص 26 .

ولم تكن أموال الخزينة في مأمن عن السطو ، فكثيراً ما كانت تتعرض للسرقة والنهب من قبل بعض كبار الأمراء والقادة العسكريين . فقد تعرضت خزائن الدولة للسرقة مـن قبل أشفتكين الغازي القائد العام للجيوش الغزنوية سنة 422هـ / 1030م ، وأقدم أشفتكين على هذا العمل ، بعد وصول معلومات مدسوسة ومنفقة إليه مفادها أن السلطان دبر له مكيدة لاعتقاله ، وعلى أثرها قام الغازي بفتح الخزائن ، وأعطى لغلمانه ما خف حمله من الجواهر والذهب والفضة والملابس (1) . كما تعرضت الخزينة للنهب من قبل أحد كبار قادة الجيش , يدعى أنوش تكين ومعه مجموعة من الجند سنة 432هـ / 1040م (2) .

ورغم أن خزائن غزنة تعرضت لبعض حالات السرقة الداخلية ، إلا أنها لم تتعرض للنهب من قبل أي قوات خارجية مهاجمة طيلة فترة الحكم الغزنوي حتى سنة 510هـ / 1116م ، وهى السنة التي تمكن السلطان سنجر من دخول غزنة ، والاستيلاء على خزائنها المملوءة بالأموال ، قال البنداري (3) : "فانهزم العسكر الغزنوي ، وانتصر الحرب السنجري واحتوى على أموال غزنة وخزائنها ، وحصل على ظواهرها وبواطنها ، وكان ملك آل محمود من أول عهده بكراً لم يُفتض ، وختماً لم يفض , حتى أتى سنجر وكسر سكره ، وهتك ستره " .

نستنتج مما سبق أن ملامح إفلاس خزانة الدولة الغزنوية ، بدأت تلوح بالأفق منذ بداية عهد السلطان مسعود الأول بن محمود ، حيث بدأ بالتنقل بين الأقاليم من خراسان إلى أفغانستان ، ثم إلى بلاد الهند والسند بحملات عسكرية ، لشن الحروب التي كلفت الخزينة مبالغ هائلة من الأموال ، ناهيك عن خسارة المؤسسة العسكرية لمقاتليها الذين أنفق عليهم الكثير من الأموال خلال تلقهم التدريبات العسكرية في الميادين .

ثانياً ـ ديوان الاستيفاء (المحاسبة) .

هو ديوان المحاسبة ، وعُرف صاحبه بالمستوفي ، بلغت منزلته في الدولة تلي منزلة الوزير (خواجه بزرك) (4) , وعمله عمل وزير المالية في الوقت الحالي .

ويجب فيمن يتولى هذا المنصب أن يكون متصفاً بحسن السمعة ، وكمال الديانة وعارف بأسرار المعاملات ودقائق الحسابات ، مسلحاً بأنواع الخبرات وعليماً بالتقاليد والعادات ، مزيناً بآداب طاعة الملوك ، ويتميز بالعدل والصدق ، ويفاضل بين الحق والباطل واليه يسند تقويم المصالح العامة ، وعليه يتوقف نجاح الأمور السلطانية ، ورعاية الأموال الديوانية (5) .

والأصل في نشأة هذا الديوان حاجة الدولة إلى إحصاء خراج البلاد المفتوحة

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 253 ؛ خواندمير : تاريخ حبيب السير ، ج 2 ، ص 390 .

(2) ابن الوردي : تاريخ إبن الوردي ، ج 1 ، ص 483 .
(3) دولة آل سلجوق ، ص 242 .
(4) نظام الملك : سياست نامه ، ص 199 - 200 ؛ إقبال : الوزارة ، ص 44 ، 51 .
(5) الكوفي : فتحنامه ، ص 209 ، 214 - 216 .

وتنظيم الإنفاق في الوجوه التي يجب الإنفاق فيها ، وبرزت أهمية ديوان الاستيفاء في الدولة الإسلامية ، حين تعددت مصادر الدخل , وزادت ثروة الدولة , وتشعبت وجوه الإنفاق (1) .

وديوان الاستيفاء ضروري ، لتدوين حساب أموال الولايات ، ومعرفة أوجه الدخل والإنفاق ، والتأمل الدقيق في الإنفاق ، فيلغى عندئذٍ ما ليس ضرورياً ويحذف وإذا ما كان لأحد رأي في مجموع الدخل ، كأن أظهر رغبة في التوفير ، فينبغي الإصغاء إليه حتى إذا تبين صحة ما يقول ، يجب السعي في غير ذلك المال وتوفيره فبهذا يمكن القضاء على ما قد يحدث من إخلال أو تبذير في الأموال وتضيعها ، ولا يظل ثمة شيء خافياً بعد ذلك (2) . لهذا أسس سلاطين غزنة ديوان الاستيفاء، وعيَّنوا لـه مـوظفين عـرفوا بـاسم المستوفين أي المحاسبون .

ولرئيس ديوان الاستيفاء أن يرسل من قبله أحد موظفي الديوان ، ليكون نائباً له وعرف بوكيل المستوفي أو نائب المستوفي ، ويختار ممن تتوفر فيه صفات وشروط المستوفي ، ويكلف بضبط الواردات والنفقات ، والخراج والضرائب ، والزيادات والعلاوات وإرسال نسخة منقحة إلى الديوان بذلك .

وعليه أن يرسل ما هو مقرر من مبالغ مالية عن الولاية العامل بها ، طبقاً لما هو وارد في حجة الديوان . وتقع على عاتق موظفي ديوان الاستيفاء واجبات ، ضبط أموال الولاية بشكل دقيق ، حيث أن نجاح الديوان مرتبط بها ، ولأن استمرارية وجود الكيان السياسي والعسكري للدولة موقوف علي بقاء توفير الأموال وخاصة الخراج (3) .

اعتبر المستوفي في العصر الغزنوي من كبار مسؤولي الدولة ، ومن المقربين للسلطان ، فكانوا يجلسون معه إلى جانب بقية كبار الأمراء ، ويتحدث معهم في شؤون عملهم ويستمعون إلى توجيهاته وينفذون أوامره . ورغم ذلك فقد خضع ديوان الاستيفاء لمراقبة السلطان شخصياً ، فكان ينظر في الحسابات . وعرف عن السلطان محمود الغزنوي الشدة في المحاسبة ، كالضرب بالسياط ، وقطع الأيدي والأرجل والتعذيب . ونال ديوان الاستيفاء عناية فائقة من قبل الوزير ، وقدم كل أشكال المساعدة لصاحبه ، ومده بما يحتاج إليه من أجل تمكينه من جمع الأموال من الإقليم ، وتأمينها لخزانة السلطان (4) .

وكان رئيس ديوان الاستيفاء يتعاون مع موظفيه ، بحصر أموال من يتم تعيينهم ولاة جدد للأقاليم ، ويقوم واليها الجديد المرشح لمنصب الولايـة ، بكتابـة قوائـم بالأمـوال والممتلكات الخاصة به ، وعند عزله من منصبه ، يقوم المستوفي بحصر أمواله من جديد فإذا تأكد حصوله على مالٍ بدون وجه حق ، يتم مصادرتها

---

(1) النبراوي ، فتحية : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، ط 9 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1419هـ / 1999م ص 91 .
(2) نظام الملك : سياست نامه ، ص 298 ايلليوت : تاريخ الهند ، ج 2 ، ص 61 .
(3) إقبال : الوزارة ، ص 45 ، 48 ، 50 .
(4) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 166 - 167 ؛ خواندمير : دستور الوزراء ، ص 240 .

وإعادتها إلى خزينة الدولة .

كان المستوفون يحصلون الأموال من الرعية بالقوة ، فيسلمون قسماً منها لخزينة الدولة ، ويسرقون القسم الأكبر ، وقيل عن المستوفين : بأنهم كانوا يسرحون ويمرحون ويظلمون الناس بأخذ أموالهم ، ويظل ذلك المستوفي يربي أمواله بالاختلاس ، وينميها حتى يحين الوقت المناسب ، فيصبح هو وأمواله مناط اتهام السلطان ، بدافع من المنافقين والحساد والمتآمرين ، فيصدر السلطان أمراً باعتقاله ومحاسبته بتهمة الخيانة ، وقد تصل به العقوبة حتى الإعدام ، فتم إعدام المستوفي حسن الميمندي , لاتهامه بالخيانة والاختلاس في عهد الأمير سبكتكين (1) .

واعتنى الغزنويون بإقامة مقاييس على الأنهار ، لمعرفة مقدار ارتفاع الماء وانخفاضه للاستئناس به في فرض الضرائب . فمثلاً وضع مقياس على نهر مرو ، وعلى مسافة فرسخ عن المدينة ، وهو عبارة عن لوح مقام على النهر ، مشقوق شقاً طويلاً ، فتتحرك عليه شعيرة ، فربما علا الماء حتى بلغ ارتفاعه ستين شعيرة ، فتكون السنة خصب ورخاء ، وإذا بلغ الارتفاع ست شعيرات فقط ، كانت سنة قحط والمتولي للسد عليه ملاحظة ارتفاع نسبة الماء ، ويرسل ما يستجد من معلومات مع حماته إلى ديوان النهر . وكان يرسل صاحب الديوان إلى جميع من يتولون شعب الأنهار ، فيقسمون الماء بحسب ارتفاعه (2) ، وتفرض قيمة الضرائب بناءً على كمية مياه النهر المستهلكة .

وتمكن المستوفون من جمع الأموال النقدية والعينية والعقارية والمواشي وغير ذلك من النواحي والولايات كافة . فمثلاً جمع المستوفون برئاسة أبو مطيع السجزي من محاصيل من ناحية بلخ سنة 422هـ/ 1030م ، بلغ ما مجموعه ستة عشر ألف دينار (3) .

واشتهر عمال الأقاليم في ظلم الرعية خلال تحصيل الأموال . وذكر أن أبو منصور المستوفي* قال : إن سورى - رئيس ديوان خراسان - كان رجلاً مشهوراً بالظلم ، فإنه حين أطلقت يده في خراسان ، أستأصل شأفة أعيانها ورؤسائها ، واستحوذ على أموال لا تحصى ، وامتد ظلمه إلى الضعفاء ، وكان يقاسم السلطان ، يعطيه خمسة من عشرة دراهم يغتصبها ، وقد اكتشف أمره ودارت حوله الشبهات ، فقام ديوان الاستيفاء بحصر كل الأموال التي استولى عليها سورى بدون وجه حق ، وأعادها على خزانة الدولة (4) .

---

(1) ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 806 .
(2) ابن حوقل : المسالك والممالك ، ص 431 ؛ حتاملة : البنية الإدارية ، ص 41 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 134 - 135 ؛

* أبو منصور المستوفي : مستوفي خزينة غزنة ، عاصر السلطان محمود بن سبكتكين ، وأبناءه محمد ومسعود . قيل عنه : بأنه الثقة الأمين الذي لا يحيد عن الحق في عمله قيد شعرة ، وصاحب النفس الكبيرة والرأي المبين . قام بتدوين قوائم بالصلات والخلع التي وزعها محمد بن محمود إبان توليته عرش غزنة على الأعيان والأمراء واركانية الدولة والحاشية ومختلف أصناف الناس والجند . البيهقي : مصدر سابق ، ص 284 ، 437 .

(4) البيهقي : مصدر سابق ، ص 437 - 438 ؛ الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 5 ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة ، ص 32 .

ومن واجب المستوفين إسقاط ما يصرف من الخزينة بالطرق الرسمية المتبعة أو ما يأمر بإسقاطه السلطان . فمثلاً أمر مسعود الأول سنة 423هـ / 1031م بإسقاط الديون المترتبة على مانك علي ميمون* فقام المستوفون العاملون في ديوان الاستيفاء ، بإسقاط مـا في ذمته من أموال (1) .

ومن واجبات المستوفي إحضار النثار ونثره خلال إقامة الحفلات التي تقام من قبل مسؤولي الدولة , ومن ثم جمعه وإعادته إلى الخزينة . مثلاً حضر المستوفون مراسم استقبال السليماني في إحدى حدائق الشارستان ببلخ ، بحضور السلطان مسعود ، وقدموا النثار , وبعد انتهاء الحفل ، قاموا بجمعه ، وأودعوه في الخزانة .

وكانت الرعية تخشى باس سلطان غزنة ، فقد هدد السلطان مسعود الأول سنة 426هـ / 1034م , أهل آمل بأنه سوف يبعث مستخرجاً ، لاستخراج الأموال بالقوة ، فيما إذا رفضوا دفع الأموال التي فرضها عليهم . وكانت الأموال الخراجية التي فرضت على أهل آمل قد بلغت مليون دينار من الذهب النيسابوري ، وألف قطعة من الألبسة الرومية , وألف قطعة من المحفورات والسجاد وخمسة آلاف كساء (2) .

ومن واجبات المستوفي أيضا , الإشراف على مصروفات الخزائن ، كنفقات تجهيز الجيوش . فقد اختلى السلطان مسعود الأول بالمستوفي أبو منصور لمرات عده ، وبأوقات طويلة سنة 432هـ / 1040م ، لترتيب أمور الخزائن التي رافقت مسعود إلى الهند والسند ، وتوفير المزيد من الجمال التي حملت الخزائن الكثيرة ، لكن لم يكن لأحد جرأة على التكلم بهذا الموضوع مع السلطان (3) .

يتضح أن الغزنويين أسسوا ديوان الاستيفاء ، لتحقيق أهداف عدة ، الأول : ضبط الحسابات الواردات المالية من مختلف مصادرها في دولة اتسعت حدودها وتعددت أقاليمها . والثاني : معرفة مقدار النفقات التي كان أغلبها يصرف في تجهيز الجيوش وخوض المعارك، وفتح الأقاليم . والثالث : تمكين عمل المستوفيين من مراقبة تصرفات الولاة في النواحي المالية . والرابع : توضيح مدى المعاناة والظلم الذي عانى منه المجتمع .

ثالثاً - المصادر المالية .

تسير الدول ضمن سياسة مالية لتحقيق التوازن بين مواردها ونفقاتها ، فاتبع سلاطين غزنة منذ بداية نشأة دولتهم هذه السياسة ، فعملوا على إنشاء خزينة مالية لحفظ الأموال وصيانتها , والتصرف بها للمصلحة العامة ، ولا يكون ذلك إلا بأمر السلطان شخصياً ، وتحت إشرافه مباشرة . وتعددت المصادر المالية لخزينة الدولة الغزنوية . واتبعوا عدة طرق لتوفير الأموال أهمها .

----

* مانك علي ميمون : أحد تجار وأعيان غزنة وأثريائها ، كان يجهز صنوف عدة من شتى الأطعمة اللذيذة ويهديها للسلطان محمود بن سبكتكين ، ولما تولى الحكم ابنه مسعود ، أسند إليه مهمة رعاية وضمان أغنامه الخاصة ، وبقي كذلك حتى شاخ وقد ترك بعد وفاته أموالاً وأوقافاً كثيرة ، منها رباط في غزنة عرف باسمه ، وأصبح مأوى للعلماء . البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 135 - 136 ، 213 ، 227 .
(1) المصدر نفسه ، ص 135 - 136 .
(2) المصدر نفسه ، ص 319 ، 492 ؛
(3) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 25 - 26 .

1 - الخراج .

تجمع أخراج ، وأخرجَة ، وجمع الجموع أخاريج ، وهو كل ما يوضع على رقاب الأرض الخراجية من حقوق تؤدى عنها ، ويقف هذا على اجتهاد الأمة ، والخراج عند العرب اسم للكراء والغلة ، والخراج والخرج شيء وأحد ، يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم ، وقيل : هو الإتاوة تؤخذ من مال الناس (1) .

والخراج حق معلوم على مساحة من الأرض ، يتولاها عامل الخراج الذي يجب أن تتوفر لصحة ولايته ، الحرية والأمانة والكفاية ، ويجب أن يكون فقيهاً من أهل الاجتهاد ، أما متولى جباية الخراج فقط فلا يشترط ذلك ، ويصرف رزقه من مال الخراج (2) .

ويفرض الخراج على الأرض التي فتحها المسلمون عنوة ، أي القتال ، كذلك يؤخذ عن الأرض التي أفاء الله على المسلمين فملكوها ، وصالحوا أهلها على أن يتركوها بخراج معلوم ، يؤدونه إلى بيت المال سنوياً ، وكانت هناك أنواع من الأراضي لا يفرض عليها الخراج ، وإنما يدفع عنها أصحابها عُشر ثمارها ومحاصيلها ، وتسمى الأرض العشرية وهي على أنواع .

1- الأرض التي أسلم أهلها ، فتبقى في أيديهم فهم أحق بها .
2- أرض أحياها المسلمون ، لا يجوز أن يوضع عليها خراج .
3- الأرض امتلكها المسلمون عَنْوة , فيقسمها الخليفة الفاتح على الفاتحين ، فهذه تعتبر غنيمة ولا يجوز أن يوضع عليها خراج . أما الأرض الخراجية فهي الأرض التي صالح المسلمون عليه ، ويحدد خراجها وفق ما تتحمله الأرض (3) .

أخضع الغزنويون خراج البلاد لمراقبة لديوان الاستيفاء ، ليتمكنوا من جبي الأموال عن الأراضي والعقارات وغيرها (4) ومراقبة ديوان الخراج ، ومحاسبة المخالفين من موظفيه .

وعرف جباة الخراج في العصر الغزنوي باسم المستحثين ، وهي جمع مفردها مستحث ، ويترأس ديوانهم شخص عرف بعامل الخراج . تمثل واجب المستحثين بجمع الأموال الخراجية ، وحملها إلى خزينة السلطان ، ليتم صرف نفقات الدولة منها ، وخاصة رواتب الجند . وقد فرض الغزنويون على المواطنين خراج قيل عنه : بأنها ضرائب باهضة ، وكان الغزنويون أشد قسوة في انتزاع الأموال من حكام الدول الإسلامية الأخرى ، كالسامانيين مثلاً (5) .

وسموا الأموال التي يسهل استخراجها من المكلفين بدفعة ، باسم الرائج من المال خاصة وأن الأهالي كانوا يدفعون الخراج المفروض عليهم ، للحفاظ على أنفسهم من تسلط موظفي خراج الدولة (6) .

---

(1) الحنبلي: الأحكام السلطانية, ص 165 , 173؛ منظور : لسان العرب، ج 2 ، ص 251 - 252(مادة خرج).
(2) نظام الملك : سياست نامه ، ص 139 ؛ الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص 131 .
(3) أبو يوسف : الخراج ، **ص 55 - 57** ، **64 - 65** ؛ الماوردي : مصدر سابق ، ص 113 ؛ النبراوي : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، ص 153 .
(4) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 136 .
(5) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 324 ، 347 - 348 .
(6) البيهقي : مصدر سابق ، ص 601 ، 802 .

طبق الغزنويون نظام فرض الخراج منذ مهاجمة ألبتكين مناطق بلاد ما وراء النهر أكثر من مرة ، قال فامبري (1) : " وما دفع بالدولة على طريق التدهور - يقصد الدولة السامانية - بعد ما ذاع صيتها ، إنما كان في الواقع ، بسبب سلوك ألبتكين هذا الذي كان في الأصل مملوكاً ، ما زال يرتقي بجده حتى بلغ منصب الوزارة ، بعد أن ولي نيسابور ، فهو بدلاً من أن يساند الدولة ، ويحفظ عليها كيانها ، وكان قادراً على ذلك ، انطلق يهاجم أميره في جيش كبير ، ولئن كان نهر جيحون قد امتنع عليه عبوره ، بفضل فريق قوي من أتباع الأمير منصور حتى آب إلى غزنة ، إلا أن التوفيق حالفه في محاولته الثانية ، فاضطر الأمير أن يصالحه على أن يعيد له نيسابور على خراج سنوي قدره خمسون ألف دينار " . هذا القول يقودنا للاعتراف بأن سبكتكين خلفائه ، اتبعوا سياسة اقتصادية من خلال فرض الخراج على أقاليم ونواحي ومدن البلاد .

وهذا ما تؤكده وصول أموال خراج ولاية مكران لخزينة غزنة التي فرضها الأمير سبكتكين ، وفي عهد ابنه محمود تجددت شروط دفع خراج مكران وقصدار مع واليها عيسى بن معدان ، وعلى أثرها أرسل محمود رسالة لعيسى مع خلعة فاخرة للغاية ، تم بعدها تأمين خراج مكران وقصدار إلى الخزانة العامة للدولة التي ذكرتها المصادر , بأنها بلغت أحمال جمال دون توضيح تفاصيلها .

كما أرسل معها عيسى مال للسلطان وأعيان البلاط من الذهب واللؤلؤ والعنبر ، وكل ما تخرج تلك الديار ، كما تعهد واليها مكران , بأن يرسل كل سنة من الخراج عشرة آلاف من الدنانير الهروية ، وملابس وطرائف , لأخيه أبو العسكر الذي التجأ للسلطان محمود على أثر خلاف مع أخيه عيسى , بشان ولاية الحكم بعد وفاة والدهما (2) .

وكانت كثيراً ما تنشب الحروب بسبب عدم دفع الخراج من قبل الولاة ، فعندما تغلب أبو علي سيمجور على إقليم خراسان سنة 384هـ / 994م , قام بجبي الأموال , وامتنع عن إرسال نصيب الخزينة المركزية للدولة السامانية في بخارى ، فكتب الأمير نــوح بن منصور إلى الأمير سبكتكين يطلب مساعدته ضد القائد الخارج عن الطاعة ، فلبى سبكتكين الدعوة وسار مع ابنــه محمــود علــى رأس جيش إلى خراسان ، لمساعدة الأمير الساماني ، وقاتلوا ابن سيمجور حتى هزموه ، بعدها أسند نوح ولاية خراسان للأمير محمود بن سبكتكين (3) .

وكان حكام بلاد الغور يدفعوا خراج بلادهم لخزينة غزنة ، ولما وصل محمد بن سورى لحكم الغور ، وكان معاصر للسلطان محمود ، امتنع عن دفع الخراج ،

وفي إحدى المعارك , تمكن جيش السلطان من قتل ابن سورى ، فأسند السلطان الحكم إلى أبو علي بن محمد بن سورى (4) .

---

(1) تاريخ بخارى ، ص 117 .
(2) ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 10 ، ص 773 ؛
Smail : crusading warfare , p . 77 – 78 .
(3) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 164 ؛ الزهراني : نفوذ السلاجقة ، ص 35 .
(4) خواندمير : حبيب السير ، ج 2 ، ص 601 - 602 ؛
Jusjani : Tabakat Nasiri , vol . 1 ، p 329 .

وفرض الغزنويون الخراج على كل من يدخل أقاليم دولتهم للإقامة الدائمة وتشير المصادر بأن السلطان محمود ، وضع الخراج الجائر على السلاجقة منذ أن دخلوا خراسان , ورضوا على أنفسهم بما طلب منهم ، لكن جور عمال الخراج عليهم وامتداد أيديهم إلى أموالهم وأولادهم ، ادى إلى انفصال أكثر من ألفي رجل منهم وساروا إلى كرمان ، ثم إلى أصفهان (1) .

وفي ذات الوقت كان جباة الخراج شديدي الأخذ والبطش بالأهالي ، فأرهقوهم بالضرائب ، واستخدموا القوة لابتزاز أموالهم ، وازداد الجباة بطش , والحقوا المزيد من الضرر بالسكان ، فكان لتجاهل السلطان مسعود الأول للتواجد السلجوقي في خراسان وتخاذله أمامهم ، جعلهم يعيثون في الأرض فساداً ، بتحصيل الأموال بمختلف الطرق العشوائية دون تطبيق لأي قانون لتحصيل الأموال ، كما تعرضوا لأمن وسلامة الناس وممتلكاتهم (2) .

ومنذ تنصيب أبو سعيد الصراف رئيساً لديوان جرجان سنة 426هـ / 1034م أخذ في تسلم الأموال ، والبحث عن قصور وبيوت الفارين ، ووصفت أعماله بالتعسفية ، وأنهم كانوا يستولون على كل ما يجدون ، ولم يبعثوا إلى الخزينة إلا أقله وأكثره ينهب ويسرق .

ولم يقتصر الخراج على جمع الأموال النقدية فحسب ، بل كانت تشمل الأموال العينية أيضا ، فكان من ضمن القوات التي استعرضها السلطان مسعود الأول في مرو الروذ سنة 424 هـ / 1032م خمسة وخمسون فيلاً أخذوها خراجاً من مكران .

ولما عاد السلطان مسعود الأول من حملة ناتل إلى آمل سنة 426هـ / 1034م , أبلغ مناوب ديوان الرسائل أبو الفضل البيهقي , بأن يكتب ما يجب تحصيله من أهل آمل وطبرستان ، وما يجب أن يجبيه أبو سهل إسماعيل ، وهو مليون دينار من الذهب النيسابوري ، وألف قطعة من الألبسة الرومية وغيرها ، وألف قطعة من المحفورات والسجاد وخمسة آلاف كساء . وأمره بإبلاغ ذلك لأعيان آمل الذين كانوا مجتمعين في الديوان بانتظار الأوامر وإلا سوف يضطر السلطان إلى أن يبعث إليهم مستخرجاً ، وأن يمنح الجند براءات ليأخذوا الأموال بالعنف .

وبعد إبلاغ الأعيان بأوامر السلطان قالوا : إن هذه البلاد فقيرة ، وأهلها معسرون وجرى الرسم منذ زمان على أن يكون ، نثارنا من آمل وطبرستان مائة ألف درهم ، وما يساوي هذا المقدار من المحفورات والأبسطة . وقد أدت أوامر السلطان هذه إلى وضع اجتماعي سيء ، وارتفع ضجيج الناس ، وبدأت هجرة عكسية من المدينة ، وظهر ممن بقي في المدينة النواح والبكاء ، وأقام عامل الخراج

أبو سهل إسماعيل ديواناً جمع الناس فيه وكان من يقع في يده يرشده عن الهاربين من دفع الخراج (3) فيقوم بمتابعته ، ويوقع فيه أشد أنواع التعذيب بعد القبض عليه .

---

(1) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 2 - 3 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 22 ؛ المقريزي : السلوك ، ج 1 ق 1 ، ص 31 .
(2) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 169 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 8 ، ص 15 ؛ مقديش : نزهة الأنظار ، ص 304 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ض 481 ، 493 - 494 ، 499 ، 530 ؛ ابن الأثير :مصدر سابق ، ج 8 ، ص 9 .

وأخذ الوزير أحمد عبد الصمد منذ توليه قيادة الجيش المرابط في معسكرات هراة سنة 428هـ / 1036م على توفير الأموال بالجد ، واستدعى عمال الخراج من المدن التابعة لولاية هراة ، وتسلم منهم الأموال (1) .
ومما زاد الأحوال سوءً في خراسان , ذلك الجيش الذي أرسله السلطان مسعود الأول سنة 429هـ / 1037م بقيادة الحاجب سوباشى ، فخرب ما سلم من البطش السلجوقي ، وقال ابن الأثير (2) بهذا الخصوص : " فسار إليهم من غزنة ، فلما بلغ خراسان ثقل على ما سلم من البلاد بالاقامات ، فخرب السالم من تخريب الغز " .
وأكد البيهقي (3) بأن سوباشى بعث للسلطان مسعود يستشيره في أمر المبادرة بالحرب ، ووضح له بأن جباية الأموال جارية وعمال الخراج يزاولون أعمالهم ، رغم الظروف العسكرية الصعبة السائدة في خراسان جراء ما أحدثه التواجد السلجوقي في نواحي البلاد .
وكان اضطراب الأمن الداخلي يعيق عمال الخراج عن جبي الأموال ، وكانت سنة 430هـ / 1038م قد شهدت اضطراب في مختلف مناطق خراسان ، نتيجة للأوضاع التي لحقت بالبلاد جراء التواجد السلجوقي فيها ، فبعد أن وضعت حرب بيداء سرخس سنة 430هـ / 1038م أوزارها ، عاد مسعود مع الجيش إلى معسكرات هراة ، وعمل على إعادة نشر للجيوش في مختلف النواحي ، فأستتب الأمن في نواحي البلاد كافة ، فتمكن عمال الخراج من ممارسة أعمالهم ، وجمعوا الأموال بطمأنينة وأمان (4) .
أما خراج نواحي بلاد الهند ، فكان يتم تحصيله عن طريق قائد جيوش الهند . منها أن السلطان محمود فرض الخراج على أصحاب الأراضي الواقعة شرقي نهري سيحون وجيلوم سنة 408هـ / 1017م ، قال ابن الأثير (5) : " فوطئ أرض الهند ، وأتاه رسل ملوكها بالطاعة وبذل الإتاوة ، فلما بلغ درب قشمير أتاه صاحبها ، وأسلم على يده ، وسار بين يديه إلى مقصده ".
ونتيجة الفراغ الذي أحدثه اعتقال قائد جيوش الهند أرياروق سنة 422هـ / 1030م أسندت مهام تحصيل الأموال الخراجية في الهند إلى قاضي شيراز ، الذي كان يقوم بمهام الإشراف على مختلف الأمور المدنية منها والعسكرية . وفي أعقاب ذلك اختلى السلطان مسعود الأول بالوزير أحمد حسن الميمندي ، وبحث معه أمر تعيين قائد جديد لجيوش الهند وقال مسعود : " إن قاضي شيراز بدرّاعته الآن هنالك ، وهو لا يليق بالقيادة ، فينبغي إيفاد قائد عظيم مهاب للغزو ولاستيفاء الخراج ،

بحيث يبقى القاضي لتدبير الأعمال وجباية الأموال ، بينما يذهب القائد للغزو ، وأخذ الخراج ، وجلب الأفيال ، ولضرب جباة العصاة من الهنود " (6) .

----

(1) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 5 .
(2) الكامل : ج 8 ، ص 15 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 564 .
(4) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 646 - 427 ؛ الحسيني : مصدر سابق ، ص 9 - 12 ؛ الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج 1 ، ص 102 .
(5) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 8 ، ص 9 .
(6) الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ، ج 2 ، ص 420 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 282 .

وفي بعض المناسبات كان سلاطين غزنة يخففوا من الخراج عن الرعية . وحدث ذلك بعد انتصار السلطان محمود على أيلك خان وحليفه قدر خان سنة 397هـ / 1006م ، فتوجه إلى هراة وأزال الخراج المفروض على أهلها كونهم كانوا من شيعته المخلصين .

ورفع السلطان مسعود الأول عن أهل ترمد مبلغ مائة ألف درهم من خراج بلادهم عن سنة 422هـ / 1030م ، على أن توزع بنسب عادلة على الجميع ، وذلك بمناسبة وصول خمسة من الفرسان , يحملون بشائر السيطرة على مكران ، أثناء احتفالات أهل ترمذ بقدوم السلطان إليهم . وأمر بتوزيع خمسين ألف درهم على رجال القلعة من بيت المال ، وخمسين ألف درهم للمطربين والراقصات (1) .

وكلف السلطان مسعود الأول سنة 424هـ / 1032م أبو سهل الحمدوى , واليها الري بالنظر بما يعانيه أهل البلاد الجبلية التابعة للري ، والقيام بحفظ الأمن ، من أية اعتداءات قد تتعرض لها المنطقة ، فأحسن أبو سهل معاملة الناس واظهر العدل ، وأزال الأقساط الخراجية المترتبة على الناس (2) .

ويذكر أن السلطان مسعود الأول رفع الخراج عن كاهل أهل آمل ، مكافأة لعاملها ناصر بن علي ومقدميها على إخلاصهم للسلطان ، حيث كانوا قد قدموا توضيح عن أماكن باكاليجار واليها جرجـان وحلفائه أنوشروان بن منوجهر , وشهرآكيم الفارين من وجه جيش السلطان وفي سنة 426هـ / 1034م .

وكان عامل الخراج يبدي إخلاص وتفاني في العمل ، فيكافئه السلطان بمنصب أعلى تقديراً له على إخلاصه . فلما شغر منصب ديوان الري ، بموت صاحبه أبو الحسن السياري سنة 426هـ / 1034م عَيَّن السلطان مسعود الأول مكانه عامل خراج سجستان عزيز بو شحمة ، مكافأة له على مقدرته باستحثاث جباية أموال نواحي ذلك الإقليم (3) .

يتبين أن الغزنويين فرضوا نظام الخراج منذ أوائل عهد ألبتكين ، وأصبح يدفع عن أراضي البلاد الواقعة تحت السيطرة الغزنوية كافة ، بعكس ما كان مطبق في أيام الدولة الإسلامية الأولى ، وطبق على القرى والمدن ، ونواحي الهند والسند وغيرها من بلاد الأعاجم التي فتحت عنوة . وأسهمت الأموال الخراجية برفد خزينة الدولة بمبالغ كبيرة .

2 - الضمان .

يقصد بها أن يضمن فرد ما جباية منطقة معينة ، فيدفع المبلغ المقرر عليها سنوياً لخزينة الدولة ، وبحالة إخلال الضامن بما هو متفق عليه ، كأن يعجز عن دفع مبلغ الضمان المقرر ، فإن الدولة تفرض عليه عقوبات (4) .

---

(1) ابن خلدون : المقدمة ، ص 156 .
(5) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 4 ؛
. Ikram : istory of muslims civilization in India and Pakistan , p . 33
(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 464 ، 486 ؛
. Ikram : istory of muslims civilization in India and Pakistan , p . 24
(2) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 64 ، 73 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 86 ؛
Clod Cahen : Bayt Al – Ma'l Encyclopaedia of islam , vol . 1 , p .1144 .

والضمان إحدى طرق جباية الخراج الذي فرضه الغزنويون على الولايات بهدف توفير الأموال لسد حاجات مؤسسات الدولة المتزايدة ، ومنها نفقات الجيش والحروب . وكان واليها يتعهد بدفع مبلغ سنوي للخزينة , يتفق عليه مع السلطان قبل توليه المنصب ، بعدها يقوم واليها بجباية ما يمكنه جبايته من أهل الولاية التي يتولاها ، حتى أصبح ما يجبيه ملكاً له (1) .

وكثيراً ما كان الولاة يرفضون دفع الخراج المترتب على ولاياتهم ، نذكر منها أن واليها قصدار رفض تقديم الأموال المفروضة على ولايته ، وشق عصى الطاعة على الأمير سبكتكين سنة 366هـ / 976م ، مما دفع بسبكتكين للمسير إليه وتأديبه ، ولم يشعر إلا والخيل أحاطت به ، فأخذ من داره ، ثم أعاده سبكتكين إلى ولايته ، مقابل مالاً يحمله سنوياً إلى خزينة غزنة (2) . ولم تساعدنا المصادر على معرفة مقدار هذه الأموال .

لكنه عاد وتنكر لما تم الاتفاق عليه ، وبقي الحال كما هو حتى سيطر السلطان محمود على قصدار في أوائل سنة 421هـ / 1030م ، وأخذ المال الذي اجتمع عند واليها وأقره على ولايته , مقابل الاستمرار في دفع أموال ضمان ولايته ، لكنه استغل حالة الفوضى التي عصفت بالبلاد نتيجة الصراع على حكم غزنة بعد وفاة السلطان محمود ، وامتنع عن الدفع لمدة سنتين ، فأرسل السلطان مسعود عمه الأمير عضد الدولة يوسف ، وأمره بالإقامة في قصدار حتى ينفذ واليها بنود الإتفاق السابق ذكره والذي ينص على إرسال أموال الضمان للخزينة (3) .

وقرر السلطان مسعود الأول بعد وفاة والده سنة 421هـ / 1030م , إرسال رسول لابن كاكويه حاكم أصفهان من أجل استمالته لجانبه ، وبعد مفاوضات استمرت ثلاثة أيام تقرر أن يكون خليفة السلطان في أصفهان أثناء غيابه عنها ، مقابل أن يؤدي كل عام ألف دينار هروي* وعشرة آلاف ثوب من منسوجات تلك البلاد ، ومن الخيول العربية والبغال المسرجة ، ومن كل نوع من معدات السفر ، وذلك فضلاً عن أنواع الهدايا في عيدي النوروز (النيروز)* والمهرجان (4) .

وأرسل سلطان غزنة قائد جيوشه في خراسان والعراق تاش فراش سنة 423هـ / 1031م ، وأسند إليه مهمتان ، الأولى : محاربة ابن كاكو ، لعدم دفعه مال الضمان المقرر عليه ، والثانية : السيطرة على الري التي كان خراجها يقدر بأكثر

---

(1) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ص 1 ؛ زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، ج 1 ، ص 324 ، 325 .1

(2) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 86 .
(3) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 69 ؛ الذهبي : العبر : ج 3 ، ص 154 .
* دينار هروي : نسبة إلى هراه ، ويقال أنه يطلق على الذهب الخالص والرائج . البيهقي : مصدر سابق ، ص 16 .
* النوروز : يتألف من كلمتين فارسيتين هما نو بمعنى جديد ، وروز بمعنى يوم ، فيكون معناه اليوم الجديد , وهو من الأعياد الفارسية , والنوروز بداية السنة الشمسية أي أول فصل الربيع , ويطلق عليه عيد البرية ، ويحتفل به بتبادل الهدايا وكان الناس يرشون بعضهم بالماء ، ويعتقدون أن ذلك يزيل الأمراض ، ويضعف حرارة المزاج . وكان العرب يعرفون عيد النيروز وعيد المهرجان منذ قديم الزمان . العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 60 ؛ البيروني : الآثار الباقية ، ص 199 - 200 ؛ النويري : نهارية الأرب ، ج 1 ، ص 178 ؛ محفوظ ، حسين علي : النوروز في الأدب العربي ، مجلة التراث الشعبي ، ع 8 ، 1964م ، ص 87 .
(4) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 259، ج 8 ، ص 46 .

من أربعة آلاف درهم .

وأمر السلطان مسعود الأول سنة 424هـ / 1032م , بمنح خلعة السفارة لعبد الجبار بن الوزير أحمد عبد الصمد ، وأمره بمطالبة باكاليجار , واليها جرحان بمال الضمان وإحضار ابنته التي كان السلطان قد عقد عليها , قبل أن يرحل عن نيسابور سنة 422هـ / 1030م . فنفذ عبد الجبار أوامر السلطان ، وعاد إلى نيسابور ومعه عروس السلطان ومال ضمان ولاية جرجان .

وكان من ضمن أهداف السلطان مسعود الأول من حركته إلى مرو سنة 426هـ / 1034م ، الإقامة فترة من الوقت ، ليكون قريب من الري ، يعمل خلالها على استقرار الأمور فيها من ناحية ، وليخشى أهل جرجان بأس مسعود ، ويرسلوا مال الضمان عن سنتين من ناحية أخرى (1) .

يبدو أن الهدف من استحداث نظام الضمان في العصر الغزنوي ، كان للحد من الجباية التقليدية للخراج ، وللتقليل من تعيين عمال ومستحثين للخراج في مختلف النواحي . حيث يتعهد الضامن بدفع مبلغ معين للخزينة سنوياً ، مقابل جبايته من أهل ولايته ، ويصبح ما يجبيه ملكاً له . وقد الحق نظام الضمان ضرراً كبيراً بالمكلفين بدفع الخراج في المزارعين والأرض معاً ، لأن الضامنين كانوا كثيراً ما يلجئون إلى استخدام العنف في تحصيل المال المحدد ، لأن هدف الضامن جمع المزيد من الأموال طمعاً بزياد أرباحه .

3 - الجزية .

نص القرآن الكريم على أخذ الجزية من أهل الذمة ، قال تعالى : " قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِن الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ " (2) .

وأقل الجزية كما يقول الفقهاء : مقدر بالشرع ، وأكثرها مقدر بالاجتهاد ، والجزية على الرؤوس ، واسمها مشتق من الجزاء . ويرى الماوردي (3) أنها إما جزاء على بقاء المشركين على شركهم ، أو جزاء على أماننا لهم ، ورفقنا بهم عند أخذها منهم .

وقد فرضت الجزية على أهل الذمة ، مقابل فرض الزكاة على المسلمين حتى يتكافأ الفريقان ، لأن الذميين والمسلمين رعية لدولة واحدة ، ويتمتعون بحقوق واحدة وينتفعون بمرافق الدولة العامة بنسبة واحدة ، ولذلك أوجب الله تعالى الجزية

للمسلمين نظير قيامهم بالدفاع عن الذميين ، وحمايتهم في الأقاليم الإسلامية التي يقيمون فيها (4) .

ومن الأمثلة على فرض الغزنويون للجزية على أهل الذمة ، أنه في سنة 366

---

(1) البيهقي : مصدر سابق ، ص 289 ، 399 ، 410 ، 418 ، 472؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 348 .

(2) سورة التوبة ، آية 29 .

(3) الأحكام السلطانية ، ص 142 - 146 .

(3) الحنبلي : الأحكام السلطانية ، ص 154 - 158 ؛ أنيس : المعجم الوسيط ، ج 1 ، ص 224 ؛ إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج 4 ، ص 350 .

هـ / 976م ، دخل الأمير سبكتكين معركة مع جيبال في وادٍ قرب لمغان ، استمرت أيام عدة ، لم يحسم النصر لأي منهم ، إلا بعد هبوب عاصفة ثلجية هطلت على القوات الهندية ، فأجبر جيبال طلب الصلح وتعهده بدفع جزية سنوية بلغت مائة ألف درهم ، وخمسين رأساً من الفيلة وتسليم قلاع وحصون عدة من بلاده ، ولم تحدد المصادر المتوفرة عدد هذه القلاع والحصون ، كجزية سنوية تقدم لخزينة غزنة ، مقابل وقف القتال وخروج المسلمين من بلاده (1) .

ولم يكتب لهذا الصلح النجاح ، لسببين ، الأول : عدم تنفيذ جيبال بنود الاتفاقية المبرمة بين الطرفين ، والثاني : قبضه على الأشخاص الذين أرسلهم سبكتكين لاستلام ما تم الاتفــاق عليه ، وأودعهــم السجــن ، وأراد جيبال بعمله هذا أن يضغط على أمير غزنة لإطلاق رجاله الرهائن الموجودين عند سبكتكين ، مما أثار حفيظتة فتوجه بجيشه ودخل مقاطعة لمغان ، وخاض حرب مع جيبال ، وحلفائه من ملوك الهند الذين زحفوا بمائة ألف مقاتل مدججين بالسلاح ، أسفرت المعركة عن هزيمة ساحقة لجيوش ملوك الهند والسند المتحالفة .

وتقدم جيبال ملك الهند بطلب الصلح مع سبكتكين بعد الهزيمة التي لحقت به 386هـ / 996م , مقابل مبلغ من المال يؤديه لخزان غزنة ، وبلاد يسلمها لمندوبي الأمير ، وخمسين فيلاً يحملها إلى سبكتكين ، ورهن جماعــة من أهله حتى يتم تسليم البلاد ، ولكن جيبال قبض على من معه من المسلمين مقابل رهائنه ، فلما سمع سبكتكين بالخبر ، توجه إلى الهند وخرب كل ما مر عليه من بلادهم ، ثم قصد لمغان ، وكانت من أحسن قلاع الهند ، ففتحها عنوة ، وهدم بيوت الأصنام ، وأقام بها مساجد ، ثم عاد قافلاً إلى غزنة (2) .

وتمكن جيش السلطان محمود سنة 395هـ / 1004م من اقتحام بهاطية عنوة رغم المقاومة التي أبداها أميرها لقوات غزنة ، وبعد مفاوضات بين الجانبين , وافق السلطان على إبقاء أميرها على ما تحت يده ، مقابل قبوله بشروط معاهدة صلح التي كان من بنودها أن يدفع عشرين ألف درهم جزية سنوية لخزينة غزنة (3) .

وبعث آنندبال ملك ناردين سنة 400هـ / 1009م , للسلطان محمود بن سبكتكين يطلب الصلح مقابل جزية يدفعها ، ووضع جنود من عنده ليكونوا في خدمة السلطان ، فوافق محمود على الطلب ، ووقعت معاهدة صلح بين الجانبين (4) . ويبدو أن طلب ملك ناردين للصلح جاء بعد أن غزا محمود بلاده ، واستباحها وكسر

أصنامه ، وانتصر عليه ، فوجد أن لا طاقة له على مواصلة القتال ضد جيش السلطان .

وتضمنت اتفاقية الصلح التي وقعت بين السلطان محمود ، وكلا منً ناندا* وأرجان ملك كَواليهاور سنة 413هـ / 1023م , أن يدفع كلاً منهمـا جزيـة سنويـة

---

(1) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 81 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 87 .
(2) العتبي : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 58 ، 76 .
(3) ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 247 ؛ ناظم : السلطان محمود ، ص 102 .
(4) ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 790 ؛ الحسني : نزهة الخواطر ، ج 1 ، ص 72 .
* ناندا : ملك مقاطعة تَشَنُدِلَ في شمال بلاد الهند ، اتخذ مدينة كاليجار عاصمة له ، وكان تحت حكمه خمس قلاع . الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 88 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 315 ؛ إيلليوت ودوسون : تاريـخ الهنـد , ج 2 , ص 467 .

لخزينة غزنة ، مقابل منح محمود لناندا حكم قلاعه الخمس عشرة ، وأسبغ عليه وشاحاً تشريفاً له ، وأعطيات وهدايا كثيرة ذات قيمة كبيرة ، تضمنتها شروط الصلح وإقرار ملك كَواليهاور على ما تحت يده من بلاد .

وخرج السلطان محمود بن سبكتكين من بلخ سنة 420هـ / 1029م ، بجيش كامل العدة والعتاد ، ودخل بخارى ، وطرد علي تكين منها ، وفرض الجزية على أهالي سمرقند .

وكان سبب توجه محمود إلى بخارى أن حاكمها ابن تكين ، أساء لممتلكات محمود المجاورة له ، واعترض رسله المترددين على ملوك الترك (3) . وبقيت الجزية تدفع من المكلفين بها ، ومن الأمراء والملوك الخاضعين للسيطرة الغزنوية طيلة فترة عصر قوتها .

4 - الغنائم .

هي ما يصيبه المسلمون من المشركين من متاع وكراع ، وما إلى ذلك مما يوجد في معسكرات العدو . قال الماوردي (4) : إنها تشتمل على أقسام : أسرى وسبي ، وأرضين وأموال .

بدأت أموال الغنائم بالتدفق على خزينة غزنة منذ أن اقتحم ألبتكين أبواب الهند ، وأغار عليها ، وظفر بغنائم كثيرة من الذهب والفضة والأنعام ، والعبيد والتحف الطريفة النادرة وغير ذلك ، وازدادت أموال خزينة غزنة نتيجة استمرار سبكتكين بغزو الهند ، وأصبح صاحب سيادة بعد أن شن الحروب ، وفتح البلاد حيث اتسعت رقعت إمارته ، وارتفع شأن جيشه ، وامتلأت خزائنه بالأموال وعظمت هيبته في نفوس رعيته (5) .

والأمثلة على الغنائم التي حصل عليها سلاطين غزنة كثيرة ، منها تلك الأموال والمعدات التي حصل عليها الأمير سبكتكين من جيش تحالف أبو علي لويك* وراجا جيبال سنة 364هـ / 974م ، بعد انتصاره عليهم في معركة استخدم فيها عنصر المفاجأة في ضواحي جَرَخ* .

كما غنم الأمير سبكتكين كل ما يحويه معسكر أبو علي سيمجور في هراة سنة 385هـ / 995م من معدات عسكرية ومواد غذائية ووسائط نقل وغيره ، وذلك بعد أن تمكنت الجيوش السامانية والغزنوية المتحالفة معها من هزيمة أبو علي في معركة

----

(3) ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 806 ؛ المقريزي : السلوك ، ص 31 .
(4) الأحكام السلطانية ، ص 131 .
(5) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 206 ؛
Jusjani : Tabakat Nasiri ، vol . 1 , p . 73 .
* أبو علي لويك : حاكم غزنة ونواحيها قبل وصول ألبتكين إليها سنة 350هـ / 961م . وكان يحكم شبه مستقل ، ويدين بالولاء الظاهري للسامانيين في بخارى ، ويخضع لسلطة واليها خراسان من قبلهم . نظام الملك ك سياست نامه ، ص 155 .
* جَرَخ : مدينة تقع على الطريق بين كابل في الشمال وغزنة في الجنوب . البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 206 ؛ الغامدي : الفتوحات الإسلامية ، ص 142 ؛
Jusjani : Tabakat Nasiri , vol . 1 , p . 73 .

قرب هراة (1) .

وفي سنة 389هـ / 998م استولى جيش السلطان محمود على غنائم الشار شاه حاكم إقليم غرشتان ، ووصفت المصادر هذه الغنائم بأنها أموال كثيرة وذخائر وأسرى (2) .

وحصل محمود على خزائن مدينة بهيم نغر سنة 397هـ / 1006م ، كان الهنود قد جمعوا فيها أموال طائلة , جعلوها هبة لصنمهم الأعظم ، كما نقلوا إليها مختلف أنواع الذخائر والجواهر النفيسة ، لاعتقادهم بأن ذلك ديناً وعبادة ، فاجتمعت فيها على طول الزمان أمـوالاً طائلة . قال العتبي : " فنقل منها ما أقلته ظهور رحاله ، واستحمل سائرها فكان مبلغ المنقول من الورق سبعين ألف ألف درهم شاهية* ، ومن الذهبيات والفضيات سبعمائة ألف وأربعمائة مناً وزناً ، ومن أصناف الثياب التسترية والديباج السوسية* ما أنطق مشايخ الزمان والطاعنين في الأسنان* أنه لا عهد لهم بمثلها " (3) .

وتشير الروايات أن آننديال أرسل أحد أخوته دليلاً للسلطان محمود أثناء غزوته تانيشر وصنمها جكرسوام سنة 402هـ / 1011م ، وحمل معه مؤن ورسالة لمحمود عرض فيها خمسون فيلاً حربياً يسلمها ، وإيراد إقليم تانيشر يدفعه لخزينة غزنة ، كجزية سنوية وتكفل بدفع مبلغ يساوي جميع مصاريف حملته ، مقابل إبعاد خطر غزو المسلمين عن مدينة تانيشر وصنمها ، فرد محمود على رسالته بقوله : " كيف يصيغ لي أن أحطم المعابد الوثنية في بلاد الهند وأترك معبد تانيشر " (4) .

ورغم المحاولات اليائسة التي بذلها بعض حكام بلاد الهند والسند لإيقاف تقدم الجيوش الغزنوية إلا أنها باءَت بالفشل ، وتمكن محمود مـن عبـور نهر ستلح مـن مكانييـن مختلفيـن , ولكن ليس بدون ضحايا ، نظراً لشدة المقاومة التي واجهت قطاعات الجيش أثناء عملية العبور ، ثم خاض معركة عنيفة انتهت بنصر حاسم لجيش غزنة ، واستولى السلطان على الكثير من الغنائم والأسلاب . ثم تابع مسيرة إلى مدينة تانيشر ، فوجد القوات الهندية المدافعة عنها قد هجرتها ، فدخلها وحطم أصنامها ، واستولى على جميع ما حوته من كنوز .

وتشير المصادر إلى ضخامة أسلاب وغنائم هذه الحملة ، ثم أمر السلطان بالعودة إلى غزنة محملاً بالغنائم والأسلاب ، وأصبحت مثار دهشة لكل من رآها أو سمع عنها ، وبلغت أعداد الأسرى حواليها مائتي ألف من الغلمان والجواري . ونقل

---

(1) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 62 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 11 ، ص 325 .
(2) العتبي : تاريخ اليميني و ج 2 ، ص 142 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 197 ؛ ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ص 792 .
* شاهية : الأشياء المحلاة بالذهب كالأسلحة والأواني والمناطق ونحوها . العتبي : مصدر سابق ، ص 99 .
* السوسية : المنسوبة إلى سوس وهي بلد معروف من بلاد المغرب . العتبي : مصدر سابق ، ص 99 .
* الأسنان : جمع سن ، وهو العمر ، يقال : طعن في السن ، وطُعن في السن إذا أسن وكبر ، أي تقدم في السن . العتبي : مصدر سابق ، ص 99 .
(3) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 96 - 97 ، 99 - 100 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 239 .
(4) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 89 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 51 .

الصنم جكرسوام إلى غزنة ووضعه في ساحتها العامة (1) . ونظراً للعلاقات الودية التي كانت تربط الدولة الغزنوية بالخلافة العباسية ، أرسل السلطان محمود كتاباً للخليفة القادر بأمر الله , يطلعه فيه على ما تم فتحه من بلاد الهند ، وحصوله على غنائم كثيرة ، ويشرح فيه الصعوبات التي واجهته أثناء تلك الغزوات (2) .

وحاز السلطان محمود أثناء غزوته لكشمير وقنوج سنة 409هـ / 1018م على مليون درهم من قلعة سِرْسَاوَ * ، بالإضافة لما تحويه من غنائم وأسلاب . ثم تابع مسيره إلى مدينة مهاون* ، ودخل في حرب مع أميرها كولشاند* وصفت بأنها طاحنة ، حقق خلالها جيش السلطان نصراً باهراً ، ثم اجتاحوا المدينة ، واستولوا على ما تحويه من كنوز وأسلاب الأهالي .

وتشير المصادر إلى حصول السلطان على غنائم لا تكاد تحصى لكثرتها ، وأسلاب بحوالي عشرين مليون درهم ، وخمسة وخمسون ألف غلام وجارية ، وعدد كبير من الفيلة الحربية (3) . وكانت حملة محمود هذه موجهه لمدينة ماثورا المقدسة عند الهنود الهندوس مسقط رأس نبيهم كشن بن بأسدي ، وفيها معبدهم الوثني المعروف باسم كرشنا باسدُ (4 Krishna Basedo) .

وكانت قد تساقطت خطوط دفاعاتها أمام الهجوم العنيف الذي شنه الجيش الغزنوي عليها ، فأعلن سكانها الاستسلام ، ودخلها محمود منتصراً ، فأدهش من جمالها وروعة أبنيتها . وحازت قواته على أكوام من الغنائم ، وعلى مليون درهم من الأموال ، ومائتين مصنوع من الياقوت الأحمر وبعضها من الأزرق ، قيمة الواحد منها خمسين ألف دينار ذهب ، إلى جانب مئتين من الأصنام المصنوعة من الفضة ، التي يصعب وضعها بالميزان لكبر حجم الواحد منها (5) .

وفي سنة 416هـ / 1025م تمكن جيش السلطان محمود من الاستحواذ على كنوز معبد سُومنات ، وثروته الهائلة التي جمعها الهنود خلال السنوات والدهور الماضية ، قال ابن الأثير : وكانوا يحملون إليه كل علق نفيس ، ويعطون سدنته كل وخمسة وستين ألف أسير ، وخمسة تماثيل مصنوعة من الذهب والفضة ، ذات حلي

---

(1) البيروني : تحقيق ما للهند ، ص 89 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 53 ؛
Habib : Sultan Mahmud , p . 33 .
(2) ابن الجوزي : المنتظم ، ج 7 ، ص 256 - 257 ؛ درويش : السلطان محمود ، ص 50 .
* سِرْسَاوَ : ترد في المصادر أحيانا باسم شيرْسَاوَ . وهي قلعة تقع في الأراضي المنبسطة للشرق من نهر جمنا , فتحها السلطان محمود بن سبكتكين سنة 408هـ / 1017م العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 258 ، 445 ؛ الكرديزي : زين الأخبار ، ص 85 - 86 .
* مهاون : مدينة تقع بالقرب من الشط الشرقي لنهر جمنا ، وتبعد ستة أميال من مدينة ماثورا المشهورة . كان حاكمها كلجندر . العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 453 - 454 ؛ ناظم : زمن السلطان ، ص 107 .
* كولشاند : ويعرف بكلجندر أو كلجند ، أحد الأمراء الهنود الإقطاعيون ، وصاحب قلعة مَهَابان . قتل نفسه بعد أن قتل زوجته وابنه ، بأن غمد خنجره في صدره ، خوفاً من العيش تحت مذلة عار الأسر أو الهزيمة التي مني بها أمام جيش السلطان محمود بن سبكتكين سنة 409هـ / 1018م . العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 453 - 454 ؛ الكرديزي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 84 .
(3) العتبي : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 258 ، 309 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 293 ؛ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 12، ص 8 .
(4) الكرديزي : مصدر سابق ، ص 85 ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص 103 .
(5) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 258 .

مال جزيل ، وله من الموقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية ، وقد اجتمعت في البيت الذي هو فيه من نفيس الجوهر ما لا يحصى قيمته , ومجمل قيمة ما في بيوت سومنات , يزيد على عشرين مليون دينار ذهب ، أخذها السلطان (1) .

ودخل خزائن غزنة الكثير في العهد المسعودي الكثير من أموال الغنائم ، ولا بد من الإشارة إلى بعضها . فقد استولى الجيش الذي أرسل السلطان مسعود إلى مكران سنة 422هـ / 1030م , على غنائم كثيرة بعد انتصاره على جيش عيسى بن معدان في معركة وصفت بأنها حامية (2) .

ولم تقتصر أعمال النهب وأخذ الغنائم على الأموال والدواب والمعدات ، بل شملت الكتب والمكتبات . فقد حصل الجيش الغزنوي بقيادة أبو سهل الحمدوى سنة 425هـ / 1033م على خزائن أصفهان ، بعد انتصاره على حاكمها علاء الدولة بن كاكوية ، كما نهب أمواله ، واستولى على كتب ابن سيناء ،وحملت جميعها إلى غزنة ، وبقيت في خزائنها حتى أحرقتها عساكر الحسين بن الحسين الغوري سنة 547هـ / 1152م (3) .

وفي سنة 426هـ / 1034م كتب السلطان مسعود للخليفة القائم ، كتاباً ذكر فيه أنه تمكن من فتح بلاد الهند ، وقتل منهم خمسين ألف ، وسبى سبعين ألف ، وغنم ما يقارب مائتي مليون درهم ، وشرح فيه أنه لما عاد وجد السلاجقة قد دمروا بلاده ، فتكمن منهم بالقوة ، وفتح جرجان وطبرستان (4) .

وفي معركة نسا 426هـ / 1034م خسر الغزنويين الكثير من أموال الجيش التي كان يحملها الخواجه حسين بن ميكائيل , المشرف على توزيع الهبات في الجيش لوقوعه أسراً بيد السلاجقة ، فقلق السلطان مسعود لخسارته لهذه الأموال ، وأرسل إلى السلاجقة يتوعدهم فرد عليه طغرلبك , قول الله تعالى : " قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرُ " (5) . ولم يزد على ذلك ، ولما وصل كتابه إلى السلطان أمر أن يكتب لهم كتاباً ملؤه المواعيد الجميلة (6) .

وفي عهد السلطان مودود بن مسعود الأول , حصل الغزنويون على غنائم وأسلحة ودواب وأسرى كثيرة من بلاد الهند ، خلال المعارك التي خاضها قائد الجيوش الغزنوية في بلاد الهند سنة 435هـ / 1043م (7) .

وتمكن السلطان إبراهيم بن مسعود بن محمود سنة 472هـ / 1079م من الحصول على أموال ومعدات ، وأسلحة مختلفة ، وسبى واسترق الكثير من النساء

---

(1) نظام الملك : سياست نامه ، ص 157 ؛ ويلر : الهند تحت الحكم الإسلامي ، ج 1 ، ص 35 - 36.
(2) الغساني : العسجد المسبوك ، ورقة 24 ب ؛ المقريزي : السلوك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 32 .
(3) العمري : مسالك الأبصار ، ص 220 ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 6 - 7 ، ج 9 ، ص 33 .
(4) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ / 1347م) : دول الإسلام ، ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1415هـ / 1994 ، ج 1 ، ص 186 ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، ورقة 24 ب .
(5) سورة آل عمران ، أية 26
(6) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 5 ؛ الخضري ، الشيخ مبارك محمد بك : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، مكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، 1970م ، ص 415 .
(7) نيشابوري : سلجوقنامه ، ص 47 ؛ ابن الأثير : مصدر سابق ، ج 8 ، ص 38 .

والصبيان حواليها مائة ألف ، بالإضافة لأعداد كثيرة من الدواب والماشية وغيرها من الغنائم (1) . ولكثرة الغنائم التي حازت عليها الجيوش الغزنوية ، نلاحظ أن الفرخي ، يفتخر بها في شعره ، منها قوله :

خيامهم من العجائب مثل البحر وقت الموج

وديارهم من الغنائم كالسفينة الموثقة بالأحمال (2) .

يتضح أن الغزنويين حصلوا على أموال في كل المعارك التي خاضوها وانتصروا فيها . فكانت هذه الغنائم من أهم مصادر دخل الدولة والجند معاً ، لأن كثيراً منها كان يسمح به السلطان لجنده , وكانت مصدر هام من مصادر تقوية وتسليح قطاعات الجيش ، خاصة وأن هذه الغنائم كانت تحوي الكثير من الأسلحة والمعدات والتجهيزات العسكرية .

5 - المكوس (العشور) .

تجمع مُكُوسٌ ، والمِكسُ : الضريبة التي يأخذها المُكَّاس ممن يدخل البلد من التجار الغرباء , وهي ضريبة فرضت على الأموال التجارية الصادرة والواردة إلى الدولة الإسلامية ، وقد وضعت على تجارة أهل الحرب ، وأهل الذمة المارين بها على ثغور الإسلام ، وتؤخذ من تجار المسلمين حسبما حدده الفقهاء (3) . بنسبة 1/20 على التجار المقيمين في البلاد الإسلامية من قيمة بضائعهم إذا تجاوزت قيمتها مائتي درهم . أما التجار القادمون من خارج البلاد الإسلامية فتبلغ عشر قيمة البضائع إذا زادت قيمتها على مائتي درهم (4) , وكانت ضريبة المكوس أحد أهم موارد الدولة الإسلامية .

وأول من أوجد ضريبة المكس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (5) . فقد كتب إليه أبو موسى الأشعري أن تجاراً من قبلنا من المسلمين يأتون أرض العرب , فيأخذون منهم العشر . فكتب إليه عمر : خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين ، وخذ من أهل الذمة نصف العشر ، ومن المسلمين من كل أربعين درهماً

درهم ، وليس فيما دون المـائتين شـيء فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم ، وما زاد عن ذلك فبحسابه (6) .

فرضت ضرائب المكوس على البضائع التي كانت تنقل من ناحية إلى أخرى براً وبحراً ، وأنشئت لجبايتها دور عرفت باسم دور المكوس في أماكن مختلفة من البلاد . كما فرض المكس على الدور والحوانيت والأسواق حتـى أصبحـت المكـوس

---

(1) ابن الأثير : الكامل , ج 8 , ص 127 ؛ الحسيني : نزهة الخواطر ، ج 1 ، ص 65 - 66 .
(2) سيستاني: الديوان ، ص 56 ؛ قنديل : فنون الشعر الفارسي ، ص 102 .
(3) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص 131 ؛ أنيس : المعجم الوسيط ، ج 2 ، ص 881 ؛ بدوي ، عبداللطيف : الميزانية الأولى في الإسلام ، القاهرة ، ص 23 .
(4) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 276 ؛ ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج 2 ، ص 9 .
(5) أبو عبيد ، القاسم بن سلام (ت 224هـ / 838 م) : الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، القاهرة ، 1968م ، ص 713 .
(6) القرشي ، يحيى بن آدم (ت 203هـ / 818 م) : الخراج ، تحقيـق أحمـد بـن شاكـر ، ط 2 ، القاهــرة ، 1384هـ , ص 169 .

من أهم مصادر دخل خزينة الدولة . وأصبحت دوائر المكوس في أصفهان وجرجان تمولان خزينة الدولة بأموال كثيرة من ضرائب التجار ، نظراً لانتعاشهما بالحركة التجارية (1) . كما كان بعض الولاة لا يكتفون بفرض المكوس على البضائع ، بل تعدوا ذلك وفرضوا ضرائب على أرباح البضائع عند البيع ، مثلما فعل خلف بن أحمد والي سجستان (2) . كذلك فرضت ضرائب المكس على المعادن المستخرجة من جوف الأرض وتقدر بالخمس (3) .

وفي عهد السلطان محمود بن سبكتكين , فرضت المكوس الجائرة في مختلف أنحاء بلاده ، وبقيت حتى تولى ابنه الأمير محمد الحكم ، فقام ببعض الأعمال الخيرة ، منها رد المظالم ، ورفع الضرائب الجائرة ، وردها إلى أهلها (4) . ويعود ذلك لسياسة السلطان محمد اللينة والمهادنة التي اتبعها مع الرعية ، وبطانته التي كانت صالحة أكثر من بطانة والده .

لكن السلطان مسعود أعاد تطبيق نظام المكوس ، وبقي معمول به في الدولة الغزنوية حتى جاء السلطان علاء الدين مسعود بن إبراهيم سنة 492هـ / 1098م وعمل على إبطالها وأزال المظالم عن الناس ، وحط الجبايات (5) .

نستنتج أن قيمة ضرائب المكوس كانت تختلف من عهد سلطان لأخر ، فإذا كان السلطان محمود يرى أنها ضرورية لتزويد الخزانة بالمزيد من الأموال لحاجته إليها في بناء مؤسسات الدولة ، كان ابنه محمد يرفع مثل هذه الضرائب عن كاهل الرعية ، لكسب ود الناس ووقوفهم إلى جانبه في أوقات المحن .

6 - الفداء.

حصل السلطان محمود سنة 390هـ / 999م على أموال جليلـة ، فـداء عن خلف بن أحمد صاحب سجستان ، مقابل فك أسره . وكان احمد قد وقع في الأسر أثناء معركة مع جيش السلطان بنواحي بوشنج* ، وسبب المعركة أن احمد استغل

غياب السلطان ، وتوجه إلى قهستان وبوشنج وسيطر عليها ، وكانت هذه المناطق من ضمن ولاية بغراجق عم السلطان محمود (6) .

وعندما سقط راجا جيبال أسيراً في يد جند السلطان محمود الغزنوي ، في الحملة العسكرية التي قام بها على مدينة ويهند سنة 392هـ / 1001م ، وبعد أن حقق الغزنويون النصر على القوات الهندية ، اضطر جيبال إلى توقيع اتفاقية مع السلطان ، وافتدى نفسه بربع مليون دينار ذهب لخزانة غزنة ، مقابل فك أسره

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 276 .
(2) أبو شجاع ، محمد بن الحسين بن عبدالله إبراهيم ظهيرالدين (ت 488هـ / 1195م) : ذيل كتاب تجارب الأمم ، طبعة أمدروز ، ترجمه إلى الإنجليزية د . س . مرجيوت ، اكسفورد ، 1921م ، ص 189 .
(3) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص 198 .
(4) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 105 .
* بوشنج : بوشنج : بليدة خصيبة في وادٍ من نواحي هراة يقدر حجمها بنحو نصف هراة ، بينهما عشرة فراسخ ، ومنها إلى الجبل نحو فرسخين . الاصطخري : مسالك الممالك ، ص 151 ؛ القزويني : آثار البلاد ، ص 337 .
(5) الحسني : نزهة الخواطر ، ج 1 ، ص 80 .
(6) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 205 - 206 .

والسماح له بالعودة لبلاده ، بعد أن أبقى رهائن من بينهم حفيده سوخبال لدى السلطات الغزنوية (1) . كما حصل السلطان محمود على عشرين مليون درهم فدية من أهل الملتان ، كعقوبة لهم على مقاومة جيشه سنة 396هـ / 1005م (2) .

واضطر سوخبال افتداء حياته بأربعمائة ألف درهم , يدفعها للسلطان محمود بعد أن تم القبض عليه من قبل أمراء الحاميات الغزنوية في البنجاب سنة 398هـ / 1008م ، بسبب إعلانه الثورة على النظام الغزنوي (3) .

وبذل خلف بن أحمد مائة ألف دينار للسلطان محمود سنة 399هـ / 1008م ، مقابل الإفراج عنه . وكان خلف قد وقع أسيرا للمرة الثانية بيد جند محمود بعد أن حاصره في قلعة بلد* , بسبب إقدامه على مناهضة النظام واستيلائه على قهستان* وبوشنج , أثناء انشغال السلطان في أمور خراسان (4) .

وفي سنة 421هـ / 1030م حصل السلطان محمود على الكثير من الهدايا والغنائم من أهل بلاد الغور ، افتداءً لأنفسهم ، مقابل وقف السلطان القتال ضدهم (5) . نلاحظ أن الغزنويين اعتبروا الفدية جزء من غنائم المعركة ، فحرصوا على الحصول عليها وجعلوها إحدى واردات الخزانة المالية .

7 - المصادرات .

لجأ الغزنويون لمصادرة أموال بعض المسؤولين والأمراء بالدولة ، نتيجة قيامهم بأعمال مخالفة للنظم والعادات والتقاليد السائدة , والقوانين المعمول بها في البلاد . كانت المصادرات تتم بأمر سلطان غزنة شخصياً ، وأحياناً بأمر الوزير ، وهي كغيرها من الصلاحيات الممنوحة للوزير كالبيع والشراء ، وأية معاملات متعلقة بإدارة الدولة (6) .

برزت ظاهرة المصادرات منذ بداية قيام الدولة الغزنوية ، حيث كان الأمير سبكتكين قد وجه تهمة لوزيره أبو الحسن الميمندي بالخيانة ، وعزله عن الوزارة وصادر أمواله وقتله شنقاً (7) .

----
(1) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 66 .
(2) العتبي : تاريخ اليميني ، ج 2 ، ص 75 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 26 .
(3) الكرديزي : مصدر سابق ، ص 78 ؛ ناظم : السلطان محمود ، ص 98 - 99 .
* قلعة بلد : قلعة حصينة بسجستان ،. ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 781 .
* قهستان : ناحية مشهورة تسمى الجبال من نواحي خراسان ، قصبتها تسمى قاين ، وهي البلاد التي يطلق عليها اسم عراق العجم ، للشرق منها مفازة خراسان وفارس ، وغربها آذربيجان ، وشمالها بحر قزوين ، وجنوبها العراق وخوزستان اتخذها الأكاسرة مصيفاً لطيب هوائها ، وسلامتها من سموم العراق ، وسخونة مائه ، وكثرة ذبابه وهوامه وحشراته , من مدنها الطبسين وقاين . الاصطخري : مسالك الممالك ، ص 154 ؛ الحموي : معجم البلدان ، ج 4 ، ص 416 .
(4) ابن خلدون : مصدر سابق ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 781 - 782 ؛
Jaffar : Medieval India under muslim Kings , vol . 2 , p . 56 .
(5) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 119 ، 125 ؛
. Ikram : History of muslims civilization in India and Pakistan , p . 13
(6) البيهقي : مصدر سابق ، ص 96 ، 158 .
(7) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 108 - 109 .

ومما كان يعاب على السلطان محمود بن سبكتكين أنه كان يتوصل لأخذ الأموال بكل الطرق ، فقد ذكر ابن الأثير (1) بأنه وصلت لمحمود معلومات مفادها ، أن إنساناً من نيسابور كثير المال عظيم الغنى ، فأحضره إلى غزنة ، وقال له السلطان : " بلغنا أنك قرمطي ، فقال : لست بقرمطي ولي مال يؤخذ منه ما يراد ، وأعفني من هذا الاسم ، فأخذ منه مالاً ، وكتب له بصحة اعتقاده . ولم تحدد رواية ابن الأثير قيمة الأموال التي أخذها محمود من القرمطي .

ومما يعاب أيضاً على محمود أنه صادر أموال وممتلكات أخاه في الرضاعة ، ورفيق صباه ، ووزيره أحمد حسن الميمندي ، وكانت أموال كثيرة ، وأغراضاً بقيمة خمسة ملايين دينار ، وألقى به في غياهب سجن قلعة كلنجر سنة 416هـ / 1025م , بعد أن وضعه في قفص اتهام اختلاس الأموال . كما وتعرض الوزير حسنك ، لبعض المحن لموقفه المضاد من السلطان محمود بن سبكتكين ، فتم عزله والقبض عليه ، ومصادرة أمواله (2) .

وأصدر السلطان مسعود سنة 421هـ / 1030م أمراً بالقبض على كبير الحجاب علي القريب ، وأخيه منكيتراك ، وبقية اخوته وأقاربه ، وصادروا أموالهم وأملاكهم ، بحجة انه تطاول بالقبض على الأمير محمد بن محمود (3) .

كما أرسل السلطان مسعود بن محمود سنة 422هـ / 1030م المستوفي أبو نصر ، وأبو الحسن عبد الجليل إلى دار أرياروق قائد جيوش الهند بعد أن تم اعتقاله فأحضروا مستوفي ارياروق ومقدميه المعتقلين ، وفتحوا الأبواب ، وجمعوا أمواله كافة ، ودونوا قوائم بشأن أمواله الكثيرة في الهند ، واستمروا في تثبيت ممتلكات أرياروق ، وحملها إلى البلاط ثلاثة أيام .

كذلك أصدر مسعود سنة 422هـ / 1030م أوامره إلى عبدوس كتخدا الجيش ، بان يحضر رجال أشفتكين الغازي الذين يمكن استيفاء الأموال منهم إلى القصر ، بعد أن تم اعتقال قائدهم الغازي ، ليبحثوا معهم بشان الأموال التي كانت لديهم ، وليحملوها إلى الخزانة . وقيل : لقد أخذ منهم كل ما كان الغازي قد أعطاه لهم ،

ثم تم توزيعهم من قبل السلطان ، وأرسل الممتازين إلى الوثاق ، ووزع الباقين على الحجاب ورجال البلاط .

وتم اعتقال الأمير يوسف بن سبكتكين سنة 422هـ / 1030م ، بتهمة تفوهه بكلام غير لائق على السلطان مسعود الأول ، وتعرض الكتخدا أبو سهل لكشن لأزمات ، وصودرت أملاكه مرات عدة ، وانتهى أمره بعد أن أسندوا إليه عمل ناحية بست ، إذ كان من أهلها وتوفى وهو عامل لها (4) .

وتم القبض على عارض الجيش أبو سهل الزوزني سنة 423هـ / 1031م , ووجهوا إليه بعض التهم ، منها ارتكابه بعض الخيانات ، وإلحاقه مفاسد في الحكم ، فأرسل السلطان مسعود الأول كتب إلى مرو ونيسابور والغور وهراة وبادغيس

---

(1) الكامل ، ج 7 ، ص 348 .

(2) ابن خلدون : العبر ، م 4 ، ق 4 ، ج 8 ، ص 811 .

(3) الكرديزي : زين الأخبار ، ج 2 ، ص 109 ؛ ايلليوت : تاريخ الهند ، ج 2 ، ص 88 .

(4) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 249 - 250 ، 257 ، 278 .

وغزنة ، للقبض على رجال أبو سهل ومصادرة أمواله . وأكمل الوزير أحمد عبد الصمد ما أمر به السلطان ، واستدعى نواب ديوان العرض ، وطلب منهم كشوف الحسابات والقوائم الخاصة بالجيش ، وأمر صاحب النوبة ، ليذهب إلى دار أبو سهل مع المشرفين والثقات ، لمصادرة أمواله ، واعتقلوه مع أقاربه وأتباعه ممن كانوا في بلخ ، وبعد تنفيذ عملية الاعتقال ، بعثوا بأبو سهل إلى القهندز وسجنوه بها (1) .

وكان بعض المسؤولين الغزنويين يقومون بمنع المصادرات ، فقد منع أبو سهل الحمدوى واليها الري منذ أن وصلها سنة 424هـ / 1032م المصادرات ، وقام بحفظ الأمن من أية اعتداءات ، ومارس مهام عمله ، وأحسن معاملة الناس واظهر العدل (2) .

وكنس الحاجب باك روب خراسان بالمصادرات , منذ أن تولى نائب للسلطان في خراسان سنة 426هـ / 1034م ، وقيل : بأنه لم يترك لأحد عشر غلاته (3) .

ولما عاد السلطان مسعود الأول إلى هراة سنة 430هـ / 1038م أمر بإلقاء القبض على عاملها أبو طلحة الشيباني وسجنه ، وصادر أمواله وكل أملاكه ، ثم سلخوا جلده وفاضت روحه عندما بلغ الحجام فخذه ، وألقوه على مزبلة بجوار القصر العدناني المشهور بسنكين . وسبب ذلك أن أبو طلحة كان قد هرع لاستقبال السلاجقة ، بعد أن هزموا الحاجب سوباشي ودخلوا هراة ، وأقام لهم مأدبة قدم لهم خلالها الهدايا .

وفي يوم الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة سنة 431هـ / 1039م , وبعد هزيمة الغزنويين في معركة دندانقان ، عاد السلطان مسعود إلى غزنة وصعد لقلعتها قائدها أبو علي بمأدبة فاخرة ، وفي اليوم التالي ، قال السلطان : انصرفوا فقد تم كل شيء بيمن هذا اليوم . ثم اخرجوا القائد علي الداية ، وأخذوه بالقوة في القصر الصغير ، وحملوا الحاجب سوباشي إلى سراي الخزانة الصغرى ، ووجهوا له العديد من التهم منها : أنه قد سلم الغزنويين للعدو في معركة دندانقان ، وحملوا بكتغدى إلى دار كوتوال القلعة .

وكانت المؤامرة مدبرة منذ الأمس ، وذهب رجال القلعة ، ومعهم المقدمون وكبار الحجاب ، واستولوا على قصور هؤلاء الثلاثة ، كما قبضوا على كل من كانت له علاقة معهم ، وفي يوم الجمعة التالية , عرضوا على السلطان أعمال القادة المعتقلين الثلاث ، نقودهم وأمتعتهم ودوابهم ، ولم يجدوا شيء لدى سوباشي ، لأنه سبق وأن نهبوه مرتين (4) .

يتضح أن كبار الأمراء , استغلوا مناصبهم , فيجمعوا الأموال الطائلة بشتى الطرق والأساليب ، لحسابهم الخاص من دون وجه حق ، وهذا لا يتوافق مع تطلعات سلاطين غزنة لكبار أمرائهم وقادتهم ، لأن القائد من نظرهم ، يجب أن يتحلى بالعفة والإخلاص للنظام والسلطان معاً ، فجمع الأموال لحساب شخص ما اعتبروه جريمة

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 30 ، 344 - 346 ، 349 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 43 .
(2) ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 4 .
(3) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص 7 - 8 .
(4) البيهقي : مصدر سابق ، ص 647 ، 712 - 714 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 12 ، ص 48 - 49 .

وبالتالي يجب أن يصادروا الأموال المنقولة وغير المنقولة على اعتبار أنها في الأصل من الأموال العامة للخزانة .

8 - أموال الخاصة .

تعتبر ثروة ألبتكين الهائلة والتي كونها من خراج خراسان إبان توليه قيادة الجيوش السامانية ، بالإضافة للعائدات المالية من أملاكه العقارية الكثيرة ، ذكر نظام الملك (1) بأن ألبتكين امتلك في الدولة السامانية خمسمائة قرية في خراسان وبلاد ما وراء النهر ، كما كان يوجد له في كل مدينة قصر وبساتين ، ومحطات قوافل وحمامات واستثمارات كثيرة ، فضلاً عن عشرة ملايين رأس غنم ، ومائة ألف حصان وبغل وجمل , بالإضافة إلى أموال ومعدات جيش منصور بن نوح التي استولى عليها ألبتكين ، بعد معركة معه عند مضيق خُلم . فكانت هذه الأموال الأساس في إقامة إمارة في غزنة ، وآل المتبقي منه بعد وفاته لخزانة سبكتكين .

ولما توفى نوشتكين خاصة شحنة مرو ونواحيها سنة 428هـ / 1036م ، وكان قد أوصى قبيل وفاته بأن السلطان محمود لم يعتقه , وأن أملاكه جميعاً ملك للسلطان . وكان نوشتكين قد ترك من بعده مالاً لا يعد ولا يحصى من أصناف مختلفة . فأعطى السلطان مسعود الاول ولاية مرو التي كانت من أملاك نوشتكين إلى قائد غلمان السراي الحاجب بكتغدى (2) .

يتبين أن الغزنويين طبقوا قانون تحويل أموال المتوفى ممن لا ولد له للخزانة ، كون الدولة الوريث الوحيد لمثل هذه الحالات ، وعملوا على توزيع هذه التركات واستثمارها كإحدى مصادر دخل الخزانة .

9 - الهدايا والنثار .

قدم أهالي مدينة الري هدايا وصفت بأنها كثيرة ، للسلطان مسعود بن محمود عند وصول إليها قادماً من أصفهان سنة 421هـ / 1030م ، وكانت الري في تلك

الأثناء بأبهى زيناتها ، كما وجد السلطان أهلها قد خرجوا بخاصتهم وعامتهم لاستقباله (3) .

ومن مصادر الخزينة ، تلك الأموال والهدايا التي تقدم للأشخاص الذين يتقلدون مناصب عليا في الدولة . فمثلاً في سنة 422هـ / 1030م أمر السلطان مسعود الأول تعيين أبو سهل الزوزني في منصب عارض الجيش ، فلما سمع الأكابر والمواليها والحشم ، قاموا بتقديم التهاني له بالثقة السلطانية ، وقدموا إليه أموالاً كثيراً ، وبعد انتهاء مراسم التهاني ، قام أبو سهل بتسجيل جميع ما أحضروه من هدايا ، وأرسلها إلى الخزانة .

وفي نفس السنة خلع السلطان على أبو سهل الحمدوى خلعة جداً فاخرة ، وفوض إليه عمل الإشراف على ممتلكات الدولة ، وأن يكون مسؤول عن عامة

---

(1) نظام الملك : سياست نامه ، ص 151 - 152 ، 154 - 156 .
(2) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 559 ، 569 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 42 .
(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 16 .

المشرفون ، ومنهم المشرفين الكبار الأربعة ، فمثل بين يدي السلطان ، وأدى مراسم الاحترام ، وقال له السلطان : " إن لك حق السابقة في الخدمة ، وقد ثبت إخلاصك وتفانيك لدولتنا ، فينبغي أن تقوم بهذا العمل خير قيام . ثم انصرف للديوان ، فأجلسه الوزير إلى يساره ، كما هي العادة المتبعة في الرسم ، وأثنى عليه كثيراً ، وقدموا إليه الهدايا ، فأرسلها كلها إلى الخزانة (1) .

وكان من عادة المجتمع في العصر الغزنوي ، تقديم النثار بالمناسبات للسلطان وكبار القادة . فقد قدم الأمراء والأعيان وأنجال السلطان وأبو نصر مشكان ، وكبير الحجاب بلكاتكين ، النثار والهدايا ، أثناء إقامة مراسيم التهاني للسلطان مسعود الأول في المسجد الجامع ببلخ سنة 423هـ / 1031م ، بمناسبة تولي القائم بأمر الله الخلافة العباسية ، وكانوا يضعوا كل هدية ، وينادي منادي بنوعها وباسم مهديها ، حتى تجمع قدر كبير من الذهب والفضة ، وبعد ذلك حملوا الهدايا كافة إلى الخزانة (2) .

وصل رئيس ديوان نيسابور أبو الفضل سورى بن المعتز , للحضرة السلطانية سنة 424هـ / 1032م ، وقدم ألف دينار نيسابوري كنثار ، وعقداً من الجوهر الثمين ، كما قدم خمسمائة حمل من الهدايا ، تحوي على ألبسة وطرف ، وآلات من الذهب والفضة ، والغلمان والجواري , والمسك والكافور , والعناب , والأدوات المنقوشة والسجاد والمآزر وشملت على بعض المأكولات والمشروبات وما يناسبها (3) .

نستنتج مما سبق أن الهدايا والنثار , كانت عادة متبعة في العصر الغزنوي ، وقيمتها تتناسب مع منصب الشخص ، واعتبر الغزنويين أن هذه الأموال حق لخزانة الدولة ، لأنها قدمت لشخص بمناسبة تعيينه في إحدى مناصب الدولة ، والمنصب والهدايا والنثار ملك الدولة , وبالتالي لا يجوز لأي موظف أن يأخذ مما يقدم له من هدايا أو نثار .

10 - ضرائب أخرى .

لم يكتف الغزنويون بما كان متوفر لهم من مصادر دخل الخزانة ، بل تمادوا في فرض الضرائب الباهضة على الرعية حتى وصفتها المصادر بأنها ضرائب جائرة (4) . وذكر ابن الأثير (5) بأن السلطان محمود بن سبكتكين , قسط على أهل نيسابور مالاً يأخذه منهم ، ولما علم عثمان الخوكوشي* بذلك دخل عليه ، فلاقاه محمود ، فقال له الخوكوشي : " بلغني أنك تكدي الناس وضاق صدري ، فقال

---

(1) البيهقي : تاريخ البيهقي ، ص 169 - 170 .
(2) المصدر نفسه ، ص 319 ؛ الذهبي : العبر : ج 3 ، ص 154 ؛
Jaffar : Medieval India under muslim Kings , vol . 2 , p . 75 .
(3) البيهقي : مصدر سابق ، ص 426 ؛ فريشتا : تاريخ فريشتا ، ج 1 ، ص 44 .
(4) الكرديزي : زين الأخبار ، ص 105 .
(5) الكامل ، ج 7 ، ص 324 .
* عثمان الخوكوشي : النيسابوري واعظ من أهل نيسابور ، كان صالحاً خيراً ، قيل عنه : أنه صنف كتب في الوعظ من أبرد الأشياء ، وفيها أحاديث كثيرة موضوعة وكلمات مرذولة ، وكان له محلة خاصة يحتمي بها من الظلمة ، عمل في غسل الموتى محتسباً لوجه الله عز زجل ، قيل : بأنه غسل حواليها عشرة آلاف ميت . وقع في بلده نيسابور , فمات سنة 416هـ / 1025م . نفس المصدر ، ج 7 ، ص 324 .

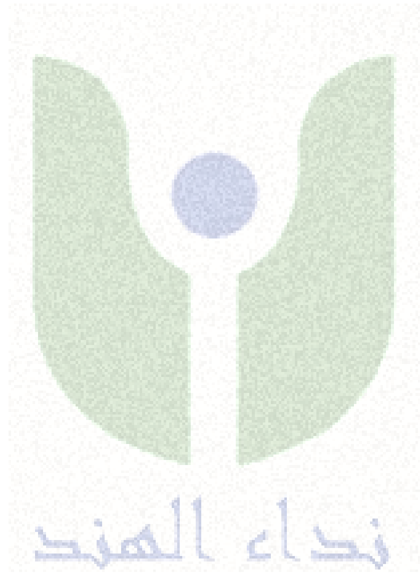
وكيف ؟ قال : أنك تأخذ أموال الضعفاء ، وهذه كدية " ، فأصدر محمود أوامره بوقف هذه الضريبة . كما فرض محمود على أهل المولتان سنة 396هـ / 1002م عشرين مليون درهم ، عقوبة عصيانهم له (1) .

يتبين أن الأموال التي جمعت من مصادر عدة , خصصت للإنفاق العام على مؤسسات الدولة العسكرية منها والمدنية ، وكانت وجهة إنفاقها في المجالات التالية :

- رواتب للموظفين المدنيين والعسكريين .
- نفقات الإصلاحات الزراعية ، وتشيد المرافق العامة .
- نفقات الحملات العسكرية التي كلفت الخزانة مبالغ باهضة جداً ، خاصة وان الغزنويين كانوا بحالة حروب وغزوات متواصلة في بلاد الهند ، أو ضد القوى الإسلامية الأخرى المعادي لنظام غزنة ، أو في الأقاليم التابعة للدولة .
- تقديم العطايا والمنح للأدباء والعلماء والأمراء , وأركانية الجيش وغيرهم .

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 228 .


نداء الهند

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أولاً : ـ المخطوطات

ـ ابن حمدون ، محمد بن الحسن (ت 562هـ / 1166م) :
التذكرة الحمدونية ، نسخة مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد ، رقم 1282 ، عن الأصل المحفوظ بكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم 2948 .

ـ العامري ، عماد الدين يحيى بن أبي بكر (ت 893 هـ / 1487م) :
غربال الزمان في وفيات الأعيان ، نسخة مصورة في المجمع العلمي العراقي رقم 1142 ، عن النسخة المحفوظة بالمتحف البريطاني ، ورقة 100 .

ـ ابن أبي عذيبة : إنسان العيون في مشاهير سادس القرون ، مخطوط رقم 1083 المجمع العلمي العراقي ، مصور عن نسخة مكتبة الدراسات الإسلامية ، جامعة بغداد .

ـ الغساني ، إسماعيل بن العباس (ت 803هـ / 1400م) :
العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في أخبار الخلفاء والملوك ، مخطوط رقم 586 مكتبة المجمع العلمي العراقي ، بغداد .

ـ ابن كنان ، محمد بن عيسى (ت 1153هـ / 1740م) :
حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين ، ميكروفيلم رقم 3548 ، مركز الوثائق والمعلومات ، الجامعة الأردنية ، الأردن ، عمان ، مصور عن الأصل المحفوظ في مكتبة تشرينيتي .

ـ النويري السكندري ، محمد بن قاسم بن محمد المالكي :
الإلمام بالأعلام ، نسخة برلين ، صور شمسية محفوظة بمكتبة كلية جامعة الإسكندرية تحت رقم 667 ، 737 ، 738 على التوالي (نسخة الهند) لوحة 260 أ نقلاً عن النخيلي : السفن الإسلامية .

ـ مجهول :
الدرر المكنون في المآثر الماضية من القرون ، مخطوط رقم 738 ، مكتبة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، مصور عن النسخة الأصلية بالمكتبة الوطنية ، باريس, ق 1 ورقة 70 ب .

ـ ابن منكلي ، محمد (ت 728هـ / 1327م) :
الحيل في الحروب ، ما وجد في ذخائر الإسكندر بن داوود الرومي المعروف بذي القرنين ، نقل من اليونانية إلى العربية ، مخطوط بمكتبة أياصوفيا ، رقم 3772 نسخة مكتبة الدكتور محمد عيسى صالحية ، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بقسم التاريخ ، جامعة اليرموك ، إربد ، المملكة الأردنية الهاشمية .

ثانياً : ـ المصادر العربية المطبوعة .

ـ ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت 630هـ/ 1232م) :

الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط 4 ، 1403م .
ـ الإدريسي ، محمد الشريف (ت 560هـ / 1164م) :
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، تصحيح السيد مقبول أحمد ، 1954م .
ـ الاربلي ، عبد الرحمن سبط قنيتو (ت 717هـ / 1317م) :
خلاصة الذهب المسبوك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ط 2 ، 1964م .
ـ الأزدي ، أبو الحسن علي بن منصور ظافر بن حسين (ت 613هـ / 1216م) :
أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق عصام مصطفى هزايمة وآخرون ، دار الكندي ، اربد الأردن ، 1999م .
ـ ابن الأزرق ، محمد بن علي بن محمد الغرناطي (ت 896هـ / 1490م) :
بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامي النشار ، دار الحرية للطباعة بغداد ، 1397هـ / 1977م .
ـ الاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت 346هـ/957م) :
مسالك الممالك ، مطبعة ليدن ، 1967م .
ـ الأصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم (ت 356هـ/967م) :
الأغاني : 21جزء في 5 مجلدات ، طبعة مصر ، 1323هـ .
ـ ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم (ت 668 هـ / 1269 م) :
عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1965م .
ـ الأنصاري ، عمر بن إبراهيم الألوسي (ت 815هـ/1412م) :
تفريج الكروب في تدبير الأمور ، تحقيق جورج سكانلوب ، دار المعارف ، القاهرة 1961م .
ـ أيوب ، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ / 1350م) :
الفروسية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط 1 ، بغداد ، 1987م .
ـ ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (ت 779 هـ/1377م) :
رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، بيروت .
ـ البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739هـ / 1338م) :
مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1373هـ / 1954م .
ـ البغدادي ، عبد القادر بن طاهر أبو منصور (ت 429هـ / 1037م) :
الفرق بين الفرقة الناجية منهم ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت . 1973م .
ـ البلاذري أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ / 892م) :
فتوح البلدان ، تحقيق عبدالله أنيس وآخرون ، بيروت ، 1377هـ / 1957م
ـ المؤلف نفسه :
الأنساب : دار صادر ، بيروت ، 1995م .

ـ البلنسي ، أبو الخطاب عمر بن أبي علي المعروف بذي السنين دحية والحسين :
النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، تصحيح وتعليق عباس العزاوي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1946م
ـ البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (ت 440هـ / 1048م) :
تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الدكن ، الهند ، 1377 هـ / 1958م .
ـ ابن تغري بردي ، أبو المحاسن الأتابكي (ت 874هـ/1469م) :
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تقديم محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، 1992م.
ـ الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك (350 - 429هـ / 961 - 1037م) :
تاريخ غرر السير ، المعروف بغرر أخبار ملوك الفرس ، مكتبة الأسدي ، طهران 1383هـ / 1963م .
ـ المؤلف نفسه :
لطائف المعارف ، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي .
ـ الجاجرمي ، أبو المعالي المؤيد بن محمد (ت أوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) :
نكت الوزراء ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ، مركز إحياء التراث ، بغداد ، 1984م
ـ الجاحظ ، أبو عمر بن بحر (ت 255 هـ / 868 م) :
البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، نشر مطبعة لجنة التأليف ، 1984م .
ـ المؤلف نفسه :
رسائل الجاحظ ، تقديم علي أبو ملحم ، دار مكتبة الهلال بيروت ، ط 1 ، 1987م .
ـ ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ/1200م) :
المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، مطبعة دار المعارف ، حيدرأباد ، 1358هـ .
ـ الحسني ، الشريف عبد الحي بن فخر الدين (ت 1341 هـ / 1922م) :
نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط 1 1420 هت / 1999 م .
ـ المؤلف نفسه :
الهند في العهد الإسلامي ،تحقيق الدكتور عبد العلي الحسني وأبو الحسن الحسني دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الدكن .
ـ ابن حسول ، محمد بن الحسين (ت 450هـ/1058م) :
تفضيل الأتراك على سائر الأجناد ومناقب الحضرة العالية ، أنقرة ، 1940م .
ـ الحموي ، أبو عبدا لله ياقوت بن عبدا لله الرومي البغدادي (ت 622هـ/1225م) :
معجم الأدباء ، مطبعة أحمد فريد الرفاعي ، 1389هـ / 1936م .
ـ المؤلف نفسه :
معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1995م .
ـ الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت 723 هـ /1323 م) :

الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، دار القلم للطباعة بيروت.
ـ الحنبلي ، أبو الفلاح بن عبد الحي ابن العماد (ت 1089هـ / 1678م) :
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ، القاهرة ، 1350هـ / 1931م .
ـ الحنبلي ، أبي يعلي محمد بن الحسين الفراء (ت 458هـ / 1065م) :
الأحكام السلطانية ، مطبعة مصطفى البابي وأولاده ، مصر ، ط 2 ، 1386هـ / 1966م .
ـ ابن حوقل أبو القاسم محمد ألنصيبي (ت 367هـ/977م) :
صورة الأرض ، مكتبة دار الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1979م .
ـ ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت 300هـ / 912م) :
المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد .
ـ ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبدالله محمد (ت 776هـ / 1374م) :
الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، ج 1 ، ط 2 ، مطابع الشركة المصرية القاهرة ، 1975م .
ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ / 1406م) :
العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1981م .
ـ المؤلف نفسه :
المقدمة ، ط 1 ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، 1322هـ .
ـ ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت 681هـ/1282م) :
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت 1984.
ـ الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت 380هـ / 990م) :
مفاتيح العلوم ، تقديم جودت فخر الدين ، دار المنهل ، بيروت ، ط 1 ، 1411هـ / 990م .
ـ ابن دحية ، أبو الخطاب عمر بن أبي علي حسن بن علي البلنسي (ت 633هـ / 1235م) :
النبراس في تاريخ بني العباس ، صححه عباس العزاوي ، مطبعة المعارف ، بغداد 1946م .
ـ ابن دقماق ، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي :
الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي ط 1 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1985م ،
ـ الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1347م) :
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1415هـ / 1994م .
ـ المؤلف نفسه :
دول الإسلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت

ط 1 , 1415هـ / 1994م .
ـ المؤلف نفسه :
دول الاسلام , تحقيق عمر عبد السلام تدمري , دار الكتاب العربي , بيروت , ط 1
1405 هـ / 1994 م .
ـ المؤلف نفسه :
سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ط
1 ، 1405هـ/1985م .
ـ المؤلف نفسه :
العبر في خبر من غبر ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة حكومة الكويت ، ط 1 ،
1404هـ / 1984م .
ـ ابن رستة ، أبو علي أحمد بن عمر (ت 290هـ / 903م) :
الأعلاق النفيسة ، اعتناء دي خويه ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1892م .
ـ الروذراوري ، ابي شجاع محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله الملقب بظهير
الدين (ت 488هـ / 1095م) :
ذيل تجارب الأمم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1424هـ / 2003م .
ـ سبط بن الجوزي ، أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت 654هـ/1256م) :
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مراجعة علي سويم ، الجمعية التاريخية التركية
أنقرة ، 1968م .
ـ السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771هـ /
1369م) :
طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمد الطناحي ، مطبعة
عيسى البابي وشركاه ، ط 1 ، 1385هـ / 1966م .
ـ ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت 230هـ / 844م) :
الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، 1377هـ / 1957م ، ج 5 ، ص 396 .
ـ السمعاني ، القاضي أبو سعيد عبد الكريم بن محمد (ت 562هـ / 1166م) :
الأنساب ، حيدر أباد ، الدكن ، 1963م .
ـ السهمي ، حمزة بن يوسف (ت 427هـ / 1035م) :
تاريخ جرجان ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1407هـ / 1987م .
ـ ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت 458 هـ / 1066 م) :
المخصص ، طبعة بولاق ، القاهرة ، 1316هـ .
ـ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ / 1505م) :
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، دار المعرفة ، بيروت .
ـ المؤلف نفسه :
تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . د . ت .
ـ أبو شجاع ، محمد بن الحسين بن عبدالله إبراهيم ظهيرالدين (488هـ/1195م) :
ذيل كتاب تجارب الأمم ، طبعة أمدروز ، ترجمه إلى الإنجليزية د . س . مرجيوث
اكسفورد ، 1921م .

ـ ابن شداد ، بهاء الدين :
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط 1 ، القاهرة 1964م .
ـ ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت 684هـ / 1285م) :
الأغلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق يحيى عبادة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1978م .
ـ الشعراني ، أبو سعيد (من القرن الثالث الهجري / القرن التاسع الميلادي) :
مختصر سياسة الحروب ، تحقيق عبدالرؤوف عون ، مطبعة مصر ، مصر 1964م
ـ الشهرستاني ، محمد بن عبدالكريم (ت 548هـ / 1153م) :
الملل والنحل ، تعليق محمد أحمد فهمي ، ط 1 ، 1948م .
ـ شيخ الربوة ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن ابي طالب الأنصاري (ت 727هـ / 1326م) :
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، 1923م .
ـ الصابي ، أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابىء (488هـ/1056م) :
تاريخ هلال بن المحسن الصابي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 1424هـ / 2003م .
ـ المؤلف نفسه :
رسوم دار الخلافة ، ط 2 ، تحقيق ميخائيل عواد ، دار الرائد العربي ، بيروت.
ـ المؤلف نفسه :
الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، 1958م
ـ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ / 1363م) :
الوافي بالوفيات ، مطابع مركز الطباعة الحديث ، بيروت 1402هـ / 1982م .
ـ الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335هـ / 946م) :
الأوراق ، عني بنشره ، ج . هيورث د . ن ، مطبعة الصاوي ، القاهرة ، 1354هـ / 1935م .
ـ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ / 923م) :
تاريخ الأمم والملوك ،المطبعة الحسينية المصرية ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ، ط 1، 1962م .
ـ الطرسوسي ، مرضي بن علي بن مرضي (ت 589هـ / 1193م) :
تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب ، تحقيق ونشر كلود كاهين بيروت ، 1948م .
ـ الطرطوشي ، أبو بكر محمد بن الوليد (ت 520هـ / 1126م) :
سراج الملوك ، ط 1 ، مكتبة المحمودية التجارية ، مصر ، 1935م .
ـ ابن الطقطقا ، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ / 1309م) :
الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ، 1966م
ـ العباسي ، الحسن بن عبد الله (ت 709هـ / 1309م) :

آثار الأول في ترتيب الدول ، مطبعة بولاق ، بولاق ، 1295هـ/ 1878م .
ـ ابن العبري ، غريغورس أبي الفرج بن أهرون الملطي (685هـ/1286م) : تاريخ مختصر الدول ، دار الرائد اللبنانية ، بيروت ، 1983م .
ـ أبو عبيد ، القاسم بن سلام (ت 224هـ / 838م) :
الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، القاهرة ، 1968م .
ـ العسكري ، أبو هلال (395هـ / 1004م) :
التخلص في معرفة أسماء الأشياء ، دمشق ، 1970م .
ـ ابن العمراني محمد بن علي بن محمد (تفي حوالي 580هـ / 1185م) :
الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السامرائي ، ليدن ، 1973م .
ـ العمري ، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله (ت 749هـ / 1348م) :
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق د. حمزة احمد عباس ، المجمع الثقافي أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، 1426هـ / 2005م .
ـ الفارقي ، أحمد بن يوسف بن علي (ت 580 هـ/1184م) :
تاريخ الفارقي ، تحقيق بدوي عبد اللطيف ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،1984م .
ـ أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت 732هـ/1331م) :
تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1840م .
ـ المؤلف نفسه :
المختصر في أخبار البشر ، دار الطباعة العربية ، بيروت ، 1960م .
ـ ابن الفقية ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) :
كتاب البلدان ، مطبعة بريل ليدن ، 1302هـ / 1884م .
ـ الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 هـ / 1414م) :
القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1407 هـ / 1987م .
ـ القرشي ، يحيى بن آدم (ت 203هـ / 818م) :
الخراج ، تحقيق أحمد بن شاكر ، ط 2 ، القاهرة ، 1384هـ .
ـ القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت 683هـ / 1283م) :
آثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ،1400هـ/1980م.
ـ ابن القلانسي ، أبو يعلي حمزة (555هـ / 1063م) :
ذيل تاريخ دمشق ، نشر آمدروز ، بيروت ، 1923م .
ـ القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ / 1418م) :
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة .
ـ ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت 751هـ / 1350م) :
الفروسية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط 1 ، بغداد ، 1987م .
ـ الكتبي ، محمد بن شاكر (ت 764هـ / 1362م) :
فوات الوفيات ، تحقيق د . احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .
ـ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت 774هـ / 1372م) :

البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط 1 ، 1351هـ / 1932م .
ـ الكوفي ، أبو محمد احمد بن أعثم (ت نحو 314هـ / 926م) :
الفتوح ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الدكن ، الهند ، دار الندوه الجديدة بيروت ، لبنان .
ـ الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمود بن حبيب البصري البغدادي (ت 450هـ / 1058م) :
الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الحرية ، بغداد ، 1989م ، ص 95 - 96 .
ـ مجهول :
خزانة السلاح (مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك) ، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1978م .
ـ مجهول :
الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، معهد العلوم العليا الغربية ، المطبعة الاقتصادية ، رباط الفتح ، 1936م .
ـ المسعودي ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي (ت 346هـ / 957م) :
التنبيه والإشراف ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1893م .
ـ المؤلف نفسه :
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، القاهرة ، 1938م .
ـ ابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد : (ت 421هـ / 1030م) :
تجارب الأمم ، نشر هـ . ف ، آمدروز ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، مصر .
ـ المقدسي : أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت 384هـ / 994م) :
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط 3 ، 1991م
ـ مقديش ، محمود بن سعيد (ت 1228هـ / 1813م) :
نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 1988م .
ـ المقريزي ، أحمد بن علي (ت 845هـ / 1442م) :() السلوك لمعرفة دول الملوك ، تصحيح محمد زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ط 2 ، 1376هـ / 1957م .
ـ المؤلف نفسه :
البيان والتبين : دار صادر ، بيروت ، 1995م .
ـ ابن منكلي ، محمد بن محمود (ت 778هـ / 1376م) :
التدابير السلطانية في سياسة الصناعة الحربية ، تحقيق صادق محمود الجميلي مجلة المورد ، م 2 ، العدد الرابع ، بغداد ، 1983م .
ـ أبو منصور ، عبد القادر بن طاهر (ت 429هـ / 1037م) :
الفرق بين الفرقة الناجية منهم ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، 1973م .
ـ ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هت/1310م) :
لسان العرب المطبعة الأميرية ، القاهرة ،1989م .
ـ ابن منكلي ، جلال الدين محمد بن محمود (ت 778هـ / 1376م) :

الأدلة الرسمية في التعابي الحربية ، تحقيق محمود شيت خطاب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1988م .
ـ الندوي ، معين الدين :
معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر ، مطبعة دائرة المعارف ، حيدر أباد الدكن ، 1353هـ .
ـ النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ / 1351م) :
نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق محمد فوزي العنتيل ومحمد طه الحاجري الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1405هـ / 1985م .
ـ الهرثمي ، أبو سعيد الشعراني (من القرن الثالث الهجري / القرن التاسع الميلادي) : مختصر سياسة الحروب ، تحقيق عبدالرؤوف عون ، مطبعة مصر ، مصر 1964م .
ـ الهروي ، علي بن أبس بكر (ت 611هـ / 1214م) :
التذكرة الهروية في الحيل الحربية ، تحقيق مطيع المرابط ، وزارة الثقافة ، دمشق 1972م .
ـ ابن الوردي زين الدين عمر بن المظفر (ت 749هـ / 1348م) :
تتمة المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت ، 1389هـ / 1970م .
ـ اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن سعد بن علي (ت 768 هـ / 1970 م) :
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبره من حوادث الزمان ، ط 2 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت لبنان ، 1970م .
ـ أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت 182هـ / 798م) :
الخراج ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1392هـ ، ط 4 .

ثالثاً : ـ المصادر الفارسية .

ـ إبراهيم ، أبو حامد محمد (ت 599هـ /1202م) :
ذيل سلجوقنامة ، مطبعة خاور ، حق جاب محفوظ ، جامعة طهران، 1332 شمسي.
ـ إقبال ، عباس :
إقبال ، عباس : الوزارة في عهد السلاجقة ، ترجمة وتعليق أحمد كمال الدين حلمي مطبعة جامعة الكويت ، 1984م .
ـ البنداري ، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني (ت 643هـ / 1245م) :
تاريخ دولة آل سلجوق ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط 2، 1978 .
ـ البيهقي أبو الفضل محمد بن حسين (ت 470هـ / 1077م) :
تاريخ البيهقي ، ترجمة يحي الخشاب وصادق نشأت ، دار النهضة العربية بيروت 1982م .
ـ جعفر ، س . م :
الهند في العصور الوسطى تحت حكم المسلمين ، دلهي ، 197م .
ـ حبيب الله :

تاريخ خان جهاني ومخزن أفغاني ، تصحيح وتنقيح سيد إمام الدين ، مطبعة زيكويرس ، دهاكا ، باكستان ، 1329هـ .
ـ الحسيني ، أبو الفوارس ناصر بن علي (ت 575هـ/1180م) :
أخبار الدولة السلجوقية ، تصحيح محمد إقبال ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط 1 ، 1404هـ/1983م .
ـ خليلي :
سلطنة غزنويان ، كابل ، 1333هـ .
ـ خواندمير ، غياث الدين بن همام الدين الحسيني (ت 942هـ / 1535م) :
تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد البشر ، طهران ، 1333هـ / 1913م .
ـ المؤلف نفسه :
دستور الوزراء ، ترجمة حربي أمين سلمان ، تقديم فؤاد عبد المعطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1980م .
ـ دولتشاه ، أمير دولتشاه السمرقندي (ت 913هـ / 1508م) :
تذكرة الشعراء ، ليدن .
ـ ذبيح الله ، ذبيح الله صفا :
تاريخ أدبيات در أيران (من أواسط القرن الخامس إلى القرن السابع الهجري) ط 3 ، مكتبة إبن سينا ، تهران ، 1339هـ .
ـ الراوندي ، محمد بن علي بن سيلمان (ت 601هـ/1204م) :
راحة الصدور آية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة إبراهيم الشواربي وآخرون ، دار القلم ، القاهرة 1960م .
ـ زاده ، رضا شفق :
تاريخ أدبيات ايران ، طهران ، 1321هـ .
ـ سيستاني ، حكيم فرخي :
الديوان ، طبعة تهران ، 1335هـ ، س .
ـ العتبى ، أبو نصر محمد عبد الجبار محمد (ت 427هـ/1035م) :
تاريخ اليميني على هامش الفتح الوهبي للشيخ أحمد المنيني ، الجامعة الأردنية 1974م .
ـ عروضي سمرقندي ، أحمد بن علي النظامي (ت 552هـ / 1157م) :
جهار مقالة (المقالات الأربعة) في الكتابة والشعر والنجوم والطب ، ترجمة عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب ، ط 1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، 1949م .
ـ عوفي ، محمد (ت بعد سنة 633هـ / 1236م) :
لباب الألباب ، ليدن ، 1321هـ / 1903م .
ـ الفارسي ، عبد الغافر :
تاريخ نيسابور، ط 2 ، إيران ، 1403هـ .
ـ الفردوسي ، أبو القاسم الفردوسي (ت بين 411 - 416هـ / 1019 - 1025م) :
الشاهنامة ، ترجمة عبد الوهاب عزام ، القاهرة ، 1350هـ / 1932م .

ـ القزويني ، يحيى عبد اللطيف الحسيني (ت 690هـ / 1291م) :
لب التواريخ ، نشر سيد جلال طهراني ، طهران .
ـ الكرديزي ، أبو سعيد عبدالحي بن الضحاك بن محمود (ت أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) :
زين الأخبار ، تعريب محمد بن تاويت ، مطبعة محمد الخامس الجامعية ، فاس 1972م .
ـ مستوفي قزويني ، حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر (730هـ/1329م) :
تاريخ كزيده ، اهتمام عبد المحسن بلوائي ، تهران ، 1339هـ .
ـ نخجواني ، هندوشاه صاحبي : تجارب السلف ، مؤلف خلال سنتي 713 - 714 هـ ، ق ، تقدديم أمير سيد حسن روضاتي .
ـ النرشخي ، أبو بكر محمد بن جعفر (400هـ/959م) :
تاريخ بخارى ، ترجمة الدكتور أمين عبد المجيد بدوي ، ونصر الله مبشر الطرزي دار المعارف ، مصر ، 1965م .
ـ ابن النظام الحسيني ، محمد (ت 743هـ / 1342م) :
العراضة في الحكاية السلجوقية ، ، ترجمة عبد المنعم محمد حسنين ، وحسين أمين مطبعة جامعة بغداد ، 1979م .
ـ نظام الملك أبو علي حسن بن علي الطوسي (ت 485هـ / 1092م) :
سياست نامه ، ترجمة يوسف بكار ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر ، ط 2 ، 1407هـ / 1987م .
ـ نظامي ، حسن :
تاج المآثر ، ألف في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين ، ترجمة ايلليوت ودوسون ، لاهور ، 1979م .
ـ نيشابورى ، خواجة إمام ظهير الدين (ت 582هـ / 1186م) :
سلجوقنامه ، مطبعة خاور ، طهران ، 1332 شمسي .
ـ الهروي ، نعمة الله بن خواجة حبيب الله :
تاريخ خان جهاني ومخزن أفغاني ، تصحيح وتنقيح سيد إمام الدين ، مطبعة زيكويرس ، دكا ، باكستان ، 1329هـ .
ـ الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله ألعمري (ت 718هـ/1318م) :
جامع التواريخ ، اهتمام أحمد آتش ، نشر دنيا الكتاب ، طهران ، ط 1 ،1362م .
ـ يوسفي فر ، شهرام :
نظام الأتابكيات في أيران ، رسالة ماجستير ، جامعة تربية مدرس ، طهران 1375م .

رابعاً : ـ المراجع العربية الحديثة والمترجمة .

ـ إبراهيم ، علي :
دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، القاهرة ، 1948 .
ـ احمد ، فضل :

محمود الغزنوي ، لاهور ، 1967م .
ــ إدريس ، محمد محمود :
تاريخ العراق والمشرق الإسلامي ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة، 1985م .
ــ ارنولد ، سير توماس :
الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1970م
ــ أشباخ ، يوسف :
تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبدالله عنان ، ط 2 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1958م .
ــ أنيس ، إبراهيم وأخرون :
المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا .
ــ أمين ، أحمد :
ظهر الإسلام ، القاهرة ، 1938م .
ــ أمين ، حسين :
تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، 1965م .
ــ بارتولد ، فاسيلي فلاديميروفتش :
تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، القاهرة ، 1958م .
ــ المؤلف نفسه :
تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ط 1 ، الكويت ، 1981م .
ــ الباشا ، حسن :
الألقاب الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، 1957م .
ــ المؤلف نفسه :
دراسات في تاريخ الدولة العباسية ، مطبعة النهضة العربية ، القاهرة ، 1975م .
ــ المؤلف نفسه :
الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ،مطبعة لجان البيان العربي ، القاهرة 1965م .
ــ بدوي ، عبداللطيف :
الميزانية الأولى في الإسلام ، القاهرة ، (د . ت) .
ــ براون ، ادوار جرانفيل :
تاريخ الأدب في ايران من الفردوسي إلى السعدي، نفله إلى العربية د. أمين الشواربي ، مطبعة السعادة بمصر ، 1373 هـ / 1954م .
ــ بروكلمان ، كارل :
ــ تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ، دار العلم للملايين ، بيروت ط 5 ، 1968م .
ــ البستاني ، بطرس :
محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1977م .

ـ المؤلف نفسه :
موسوعة الحضارة العربية الإسلامية / العصر العباسي ،دار كلمات للنشر، بيروت لبنان ، 1995م .
ـ تالبوت ، ويلر :
تاريخ الهند تحت الحكم المسلم ، دلهي ، 1975م .
ـ توتل ، فردينان :
المنجد في الأدب والعلوم ، بيروت ، 1956م .
ـ ثابت ، نعمان :
الجندي في الدولة العباسية ، بغداد ، 1939م .
ـ المؤلف نفسه :
العسكرية في عهد العباسين ، مراجعة وتقديم اللواء الركن حامد أحمد الورد ، مديرية المطابع العسكرية ، بغداد ، 1978م .
ـ جب ، هاملتون :
دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة إحسان عباس وأخرون ، دار العلم للملايين بيروت ، ط 2 .
ـ جمال الدين ، عبدالله محمد جمال :
التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلى أواخر فترة الحكم العربي (15 - 416هـ / 636 - 1025م) ، دار الصحوة ، القاهرة .
ـ الجميلي ، رشيد عبدالله :
تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، ط 1 ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، 1989م
ـ الجنابي ، خالد جاسم :
تنظيمات الجيش العربي في العصر الأموي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ط 2 1986م .
ـ المؤلف نفسه :
تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، 1989م .
ـ جودة ، جودة حسنين :
جغرافية آسيا الإقليمية ، مطبعة أطلس ، القاهرة ، ط 1 ، توزيع منشأة المعارف الإسكندرية .
ـ جي ، ئي كرونياوم :
الوحدة والتنوع والحضارة الإسلامية ، ترجمة صدقي حمدي ، مطبعة اسعد ، بغداد 1966م .
ـ حتاملة ، عبد الكريم عبده :
البنية الإدارية للدولة الغزنوية (351 - 582هـ/961 - 1186م) ، ط 1 ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمّان ، 1411هـ/1991م .
ـ المؤلف نفسه :

العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية (351 - 582هـ / 961 - 1186م) ، ط 1 2001م .
ـ حتي ، فيليب :
تاريخ العرب المطول ، دار الكشاف ، بيروت ، 1954م .
ـ حسن ، حسن إبراهيم :
تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ط 1 ، 1967م .
ـ حسنين ، عبد النعيم محمد:
سلاجقة إيران والعراق ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 1 ، 1959م .
ـ حلمي ، أحمد كمال :
السلاجقة في التاريخ والحضارة ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط 1 ، 1395هـ/ 1975م .
ـ حمدي ، حافظ :
الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، ط 1 ، مصر ، 1950م .
ـ خرج ، محمد :
المدرسة العسكرية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1379هـ / 1960م .
ـ الخضري ، الشيخ مبارك محمد بك :
محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، مكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، 1970م .
ـ الخطيب ، مصطفى عبد الكريم :
المصطلحات التاريخية والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1 1416هـ / 1996م .
ـ دحلان ، أحمد بن زيني :
الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر 1354هـ / 1935م .
ـ دهمان ، محمد أحمد :
معجم الألفاظ التاريخية ، دار الفكر ، ط 1 ، 1410هـ / 1990م .
ـ الدوري ، عبد العزيز عبدالكريم :
تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، بغداد ، 1948م .
ـ المؤلف نفسه :
دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، بغداد ، 1945 .
ـ رفاعي ، أحمد فريد :
عصر المأمون ، القاهرة ، 1927م ، ص 273 .
ـ زامباور ، ادوارد فون :
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة سنية إسماعيل كاشف ، وحافظ أحمد حمدي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1980م .
ـ الزركلي ، خير الدين :

سير أعلام النبلاء ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، وزارة المعارف ، المملكة العربية السعودية ، ط 3 .
ـ زعين ، حسن فاضل :
دور العراق في العلاقات السياسية الخارجية ، دار الحرية ، بغداد ، 1985م .
ـ زكي ، عبد الرحمن :
السلاح في الإسلام ، دار المعارف ، مصر ، 1951م .
ـ المؤلف نفسه :
السيف في العالم الإسلامي ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1957م .
ـ الزهراني ، محمد بن مسفر بن حسين :
نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسي (447- 590هـ / 1055 - 1193م) ط 2 ، مطبعة المدني ، مصر ، القاهرة ، 1404هـ / 1983م .
ـ زيدان ، جرجي :
تاريخ التمدن الإسلامي ، مراجعة حسين مؤنس ، دار الهلال ، القاهرة ، 1958م.
ـ الساداتي ، أحمد محمد :
تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، 1987م .
ـ المؤلف نفسه :
تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، 1987م .
ـ السرنجاوي ، عبد الفتاح :
تاريخ الحركات الإستقلالية في الدولة العباسية ، ط 2 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر ، 1945م .
ـ سرور ، جمال الدين :
تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 3 ، 1973م .
ـ سعد ، محمد احمد :
موسوعة التاريخ الهجري ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ط 1 ، 1423هـ / 2003م .
ـ السلومي ، عبد العزيز عبدالله :
ديوان الجند نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون ، مكة المكرمة 1986م .
ـ سليمان ، أحمد السعيد :
تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1969م .
ـ سميل ، ر ، س :
ـ فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (1097 - 1193م) ، ترجمة محمد وليد الجلاد ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، 1985م .
ـ الشابي ، علي :
الأدب الفارسي في العصر الغزنوي ، دار انشر ، تونس ، 1955م .
ـ شاخت ، بوزورث :

عالم المعرفة ، تراث الإسلام ، ترجمة محمد زهير السمهوري وآخرون ، تعليق وتحقيق شاكر مصطفى وفؤاد زكريا ، ط 3 ، الكويت ، 1988م .
ـ الشذر ، طيبة صالح :
ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ .
ـ الشلبي ، احمد جاب الله :
موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، القاهرة ، 1983م .
ـ الشيال ، جمال الدين :
تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند ، مطبعة التقدم ، الإسكندرية ، مصر 1968م .
ـ شيخو ، لويس :
النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، ق 2 ، ج 2 ، ط 1 ، بيروت ، 1923م .
ـ الطرزي ، عبدالله مبشر :
موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب ، جدة المملكة العربية السعودية ، 1983م .
ـ العبادي ، أحمد مختار :
في التاريخ العباسي والأندلسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1972م .
عبد الرؤوف ، عصام الدين :
الدولة المستقلة في الشرق ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1995م .
ـ عبد الستار ، عز الدين الراوي :
ثورة العقل ، دار الرشيد ، بغداد ، 1983م .
ـ العبود ، نافع توفيق :
الدولة الخوارزمية ، مطبعة جامعة بغداد ، 1987م .
ـ العربي ، إسماعيل :
الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية ، الدار العربية للكتاب ، تونس 1985م .
ـ العسلي ، بسام :
فن الحرب في العصر العباسي ، دار الفكر ، بيروت ، 1409هـ / 1988م .
ـ المؤلف نفسه :
المذهب العسكري الإسلامي ، دار النفائس ، بيروت ، 1993م .
ـ العطار ، محيي الدين :
بلوغ الأدب في مآثر العرب ، القاهرة ، 1319هـ .
ـ علي ، سيد أمير :
مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ، ترجمة رياض رافت ، مطبعة القاهرة 1938م .
ـ عمر ، فاروق ، ومرتضى النقيب :
تاريخ إيران ،مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، 1989م .
ـ عنان ، محمد عبدالله :

عصر المرابطين والموحدين ي المغرب والأندلس ، ط 1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1960م .
ـ عون ، عبد الرؤوف :
الفن الحربي في صدر الإسلام ، دار المعارف ، مصر ، 1961م .
ـ ألغامدي ، سعد حذيفة :
الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند ، ط 1 ، دار إشبيليا ، الرياض ، 1417هـ/ 1996م .
ـ غرايبة ، عبد الكريم :
العرب والأتراك ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ، 1381هـ / 1961م .
ـ الفاروقي ، إسماعيل راجي وآخرون :
أطلس الحضارة الإسلامية ، ترجمة د . عبد الواحد لؤلؤة ،مكتبة العبيكان، الرياض المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 1429هـ / 1998م .
ـ فامبري ، أرمانيوس :
تاريخ بخارى من أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة أحمد محمود الساداتي ، مراجعة يحيى الخشاب ، مطابع شركة الإعلانات ، مصر ، 1960م .
ـ الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف :
بلاد الهند في العصر الإسلامي ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1980م .
ـ المؤلف نفسه :
تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي ، مطبعة المدني ، القاهرة 1975م .
ـ المؤلف نفسه :
الدول الإسلامية المستقلة في المشرق ، القاهرة ، 1987م .
ـ قنديل ، إسعاد عبد الهادي :
فنون الشعر الفارسي ، دار الأندلس ،بيروت ، ط 2 ، 1402هـ / 1981م .
ـ كاستلان ، جورج :
تاريخ الجيوش ، ترجمة كمال دسوقي ، مكتبة النهضة العربية ، مصر 1956م .
ـ كلود كوهين :
تاريخ العرب والشعوب الإسلامية من ظهور الإسلام حتى بداية الامبرطورية العثمانية ، ترجمة بدر الدين القاسم ، ط 1 ، دار الحقيقة ، بيروت ،1972م .
ـ لوبون ، غوستاف :
حضارة الهند ، ترجمة عادل زعتير ، ط 1 ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1948م ،
ـ ليسترنج ، جي :
بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد ، بغداد ، 1954م .
ـ لين بوول ، ستانلي :
تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، دار المعارف ، مصر ، 1969م .

ـ ماجد ، عبد المنعم :
تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، ط 4 ، القاهرة ، 1978م .
ـ متز ، آدم :
الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده بيروت ، 1387هـ/1967م .
ـ محمد ، سوادي عبد :
دراسات في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي ، دار الكتب للطباعة والنشر ، البصرة 1993م .
ـ محمود ، حسن احمد :
الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي (21- 447هـ) ، القاهرة ، 1968م .
ـ محمود ، حسن احمد وآخرون :
العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 5 ، 1982م .
ـ مهران ، محمد بيومي :
دراسات في تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1998م
ـ موسى ، علي ، ومحمد الحمادي :
جغرافية القارات ، دار الفكر ، ط 1 ، 1416 هـ / 1995 م ، ص 267 - 268 .
ـ ناجي ، عبدالجبار وآخرون :
تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي ، مطابع التعليم العالي ، البصرة، 1989م .
ـ ناظم ، محمد :
السلطان محمود الغزنوي ، زمانه وحياته ، لاهور ، 1977م .
ـ النبراوي ، فتحية :
تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، ط 9 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1419هـ / 1999م .
ـ نترجن ، أ . د . إس :
مجمع وديانة العصر الفيدي ، تاريخ حضارة الهند ، تحرير سيد عبد اللطيف ، دلهي 1979م .
ـ النخيلي ، درويش :
السفن الإسلامية ، ط 2 ، دار المعارف ، 1979م .
ـ النمر ، عبد المنعم :
تاريخ الإسلام في الهند ، دار العهد الجديد ، القاهرة ، ط 1 ، 1959م .
ـ هنتس ، فالير :
المكاييل والأوزان الإسلامية ، ترجمة كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية 1970م .
هندي ، إحسان :
الحياة العسكرية عند العرب ، مطبعة الجمهورية ، دمشق ، 1964م .
ـ ولبر ، دونالد :

إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة عبد المنعم محمد حسنين ، راجعه إبراهبم أمين الشواربي ، القاهرة ، 1377هـ / 1958م .
ـ ول وايربل :
قصة الحضارة ، الهند وجيرانها ، ترجمة زكي نجيب محمود ، دار الجيل ، بيروت 1988م .
ـ يوسف ، إرشيد :
سلاجقة الشام والجزيرة في الفترة ما بين 435 - 570هـ ، عمَّان ، الأردن ، 1409هـ / 1988م .

خامساً : ـ المقالات والأبحاث العربية والمترجمة .

ـ أحمد ، أحمد عبد الرزاق :
الرنوك على عصر سلاطين المماليك ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الحادي والعشرون ، 1974م .
ـ إسماعيل ، محمود :
الإقطاع في العالم الإسلامي من منتصف القرن الخامس إلي أوائل القرن العاشر الهجري ، حوليات كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1410 - 1411 هـ / 1989 - 1990م
ـ الأمين ، حسن :
الفاطميون ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج 16 .
ـ أمين ، حسين :
أفغانستان ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج 8 .
ـ المؤلف نفسه :
نظام الحكم في العصر السلجوقي ، مجلة سوم ، مج 20 ، العدد 1ـ 2 ، 1964م .
ـ إيوار :
خاتون ، دائرة المعارف الإسلامية ، انتشارات جيهان ، طهران ، ج 12 .
ـ المؤلف نفسه :
السلاجقة ، دائرة المعارف الإسلامية ، انتشارات جيهان ، ج 12 .
ـ بكر :
الأيوبيون ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج 3 .
ـ بوخنر :
السامانية ، دائرة المعارف الإسلامية ،انتشارات جهات ، ج 11.
ـ بيات ، فاضل مهدي :
علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية (429 - 447 هـ / 1038 - 1055م) مجلة آداب المستنصرية ، ع 9، بغداد ، 1984م .
ـ جواد ، مصطفى :
نظم الدولة العباسية في أواخر عهودها ، مجلة الاعتدال ، مطبعة الغربي ، النجف 1934م ، ع 7 .

ـ الجوارنه ، أحمد :
قطاعات الجيش ووسائله الحربية في عهد الدولة الغزنوية (388- 432هـ/998 - 1040م) ، أبحاث اليرموك ، مج 13، العدد (أ) ،1997م .
ـ السامرائي ، عبدالجبار :
نظم التعبئة عند العرب ، مجلة المورد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ج 12 ، ع 4 .
ـ سعيد ، أمين :
أفغانستان ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج 2 .
ـ الغامدي ، سعد حذيفة :
الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند ، حولية كلية الآداب ، جامعة الكويت ، العدد 52 .
ـ المؤلف نفسه :
الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند ، ط 1 ، دار إشبيليا ، الرياض ، 1417هـ/ 1996م .
ـ المؤلف نفسه :
مدينة الفتح الإسلامي في سيكرى ، مركز بحوث الآداب ، 1416هـ .
ـ فارمر :
طبل خانه ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج 15 .
ـ المؤلف نفسه :
الطنبور ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج 15 .
ـ فو ، كاراده :
الباطنية ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج 3 .
محفوظ ، حسين علي :
ـ النوروز في الأدب العربي ، مجلة التراث الشعبي ، ع 8 ، 1964م .
ـ محمود ، سميعة عزيز :
الوزارة العباسية من 447 - 590هـ / 1055 - 1193م، كلية الآداب، جامعة بغداد 1990م .
ـ مخلص ، عدي يوسف :
التنظيمات الحربية في الفترة الأخيرة من الدولة العباسية ، المجلة التاريخية ، العدد الثالث ، 1974م .
ـ مسعود ، محمد :
البيروني ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج 9 .
ـ نهيم ، سوبر :
ـ إقطاع ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج 2 .

سادساً : ـ الرسائل الجامعية .

ـ تهاني محمد ردايدة :
جيش الخلافة العباسية من 447 - 656 هـ / 1055 - 1258 م , رسالة ماجستير , كلية الآداب , جامعة اليرموك , الأردن , غ . م , 2000م / 1422م .

ـ الجواري ، رياض حميد مجيد :
تنظيمات الجيش في عهد المرابطين (430 - 541هـ / 1038 - 1146م) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب , بغداد ، غ . م , 1411هـ / 1990م .
ـ درويش ، عبد الستار مطلك مطر :
السلطان محمود الغزنوي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، غ . م , 1409هـ / 1989م .
ـ الشرمان ، أحمد سليم شحاده :
الجيش السلجوقي ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة اليرموك , غ . م 2002م .
ـ عباس ، ندى موسى :
جيش العراق في أواخر العصر العباسي (512 - 656هـ / 1118 - 1158م) رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، بغداد ، 1412هـ / 1991م .
ـ العكيدي ، افتخار عبدالحكيم رجب علي :
السلطان مسعود بن محمود الغزنوي سيرته ودوره السياسي والعسكري 421هـ - 432 هـ / 1030م - 1040م ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة الأنبار ، العراق ، محرم 1420هـ / أيار 1999م .

سابعا : ـ المصادر الأجنبية .

- Ali . M :
AHistory of Indo – Pakistan , Dacca , 1970
- : Anony mous
Hudud AL – Alam , London , 1970 .
- : Barthold
Four studies on the history of central Asia .
- Bosworth . C . E :
The ghaznavids , Thaznavids Their empire in Afghanistan and eastern Iran 994 – 1194 .
- Boyle . J . A :
The Cambridge History of Iran , (The Salgug and Mongol perids Cambridge , 1968 .
- Browne . Edward . G :
A Literary History of Persia (From the Earliest Times untid Firdawsi london , 1909 .
- Carla L Klausner :
The selguk vezirate a study of civil administration 1055 – 1194 .
- Dozy (R . Q . A) :
Supplement aux Dictionnaires Arabes , Brill , Leide ,1881.

-: E . j . Brill
. Atls of islam
- Ellphinstone :
A history of India , London , 1889 .
- : Habib Mohammed
Sultan Mahmud of Ghaznin , New Delhi , 1967 .
- Hitti . Philip . k :
history of the Arabs , London , 1940 .
- Ikram . S . M :
History of muslim civilization in India and Pakistan 93 – 711 / 1273 – 1857 , a political and cultural history , Lahore , Pakistan 1982 .
- Ischwari Prasad :
Medieval India , 1925 .
- Jaffar . S .m :
Medieval India under muslim Kings , Peshawar , Pakistan .
- Jusjan :
Tabakat Nasiri , London , 1970 .
- Lane Poole , Stanley :
Medieval India under The Mohammedan Rule . New York 1963 .
- Lane Poole , Stanley :
The Muhammadan Dynasties , Paris , 1925 .
- Majumdar . R . C :
An Advanced History of India , London .
- Meyer . M . W :
South Asia , A Short History of the Sub Continent , Newjersy 1967 .
- Morel . M . W :
A short History of India . London .1957.
- Morel . M . W :
Short History of Muslim Rule In India , Allah bad , 1933 .
- Morel . M . W :
Munshi , The Struggle for Empire , Bombay , 1966 .
- Osborn . k . Hitti :
Islam under the Khalifs of Baghdad , London , 1877 .

ثامناً : ــ مراجع تركية .

- Buyuk lugat : Ansiklopedisi , cilt , 11 , stanbule , meydan yayinevi .

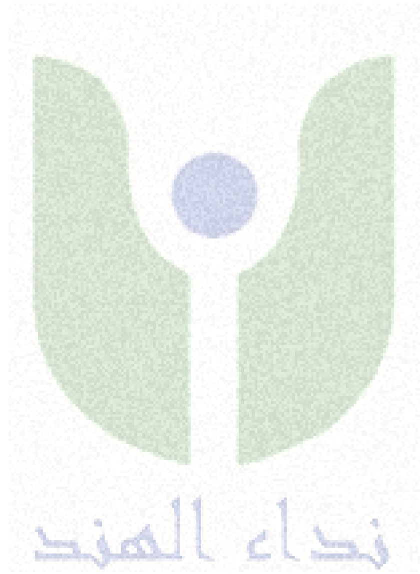
تاسعاً ـ المقالات والأبحاث الأجنبية .

- Encyclopaedia of Islam ، prepard by anumber of Leading orientalists , vol . 2 , Leiden 1965 .
- Thaznavids : Their Empire in Afghanistan and Eastern Iran 994 - 1049 .
- The Later Ghaznavids : Splendor and Decay , Edinburgh 1977.
- The Medieval History of Iran , Afghanistan and central Asia variorum reprints , London , 1977 .



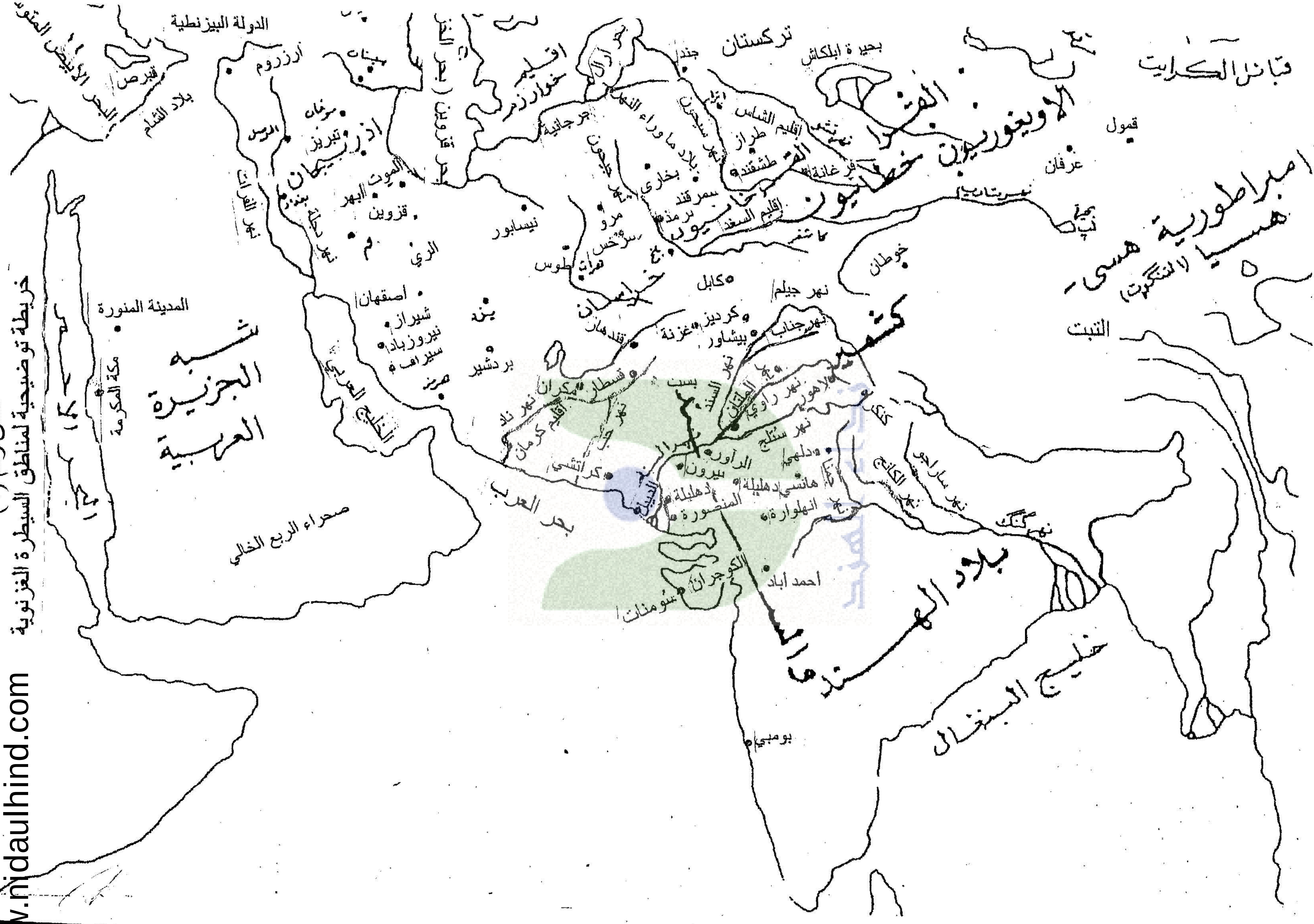


الملاحق


نداء الهند

ملحق رقم (١)

خريطة توضيحية لمناطق السيطرة الغزنوية



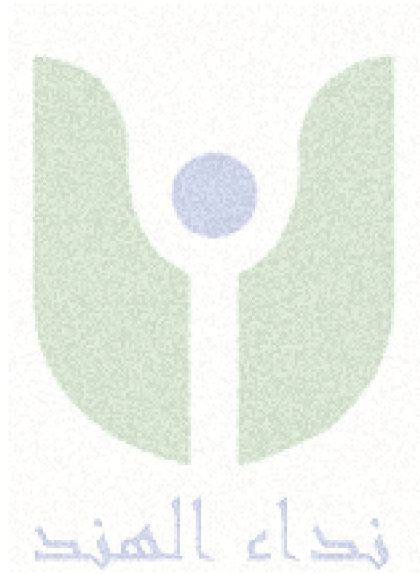
ملحق رقم (2)

أسماء الأمراء والسلاطين الغزنويين

الرقم	السلطان	هجري	ميلادي	ملاحظات
1	ألبتكين	352 - 351	963 - 962	أول من تولى غزنة
2	أبو إسحاق إبراهيم بن ألبتكين	355 - 352	966 - 963	
3	بلكاتكين	362 - 355	972 - 966	
4	بيري	366 - 362	976 - 972	
	آل سبكتكين			
5	ناصر الدولة سبكتكين	387 - 366	997 - 976	
6	إسماعيل بن سبكتكين	388 - 387	998 - 997	
7	يمين الدولة محمود بن سبكتكين	421 - 388	1030 -998	
8	جلال الدولة محمد بن محمود	422 - 421	103 - 1030	
9	ناصر دين الله مسعود الأول بن يمين الدولة محمود	432 - 422	1040 - 1031	
10	شهاب الدولة مودود بن مسعود الأول	440 - 432	1048 - 1040	
11	مسعود الثاني بن مودود	440 - 440	1048 - 1048	
12	بهاء الدولة علي أبو الحسن	441 - 441	1049 - 1048	
13	عز الدولة عبد الرشيد بن يمين الدولة محمود	444 - 441	1052 - 1049	
14	طغرل نزان	444 - 444	1052 - 1052	مغتصب للعرش
15	جمال الدين فرخزاد بن مسعود الأول بن محمود	451 - 444	1059 - 1052	
16	ظهير الدين إبراهيم بن مسعود الأول بن محمود	492 - 451	1098 - 1059	
17	علاء الدولة مسعود الثالث	508 - 492	1114 - 1098	
18	كمال الدولة شيرزاد	509 - 508	1115 - 1114	
19	سلطان الدولة أرسلان	512 - 509	1118 - 1115	
20	يمين الدولة بهرام شاه	547 - 512	1152 - 1118	نائب السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي
21	معز الدولة خسرو شاه	555 - 547	1160 - 1152	
22	تاج الدولة خسرو ملك	582 - 555	1186 - 1160	
	الغوريون			

ملحق رقم (3)
غزوات السلاطين العزنويون في بلاد الهند

السلطان الغزنوي	الغزوة	السنة	البلد
الأمير سبكتكين 366 - 387هـ / 998 - 1030م	الأولى	366هـ / 976م	شمال غرب الهند
السلطان محمود بن سبكتكين	الأولى	391هـ / 1000م	مناطق لمغان
	الثانية	392هـ / 1001م	بيشاور
	الثالثة	395هـ / 1004م	بهاطية (بهاتية) وبهرا
	الرابعة	396هـ / 1005م	الملتان
	الخامسة	398هـ / 1007م	بهرا وكواكير
	السادسة	399هـ / 1008م	ويهند وبهيم نكر
	السابعة	400هـ / 1009م	ناريان بور
	الثامنة	401هـ / 1010م	مناطق السند الوسطى والسفلى
	التاسعة	402هـ / 1011م	تانيشر وصنمها جكرسوام
	العاشرة	404هـ / 1013م	ناردين (نهاية أسرة شاهات لاهور)
	الحادية عشرة	405هـ / 1014م	لُوْهكت
	الثانية عشرة	409هـ / 1018م	كنوج وماثورا
	الثالثة عشرة	410هـ / 1020م	اجتاح بارى ومعركة رهيب
	الرابعة عشرة	412هـ / 1021م	مناطق أعالي البنجاب ولُوْهكت
	الخامسة عشرة	413هـ / 1022م	كالنجار وكواليور
	السادسة عشرة	416هـ / 1025م	وسومنات
	السابعة عشرة	418 هـ / 1027م	مناطق وأدي نهر نهر السند السفلى (معركة السفن)
السلطان مسعود بن محمود	الأولى	425هـ / 1033م	قلعة سرستي
	الثانية	425هـ / 1033م	قلعة نغسي
	الثالثة	429هـ / 1037م	قلعة هانسي
السلطان مودود بن مسعود الأول بن محمود	الأولى	435هـ / 1043م	عدة حصون منها لاهور
السلطان إبراهيم بن مسعود الأول بن محمود	الأولى	472هـ / 1084م	قلعة أجود , وقلعة رويال


نداء الهند